جديد بدف®
jadidpdf.com

دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية

دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية

ترجمة: حنا عبود

جديد بدف®
jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة على مكتبة جديد كتب بدف

https://jadidpdf.com

الكوميديا الإلهية

جديد بدف®
jadidpdf.com

* دانتي أليجييري
* الكوميديا الإلهية
* ترجمة: حنا عبود
* جميع الحقوق محفوظة Copyright©
* الطبعة الثانية 2017
* الناشـــــــــر : ورد للنشـر والتوزيـع
سوريـة ـ دمشق 5141441
* الاستشارة الأدبية وتحرير النص: حيدر حيدر
* لوحـــة الغلاف: أحمد معلاّ
* الإشـراف الفني : د. مجد حيدر
* التـــــــــوزيع : دار ورد 5141441 ص.ب 30249

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmi.. ed in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without permission in writing from the publisher.

جديد بدف
jadidpdf.com

المقدمة

صعوبة الكوميديا الإلهية متأتية من مصدرين أساسيين: الأول والأهم في نظرنا هو عدم فهم دانتي نفسه، والثاني هو الدخول إلى عالم الكوميديا بوهم مسبق يوحي بأنها عمل شاق وصعب، فتكون قراءتها رهينة وهم صعوبتها، فتختل الساحة النفسية للقارئ، ويسير بها قفزاً، ويمر ببعضها مروراً عابراً أو يقرأ منها بعض الأناشيد التي سمع عن عظمتها. من هذين المنطلقين: عدم فهم دانتي، ووهم صعوبة الكوميديا، يضيع الكثير من هذا الأثر الأدبي العظيم. ولذلك سوف نحاول تذليل نقطتين تعتبران من ضروريات الدخول إلى عالم الكوميديا وهما: كيف نفهم دانتي؟ وكيف نقرأ الكوميديا؟

كيف نفهم دانتي؟

يظن القارئ أنه إذا عرف حياة الشاعر، وملابسات الأحداث الكبرى في سيرورته، استطاع فهم شعره، وبالتالي ذوقه. وقد يصدق ذلك إذا كان الشاعر عادياً. لكن شاعراً مثل دانتي لايخضع لمثل هذه القاعدة، فلا يكفي أن نعرف متى ولد (1265) ومتى توفي (1321) ومتى رأى بياتريس، وكيف نفي وحكم بالاعدام، وكيف كتب كوميدياه في منفاه، حتى نفهم دانتي، ونستطيع قراءته بمتعة واستيعاب.

إننا هنا أمام أثر يقدم أعظم مخيلة توصل إليها الجنس البشري. فما يقدمه دانتي هو الكون الأدبي الواسع الذي لايمكن أن نتوسع فيه، أو نقلص منه. إنه تراث البشرية، وآخر حدود الخيال البشري، إذ لايمكن أن نضيف إلى العالم العلوي عالماً آخر، ولا أن نجعل تحت

العالم السفلي عالماً آخر. ولذلك فإن قراءة الكوميديا هي قراءة تراث الإنسانية، وخلاصة مخيلتها، وسوف يطّلع القارئ بنفسه على الثقافة الموسوعية التي تشتمل عليها الكوميديا.

لانستطيع في هذه المقدمة المحدودة أن نحيط بكل شيء عن دانتي، وموقعه في العصور الوسطى. حسبنا أن نقدم بعض المفاتيح لفهم الرجل وكوميدياه التي أراد بها السخرية، وأي سخرية، من بابوية تلك الأيام، ومن العقائد الدينية المتعصبة. وسوف نقتصر في فهم دانتي على المفاتيح التالية:

1 ـ الوحدانية المسيحية: إن المحور الأساسي الذي يجعلنا نفهم دانتي وموقعه ومواقفه في الكوميديا وغير الكوميديا هو الوحدانية المسيحية الغربية، كما كانت تمارسها البابوية في العصور الوسطى. ودانتي لم يكتف بالوقوف ضد الممارسة البابوية وحسب، بل طرح أيضاً العقائد الوحدانية وناقشها، ووقف ضد بعضها تصريحاً أو تلميحاً. ولكن ما هي الوحدانية المسيحية؟ إنها مجموعة الأفكار والعقائد التي انتشرت في روما، ثم في بقية الأقطار والمدن الإيطالية وغير الإيطالية، لتقف وتكافح الثقافة اليونانية السابقة وهي ثقافة قائمة على التعددية، حماية لمصالحها، وتوكيداً لكارزميتها واحتكارها القرار الإلهي. ويمكن لمن يريد التوسع، الإطلاع على كتابنا «الحداثة عبر التاريخ»، ففيه مقارنة مسهبة بين الكنسية الجامدة والفكر اليوناني الرحب.

الوحدانية المسيحية، كأي وحدانية أخرى، قبلها أو بعدها، ومهما اختلفت التسميات أو تباينت المبادئ، تقوم على قمع الصوت الآخر، وجعل عقيدتها/ مصالحها أساساً لقياس شخصية الفرد، سلباً أو إيجاباً. فالإيمان بالمسيح، وكل الشخصيات الكارزمية، شرط أولي لكل إخلاص وخلاص. والإيمان هنا يعني الانصياع لإرادتهم. والويل كل الويل لمن لايتوافر فيه هذا الشرط. إنه يخضع لكل أنواع النبذ أو التعذيب أو النفي أو القتل. ولم يقتصر الأمر على العقاب الفردي، كما تمثله محاكم التفتيش (وقد ظهرت أشباهها بعد ستة قرون في بعض الوحدانيات الشيوعية والنازية والفاشية... ولكنها سميت محاكم التطهير) بل كانت هناك إبادات جماعية. فقد اتهم البابا الألبيجيين

بالهرطقة، وجهز جيشاً ضدهم وأبادهم، وقد اشترك الدومنيك بهذه الحملة بحماسة منقطعة النظير. ولم يكن شعار الألبيجيين يتعدى الإيمان بـ «حرية الإرادة» والمطالبة بمزيد من حرية النقاش في المبادئ التي تفرضها الوحدانية المسيحية.

التصور الوحداني تصور شمولي في دائرة مغلقة تبدأ من الخالق لتعود إلى الخالق. فالتاريخ الماضي، والحاضر والمستقبل لايتعديان ما تتصوره الوحدانية المسيحية، أو أي وحدانية أخرى. فهي ترفض أي عقيدة عن الخلق سوى عقيدتها وتنكر أي تصور للمستقبل غير تصورها (ستقوم الساعة ويحلّ يوم الدين ويُفرز الناس إلى أصحاب ميمنة وإلى أصحاب ميسرة، إلا من توسط الطرفين... ولكل فريق مكان: الجحيم أو المطهر أو الفردوس).

هذا التصور يجب ألا يغيب عن ذهننا لأن دانتي اعتمده. ولكنه اعتمده كإطار روائي. أما من حيث العقائد فلم يكن متفقاً معه، إذ هناك الجحيم الذي رأى دانتي أن كثيراً من نزلائه يجب أن يكونوا في الجنة، والعكس صحيح، كما سيرى القارئ في كوميدياه.

2 ـ اليونانية: على أن عدم الاتفاق مع الوحدانية المسيحية، ممارسة وعقيدة، لم ينبثق من تفكير دانتي المجرد، بل من ثقافته اليونانية، فقد اعتمد على الفكر اليوناني والممارسة اليونانية في قولبة الوحدانية المسيحية وتخليصها من ضيق الأفق والتعصب. فإلى جانب الشخصيات المسيحية التي كان يأتي بها، كان يأتي بشخصيات وثنية تزيدها في الروعة والجلال والفاعلية. ولمزيد من الإيضاح نقول:

تقوم الوثنية اليونانية على أربع فضائل هي الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة. وهي فضائل طبيعية يمكن أن نراها ونلمسها في أصحابها، فالعدل لايخفي نفسه، والحكمة تظهر مقابل الحماقة والشجاعة مقابل الجبن والعفة مقابل التهافت الشهواني. كلها تظهر في الممارسة العملية فلا نفاق فيها ولاتمثيل. وتقوم الوحدانية المسيحية على ثلاث فضائل هي: الإيمان والرجاء والمحبة. وهي فضائل رائعة وإنسانية، لكنها لاتُضبط ولايمكن تلمسها كالفضائل الوثنية، أو التي أطلقوا عليها وثنية، فالإيمان يظهر في المؤمن ولكن ليس كما يظهر

https://jadidpdf.com

العدل في الحاكم العادل، فالمؤمن قد يكون منافقاً، يستغل الإيمان لحاجة ذاتية، أو مصلحة شخصية، لذا قيل: حساب المؤمن عند ربه. فالمؤمن لايستطيع الآخرون سبر صدق إيمانه، ولامدى ما يخامره من شك أو كفر أو إلحاد. أما الحاكم الظالم فما أسرع ما يكشفه الناس ويعرفونه.

وقد جمع دانتي في المطهر بين الفضائل الطبيعية أو الوثنية والفضائل المسيحية، وقدم الأمثلة المناسبة والرائعة للفضائل الطبيعية. أما الفضائل المسيحية من إيمان (بطرس مثالاً) ورجاء (يعقوب مثالاً) ومحبة (يوحنا مثالاً) فسيرى القارئ بأي أسلوب تشكيكي ساخر عرضها علينا، في رحلته المطهرية مع أستاذه فرجيل. وعلينا أن نتذكر دائماً هذه الفضائل لأنها تشغل حيزاً كبيراً في الكوميديا: الفضائل «الوثنية» والفضائل المسيحية.

ولاتتجلى نزعة دانتي هذه هنا فقط، بل في كثير من المجالات سيجدها القارئ بنفسه. منها مثلاً أنه يقول «جوبيتر» بدلاً من المسيح (مطهر 6: 118) ومنها أنه يختار الغريفون الوثني رمزاً للمسيح (مطهر 32: 43) ولكن لماذا نعدد ملامح نزعته التحررية في الكوميديا؟ يكفي أن يطّلع القارئ على كتاب الأخلاق لأرسطو، ثم يطّلع على جحيم دانتي ليجد هذا الجحيم مرتباً وفقاً لأخلاقيات أرسطو تماماً. ويكفي أن يطلع القارئ على النظام الشمسي البطليمي ليجد أن الفردوس مرتب تماماً وفق هذا النظام.

إن التصنيف الذي قام به دانتي ذو قسمين: قسم وضعه حسب نزعته التحررية، وقسم وضعه وفق تصور الوحدانية المسيحية. وهذه نقطة هامة، لأنه سخر من التصور المسيحي في تلك الأزمنة.

الأشخاص الذين صنفهم دانتي وفقاً لتصوره هم أشخاص نحكم عليهم من فضائلهم الطبيعية وممارستهم العملية. فمثلاً يضع دانتي امرأة اسمها كونيتزا في الفردوس (النشيد 9) وهي ابنة أزولينو الذي وضعه في الجحيم (جحيم 12: 110) ومن سيرة الأب وابنته نعرف لماذا وضع كل واحد في مكان، فأزولينو طاغية دموي من طغاة الجيبليين، كان مؤمناً يصوم ويصلي ويأتمر بأمر البابا. لكن كل ذلك لم يكن

https://jadidpdf.com

ليشفع له فزجه دانتي في الجحيم، أما ابنته، فلم تكن متدينة، لا صوم ولاصلاة، بل كانت مستهترة متهتكة، لها عشاق كثيرون. وكان سورديلو من بين عشاقها (مطهر 6: 58) لكن على الرغم من ذلك أدخلها الفردوس، لأنها لم تؤذ أحداً، واعتقت كل عبيد أبيها وأخيها. إن دانتي بإدخاله كونيتزا سموات الفردوس ينتصر لحرية الجسد الإنساني، ولا يرى فيها أي خطيئة مادامت لم تلحق الضرر بأحد.

نكتفي بهذا المثال عن تصنيف دانتي للشخصيات التي اختارها، ولننتقل إلى التصنيف الذي جارى به الوحدانية المسيحية. لنأخذ بيكاردا. إنها أول شخصية تقابلنا أو نقابلها في الفردوس (نشيد 3) وما إن يطلع القارئ على ما كتب عنها دانتي حتى يعرف مدى مرارة الحياة البائسة التي تعيشها في هذا الفردوس.

يقع نظر دانتي على بيكاردا فيعتقد للوهلة الأولى أنها شبح، أو أنها انعكاس لصورتها الحقيقية، لأن معالم وجهها امحت تماماً وبهت محياها بشكل لامثيل له. يسألها عن سبب شحوبها وامحاء معالمها فيعرف أن ذلك كان بسبب فراغها وخلوها من أي رغبة بشرية. تقول بيكاردا، أو يقول دانتي بلسانها:

رغائبنا لم تعد ترغب في رغبة
إلا في مسرة الروح القدس الذي
يبهجه أن نكون حسب أوامره.

(فردوس 3: 52)

ويسألها دانتي، وهي التي تقيم في مدار القمر، أول مدارات الفردوس وأدناها:

أخبريني من فضلك: أنت السعيدة بإقامتك
هنا، ألا ترغبين في الارتقاء إلى وضع أعلى
حتى تشاهدي أكثر، ولتكون نفسك عزيزة أكثر؟

(فردوس 3: 64)

فأي انسحاق وأي إذلال وترويض وتدجين هذا الذي نجده في شخصية بيكاردا؟ أيها القارئ كن حذراً أثناء قراءة دانتي، فله سخريات مريرة، كقوله:

https://jadidpdf.com

أيتها الحيوانات الأرضية، أيتها العقول المتخشبة
إن الإرادة الإلهية خيِّرة بذاتها لذاتها
وترضي ذاتها بالخير الذي لذاتها فقط.

(فردوس 19: 85)

من دون أن ندرك نزعة دانتي التحررية اليونانية وسخريته ووقوفه في وجه طغيان الوحدانية المسيحية ممارسة وعقيدة، فإننا نضل، قليلاً أو كثيراً، في شعاب الكوميديا.

3 ـ حرية الإرادة: الوحدانية، أي وحدانية، ليست سيئة في حد ذاتها، بل سيئة لأنها تفرض عقيدتها فرضاً على الآخرين، مما يلغي الصوت الآخر، ويسحق الإرادة الحرة التي تؤمن بالتعددية، وليس بالوحدانية.

كان دانتي من أنصار الإرادة الحرة إلى أبعد مدى. وفي حواره مع الوحدانية المسيحية يلجأ إلى اختيار صور من التاريخ. وعن طريق هذه الصور نطلع على فكره (حرية الإرادة) وعلى فكر الوحدانية أيضاً (الإرادة الإلهية). لنقف قليلاً عند صورة كابانيوس (أحد الذين اشتركوا في الهجوم على طيبة). يسأل دانتي سيده فرجيل:

من هذا الشبح الجبار المستلقي على
الإفريز، وبوجهه يقابل النار محتقراً
كأن المطر الناري لاينال منه؟

(جحيم 14: 46)

وبدلاً من أن يجيبه فرجيل، يتصدى كابانيوس نفسه للجواب فيقول إنه هكذا عاش حياً وميتاً. وإن جوبيتر لن يفرح قلبه بأي نصر على كابانيوس. إن كابانيوس لايشعر بالندم، فقد كان لايعترف بجوبيتر ويجدّف عليه، في حياته وبعد مماته، وهذا هو السبب الذي يبطل مفعول المطر الناري المتساقط عليه، بينما رفاقه في الدائرة السابقة يكتوون بالمطر الناري، لأنهم ندموا على ما فعلوا. وقد استغل سارتر صورة العذاب من جراء هذه في مسرحيته «الذباب».

مقابل الإرادة الحرة التي لاتعرف الندم كما يمثلها كابانيوس في

https://jadidpdf.com

الجحيم، نجد دانتي يلجأ إلى الوجه الآخر الذي تمثله الوحدانية. فالله يمنح نعمته ـ حسبما ورد في الكتاب المقدس ـ وفقاً للون الشعر، وليس لكفاءة ذاتية أو عمل مشرف أو إرادة حرة. النعمة تمنح بصورة مسبقة، ربما منذ أيام الحمل الأولى (راجع سفر التكوين 15: 21 واقرأ قصة عيسو ويعقوب اللذين تخاصما في رحم أمهما، وكيف منح الله نعمته لصاحب الشعر الأحمر) وقد أورد دانتي ذلك تفصيلاً:

ويروي لك الكتاب المقدس هذه
النتيجة في قصة التوأمين اللذين
تصارعا في رحم أمهما.
فبعد الموافقة على منحهما النعمة
ترى أن النور الأسمى تتحدد
هالته وفقاً للون شعرهما.
فليس من خلال مزايا الأعمال والأعمار
ينال البشر درجاتهم المختلفة،
بل حسب النعمة المقررة مسبقاً.
في القرون الأولى لخلق البشرية
كانت براءة الأبوين وإيمانهما الحقيقي
هما كل ما يحتاجه الفرد لتحقيق التحرر.
عندما انصرم العصر الأول للإنسان
كان الختان مفروضاً على الذكور
حتى تتدعم أجنحة البراءة بقوة كافية.
لكن عندما حل عصر النعمة على البشرية
فما لم تتم المعمودية كاملة في المسيح
فإن هؤلاء الأبرياء ينزلون إلى الليمبو.

(فردوس 32: 67 ـ 84)

لننظر إلى هذا الكلام المتحايل، ولنتبين مدى ما فيه من سخرية وتشكيك. فالنعمة تتبع لون الشعر وقانون النعمة الإلهية يتغير بتغير الأزمان، فخلاص المرء في الأزمنة الأولى مرتبط ببراءة الأبوين، لكن الخلاص بعد العصر الأول يتم بالاختتان: فمن اختُتن حصل على

https://jadidpdf.com

النعمة، أما بمجيء المسيح فلا يتم الخلاص إلا بالمعمودية. والأبرياء بحسب القانون القديم؟ حظهم الجحيم، في أول دوائره.

ماهذا؟ هل يقبل البشر بمثل هذه القوانين التي تتغير وفقاً لمزاج النعمة؟ هذا ما يطرحه دانتي بأسلوب بارع أخاذ.

قد يتساءل القارئ، لماذا سكتت الوحدانية المسيحية عن هذا العمل، أي الكوميديا، مادام فيه ما فيه من السخرية والانتقادات للعقيدة الوحدانية وممارساتها، بل لكل عقيدة وحدانية؟

السبب يرجع إلى المقدرة الكبرى التي كان يمتلكها دانتي في التحايل والزوغان والالتفاف والتسويغ. ففي صورة كابانيوس يجد مخرجاً بأن يجعل أستاذه فرجيل يقول لكابانيوس:

إيه كابانيوس. إن سفاهتك المتكبرة
جعلتك تتألم كأن النار في
داخلك. غضبك وحده هو
العذاب المناسب لكبريائك.

(جحيم 14: 63 ـ 66)

إن الخوف الشديد من بطش الوحدانية جعل دانتي يسلك مثل هذا الاتجاه الذي يجب ألا يفوت القارئ. وسوف يمر مع القارئ شرح دانتي لما يعنيه بالإرادة الحرة، وهو شرح كاف وموسع (فردوس 4).

4 ـ الإحراج الساخر: يسلك دانتي في كوميدياه اتجاهاً يجدر أن يبقى في أذهاننا لدى قراءة هذا السفر. هذا الاتجاه سأطلق عليه «الإحراج الساخر» أو السخرية المبطنة. إنه يسير على النحو التالي: يطرح مسألة من المسائل ويناقشها بجدية، ثم يرمي بكلمة صغيرة تبعثر كل مهابة المسألة. أو تراه يقتنص تشبيهاً أو استعارة أو رمزاً أو صورة، فيضع فيها قنبلته التي تفجر كل المعتقد الوحداني الذي هو بصدده. لنأخذ هذا المقطع الطويل نسبياً من المطهر:

نغم عذب ملأ الهواء المشعشع ـ
عذب حتى أنني رحت ألوم جدتنا
حواء على خطيئتها، كيف تجرأت واقترفتها؟

https://jadidpdf.com

امرأة واحدة، منذ أن خلقت رفضت
الحجاب الذي فرضه عليها كلي القدرة،
في حين أن السماء والأرض لأمره يخضعان.
ولو أنها بقيت كقندلفت الله تحت الحجاب
لعرفت من قبل، ولزمن طويل
تلك المباهج التي لاحد لها.

(مطهر 29: 22 ـ 30)

فهو لايقول صراحة أنه من أنصار الإرادة الحرة، بل يجعل حواء، المخلوق الضعيف، تتمرد منذ أن خُلقت على أوامر خالقها، وهذا ثاني تمرد بعد تمرد إبليس. انظر إلى استخدام «كلي القدرة» الذي تخضع له الأرض والسماء، وضع قبله «امرأة واحدة» عصت أمره منذ أن خلقها، وقارن بين كلي القدرة وامرأة واحدة، تلمس الإحراج الساخر الذي أشرنا إليه. ويوغل في السخرية عندما يقول إنها كانت ستتمتع بالمباهج لو رضخت لأمره رضوخ القندلفت. ولو عرف القارئ حياة القندلفت حق معرفتها لأدرك مدى سخرية دانتي. إنها حياة خاوية تقوم على الإذعان والخدمة الكنسية.

لنأخذ هذه الأبيات من الجحيم:

ومثل ذاك الذي انتقمت له الدبتان بضراوة
تطلّع إلى عربة إيليا وهي تصعد
وخيولها تثب نحو السماء،
فلم يقدر أن يتابعها بناظريه
وكل ما بدا له نار تشبه
سحابة تبرق وتضيء السموات.

(جحيم 26: 34 ـ 36)

إن القارئ العادي قد يمر بهذا المقطع مروراً عابراً، ولكنه لو عاد إلى قصة إيليا. وكيف ألقى رداءه على أليشع (النبي الذي انتقمت له الدبتان بضراوة) لعرف مدى سخرية دانتي. وسوف نريح القارئ من الرجوع إلى التوراة ونروي له قصة انتقام الدببة.

هناك نبي يقال له أليشع، كان يرافق النبي إيليا الذي رمى إليه

https://jadidpdf.com

رداءه، فانتقلت إليه العجائبية على ما يبدو من الرداء. كان يمشي قرب رابية، فصاح به الأطفال: اصعد يا أقرع اصعد (ويبدو أنه كان أقرع) فلعنهم. وما أن لعنهم حتى ظهرت دببتان التهمت اثنين وأربعين طفلاً منهم. ومن يتعشق مثل هذه القصص يستطيع قراءتها في سفر الملوك الثاني 2: 23 ـ 24 .

إن دانتي هنا لم يفعل شيئاً سوى أن قال: «الذي انتقمت له الدببة بضراوة» ولولا بطش الوحدانية لقال «أليشع» الأقرع. ولماذا اختار أليشع ولم يختر غيره؟ أليمجد بعجائبيته التي أودت بحياة اثنين وأربعين طفلاً، لاذنب لهم؟ إن سخرية دانتي مريرة وخبيثة جداً.

ولكن في كثير من الأحيان لايخفي هذه السخرية ولايبطنها، بل يدعها تظهر على السطح، وعلى الأخص عندما يتعلق الأمر بالبابوات الذين حشرهم في الدرك الأسفل من الجحيم، وكذلك عندما يتحدث عن أعدائه السياسيين، والحكام الطغاة الذين وجدوا ـ هم والبابوات ـ في العقيدة الوحدانية مطية لقمع الصوت الآخر، كي تخلو لهم الساحة.

وكما يجدر الانتباه إلى سخريته المريرة، كذلك يجب الاهتمام بجديته. فعندما يتحدث مثلاً عن باولو وفرانشيسكا (جحيم 5: 116 و 2:6) يتفطر قلبه على هذين العاشقين اللذين ظلا وفيين حتى في العالم الآخر. وعندما يسألهما عن فعلتهما، يجيبان بأنهما لو عادا إلى الحياة لفعلا ما كانا يفعلان غير نادمين. وأظن أن القارئ، بعد الذي قلنا، يعرف أن دانتي وضع العاشقين في الجحيم وفقاً لمقتضيات العقيدة الوحدانية المسيحية، وليس وفقاً للعقيدة الوثنية. وعطفه عليهما دليل استنكاره ورفضه حشر عاشقين مخلصين في أروقة الجحيم.

5 ـ بياتريس: شخصية ضخمها النقاد والدارسون حتى جعلوا منها السبب الأكبر في تأليف الكوميديا. ولم يكتب أحد عن دانتي ـ تقريباً وفي حدود اطلاعنا ـ إلا أعجب بهذا الإخلاص في الحب الذي أبداه تجاه بياتريس.

إن الدافع الأكبر لتأليف الكوميديا هو موقف دانتي من الوحدانية المسيحية كما تمثلها بابوية العصور الوسطى، تلك البابوية التي لم تكن

https://jadidpdf.com

تأبه بالحياة الروحية، بل تهتم بجمع المال والثروات. وفي الكوميديا لانجد إلا قلة قليلة من البابوات نالت رضى دانتي وحازت إعجابه، أما الأغلبية ممن غلب عليهم الجشع والطمع والتبذير والشهوانية، فقد ألقى بهم في غياهب الجحيم يذوقون عذاباً مريراً.

ولكن ما دور بياتريس التي ظهرت في كل الأجزاء، والتي كُرمت في «المطهر» أعظم إكرام، ورُفعت في الفردوس إلى أعظم مصاف الطوباويين؟ هل من المعقول أن تتطابق بياتريس كل هذا التطابق مع الشخصية الأنثوية اللازمة للتقليد الأدبي، كنمط أولي لابد منه؟

لابد أن نفرق بين بياتريس الحقيقية، وبياتريس «الفنية» إن صح التعبير. أما بياتريس الحقيقية فلا تلعب أي دور في الكوميديا إلا باسمها وجمالها، لأنه رآها مرة وهو في التاسعة، ورآها عندما تزوجت في الرابعة والعشرين، ثم ماتت بعد الزواج مباشرة. لكن بياتريس اسم يتميز برقة لفظيّة وعذوبة شاعرية، فهي أشبه بليلى عندنا، أو هكذا على الأقل عند دانتي وهو يكتب الكوميديا. لابد أن يجاري التقليد الأدبي. وهذا التقليد هو الذي ساعد في إبراز بياتريس الكوميديا، كنمط أولي من الأنماط الأنثوية لابد منه.

إن دانتي، بعدها، تزوج وعاشر النساء وعرف العشق، وعشق الكثيرات. ولا أعتقد أنه في خضم حياته الصاخبة كان متبتلاً لها. كتب فيها «الحياة الجديدة» فتجلت له، أو تجلى له اسمها وأوحى إليه بهذه الشخصية المتماسكة التي تجمع بين البراءة والجمال. وجاء بها إلى الكوميديا وجعلها «مركباً» يجمع بين الفضائل الطبيعية والفضائل الروحية، بين جمال الجسد وبراءة النفس. وهذا المركّب لاعلاقة له ببياتريس الحقيقية الواقعية. ولكن لماذا فعل ذلك؟

قلنا من قبل بأن دانتي نزّاع إلى الفكر اليوناني الوثني، خوّاف من الوحدانية المسيحية. فجاء بهذه الشخصية الأنثوية إلى الكوميديا لتكون مركباً يجمع بين الفريقين. ويحق لنا أن نستنتج ذلك عندما نطلع على الموكب السماوي الذي مهد لظهور بياتريس. إن الموكب يشمل العربة (الكنيسة) والغريفون (المسيح) وتلاميذه وأصحاب الأسفار القديمة. وبعد أن يظهر كل هؤلاء على المسرح تظهر بياتريس وحولها

https://jadidpdf.com

العذارى الثلاث (الإيمان والرجاء والمحبة) والحوريات الأربع (العدالة والحكمة والعفة والشجاعة) فكأنه يرفض أن تكون الحياة وقفاً على الاتجاه النسكي الذي فرضته الوحدانية المسيحية (الإيمان بالمسيح، والرجاء بالقيامة، والمحبة للكنيسة، هي الأركان الأساسية التي قامت عليها النزعة الزهدية) فجاء بالحوريات الأربع وجعلهن يحطن ببياتريس كالعذارى الثلاث سواء بسواء.

هذا المركب جسدته بياتريس خير تجسيد. ففي المطهر تعاقبه لأنه اقتصر على الحياة الطبيعية ولم يرتق إلى الحياة الروحية:

لاشيء في الفن والطبيعة يستطيع أن
يقدم لك متعة كرؤية جسدي الجميل
الذي كنت أرتديه، وقد خلعته الآن في الأرض.
وإذا كان موتي قد حول تلك المتعة
تراباً، فأي مَسَرّة بقيت هناك
في الأشياء الأرضية حتى تسعى إليها؟
(مطهر 31: 49 ـ 54).

لو لم تكن هناك بياتريس، لكانت هناك امرأة جميلة تجمع بين جمال الجسد وعذوبة الروح، يخلقها دانتي لبناء هيكل الكوميديا، ويتخلص من التضارب بين الوثنية الطبيعية والمسيحية النسكية. ولو أن دانتي كتب الكوميديا في أوائل القرن الرابع، وليس الرابع عشر، أو لو كتبها في القرن الثامن عشر، لاختفت منها بياتريس في كلتا الحالتين، إذ لالزوم لها مادامت البابوية لم تكن قد فسدت من قبل، ولم تكن قد تدخلت في الشؤون السياسية. ولمزيد من الايضاح حول هذه النقطة نقول إن دانتي كتب الكوميديا في القرن الرابع عشر عندما كانت معالم /المدينة الدولة/ قد اكتملت وبدأ الصراع يظهر بين البابا والإمبراطور، فأحياناً تكون السيادة للأول، وأحياناً تكون السيادة للثاني، وكل سيادة يدفع الشعب ثمنها دماً وجوعاً وحرماناً. فلا بد من إعطاء مالقيصر لقيصر وما لله لله، أي لابد من الموازنة بين الأمور الروحية والأمور المادية حتى تستقيم هذه الأمور. وبطلة الكوميديا بياتريس ليست أكثر من مركب توفيقي بين الإمبراطور والبابا، أو بين

https://jadidpdf.com

الوثنية والمسيحية، أو بين الطبيعية والروحانية، أو بين الجسد والنفس... وغير ذلك من البوليميك الوسطوي: فهل يجب أن يشمل القانون القضايا الروحية الخاصة أم يسمح بممارستها بحرية، على غرار القانون اليوناني شريطة ألا تخل بالقانوني المدني؟ والذي نراه أنها مركب لكل ذلك، وإذا كنا نرجح جمعها بين الوثنية والمسيحية، فلأن الموكب السماوي الذي جاءت فيه (في نهاية المطهر) جعل الحوريات والعذارى يحطن بها إحاطة السوار بالمعصم. إن بياتريس هي نتاج المدينة/ الدولة، لو تقدم الزمن بصاحبها أو تأخر عن فترة قيام هذه الظاهرة، لما كانت بياتريس، وربما كانت الكوميديا تتخذ شكلاً آخر. هذا جون ملتون نظم «الفردوس المفقود» حول الموضوع ذاته تقريباً، وهو سقوط إبليس وسقوط الإنسان من غير أن يأتي بأي شخصية تقارب بياتريس. كانت الأمور يوم كتب ملتون فردوسه قد اتضحت تماماً، فلا بد من إجراء انزياح عن الأنماط الأولى ينسجم مع العصر الذي يعيشه، ويعاني منه أيضاً.

إن ثقافة دانتي الوثنية تجادل ثقافته المسيحية. ألا يحق لنا الافتراض أن بياتريس عبارة عن مركب أو مصالحة لجمع أفضل ما في الثقافتين؟

خلاصة القول في بياتريس إنها شخصية فنية للأنثى المثالية، وهي ضرورية للكوميديا، استطاع دانتي، بفنية واعية، استخدامها ببراعة، ولبت متطلباته الفكرية والأدبية.

هناك من يذهب إلى أن دانتي اطلع على الشعر الفروسي، حيث تكون «السيدة الجميلة» نمطاً أساسياً في القصيدة، كما يقول ول ديورانت. ولكن بياتريس لاتشبه أياً من تلك الشخصيات، لا من قريب ولا من بعيد. ولو كانت ثمة مندوحة أمامنا لعقد مقارنة موسعة لخلصنا إلى أن بياتريس نسيج وحدها احتاجها فنياً شاعر يرزح تحت وطأة القوانين الإيمانية، ويتعشق الثقافة الوثنية بقوانينها المدنية العادلة التي تبيح حرية المعتقد، فتجنب المجتمع كثيراً من الصراعات الدامية. إن ظهور المدن الإيطالية كان تقليداً للمدن/ الدول في اليونان،

https://jadidpdf.com

فلابد من أن تسعى هذه المدن إلى القانون المدني اليوناني، فاصطدمت بالقانون الإيماني الذي يقوم على الإخلاص فالخلاص.

ولكن ما الذي جعل النقاد والدارسين يذهبون إلى أن بياتريس هي بياتريس الحقيقة؟ هذه بربارة رينولدز تقول: إن بياتريس في قصة الكوميديا هي بياتريس في الحياة الواقعية، سواء في الجحيم أو المطهر أو الفردوس. إنها مثل بيكاردا أو كونيتزا أو كاشياغيدا، أو حتى دانتي نفسه، إنها قبل كل شيء شخص من لحم ودم (مقدمة «الفردوس» ص 49 ، طبعة بنغوين 1973).

أعتقد أن واقعية دانتي في رسم الشخصيات، والاعتماد على وقائع حياتية، واختيار صفات الشخصيات من معارفه، جعل بياتريس تبدو واقعية. وهي فعلاً واقعية في جانب منها، وهو الجانب المادي الملموس كجمالها وقوامها ومحياها وعينيها، وهو ما يمثل عشق الجسد الإنساني، الذي تسامح فيه اليونان والرومان. وبهذا الجسد الجميل جعلها دانتي تسمو وتحوز الفضائل المسيحية وتجلس في أسمى مقام في سماء الأمبريوم. ولم يرفع دانتي بياتريس وحدها، بل رفع معها وثنيين يمثلون الفضائل الطبيعية ومسيحيين يمثلون الفضائل المسيحية. وحدها من بين الجميع تمثل التقاء الوثنية بالمسيحية. ولهذا قلنا بأن بياتريس الحقيقية لم تلعب أي دور في الكوميديا إلا باسمها وجمالها. أما كشخصية فنية فهي تمثل الجمع بين الفضائل المسيحية والوثنية في مركب واحد.

6 ـ الجيبليون والجولفيون: جانب سياسي لابد من الإلمام به حتى نفهم دانتي ونقرأ الكوميديا وهذا الجانب السياسي هو انتماؤه إلى حزب كان له شأن خطير في حياة فلورنسا، وهو الحزب الجولفي.

كان الإقطاعيون ينتظرون موت الإمبراطور حتى يحاول كل واحد أن يعمل لمصلحته. فلما توفي هنري الخامس (1125) انقسم الإقطاعيون في ألمانيا إلى قسمين: قسم يؤيد ترشيح كورادو دي هوهنستوفن. وقد سمى نفسه باسم القصر الذي عقد فيه أول اجتماعاته «جيبليغن» وعرفوا باسم الجيبليين، بينما القسم الآخر عارض ذلك وسمى نفسه حزب الجولف نسبة إلى الجد الأكبر.

https://jadidpdf.com

كان هذا في ألمانيا. لكنه لم يقتصر على ألمانيا، بل انتشر في كل إيطاليا، ومنها انتشر في فلورنسا. وقصة نشأة الحزبين في فلورنسا قصة طريفة. ففي 1216 اغتيل النبيل بوندلمونتي، فانقسم النبلاء إلى قسمين: حزب الجولف الذي يؤيد الإمبراطور جولف الرابع ويقف موقفاً شديد العداء للبابا إنوسنت الثالث. وعندما نجد مثل هذا الموقف نعرف أن العداء مع الأيام لن يقف عند البابا، بل يتخطاه ويصل إلى العداء مع البابوية بمبادئها وعقائدها وممارساتها. أما الحزب المقابل للجولف فدعي حزب الجيبليين اقتداء بالتسمية الألمانية، لأن الحزب المناوئ سمي بالجولف. وقد كان هذا الحزب موالياً للبابا والبابوية يأتمر بأمره وينسق مصالحه مع المصالح البابوية، على عكس ما كان في ألمانيا.

وقد انقسم الجولف في فلورنسا إلى سود وبيض. أما السود فقد ساروا مع البابا، بينما رفض البيض، ومنهم دانتي، أن يسيروا في ركاب البابا.

على أثر تتويج فريدريك الثاني إمبراطوراً عام 1220 اشتد الصراع بين البابا وهذا الإمبراطور، فكانت إيطاليا كلها، وليس فلورنسا وحدها، منقسمة إلى قسمين: مع أو ضد. وتتغير البابوات وتتغير الأباطرة والصراع بين الحزبين لايهدأ ولايخمد. ونلاحظ أن أنصار الثقافة الهيلينية كانوا في معظمهم إلى جانب الجولف. ولم يقتصر الصراع على الثقافة والسياسة، بل تعداهما إلى حروب دموية مريعة. فإذا سيطر هذا الحزب على مدينة حكم بالإعدام على زعماء الحزب الخصم، وإذا استطاع الحزب المعادي استعادة المدينة طرد خصومه وحكم بالإعدام على زعمائهم. وقد انقسم حزب الجولف إلى السود والبيض وكان دانتي من حزب البيض الذين يعادون البابا، بينما كان السود يناصرونه إلى حد غير قليل.

وما كان يفعله الجيبليون بالجولف والجولف بالجيبليين، فعله البيض بالسود والسود بالبيض. وقد استطاع حزب السود عام 1302 ، وكان منفياً خارج فلورنسا، أن يحظى بتأييد كبير من البابا، وبمعونة

https://jadidpdf.com

عسكرية ولوجستية فتح فلورنسا ونفى ستمئة زعيم وشخصية بارزة من حزب البيض. وكان من بينهم دانتي الذي كان نشيطاً في حزب البيض. وقد عاش بقية عمره منفياً، لأن السود قاموا بانقلاب على البيض أثناء سفارته إلى البابا.

في الأجزاء الثلاثة للكوميديا، سيرى القارئ أسماء أعلام ومعارك ومذابح واحتلال قلاع، وانتصارات وهزائم. كلها تدور في إيطاليا، ومعظمها في منطقة فلورنسا. فإذا لم يقف القارئ على موقف دانتي وإذا لم يعرف انتماءه، ظهرت له الأعلام والمعارك والمكائد كأنها إرهاق للكوميديا. فما علاقة القارئ الحديث بمثل هذه الأحداث وتلك الأعلام؟ لاشيء سوى أنها صورة لما كان يجري في العصور الوسطى من صراع بين الإمبراطور والبابا. إنها من الناحية التاريخية لاتعني شيئاً لدى القارئ المعاصر، ولكنها من الناحية الفكرية والأدبية تفيدنا كثيراً، لأنها تطلعنا على موقف دانتي الثقافي، وليس على الموقف السياسي فقط. أما من الناحية الأدبية، فلها أثرها الكبير، لأنها تطعيم واقعي لعالم خيالي يجوس دانتي أرجاءه. فالأديب يلجأ ـ في معظم الأحيان ـ إلى هذا الأسلوب لإيهام القارئ بواقعية عالمه. وبالفعل لايحس القارئ بأنه بعيد عن الواقع أبداً. شخصيات وأحداث محلية حية تدب الرعب في النفس بحيث ننسى أننا في عالم إسكاتولوجي. إن فلورنسا، وبالتالي إيطاليا، جعلتا للكوميديا نكهة خاصة. ولاندرك العالم الخيالي إلا إذا ابتعدنا عن الكوميديا قليلاً وأمعنا النظر في هيكلها الأدبي.

ومن هنا رأينا ضرورة الاقتصار على تعريف الشخصيات والأحداث والمعارك، دونما حاجة إلى الشروحات الدقيقة التفصيلية التي قد تهم الشغوفين بالتفاصيل التاريخية، ولكنها لاتهم المشدودين إلى دنيا الأدب.

شيء هام يجب ألا يغيب عن ذهن قارئ الكوميديا وهو أن دانتي كان دائماً مع الحزب المناوئ للبابا والبابوية، وقد عاش ونفي ومات وهو متمسك بموقفه هذا.

https://jadidpdf.com

تقول دوروتي سايرز في مقدمة «الجحيم»: إن الطريقة المثلى لقراءة الكوميديا الإلهية هي أن يبدأ القارئ من أول بيت شعر فيها حتى آخر بيت، مأخوذاً بقوة السرد وبالحركة الخاطفة للشعر، غير آبه بالتفسيرات التاريخية والشروح المنطقية التي لاتقع أصلاً في قلب نص الكوميديا (ص9 من طبعة بنغوين 1977).

لا أظن أن هناك طريقة أفضل من هذه الطريقة. لكن ثمة بعض المعلومات التي يحسن أن نعرفها قبل قراءة الكوميديا، فذلك يوفر الكثير من الوقت على القارئ، إذ يقل رجوعه إلى الهوامش والتعليقات.

* * *

كان دانتي يؤمن بالنجوم والأرقام. أما إيمانه بالنجوم ومدى تأثيرها في طبائع البشر، فسوف يتكرر في النصوص مراراً، وهو لايحتاج إلى شرح لأن دانتي شرحه في شعره بما فيه الكفاية. أما إيمانه بالأرقام فيظهر في التنسيق العام الذي سار عليه في الكوميديا. والتنسيق العام يعتمد على النسق الثلاثي، باعتبار الوحدانية تؤمن بالأقانيم الثلاثة، فهي مؤلفة من ثلاثة أجزاء: الجحيم والمطهر والفردوس. وكل جزء يشتمل على ثلاثة وثلاثين نشيداً، وهو عمر المسيح. إلا أن الجحيم يزيد على الجزأين الآخرين بنشيد واحد، فيصبح عدد الأناشيد أربعة وثلاثين. ويتساءل القارئ: لماذا فعل دانتي هكذا، مادام في مقدوره أن يجعل الجحيم بثلاثة وثلاثين نشيداً، وكل نشيد يقوم على الترزاريما (القافية الثلاثية)؟

هناك بسملة تعتمدها الوحدانية المسيحية تقول: باسم الآب والإبن والروح القدس، إله واحد آمين. فلابد، حتى تكتمل البسملة أن يأتي بثلاثة، ثم بواحد، حتى يعرف أن الأقانيم الثلاثة مجموعة في واحد. ليس هذا فحسب، بل إنه اعتمد الترزاريما رمزاً للأقانيم الثلاثة.

وإني لأشك في أن يكون هذا الاختيار للنسق الثلاثي نابعاً من إيمان دانتي بالأقانيم المسيحية، وهو الذي سخر من هذه الثلاثيات، كما سوف يلاحظ القارئ. الأرجح أنه حيلة يختبئ وراءها ويحتمي

https://jadidpdf.com

بها، لأن ما فعله ضد الوحدانية المسيحية لم يفعله أحد، إلا رجال النهضة الأوروبية، الذين ظهروا بعده بقرنين من الزمن. ولو لم يكن فولتير نفسه مقذعاً وصريحاً لما فاقه في انتقاد الوحدانية المسيحية. إن التساؤلات المحرجة التي رماها دانتي في وجه المسيحية تعتبر مآزق فعلية من الناحية العقائدية، لم يزد أخلافه عليها الشيء الكثير.

لاشك أن دانتي يؤمن بالأرقام الفيثاغورية، ويعتمد على المفهوم الوثني، وليس على المفهوم المسيحي. ولكنه في إطار الكوميديا اقتصر على النسق الثلاثي. أما في غير هذا الإطار فإنه لم يعتمد النسق الثلاثي. إن الشيوخ الذين يظهرون إلى جانب العربة (رمز الكنيسة) هم كتّاب الأناجيل الأربعة. والمحفل الذي رافق العربة يتألف من أربعة وعشرين، دلالة على الأسفار القديمة. كما استخدم الحوريات الأربع (الفضائل الوثنية)، والعذارى الثلاث (الفضائل المسيحية)، كل ذلك يدل على أن الإطار الثلاثي الظاهر لم يكن ليؤثر على المرتكزات الأساسية التي استخدمها لمجابهة الوحدانية المسيحية، سواء كانت أربعة أو ثلاثة أو سبعة أو أربعة وعشرين. إنه يستفيد من كل المرتكزات الوثنية وغير الوثنية لبناء خط مجابهة حقيقية أمام الوحدانية المسيحية في تلك الأيام. وسوف يجد القارئ في النشيد الثاني والثلاثين من المطهر أعنف هجوم على الوحدانية المسيحية كما مارستها البابوية في العصور الوسطى. فالعربة تتحول إلى وحش، والعربة هي رمز الكنيسة البابوية: لذلك يسرح التنين (رمز الشيطان) ويمرح من دون رادع يردعه. لقد صارت العربة (الكنيسة) وحشاً بسبعة رؤوس (رمز الخطايا السبع: الكبرياء والغضب والجشع والتقاعس والحسد والشراهة والشهوة) بعد أن كانت تمثل الفضائل السبع المناقضة والمعاكسة لهذه الخطايا. فيجب ألا تخدعنا لعبة الأرقام كثيراً. إن أمام دانتي مهمة كبرى وضعها لنفسه وهي فضح ممارسات الوحدانية المسيحية في العصور الوسطى.

* * *

إذن، كل الألعوبات التي يقوم بها دانتي يجب ألا تبعدنا عن

https://jadidpdf.com

المسألة الصدامية الأساسية بينه وبين الوحدانية المسيحية، لأنها غطاء شكلي وبسيط لكل ترسانة دانتي الموجهة ضد الممارسات الوسطوية. ولننظر في الإطار العام: الجحيم والمطهر والفردوس. ففي الجحيم يقبع جميع الوثنيين إلا قلة قليلة رفعها دانتي إلى الفردوس. أما المسيحيون فيقبع في الجحيم من اقترف منهم خطيئة من الخطايا السبع. وسكان الجحيم لا أمل لهم في الخلاص، كما يعلن عن ذلك النقش الموجود على عتبة البوابة:

أنا الطريق إلى مدينة الخراب
أنا الطريق إلى العذاب الأبدي
أنا طريق الخلق الهالكين.

(جحيم 3: 1 ـ 3)

لنستعرض الآن بعض الخطايا التي لاتغتفر، والتي بسببها حشر أصحابها في الجحيم، أو لنستعرض أصحابها. هناك مثلاً الشهوانيون والشرهون والجشعون والمبذرون والغاضبون. هؤلاء مقضي عليهم بالعذاب السرمدي، ولن يدخلوا الفردوس.

لننتقل الآن إلى المطهر نجد من رواده:

1 ـ الشهوانيين في الكورنيش السابع.
2 ـ الشرهين في الكورنيش السادس.
3 ـ الجشعين والمبذرين في الكورنيش الخامس.
4 ـ الغاضبين في الكورنيش الثالث.

طبعاً هناك فئات في الجحيم لاوجود لها في المطهر (كالهراطقة والسادوميين والمسيئين للفن والعرافين والمرتشين واللصوص.... الخ) وهناك فئات في المطهر لاوجود لها في الجحيم (كالمتأخرين في التوبة والحاسدين والمتقاعسين... الخ) ولن نناقش هنا أسباب هذا الفرز.

نعود إلى ما هو مشترك بين الجحيم والمطهر. إن الخطايا واحدة. والخطيئة ليس لها درجات، أي أن الشهوانية ـ مثلاً ـ واحدة، إذ ليس هناك شهوانية تغفر خطاياها، وأخرى لاتغفر خطاياها مثلها

https://jadidpdf.com

مثل السرقة، فأنت إن كان المسروق درهما أو قنطاراً من الدنانير، تدين الثاني مثلما تدين الأول سواء بسواء. وعلى هذا يكون بعض زوار المطهر مثل بعض سكان الجحيم، لافرق بين الفريقين سوى أن عذاب الجحيم أبدي وعذاب المطهر وقتي (قد يصل في بعض الأحيان إلى قرون عديدة) لأن جميع أهل المطهر سيصبحون من أهل الفردوس.

عن طريق هذا النسق الثلاثي الظاهري استطاع دانتي أن يفعل فعلته، فجعل الصاعدين إلى الفردوس من المطهر لايختلفون عن اضرابهم الذين في الجحيم وبذلك لايعود هناك فرق بين الفردوس، الذي يتباهى به الوحدانيون المسيحيون، والجحيم الذي يرذلونه. وبهذه الطريقة نسف كل البناء العقائدي الضخم الذي تعبت في مداميكه أجيال وأجيال من آباء الكنيسة الأوائل. وليت الأمر يقتصر على هذا، بل إن دانتي جعل الحياة في الفردوس باهتة مريعة أين منها عذابات الجحيم، فكل من في الفردوس يسبح باسم الرب ويرقص ويغني له. وهناك من يعيش على التأمل والذكريات الصالحة، لكن وجوههم خلت من كل تعبير، وامحت معالمها أو كادت، ما عدا بياتريس التي قلنا إن دانتي جمع فيها كلاً من الفضائل الطبيعية والفضائل الروحية. وما حدانا إلى هذا القول هو ما جاء به دانتي على لسان بطرس:

لانجد البراءة والإيمان أبداً
إلا في الأطفال الصغار، ولكنهما
يهربان قبل أن تظهر أول شعرة في الذقن.
ما إن يلثغ الفتى حتى يبدأ الصوم والصلاة،
وما إن ينطلق لسانه، حتى يلتهم كل أنواع الطعام
حتى في الصوم الكبير، وبقية أيام الصيام
وهذا آخر يحب أمه ويطيعها
طالما هو فتى ألثغ، فما إن يجيد
الكلام حتى يتمنى رؤيتها في القبر
وحتى ابنة الله الشقراء التي تجلب لنا
النهار وتخلف علينا الليل، تغير سحنتها

https://jadidpdf.com

ويتحول جلدها الأبيض إلى أسود في منظر السماء.
فإن عجبت مما أقول، فلاحظ
أنه لا أحد يحكم هنا في الأرض
حيث الأسرة البشرية ضلت وانحرفت.

(فردوس 27: 127 ـ 141)

أظن أن فرويد، في إدانته الطفولة، لم يفعل أكثر مما فعله دانتي، سوى أنه أرجع الإثم الجنسي إلى مرحلة ما قبل اللثغ، إلى مرحلة الرضاعة. وهذا ما جعل دانتي يستنتج أن الأسرة البشرية ضلت وانحرفت. وعندما يضل البشر وينحرفون لايبقى هناك جحيم ولا مطهر ولافردوس. ولذلك عمد إلى تصوير الخطاة في الجحيم، ثم صور أمثالهم بخطاياهم في المطهر، وجعل ستاتيوس (مطهر 21) ينتقل من المطهر إلى الفردوس، كنموذج لجميع رواد المطهر. أي أن جميع الخطاة المشابهين لخطاة الجحيم سينتقلون إلى الفردوس، فأي فرق بين نعيم دانتي وجحيمه؟

إن دانتي، بعمله هذا، أعاد إلى أذهاننا صورة هاديس أو منزل الأموات في التصور اليوناني القديم. كان الأموات ـ يزعم اليونان ـ يذهبون إلى هاديس، وعذابهم هناك عذاب نفسي، فمن عمل خيراً دخل الحقول الأليزية. لكن دخوله لايعني أبداً أنه لم يقترف ماقترفه الآخرون، بل يعني بأنه قدم الخير واقتدى بالفضائل أكثر من غيره. إن البشرية مدانة في منظار دانتي، وهي من التفاهة بحيث لايجوز أن يفكر فيها العقل الحكيم. يقول دانتي وهو ينظر إلى الأرض، صاعداً إلى السماء:

التفتُّ بعيني إلى الوراء، إلى أولى المدارات السبعة
فرأيت هذا الكون صغيراً حتى أني في هذا
الفراغ ابتسمت من هذا المشهد التعيس.
إنني أؤيد تماماً من يعتقد أن هذا الكون
ليس أكثرَ من فقاعة صغيرة جداً في السموات
والعقل الحكيم هو الذي يفكر في أشياء أخرى.

(فردوس 22: 133 ـ 138).

https://jadidpdf.com

وكثيراً مايراودنا تساؤل عندما نقارن بين نظرة الأدب الحديث ونظرة دانتي: ترى إلى أي مدى استطاع الأدب الحديث تجاوز الآفاق التي رسمها دانتي؟

هذه الإدانة ـ إدانة البشرية ـ التي تتكرر كثيراً في الكوميديا، تختلف كل الاختلاف عن الإدانة الدينية التي ورثتها البشرية من الجدين الأولين، نتيجة عصيانهما الأوامر الإلهية، فالإدانة الأولى نابعة من الطبيعة البشرية التي تبقى بريئة في مرحلة الطفولة، فما أن تمر هذه المرحلة حتى تنتهي البراءة وإلى الأبد. أما الإدانة الثانية فلم تكن نابعة من الطبيعة الإنسانية للبشر، بل يمكن القول إنها عقاب خارجي فرضه الله على البشر لعصيانهم أوامره. ولم يتم الخلاص إلا بنزول المسيح إلى الأرض، ليمحو بدمه الخطيئة الأولى. فمن اعتمد كُتب له الخلاص، ومن لم يعتمد أُدين. لكن دستور دانتي يختلف كل الاختلاف عن هذا المنحى المسيحي، فالطبيعة البشرية تسير وفق تكوينها الخاص (هناك عوامل عديدة لصوغ هذه الطبيعة، ومن أهمها النجوم والأبراج السماوية) ولايمكن حل الأمر بالأوامر الدينية التي فرضتها الوحدانية المسيحية على الجسد، فهذا يؤدي إلى المزيد من التعقيدات. الحل الوحيد (وهو ما سبق به دانتي حركة النهضة والهيومانيزم) هو احترام الجسد البشري، وإفساح المجال أمام الحرية الطبيعية التكوينية لهذا الجسد، بعيداً عن أي قسر. ومن دون فهم مكونات الطبيعة البشرية يستحيل معرفة الطريق السليم. إن القمع والإذعان والترويض والتدجين ليست سوى إرجاء للمشكلة. فهي لاتحلها بل تربكها وتزيدها تعقيداً.

نعود ونؤكد أن دانتي كان من أكثر المتحمسين لمبدأ «حرية الإرادة».

* * *

يقول الفرنسيون إن الأسلوب هو الرجل. وهم محقون في ذلك لو كانوا يعددون بقية الأوجه التي يتمظهر فيها الأسلوب. بالفعل قد يكون الأسلوب هو الرجل والرجل هو الأسلوب. لكن في كثير من الأحيان قد يكون أسلوب الرجل مخالفاً كل المخالفة له. وأسلوب دانتي في

https://jadidpdf.com

الكوميديا لايعكس ميزات دانتي الشخصية تماماً، إذ نجد هناك سمات في الأسلوب لانجدها في دانتي، كما نجد في هذا الأخير صفات لاتتجلى في أسلوبه.

كان دانتي فارساً مقاتلاً صادقاً جريئاً لايعرف المراوغة ولا الزوغان، ولا الالتفاف على المشكلات، بل مواجهتها بكل صراحة وفروسية. لكن هذه الميزات لانجدها في أسلوب دانتي مما يجعلنا نسلم لنورثروب فراي بالكثير من أطروحاته وخاصة تلك التي يذهب فيها إلى أن التقاليد الأدبية، والبنى الأساسية للأنواع الأدبية تفرض نفسها في الإنتاج الأدبي، وإن كان المنتج لاينسجم معها.

إن أسلوب دانتي لايحمل إلينا الصفات التي كان يتسم بها دانتي. أسلوب دانتي مراوغ خبيث يكثر من اللف والدوران والمواربة والخداع والاستدراج والتلميح. وعلينا أن نكون حذرين جداً حتى لانقع فريسة الأسلوب الدانتوي، فنرسم شخصية دانتي من أسلوبه.

لنعمد إلى مثال واضح. هناك مزمور شهير لداوود هو المزمور الحادي والثلاثون، ويختلف كثيراً عن غيره، فهو اتكال على الرب واستغاثة به وتسبيحه في آن واحد:

«عليك يا رب توكلت، لاتدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجني. أمل إليّ أذنك. سريعاً أنقذني. كن لي صخرتي ومعقلي أنت. من أجل اسمك تهديني وتقودني. أخرجني من الشبكة التي خبّؤوها لي. لأنك أنت حصتي. في يدك أستودع روحي. فديتني يا رب إله الحق. أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة، أما أنا فعلى الرب توكلت. ابتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتي وعرفت في الشدائد نفسي، ولم تحبسني في يد العدو، بل أقمت في الرحب رجلي».

والمزمور يبلغ ثلاثة أضعاف ما أثبتناه. ماذا فعل دانتي؟ قال:

توقفت. وحالاً أنشدت الجوقة الملائكية

المزمور المبارك «عليك يا رب توكلت»

وحتى «رجلي». وانطلقت الأصوات عالياً.

(مطهر 30: 82 ـ 84).

https://jadidpdf.com

كان في مقدوره أن يختار أي كلمة غير «رجلي» فيقول مثلاً حتى «حصن» أو «تقودني» أو «حصني» أو «الحق». إن اختياره كلمة «رجلي» لم يكن اختياراً عشوائياً، بل كان اختياراً خبيثاً جداً.

ومثل هذه الكلمات والجمل والصور التي اصطنع فيها العفوية يجب ألا تمر علينا، وإلا فقد القارئ الكثير من المتعة، وطفا على سطح النص، وفاته ما فيه من أحابيل أسلوبية ساخرة لم يعرفها دانتي في حياته أبداً، ولاظهرت في تصرفه، فقد كان الرجل جاداً، على مايُروى عنه، صاحب أنفة وكرامة ينأى عن أي لبس حرصاً على مهابته. وقد روى أن خصومه عرضوا عليه العودة من المنفى، ولكن بشروط مذلة فأبى وفضل النفي على العودة التي يضطر فيها إلى النفاق والكذب والمراءاة.

إن أي استسلام لظاهر النص، أو لشخصية دانتي الواقعية، يبعدنا عن الأغوار التي نَفَذ إليها. والمشكلة في قراءة الكوميديا أن أسلوب دانتي فيه من الخبث والزوغان ما يجعل القارئ حائراً ضائعاً، إذ يعتقد أنه يتحدث بصراحة وصدق، فإذا هو يغمز ويلمز، أو العكس. ومثل هذه الأشياء تشكل عائقاً من أكبر العوائق لدى قراءة الكوميديا. ولايمكن تذليل هذه الصعوبة إلا بالقراءة الحذرة وعدم الاستسلام لظاهر القول.

ومن الاستسلام لظاهر القول إضافة كلمة «الإلهية» كصفة للكوميديا، في القرن السادس عشر، على ماأظن، مع أن دانتي اكتفى باطلاق كلمة «الكوميديا» على عمله ليس غير. وإضافة كلمة الإلهية أوحت إلى الكثير من القراء أن الكوميديا كتبت لتثبيت الإيمان في القلوب، ولتسبيح عظمة الله وعدله وسرمديته. ومثل هؤلاء القراء يدخلون الكوميديا ولديهم شعور مسبق بأن الكوميديا صخرة وطيدة للإيمان المسيحي، في حين أنها أعظم مصدر للشكوك وضعضعة الإيمان.

إن كلمة «الإلهية» يقصد بها «المقدسة» أو بالأحرى «العظيمة جداً» فالكلمة موضوعة لوصف روعة النص وليس لوصف الموضوع، فالمديح واقع على نص دانتي، وليس على موضوع الكوميديا، بمعنى

https://jadidpdf.com

أن هذا الأثر الأدبي عظيم وراق وبديع إلى حد لايسمو إليه كاتب. لكن الحماسة لنص دانتي ضللت الكثير من القراء، فظنوا أن الكوميديا الإلهية هي طريق الإيمان بالله وباليوم الآخر. فالقارئ الذي ينحو هذا المنحى سيأخذ على محمل الجد مشهد اختبار الإيمان الذي يقوم به بطرس، وينتهي بنجاح دانتي في الامتحان، وبرقصة يقوم بها ممتحنه، وهو يصفق ويغني. كما سيحمل على محمل الجد كل الأسئلة التي طرحها بطرس. أما البصير بالخبايا فسيعرف أن ما يقوم به دانتي ليس أكثر من ثلج مقلي.

* * *

شيء آخر نود أن نشير إليه، أو نشير به، وهو أن يدخل القارئ إلى الكوميديا مدخلاً بريئاً، فلا يقرأ دانتي وفكره في رحلة أوليس أو إنياس أو القديس بولس أو المعري... فيقارن بين هذه وتلك أثناء القراءة. فليصب كل اهتمامه على دانتي حتى إذا فرغ من الكوميديا، حق له أن يقارن بينها وبين أي أثر آخر، من الألياذة حتى رؤيا يوحنا، بل حتى المعراج. واعتقد أنه عندئذ يكون أقدر على الحكم فيما إذا كان اقتبس أو لم يقتبس، قلد أو لم يقلد، استفاد أو لم يستفد من غيره، وإلى أي مدى؟

بصريح العبارة نرغب إلى القارئ أن ينحي جانباً كل ما قرأه عن تأثر دانتي بهذا الأثر أو ذاك، وما أكثر الكتب التي أُلِّفت في اتهام دانتي أو الدفاع عنه. فكما يجب ألا ينخدع القارئ بثلاثيات دانتي وأرقامه وتقسيماته، التي قد تتلاءم شكلاً مع الكثير مما سبقه، كذلك يجب ألا ينخدع بالكتب التي راحت تكيل له الاتهام أو تثبت البراءة. فلا حكم قبل إتمام القراءة من أول صفحة حتى آخر صفحة. ولاشك أن الحكم سيكون أعدل وأنصف وأدق وأفضل بعد القراءة البريئة، التي اتفقنا أن تكون من الدفة إلى الدفة.

ومن الأسباب التي تجعل ذهن القارئ يتشتت ويضيع، متابعة الجزئيات. فهناك شخصيات إيطالية ومحلية لاتهم القارئ العربي، ولاغير العربي على ما نظن، في قليل أو كثير، يجب ألا يقف عندها.

https://jadidpdf.com

وقد أغفلنا التعريف ببعضها، بينما أوجزنا في تعريف الهام منها، لأن أي التفات إلى هذه الجزئيات سوف يشتت ذهن القارئ عن متابعة الحدث الدرامي في الكوميديا. إن معظم الشخصيات لم تعد تحظى الآن بأي أهمية، لا عند الإيطاليين، ولا عند الفلورنسيين في هذه الأيام. فلابد، والحالة هذه، من تنحية الهشيم المتبقي منذ أيام دانتي، والذي لم نعد بحاجة إليه حتى لايضيع الخط الدرامي المتصاعد، وحتى لاتفوتنا المتعة الروائية والحوار البوليمكي الدقيق.

* * *

ماالوسائل التي يعتمد عليها قارئ الكوميديا؟... إن قارئ الكوميديا لايحتاج إلى أي شيء سوى الدخول في القراءة مدخلاً بريئاً، لأن ما في الملاحظات والتعليقات التي تعقب كل نشيد من شروح تكفي القارئ إلى درجة كبيرة وتوفر له المتعة الأدبية والفنية.

لكن القارئ المتعمق، الذي يريد أن يجمع كل ماجاءت به الكوميديا من ثقافات، يحتاج إلى معجمين موسعين: الأول معجم الأساطير، وبشكل خاص اليونانية والرومانية، والثاني معجم الثيولوجيا، أو معجم اللاهوت المسيحي، ومعه السنكسار (سير القديسين). ويمكن الاستغناء عن المعجم الثاني، إذا كان لدى القارئ كتاب «ول ديورانت» عن الحضارة العالمية، ففيه عرض موسع للجدال اللاهوتي وسير القديسين منذ نشأة المسيحية، وحتى الثورة الفرنسية. ليس هذا وحسب، بل إن القارئ يطلع أيضاً على الصراعات الدينية والاقتتال الطائفي في العصر الوسيط وبداية عصر النهضة.

أما إذا أراد القارئ التقاط كل دقائق حياة دانتي السياسية والاجتماعية والشخصية، والوقوف على خلجات فكره والتعرف على السجال الثقافي والسياسي والديني في أيامه، فإنه ليس قارئاً، إنه باحث.

على أي حال، نأمل أن يتذكر القارئ دائماً عنوان هذه الملحمة، وهو «الكوميديا» أي السخرية من سخافة النظرة المتعصبة المغلقة التي كانت تسود عقائد العصور الوسطى.

https://jadidpdf.com

وطريقة قراءة الكوميديا لم نستنبطها نحن بل وجدناها في الكوميديا ذاتها. ففي النشيد التاسع من الجحيم (61 ـ 63) يقول دانتي:

أنتم ياأصحاب العقول الراجحة
استشفوا العقيدة التي تخفيها
هذه الأشعار الغريبة بمجازاتها.

وهذا تحذير للقارئ من أن يأخذ بالظاهر من غير استشفاف لما يريده دانتي. وهو يخشى أحياناً من أن يفوت القارئ شيء مما رمى إليه، فينبهه، كما في حديثه عن المعمودية في جرن كثير الثقوب، كان شائعاً في تلك الأيام، كان يؤذي الأطفال وأحياناً يسبب وفاتهم فنراه يترك السرد ويوضح رأيه بين معترضتين: (الجحيم 19: 19 ـ 21).

(حُطِّم أحد هذه الثقوب منذ
أمد قريب لإنقاذ صبي سقط وغاص
وهذا يكفي لإقناع الناس).

وقد ألغي هذا النوع من الأجران، ولاندري إن كان بتأثير الكوميديا. ولكن دانتي أحياناً يجاهر برأيه ولايخفيه أو يكلف القارئ مهمة الاستشفاف كمخاطبته لأحد البابوات في الجحيم (19: 112 ـ 114).

هذه الترجمة:

أقدمت على هذه الترجمة بعد قراءتي للترجمات العربية. وقد وجدت أخطاء فادحة وكثيرة جداً. ويكفي أن يطلع القارئ على الصفحات: 88 ـ 115 ـ 148 ـ 160 ـ 177 ـ 199 ـ 218 ـ 279 ـ 347 ـ 365 من ترجمة حسن عثمان للجحيم وحده فقط، ويقارن بينها وبين الأصل الإيطالي أو أي ترجمة إنكليزية ليعرف فداحة الأخطاء في الترجمة.

وقد قمنا بمقارنة هذه الترجمات بالترجمة الانكليزية لدوروتي سايرز والترجمة الأميركية لجون شاردي، وساعدنا أصدقاؤنا في الرجوع إلى الأصل الإيطالي للوقوف على الترجمة الموثوقة، فتبين أن ترجمة سايرز هي الأدق، وترجمة شاردي أقرب إلى الشاعرية وأرفع مستوى من حيث طرق الأداء. إلا أن شاردي كان يجمع أحياناً بعض المقاطع عندما لايكون ثمة أي إخلال بالمعنى. وهو يفعل ذلك حرصاً

https://jadidpdf.com

على الصورة الشعرية بالإنكليزية. وعندما كان يعمد إلى ذلك كنا نعتمد على ترجمة سايرز حتى نكون أكثر دقة، مع مقارنة بالترجمات العربية.

لسنا بصدد سرد الأخطاء التي وجدناها في الترجمات العربية السابقة، فهي كثيرة جداً، ولسنا بصدد التشهير بأحد، وإنما غرضنا تقديم ترجمة أمينة تتجنب الأخطاء السابقة، آملين أيضاً أن تخضع ترجمتنا لما خضعت له الترجمات السابقة من تدقيق، بغية الوصول إلى الترجمة الأمثل والأكمل.

أما «حكاية» النشيد والتعليقات التي تليه فهي من اختيارنا، إذ لم نتقيد بأحد، فبعد إطلاعنا عليها في الترجمات المختلفة كنا نعمد إلى كتابتها كتابة مستقلة، وعلينا تقع مسؤولية الخطأ.

حنا عبود

https://jadidpdf.com

القسم الأول

الجحيم

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

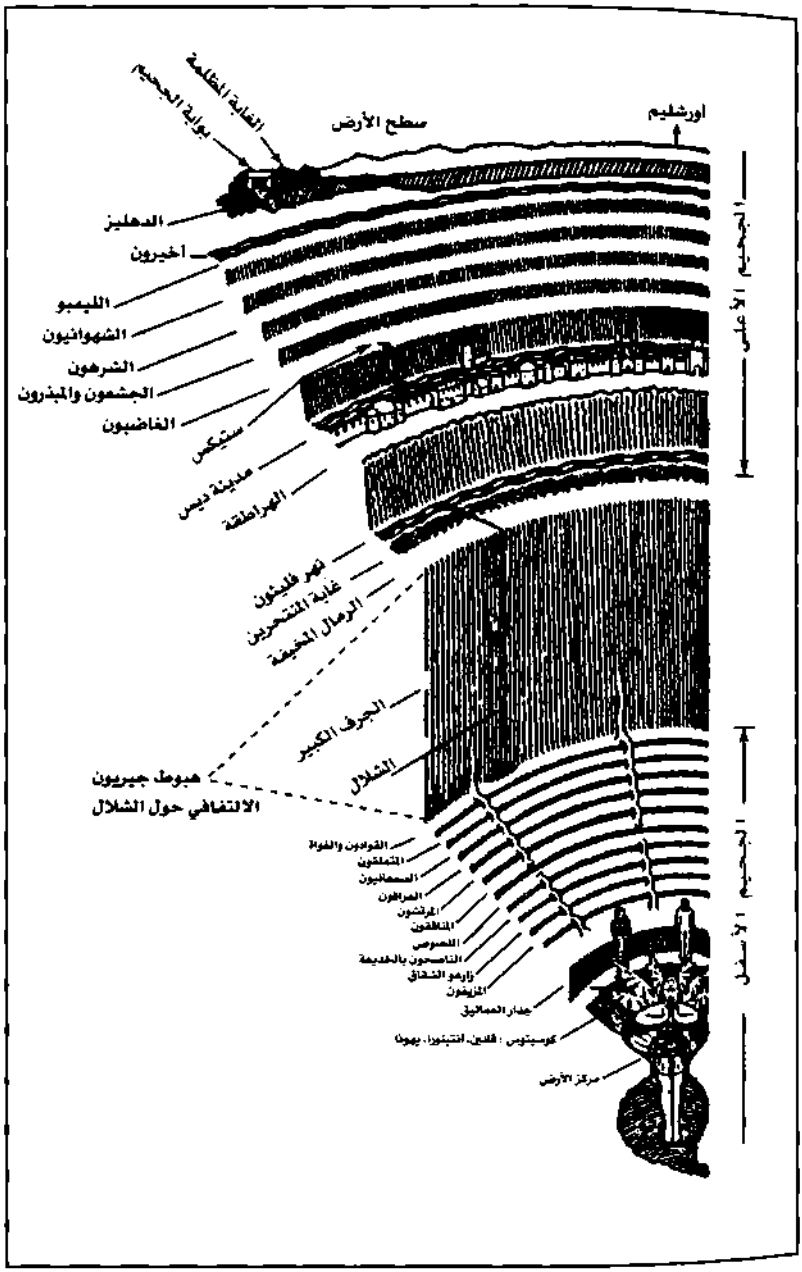

مقطع الجحيم

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

النشيد الأول

الغابة المظلمة

الحكاية: يضيع دانتي، وهو في منتصف العمر، عن الطريق فيجد نفسه في غابة مظلمة (رمز الضلال). يبحث عن مخرج فيرى جبلاً رائعاً طفقت الشمس (رمز المحبة الإلهية) تظهر فوقه. يحاول تسلقه فلا يستطيع لأن دونه فهداً (رمز الخداع) وأسداً (رمز العنف) وذئبة (رمز الشهوة). يهرب منهم فيظهر له شبح فرجيل (رمز العقل) ويخبره أنه لن يستطيع متابعة الطريق من هذه الناحية، وسيرشده إلى طريق آخر يمر بالجحيم ثم بالمطهر، وعندها يتركه لمن هوأجدر منه بصحبته في الفردوس، يتركه لبياتريس (رمز الإيمان) فيرتد دانتي ويسير مع أستاذه فرجيل.

1 في منتصف رحلة العمر، التي كُتبت علينا
وجدت نفسي في غابة مظلمة،
تِهت فيها، وامحى الدرب أمامي.

4 غابة لايطالها الوصف
مخيفةٌ كالأدغال، موحشة كبرّيّة مقفرة،
ذكرُها يثير المخاوف الكامنة.

7 لاأظن الموتَ يفوقُها مرارة

https://jadidpdf.com

لكن لأني نِلت الخير منها، فعن نعمة الرب
أتكلمْ، وبكل الأشياء أخبر.

10 لاأستطيع أن أروي كيف أوغلت فيها
فبأعبائي كنت مثقلاً، وبالنوم كنت معجوناً،
عندما بدأت أنحرفُ عن الطريق الصحيح.

13 في نهاية ذلك الوادي الضلِّيل
الذي ملأت متاهتُه قلبي خوفاً
وجدتُ نفسي أمام هضبة صغيرة.

16 إليها رفعتُ بصري، فرأيت عباءة من أشعة
الصباح تنسدل على كتفيها من الكوكب المشرق
الذي يهدي عابري السبيل في كل سبيل.

19 فانجلى عني الخوف الذي ملأ
بحيرةَ القلب بكل آلامه
طوال الليلة المرعبة.

22 ومثلما يصل السابح في بحار المخاطر
إلى شاطئ السلامة مبهورَ الأنفاس
فيرنو إلى الأمواج المريعة ويتأمل،

25 كذلك فعلت بعدما نجَتْ نفسي
من ملاحقة الموت، فحدّقت إلى أسفل
في ممر لم ينجُ منه أحد.

28 قليلاً أرحتُ نفسي من عناء التعب

https://jadidpdf.com

ثم نهضت وتوقّلت طريقاً مقفراً صاعداً
أثبتُ في الدرب دائماً قدمي السفلى،

31 وليس بعيداً عن بطن الجبل، رأيت،
أول ما نهضت، فهداً يقفز
بجلده الأرقط الجميل،

34 ويتمرغ ممراحاً بين قدمي
معرقلاً طريقي، حتى فكرت مراراً
أن أنثني وأن أتراجع.

37 كان الصباح طفلاً، والشمس في بواكيرها
تصعد مع النجوم التي تستمد منها الضياء
عندما حرك الحبُ الإلهي

40 تلك الأشياء التي خُلقت بادئ ذي بَدء
فملأني الفصلُ الجميل بالأمل،
وبالبشائر الطافحة أفعمني النهارُ الوليد، وأنا

43 أنظر إلى ذلك الوحش البراق، وقد تطامنَ خوفي،
لكن ذلك لايعدلُ الرعدةَ التي انتابتني
عندما رأيت فجأة أسداً في طريقي.

46 هبّ نحوي يعدو سريعاً رافعاً رأسه
متوحشاً يأكله الجوع
فملأ الجوَّ رعباً.

49 وعلى أثره ظهرت ذئبة ضاوية ضامرة

https://jadidpdf.com

لكنها تغلي بالشهوة التي كانت
منذ القديم سببَ عبودية الكثيرين.

52 كانت أسوأ الوحوش، فمرآها
دبّ في قلبي الرعبُ وتولاني اليأس
حتى فقدت الأملَ في صعود الجبل.

55 ومثل من بالزيادة يطمعُ فيقع
في الخسران، فيضطرب ذهنه
وبالهمّ يُمضي أيامه،

58 هكذا صِرت عندما واجهتني هذه الشقية.
طاردتني... فتراجعت حتى عدت إلى
ذلك المكان الذي لاتزوره الشمس.

61 كنت أهبط المنحنى مسرعاً
فاعترض طريقي فجأة
شكل رجل أجشّ الصوت لطول الصمت.

64 وحالما رأيته وحيداً في المكان الموحش
صرخت راكضاً «ارحمني... ظلاً من
ظلال الموتى كنتَ، أم كنت من الأحياء».

67 فأجاب: «لستُ حيّاً، كنت من قبل
حيّاً، لومبارديا هي الوطن الأم لأبويّ
لكنهما استوطنا مانتوا.

70 تأخر بي الزمن، فولدتُ في عهد يوليوس قيصر

https://jadidpdf.com

وعشتُ في روما أيام أوغسطس المجيد،
وكان الناس يعبدون جهلاً آلهة مزيفة كاذبة.

73 شاعراً كنت، وبشعري مدحتُ الابنَ النبيل
لأنخيس العجوز، الذي أبحر من طروادة
بعد أن هوتْ كبرياؤها في لهيب المحرقة.

76 لكن أنت... لِمَ تحشر نفسك بالكرب حيث
المخاوفُ تقتل الطمأنينة؟ لِمَ لاتتسلق
الجبلَ المبارك، بدايةَ السعادة ومنبعها؟».

79 قلت وقد أحنيت هامتي:
«ألستَ فرجيل؟ ألست الينبوعَ العذب
الذي يفيض بأنقى الكلام؟

82 أنت مجدُ الشعراء ونورهم، فليشفعْ لي
حبي العظيم لك، والساعات الطويلة
التي أنفقتها أتعلم في كتابك.

85 أنت سيدي وأستاذي أنت،
فمنك وحدَك تعلمتُ اللحنَ الجميل
والأسلوبَ النبيل الذي به أفخر.

88 فانظرْ أيها الحكيم الخالد إلى الذئبة
التي تطاردني، وخلّص روحي واحمِني منها.
فقد زرعتْ الخوف في كل نبضة من عروقي».

91 فأجابني وقد رأى نفسي الباكية:

https://jadidpdf.com

«عليك أن تسلك طريقاً آخر
لتنجو من هذه الأدغال الموحشة.

94 فهذه الذئبة الوحشية التي منها تبكي خوفاً
لاتدعُ إنساناً يعبر طريقها،
تلاحقُه حتى تقتله.

97 الشرُّ في طبعها والنهمُ في غريزتها
تأكل ولاتشبع، وكلما افترست
ضحيّة جاعتْ أكثر.

100 تسلّم نفسها لأي وحش، ونسلُها يتكاثر
إلى أن يأتي كلبُ الصيد فيصيدَها
ويجهزَ عليها بضربة مشحونة ألماً.

103 لا الذهبُ طعامه، ولا من الأرض يأكل.
غذاؤه الحكمة والحب، فبهما يتقوى.
مسقط رأسه بين فلترو وفلترو.

106 سوف ينقذ إيطاليا الوضيعة
التي من أجلها مات نيسوس وتورنوس
وأوريالوس وكاميلا الفاضلة.

109 سيطاردُ الذئبة في كل المدائن البعيدة والعريضة
حتى يعيدَها أخيراً إلى الجحيم الذي منه
انطلقتْ بعد أن حلّ الحسدُ عقالَها.

112 أمّا أنت فخير لك

https://jadidpdf.com

أن تجعلني مرشدَك، وأن تعبر معي
مكاناً أبدياً مرعباً،

115 حيث نسمع صراخَ الناس، وترى
النفوس التي طال انفصالها عن أجسادها
تتعذب وتطلب مِيتة ثانية فلا تنالها.

118 وسوف ترى أولئك السعداء
في النار، لأنهم يأملون برحمة الله
وينتقلون إلى فئة المباركين

120 ويصعدون إلى مكان المسرّة، وهناك
تقود خطواتك روحٌ أجدرُ مني
وعندها أدعك معها مودِّعاً،

124 فرب العُرس هناك لايسمح لي
أن أقود أحداً في مدينته
لأني تمرّدتُ على شريعته.

127 مملكته في كل مكان، لكن عرشَه
هناك في مدينته، حيث يتربع.
فمثلثُ البركات من يختاره لخاصته».

130 فقلت له: «أيها الشاعر أتوسّل إليك
باسم الرب الذي لم تعرفه، أن تقودني
حتى تتحررَ قدماي من التيه،

133 حتى أخلصَ من هذا السوء.

https://jadidpdf.com

خذني معك إلى بوابة القديس بطرس
وإلى أولئك الذين صوّرتَ لي عذابَهم».

136 فمشى صامتاً، وبصمت تبعته.

الرموز والصور:

الغابة المظلمة: ترمز إلى الخطيئة.

الجبل: رمز الصعود إلى الله. وفي التوراة أن موسى كان يصعد إلى الجبل لمناجاة الله.

الوحوش: رمز الشهوة والكبرياء والجشع.

كلب الصيد: هو منقذ إيطاليا من الذئبة ومنتشلها من غابة الخطيئة، قيل إنه أحد السياسيين وقيل إنه أحد البابوات، وقيل إنه المسيح أو الروح القدس.

الملاحظات:

1 ـ منتصف رحلة العمر: كان دانتي عندما كتب الكوميديا (1300) في الخامسة والثلاثين. ومنتصف العمر حسب التقدير التوراتي أربعون. فحزقيا كان في الأربعين عندما قال «في منتصف أيامي أرى الجحيم (شيول) تفتح لي» (أشعيا 38: 10) وقد اعتمد دانتي على كلام حزقيا.

17 ـ الكوكب المشرق: الشمس، رمز الله.

30 ـ أثبت... قدمي السفلى: في حالة الصعود تكون القدم السفلى هي الثابتة والعليا متحركة، على الضد من الهبوط.

37 ـ الشمس في بواكيرها: الشمس في برج الحمل 21 آذار حتى 21 نيسان، ويقال بأنها كانت في هذا البرج لحظة التكوين. لكن هذا لاينطبق على عام 1300 .

63 ـ أجش الصوت لطول الصمت: ربما لأن فرجيل يتكلم اللاتينية التي لم يعد يجد من يتكلمها معه، أو ربما كان المقصود أن دانتي غارق في الخطيئة فلا يسمع صوت فرجيل (صوت العقل).

87 ـ الأسلوب النبيل: أسلوب اشتهر عن فرجيل.

105 ـ بين فلترو وفلترو: ثمة خلاف كبير حول تحديد هذا المكان.

106 ـ إيطاليا الوضيعة: الكلمة الإيطالية تعني الوضيعة، لكن بعض الدارسين ذهب إلى أن المقصود إيطاليا «السفلى» مقابل إيطاليا «العليا». لكن الذي

https://jadidpdf.com

لاشك فيه أنها روما سواء كانت إيطاليا الوضيعة أو إيطاليا السفلى.

107 ـ 108 ـ نيسوس... وكاميلا: شخصيات في أنياذة فرجيل اشتُهرت بالدفاع عن الوطن حتى الموت.

114 ـ المكان الأبدي المرعب: الجحيم.

117 ـ الميتة الثانية: يطلب أهل الجحيم ميتة ثانية للخلاص من العذاب الذي يقاسون.

118 ـ السعداء في النار: هم الموعودون بالمطهر، فلم يفقدوا الأمل.

129 ـ مثلث البركات: مصطلح تستخدمه الوحدانية المسيحية للتبجيل.

134 ـ بوابة القديس بطرس: البوابة التي تمرّ منها الأرواح المقبولة في المطهر. وبطرس حامل مفاتيح السموات حسب معتقد الكنيسة الكاثوليكية.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني

الهبوط

الحكاية: استغرقت محاولات دانتي في صعود الجبل طيلة النهار، حتى مساء الجمعة الحزينة، فراح يقدم أعذاره عن فشله. وحتى يريحه فرجيل أخبره كيف هبطت بياتريس (رمز الحب الإلهي) إلى الليمبو وأرسلته ليجنب دانتي الأخطاء والزلل. وقد حملت بياتريس طلبات مريم العذراء (رمز الشفقة) والقديسة لوسيا (رمز النور الإلهي) وراحيل (رمز الحياة التأملية) فيدرك دانتي أن هذه القوى المباركة لن تفشل فينهض من جديد.

1 ولى النهار وعمَّ في الكون الظلام،
واستراحت مخلوقات الأرض من أعمالها.
لم يبقَ في العالم وحيداً سواي،

4 أعدُّ النفس لمواجهة حرب مزدوجة:
عناءِ الرحلة والشفقةِ التي تجعلها
الذاكرة تجرح القلبَ في أعماقه.

7 فيا ربّات الفنون، ويا أيها العبقري الفذ
هلمُّوا لمساعدتي، ويا أيتها الذاكرة
سجلي الرؤيا، فهنا تظهر فضيلتك.

https://jadidpdf.com

10 هكذا بدأت: «أيها الشاعر، يا مرشدي.
من الحكمة أن تختبر قواي، إن كانت
جديرة بهذا المشروع العظيم.

13 إنك تتغنى بأن والدَ الشاب سلفيوس
دخل العالم الأبدي وهو مازال
يرتدي جسده الفاني

16 ولكن إذا كان أكبرُ عدوٍ للجحيم
قد أظهر له العطفَ، وهو يدرك
التأثيرَ العظيم الذي سيكون لعمله،

19 فإن ذلك ليس غريباً على ذهن المفكر،
طالما أن السماء العليا اختارته
ليكون أباً لروما الأم وإمبراطوريتها.

22 فروما وإمبراطوريتها تأسستا حقاً
لإقامة مكان مقدس
لخلفاء عرشِ بطرسَ العظيم.

25 فالأعمال التي تشيدُ بها أشعارُكَ
علمته كيف يكون طريقُ النصر
ومنحته الحلّةَ الرسولية.

28 ثم جاء القديس بولس، الوعاءُ المختار
وبالطريقة ذاتها زار العالم الآخر ووطّد
الإيمانَ، الذي يدلنا على باب الأبدية.

https://jadidpdf.com

31 لكن أنا.. كيف أذهب إلى هناك؟
لا إيناس أنا ولا أنا القديس بولس، وهل هناك
من يظن أني جدير بالرحلة؟... لا أحد.

34 هب أني على الرحلة وافقت،
ألا تخشى عليّ من الزلل؟... سيدي
أنت حكيمٌ وتفهمُ ما تعنيه كلماتي الهزيلة».

37 ومثلَ من يصمّم ويتراجع
مغيّراً عقله بتغير نزواته
إلى أن تفتّرَ همتُه وتتلاشى مقاصده،

40 كذلك وقفت متردداً على الساحل المربد
إلى أن قضى تفكيري على مشروعي
الذي ضخماً بدأ، وسريعاً زال.

43 أجابني ظلُّ فرجيل: «من كلماتك
ومن نظرة عينيك علمتُ
أن نفسكَ غارقةٌ في الجبن

46 الذي يرهقُ كثيراً من الناس
ويحيل قرارهم إلى مخاطرَ وهميةً
تماماً مثلما يجفَلُ الحصان من ظله.

49 وحتى أحرّرك من مخاوفك
سأخبرك لماذا جئت وماذا
سمعت لحظة أشفقتُ عليك.

https://jadidpdf.com

52 كنتُ روحاً من أرواح الليمبو،
حين نادتني سيدة جميلة مباركة
فناشدتها أن تملي عليّ ما تريد.

55 كانت عيناها أشدَّ بريقاً من مصابيح السماء
وجاءني صوتها ناعماً عذباً خفيضاً،
صوتُ ملاك بنغمة صادحة:

58 «أيها الروح المنتواني الكريم، يا من
يحيا في ذاكرة الأرض، ويبقى
حيّاً فيها مادامت الأفلاكُ تتحرك،

61 لي صديق يعاكسه الحظ، ضلّ
في الشاطئ المربدّ، يقف هناك
ينوءُ بالهموم، والخوف يسكن قلبه.

64 وصلتني أخباره إلى السماء
فخفتُ عليه من الضياع.
جئتكَ وأخشى أن أكون قد تأخرت.

67 اذهب إليه وقدم النصح والشفقة
وكل ما يلزم لانعتاق نفسه
فتكون قد ساعدته وعزّيتني.

70 إني إليه أرسلك: أنا بياتريس
جئتُ من السماء المباركة، وإليها سأعود،
أرجوك أن تسرع إليه.

https://jadidpdf.com

73 سأمدحك عندما أقف ثانية بين يدي الرب
وستردد مدائحَكَ أرجاءُ السماء» وهنا
توقفتْ فبدأتُ أنا الكلام:

76 «أيتها الرائعة، يا ذات النعمة التي
بفضلها ارتقى البشر الفانون على كل
سكان السماء ذات الحلقات الضيقة،

79 يسعدني أن أطيعكِ، ومهما أسرعتِ
سأبدو لك متراخياً. أنا أعرف
رغباتكِ، فلا تخبريني ببقية حاجاتك،

82 ولكن أخبريني: كيف حملتك قدماك المباركتان
لمعرفة الطريق المظلم المؤدي إلى المركز المرعب، بعيداً
عن سمائك الرحيبة التي تتشوقين للعودة إليها؟».

85 قالت: «تكفي بضع كلمات (إن كنت راغباً
في الإطلاع على أسرارنا) لتعرف
لماذا أنا لاأخاف المخاطرة.

88 إننا نخاف كل الأشياء المؤذية
أما الأشياء الأخرى
فلا موجبَ للخوف منها.

91 لقد أنعم الله علي بطبيعة
لاتتأثر ببؤسكم
ولاتحرِقُها نيرانُكم.

https://jadidpdf.com

94 ففي السماء سيدة نبيلة اهتمت
بمن أُرسلكَ إليه، ومن أجلها
خُرق قانون السماء الصارم.

97 لقد استدعت إليها لوسيا قائلة ـ
هناك رجل مخلص في مأزِق
إني أَكِلُ إليك شأنه ـ

100 فهبت لوسيا، الروحُ الناعمة،
عدوةُ المظالم، فوجدتني في مكاني
قرب راحيل القديمة، فنادتني:

103 بياتريس، يا مرضيةَ الربّ
كيف لاتسعفين الآن من كان يحبك
ومن أجلك عاف الناس؟

106 ألا تسمعين صراخه؟ ألا ترين
الموت يغالبه قرب النهر الذي
لايدانيه البحرُ غضباً ورعباً؟

109 عندما سمعتُ كلمات لوسيا الطيبة
لم يكن هناك على الأرض روحٌ
أسرعُ مني إلى عمل الخير.

112 فهبطتُ من السماء، ومن مكاني المبارك
إليك، لثقتي ببلاغة كلامك
التي تشرّفك وتشرف من يسمعها».

https://jadidpdf.com

115 تكلمتْ، وهي تجهد في كتم الدموع
التي تجول براقة في عينيها
وهذا ما جعلني أسرع إليك،

118 فبحثتُ عنك، كما طلبت
وأنقذتك من ذلك الوحش الذي
منعك من الطريق القصير إلى الهضبة.

121 ما الذي يعيقك؟ ما الذي يؤخرك؟
لِمَ أنت خائر العزيمة؟
لِمَ لاتظهر شجاعة الرجولة،

124 مادامت تهتم بأمرك ثلاثُ سيداتٍ مباركات
في رحاب السماء، مادامت تعدكَ
كلماتي بكل هذا الخير؟»..

127 ومثلما تضم الأزهارُ الصغيرةُ أوراقَها
في الليل المصقّع، ثم تعود وتفتحها
عندما ينتشر النهار الدافئ،

130 كذلك قواي الخائرةُ، فقد دبّت
حرارة الشجاعة في عروقي كأني من جديد
ولدت، فقلت بجرأة الرجل الحرّ:

133 «مباركةٌ السيدة التي لاحدَّ لشفقتها
ومباركٌ أنت أيها الروح النبيل
يا من لبّيت أوامرَها وأنقذتني.

https://jadidpdf.com

136 لقد ألهبتَ روحي بكلماتكِ
سأسيرُ وأخوض هذه المخاطر
لقد عادني تصميمي الأول القوي.

139 تقدم فللإثنين رغبة واحدة
ياأستاذي وقائدي وسيدي».
هكذا تكلمت، فاستأنف سيره

142 ودخلت معه الممرَّ الخطير.

الملاحظات:

13 ـ والد الشاب سلفيوس: المقصود إنياس، والإشارة للفصل السادس من الأنيادة حيث نجد وصفاً مفصلاً لرحلة إنياس إلى الجحيم «هاديس»

16 ـ أكبر عدو للجحيم: هو الله أو المسيح.

28 ـ الوعاء المختار: هو القديس بولس وله رحلة أخروية ظهرت في القرن الثالث.

78 ـ السماء ذات الحلقات الضيقة: سماء القمر فهي الأصغر والأقرب إلى الأرض.

94 ـ سيدة نبيلة: مريم العذراء.

102 ـ راحيل القديمة: أو راشيل، زوجة يعقوب، وقد جعلها دانتي ترمز إلى الحياة التأملية.

107 ـ النهر: لايقصد نهراً بعينه. إنه يرمز بالنهر إلى الحياة الإنسانية.

120 ـ الطريق القصير إلى الهضبة: هذا يدل على أن الجبل المبارك وجبل المطهر شيء واحد، وبما أن الوحوش منعته من الطريق القصير، فإنه سيسلك الطريق الطويل، أي الجحيم، ليصل إلى الجبل ثانية، ولكن من الجانب الآخر للعالم، مروراً بالجحيم.

https://jadidpdf.com

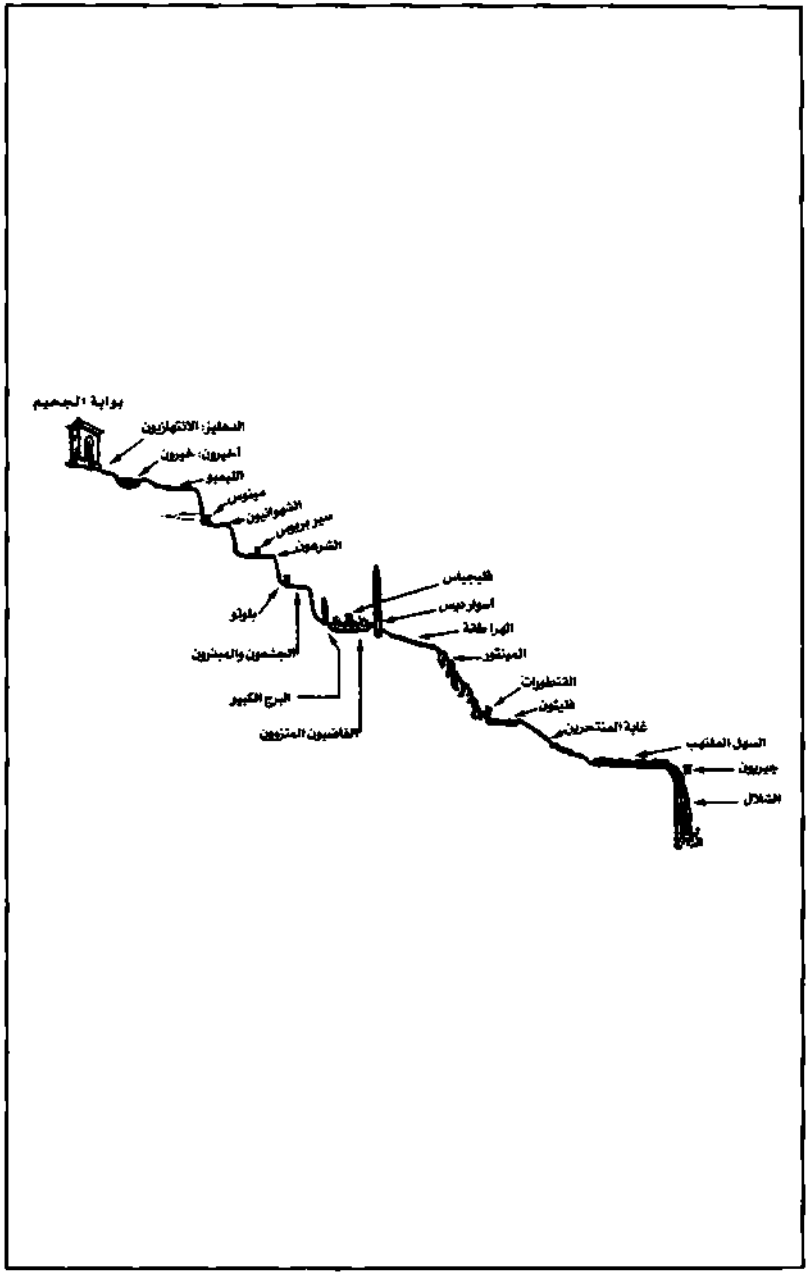

الجحيم الأعلى

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث

المدخل الانتهازيون

الحكاية: يمر الشاعران عبر بوابة الجحيم ويصلان إلى المدخل. وفي المدخل يشاهدان الانتهازيين وعذابهم. إنهم قوم يرفض خارون نقلهم، فلا الجحيم يدخلون، ولا في النعيم يقبلون، فهم أبداً تائهون.

عندما يصل الشاعران إلى أخيرون، أول أنهار الجحيم، يتعرف خارون، معداوي الجحيم، على دانتي ويرفض نقله لأنه من الأحياء، لكن فرجيل يتدخل فيصمت خارون.

1 «أنا الطريق إلى مدينة الخراب
أنا الطريق إلى العذاب الأبدي
أنا طريق الخلق الهالكين

4 العدالة المقدسةُ جعلت الرب يشيّدني
لقد أقامتني هنا القوة الإلهية
والحبُ الأول والحكومة العليا.

7 لم يُخلقْ قبلي إلا الذين لايفنيهم الزمن
وخلف الزمن أقف منتصبة،
فدعوا كل أمل وراءكم أيها الداخلون».

https://jadidpdf.com

10 الألغاز التي قرأتها نُقشت بلون مكمدّ
على عتبة بوابة الجحيم، فصرخت
«سيدي، ما معنى هذه الكتابة الفظة؟».

13 أجاب إجابة رجل متبصر: «هنا عليك
أن تطرح عنك كل كرب
وألّا تدع الخوف يسكن قلبك

16 المكان الذي أخبرتك عنه وصلنا إليه
هنا سوف ترى المعذبين عذاباً مريراً
إنهم أولئك الذين فقدوا نعمة العقل».

19 قال هذا وأمسك بيدي
وبابتسامة لطيفة مشجعة
سار بي عبر بوابة الأسرار

22 هنا تنهداتٌ وصرخاتٌ وعويل
ولولاتٌ تصعد إلى فضاء بلا نجوم
وما أن سمعت هذا النواح حتى بكيت.

25 هنا اختلطت لغات وتعالت لعنات
وصراخ وحشي وعويل عشوائي تصحبه
خبطات أكف قوية.

28 عذابٌ أبدي في ليلٍ سرمدي
وهنا وهناك ترتفع ضجة
كعاصفة تثير في الرمل إعصاراً.

https://jadidpdf.com

31 قلتُ والرعب يلف رأسي:
«سيدي ماذا أسمع؟ من
أولئك الذين يهصرُهُم الألم؟».

34 أجاب: «أرواح بائسة نالوا
مايستحقون، لأن حياتهم لم تكن
مخزيةً ولم تكن مرضية.

37 إنهم ينضمون إلى جمهرة الملائكة الذين
لم يتمردوا على الله، ولم ينحازوا إلى الشيطان
بل ظلّوا لمصلحتهم يخلصون.

40 نبذتهم السماء حفاظاً على كمال بهائها
ورفضهم الجحيم حتى لايفخر عليهم
الآثمون بهول آثامهم».

43 قلت: «إذن أي عذاب أليم
وراء هذا النواح المرير؟».
فقال: «بكلمة أقول لك:

46 في الموت لاأملَ لهم
وحياتهم كانت خسيسةً وضيعة
لذا يحسدون أي مصير: الجنة أو الجحيم.

49 عاشوا حياتهم ولم يذكرهم أحد
العدالة رفضتهم، وعنهم ابتعدت الرحمة.
لن نتحدث بأمرهم، انظرْ إليهم واعبرْ بهم».

https://jadidpdf.com

52 ولمحتُ رايةً بين الضباب
تدور تدور كأنها تحتقر الوقوف
وخلفها اندفع حشد،

55 طوابيرُ بلا نهاية من الأرواح المعذبة
ما كنت أظن أن في مقدور الموت
أن يصرعَ كل هؤلاء البشر.

58 نظرت فيهم، ميّزت بعضهم، لكن
ظلاً عبر فعرفته، إنه الروح
الجبان الذي اقترف «الرفض الأعظم».

61 وعندها عرفت هوية هذه الطوابير
المعذبة التعيسة التي يكرهها
الرب، كما ينبذها أعداؤه.

64 هؤلاء الحشود الذين لم يكتب لهم موتٌ ولا ولادة
يفرون حفاةً عراة، لأن سرباً وحشياً
من الزنابير والحشرات السامة يلسعهم.

67 حتى يفرّ الدم من وجناتهم
ويختلطَ بدموعهم ويسيلَ إلى
أقدامهم فتلعقه الديدانُ الكريهة.

70 ثم نظرت أمامي فشاهدتُ
حشداً كبيراً على شاطئ نهر عريض
فقلت له: «سيدي أرجوك

https://jadidpdf.com

73 أن تخبرني من هؤلاء، وما هذه
العادة، ولماذا يتدافعون للعبور،
إن لم يخنّي بصري في هذا الضوء الكابي؟».

76 قال لي: «كل شيء سيتضح لك
اصعد قليلاً حتى تطأ أقدامنا
شاطئَ أخيرون الحزين».

79 خجلت وغضضتُ الطرف
وأمسكت لساني لئلا أزعجه
وسرت معه صامتاً متحفظاً

82 حتى وصلنا النهر، فانطلق نحونا من الضفة
البعيدة قاربٌ عليه معداوي عجوز أشيب
يزعق كلما اقترب: «الويل لكم أيها البائسون

85 لأنكم لن تروا السماء أبداً، ها أنا
أنقلكم إلى الضفة الأخرى
إلى ليل دائمٍ ونارٍ وحشية وزمهريرٍ مرعد.

88 هيه. أنت، أيها الحي ابتعد
عن هؤلاء الأموات». وعندما
رآني واقفاً غير آبهٍ بكلامه قال:

91 «قلت لك ابتعدْ، لأن لك طريقاً آخر
ومعداويةً أخرى سوف توصلك إلى الشاطئ.
معداويةٌ أسرعُ ستقل حِملك. مكانك ليس هنا».

https://jadidpdf.com

94 وهنا قال مرشدي: «إيه خارون، لماذا
تجأر وتزأر ضجراً؟ هكذا تقرر في الأعلى،
فعليك أن تفعل لا أن تسأل. كفى».

97 هذا الرد أطبق شدقَ خارون الأهترَ
فتابع عمله في المستنقع المخيف.
لمْ يبقَ سوى عينيه الناريتين تلمعان.

100 لكن النفوس المكدودة العارية
ازدادت شحوباً وخوفاً واصطكّتْ
أسنانهم هلعاً لدى سماع كلماته الفظة.

103 وراحوا يجدّفون على الرب وعلى سرير
أبويهم وعلى جنس آدم والمكانِ والزمانِ
والدمِ والسلالةِ والرّحمِ الذي حملهم.

106 لكنهم جميعاً حُشِروا على الشاطئ الكئيب
مولولين صارخين لاعنين ميلادهم.
وهذا مصيرُ كلّ من لايخاف الله.

109 لكن خارون، بعينين كالجمر
يضرب بمجذافه المتحلّقين
ويجمعهم بإشارة من يده.

112 وكما تتساقط أوراق الخريف
واحدة فواحدة حتى يرى الغصنُ
على الأرض كل أوراقِه،

https://jadidpdf.com

115 هكذا سلالة آدم الخبيثة راح الواحد
يسقط تلو الآخر، يُلبّون إشارة خارون
كما يلبي الصقر إشارة الصقّار.

118 وعلى صفحة المياه القاتمة يغيبون
ودائماً قبل أن يصلوا الشاطئ الآخر
تتجمع أفواج جديدة صخّابة على هذه الضفة.

121 عندئذ قال سيدي الكريم: «انظر يابني
كل أولئك الذين يموتون بسبب غضب الرب
يتجمعون هنا من كل البلدان والأقاليم.

124 كلهم يتدافعون للعبور، فالعدالة
الإلهية تحول خوفَهم رغبةً
فيتشوقون لذاك الذي منه يخافون.

127 وإلى هذا المعبر لاتأتي نفسٌ صالحة
لذلك عندما غضب خارون
من حضورك، كان عليك أن تفهم معنى ذلك».

130 عندما قال هذا ارتجَّ السهل القاتم
حتى أن مجرد تذكر الحادثة يدب
الرعب فيّ، ويتفصد عرقي كالبحيرة.

133 وهبّتْ من الأرض الملأى بالدموع تنهيدةُ
رياحٍ دفعت لهيباً في سماء حمراء
فتلاشت كل مشاعري، ومثلَ من يخطفه

https://jadidpdf.com

136 النوم، هكذا سقطتُ وخطفني الظلام.

الرموز الصور:

بوابة الجحيم: ضخمة عالية لاقضبان لها. عتبتها لاترفض أحداً، ودائماً في انتظار أولئك الذين ضلّوا في الغابة المظلمة.

المدخل: استعار دانتي من فرجيل (الأنياذة 6) وفي المدخل يتجمع الانتهازيون الذين لاقرار لهم، يميلون حيث مصلحتهم، لذا نُبذوا من النعيم ومن الجحيم.

أخيرون: أول أنهار الجحيم. أول من تحدث عنه هوميروس.

خارون: معداوي الموتى، عجوز، ملامحُه كريهة، عليه أسمال بالية.

الملاحظات:

4 ـ 6 ـ القوة والحكمة والحب: رمز الثالوث المقدس: الآب والابن والروح القدس.

7 ـ لايفنيهم الزمن: هم الملائكة وطبقات الكون.

18 ـ نعمة العقل: أخذ الفكرة من أرسطو: «الحقيقة نعمة العقل».

60 ـ الروح الجبان الذي اقترف الرفض الأعظم: البابا سلستين الخامس، نُصب في الثمانين واستعفى بعد خمسة أشهر، فخلفه خصيم دانتي البابا بونيفانسي الذي استولى على كل مقدرات الكنيسة الكاثوليكية. وقد وضعه في هذا المكان لأنه تخلى عن واجبه.

126 ـ يتشوقون لذاك الذي منه يخافون: رمز إلى أن الجحيم من اختيار الإنسان الذي يخاف الخطيئة في حياته، ومع ذلك يتشوق إليها، ولولا ذلك لما اقترفها.

136 ـ غيبوبة دانتي: افتعل هذه الغيبوبة خدمة للفن، فهو لايريد أن يصف عبور أخيرون، لأنه أجّل هذا الوصف إلى مستنقع ستيكس (النشيد السابع).

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع

الدائرة الأولى — الليمبو

الحكاية: استفاق دانتي من الغيبوبة، فوجد نفسه وقد عبر أخيرون، على حافة الضفّة الحقيقية للجحيم. ويتبع فرجيل فيصلان إلى الدائرة الأولى، ويسميها دانتي الليمبو، حُشِر فيها الوثنيون الفضلاء وكل من لم ينل المعمودية، فهم لايعذبون إلا أنهم يعيشون بلا أمل، فلا يغادرون الجحيم. ويسمع دانتي الأبواق ترحب بفرجيل، فيعرف أن هنا مكانه الأبدي. ويظهر الشعراء والأبطال والفلاسفة القدامى، ويدخل معهم دانتي قلعة الفكر البشري. وحالة «الفكر البشري» هي أرقى مايمكن أن يحققه الانسان من دون معونة الله.

1 قصفُ رعدٍ عنيفٍ أيقظني
من الغيبوبة التي خطفتني
وكأنها أيادٍ قوية تهزني.

4 نهضتُ وطفتُ بعيني المرهقتين
أتعرف على معالم المكان الغريب
الذي وجدت نفسي فيه.

7 أقول الحق: وجدتني على شفير وادٍ
يُدعى هاويةَ الألم، حيث يتدحرج

https://jadidpdf.com

فيه العويل الأبدي، كأنه الرعد.

10 وادٍ سحيق معتمٌ كئيب
حدّقت في هوّته فلم أجد
شيئاً، ولاشاهدت قاعاً.

13 وبوجه شاحب كالموت قال شاعري:
«علينا أن ننزل الآن إلى العالم
الأعمى، سأمشي قدامك فاتبعني».

16 قلت وقد شاهدتُ شحوبَ وجنتيه
«كيف أسير مادمت أنك وأنت سيدي
ومنقذي يعتريكَ الشكُّ فيعلوك شحوب الخوف؟».

19 فقال: «إن العذاب الذي يعانونه في الأسفل
هو سبب شحوبي وليس
الخوف كما قلت.

22 هلُمَّ. المشوار طويل، فلنتقدم».
وهكذا جعلني أدخل حيث الحلقةُ
الأولى، تحيط بالهوة السحيقة.

25 لم نسمعْ نواحاً عالياً ولاصراخاً
ولاصوتَ ألمٍ، اللهم إلا التنهدُ
يرتفع فيثير الهواءَ الأبدي.

28 ألم بلا عذاب يصدر عن
نساء ورجال وأطفال، وتنهدات

https://jadidpdf.com

بعد تنهدات تحمل صنوفَ الآلام.

31 عندئذ قال مرشدي: «لم تسألني
عن هذه الأرواح التي تتعذب أمامك؟
قبل أن نتابع أريدكَ أن تعرف

34 أنهم بلا خطايا، وفضائلُهم
لاتكفي لشفاعتهم، فهم لم يعرفوا
نعمةَ المعمودية، بابَ الإيمان، كما تعتقدون.

37 ولِدوا قبل مجيء المسيح
فلم يعبدوا الثالوث القدوس،
وأنا نفسي واحد منهم.

40 فسبب هلاكنا هو هذه النقائصُ
ولاشيءَ غيرها، عذابنا أننا
نعيش بلا أمل أبد الدهر».

43 اعتصر الألم قلبي عندما فكرت
كم من النفوس الفاضلة العريقة
تسكن معلقة في هذا الليمبو.

46 قلت وفي نيتي أن أفهم الإيمان
الذي يمحو الأخطاء:
«أخبرني يا سيدي النبيل:

49 هل خرج أحد بفضل مزاياه
أو بشفاعةِ غيره ودخل دنيا

https://jadidpdf.com

البركة؟» فعرف خبيء كلامي

52 وقال: «كنت ماأزال جديداً في مقاطعة
الدموع هذه، عندما نزل بيننا أحدهم
وكان جليلاً متوَّجاً بشارة النصر،

55 فأخذ من بيننا روح أبينا الأول
وروح ابنه هابيل الصالح وروحَ نوحٍ الذي بنى الفُلك
وموسى الذي قدم الشريعة وسار عليها.

58 وروحَ أبينا إبراهيم والملك داوود
وروحَ اسرائيل وروحَ أبيه وأبنائه وزوجته
راحيل، التي فعل اسرائيل الكثير لينالها.

61 وأخذ الكثيرين من شعبه المختار
وجعلهم مباركين. واعلم أنه قبل هذا
اليوم لم تتحرر نفس بشرية».

64 حين تبادلنا هذا الحديث لم نتوقفْ عن السير
فمررنا بحشد من الأرواح التي تجمعت حولنا
كما تتجمعُ الأشجار في الغابة الكثيفة.

67 رأيت، غير بعيد عن المكان
الذي غلبني النوم فيه، نوراً
تغلّبَ على وجه الظلمة.

70 كنا مانزال بعيدين، ومع ذلك
أدركت أن هذا المكان

https://jadidpdf.com

يقيم فيه أشخاص أمجاد كرام.

73 قلت: «أنت يا من تُشرّف كل علم وفن
قل لي: من هؤلاء الكرام الذين رفعتهم
مزاياهم عن غيرهم، حتى في الجحيم؟».

76 فقال: «سُمعَتُهم المشرّفة التي
خلّفوها على الأرض باركتها السماء
ومنحتهم هذه المكانة هنا».

79 عندئذ سمعت صوتاً صارخاً:
«المجد لأمير الشعراء، فظلّهُ
الذي غادرنا عاد إلينا ثانية»،

82 توقف الصوت ولم نعد نسمع صداه
ورأيت أربعةَ أشباحٍ تتجه إلينا
وليس في سيماهم فرحٌ ولاحزن.

85 قال سيدي: «انظر إلى أولهم،
الذي يحمل بيمناه سيفاً مشهوراً
ويسير أمام الثلاثة كرئيس لهم،

88 إنه هومر، سيد شعراء الأرض
يليه هوراس، الساخر الحاذق
وثالثهم أوفيد، ورابعهم لوكان.

91 وبما أنهم جميعاً يشتركون باللّقبِ الرفيع
فإن صوتَهم الذي يلقّبني أميرَ الشعراء

https://jadidpdf.com

يشرفني كما يشرفهم».

94 ورأيت تجمّعاً قرب النور
إنهم المدرسةُ الرفيعة التي حلّقت
بأغاني سيدها كما يحلّق الصقر في الأعالي.

97 وعندما تحادثوا برهة قصيرة
اعترضوا طريقي وهم يرفعون شارات الترحيب
مما رسم على وجه سيدي ابتسامةً رقيقة.

100 أكرموني أيما إكرام، ودعوني
للانضمام إلى جماعتهم وجعلوني
السادسَ بين هذه العقول الوقّادة.

103 ثم سرنا بِبُطء نحو النور متحدثين
عن أشياءَ يحسنُ السكوتُ عنها في الطريق
بينما تُطرح هناك حيث كنا جالسين.

106 وصلنا إلى قلعة عظيمة محاطة
بسبعة أسوار عالية، حولها
خندق يجري فيه ينبوعٌ عذب.

109 عبرنا الخندق كأنه أرضٌ ثابتة.
ومع هؤلاء الحكماء عبرت سبع بوابات
ووصلنا إلى حقل أخضرَ مزهرٍ،

112 رجالٌ بأعينٍ هادئة رزينة، عليهم
سيماءُ الأبهة والعظمة، قلّما يتحدثون

https://jadidpdf.com

فإن تحدثوا فبصوت خفيض.

115 قطعنا المرج ووصلنا مكاناً
مضيئاً عالياً مكشوفاً، كل
نفسٍ فيه ترى الآخرين.

118 أمامي مباشرة على الخضرة
ظهرت النفوسُ الكبيرة.
فأي مجد ومجدٍ أنا رأيت.

121 رأيت إلكترا تقف بين جمع غفير
من الطرواديين، منهم هكتور
وإنياس وقيصر المتدرع بعيني صقر.

124 في الجهة الأخرى رأيت كاميلا
وبنتاسيليا، ولاتيفوس بعرشه
إلى جانب ابنته الغالية لافينا.

127 رأيت بروتوس هازمَ تاركين المتغطرس
رأيت مارسيا وكورنيليا وجوليا ولوكريس
ورأيت صلاح الدين العظيم وحيداً متنحياً.

130 رفعت عيني إلى أعلى قليلاً فرأيت
أرسطو سيّدَ العارفين، تحيط به مجموعة
من كبار رجال الفلسفة.

133 كل واحد يكرمه ويظهر له الاحترام
رأيت سقراطَ وأفلاطون أقرب إليه

https://jadidpdf.com

من الآخرين، ورأيت ديوجين وطاليس وزينون

136 وديمقريط الذي يزعم أن الأشياء خُلقت
بالمصادفة، وأمبدوقليس والحكيم أنكساغوراس
وهيراقليط الذي راح يندب يوم الدينونة،

139 وديوسكوريدس الذي جمع كل الخصال
وملي وأورفيوس ولينوس وسينيكا
الطيب، عالمَ الأخلاق.

142 ورأيت الهندسي إقليدس وبطليموس
وجالينوس وابن سينا، والشارح
الأعظم ابن رشد.

145 لن أتكلم عن كل من رأيت
فالموضوع طويل يجعل
الكلام أقل من الواقع.

148 الستة صارت أربعة،
إذ ذهبت أنا وسيدي في طريق آخر
بعيداً عن الهدوء، وحيث الصخبُ والضجيج.

151 لقد انتقلنا من النور إلى مملكة الظلام الأبدي.

الملاحظات:

28 ـ ألم بلا عذاب: الألم الذي تظهره التنهدات ليس سوى فقدان الأمل في الخلاص من الجحيم والخروج إلى المطهر.

https://jadidpdf.com

45 ـ الليمبو: دانتي يتصور الليمبو في الجحيم، أما توما الأكويني فيتصوره خارج الجحيم.

53 ـ نزل أحدهم متوجاً بشارة النصر: يقصد المسيح الذي هبط إلى الجحيم حسب الآداب الرؤيوية.

60 ـ فعل الكثير لينالها: خدم عند أبيها كمهر، وتزوجها بعد انقضاء المدة.

61 ـ شعبه المختار: يقصد الشعب اليهودي.

80 ـ أمير الشعراء: هو فرجيل، حسب اعتقاد دانتي.

96 ـ أغاني سيدها: أي أغاني هومر.

106 ـ القلعة العظيمة: يستفيد دانتي هنا من وصف الحقول الأليزية كما جاء في الميثولوجيا اليونانية.

108 ـ ينبوع عذب: يقصد ينبوع العلم.

109 ـ كأنه أرض ثابتة: ليس للأجساد ثقالة في الآخرة.

123 ـ قيصر: جعله دانتي من الطرواديين لأنه من سلالة إنياس.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس

الدائرة الثانية الشهوانيون

الحكاية: يهبط الشاعران إلى الدائرة الثانية. على العتبة ينتصب مينوس قاضي الجحيم، يصدر الأحكام بأماكن التعذيب التي تستحقها النفوس. يعترض مينوس، لكن فرجيل يفعل معه ما فعل بالمعداوي خارون. ويدخل الشاعران إلى الدائرة الثانية، ويشاهدان فيها النفوس التي تلف وتدور في الهواء بلا توقف. يتعرف فرجيل على عدد من العشاق، أما دانتي فيتكلم مع ظل فرانشيسكا دي ريميني، فتخبره قصة حبها فيتأثر لمأساتها ويغمى عليه ثانية، أما باولو، عشيقها، فلا نسمع منه في هذا النشيد أي كلمة. إنه يبكي فقط.

1 وحدَنا هبطنا إلى الإفريز الثاني
وهو دائرةٌ أصغرُ لكن آلامها أكبر
فصوت المدانين يعلو بعويل وحشي.

4 على العتبة يجلس مينوس المريع
يصرفُ أسنانه ويحاكمُ كلّ نفس تصل
ويصدر الأحكامَ بذيله الملتفّ،

7 أي عندما تَمْثُل النفس الملفوظة
أمامه، تعترف بكل شيء وعندها

https://jadidpdf.com

ينظر القاضي بأمرها،

10 ويعين لها مكانها في الجحيم حسب
عدد الدرجات التي يريدها أن تهبط
فيلفّ ذيله، كل لفّة بدائرة من دوائر الجحيم،

13 فتنزل النفسُ حسب عدد الدوائر، وتحل
أخرى مكانها. وكل حشدٍ يحاكم... يعترف
ثم يسمع الحكم، وبعدها يُقذف إلى المكان المحدد.

16 عندما رآني مينوس أعبر غير منتظر
حكمه صرخ: «هيه أنت يا من
تدخل معسكر العذاب هذا،

19 فكّر كيف تدخل، وعلى من تعتمد
ولايخدعنك هذا الباب العريض».
عندها قال مرشدي: «لماذا الصياح؟

22 ليس هذا شأنك. فالأقدار تسمح
له بدخول أي باب، وقد تقرر هذا.
مهمتك أن تفعلَ لا أن تسأل. كفى».

25 الآن أخذتْ أصوات المعذبين تصبّ
في أذني وتملأ الهواء، لقد جئت حقاً إلى
مكان النواح في الجحيم... الصوت يتلو الصوت

28 ويملأ الهواء في مكان بهيمٍ لانورَ فيه
يهدر كالبحر الصاخب تصاوله

https://jadidpdf.com

العواصف المتصادمة.

31 وعاصفة الجحيم التي لاتكفّ عن الدوران
تجرف معها الأرواحَ الملعونة وتضربها
وتسوقها فتدور مسرعةً مغتاظة.

34 وعندما تعبر هذه الأرواحُ فتحةَ الجحيم
المخرّبة التي منها أتينا، يتجدد عويلهم
ويجدّفون على الحضرة الإلهية.

37 علمت أن التحليق أبدي لمن
ارتكبوا خطايا الجسد الشهوانية
ففضلوا على العقلِ متعةَ الأجساد.

40 وكما تحمل الأجنحة زرازير الشتاء
في أسرابٍ متزاحمة متضاربة، كذلك
تفعل العاصفةُ بالأرواح الخاطئة.

43 فتطير وتتصادم هنا وهناك
في الأعلى والأسفل، ولا أمل في راحة
بل حتى الألم لاتنكسر حدّته.

46 وكما تصدح الكراكي بصوت أليم
عبر السماء في حشود طويلة
كذلك شاهدتُ الظلال

49 تتدافع في العاصفة وتصدرُ العويل
بعد العويل فقلت: «سيدي من الذين

https://jadidpdf.com

تضربهم الريح السوداء بسوطها من جانب إلى جانب؟».

52 فأجاب: «أولهم تعرف تاريخها
فهذه التي تطير في المقدمة كانت
إمبراطورة عدّة ألسنة، إمبراطورة بابل.

55 لكن الشهوة المجنونة أفسدتها
فبالشريعة أباحتِ اللذةَ
لتغطية شائعاتِ دنسها.

58 إنها سميراميس التي كُتب عليها
أن تكون زوجةَ نينو ووريثتَهُ
فحكمتِ البلاد التي يحكمها السلطان الآن.

61 التالية هي ديدو التي لم تخلِص لرماد زوجها
سيخوس، فانتحرت بسبب الحب، وكليوباترا
الشهوانية التي تضربها العاصفة، انتحرتْ حباً.

64 انظر، تلك هيلين، مسبّبةُ القتال المرير
وهذا أخيل العظيم، حارب من أجل الحبّ
فقُتلَ في بيت العبادة، لقد كانت حربَه الأخيرة.

67 وهاهما باريس وتريستان». وعندما مرّ هؤلاء
فوقنا دلّني على أكثر من ألف بطل
من الذين مزّق الحبُّ حياتَهم على الأرض.

70 وقفت هناك وأستاذي يسمّي لي
أولئك الفرسان والنساءَ القدامى.

https://jadidpdf.com

فهزّني الأسى واضطرب عقلي.

73 أخيراً قلت: «أيها الشاعر، يسرني أن
أكلم ذينكَ الدائرين مع
الريح، يداً بيد وهما حزينان».

76 قال: «انتظر حتى يمُرّا بك ثانية
ونادِهما باسم الحبّ الذي دفعهما إلى هنا
وعندئذ سوف يلبيان، وإليك يسرعان».

79 وحالما دارت الريح الوحشية ودفعت
بهما صحت: «قفا وتحدثا إلينا، إن
لم يكن ثمة مانع، أيتها الروحان المتعبتان».

82 وكما يجذب الحبُّ حمامتين إلى عشهما
فتضربان الهواءَ بأجنحة ثابتة
تدفعهما الرغبةُ العارمة في الصدر،

85 كذلك خرجتْ هاتان الروحان
من مجموعة ديدو الدائرة في الهواء،
إن الشفقة في ندائي أثّرت فيهما.

88 «أيها المخلوق الحي اللطيف الطيب
رحتَ تقطع المسافات في الليل البهيم
لتزورَنا نحن اللذين صبغنا الأرض بدمنا.

91 لو أن ملكَ الدهور صديقُنا ويقبل
رجاءنا لرجوناه أن يمنحك السلامَ

https://jadidpdf.com

أنت يا من تشفق علينا.

94 فاسمغ ماتريد، وتكلم بما يسرّك
وبكل سرور نحدثك، ونستمع إليك
مادامت الريح لاتجرفنا بتيارها.

97 على شاطئ البحر، هناك، تقبع
مدينة، حيث يلتقي نهر البو مع جداوله
ليصبَّ في البحر. هناك ولدتُ وترعرعتُ

100 الحبّ الذي يمسك بالصدر اللطيف
أصاب هذا الشاب في جسده الجميل
الذي انتزعوه مني بطريقة ماتزال تؤلمني.

103 الحب الذي يصيب قلب كل محب
ملأني بهجة، ومازال يتملكني
ولن يتركني أبد الدهر.

106 لقد دفعني الحب وإياه إلى موت واحد
ومكان قائين في الدائرة التاسعة تنتظر
قاتلنا الآن» هذا ما سمعناه منهما.

109 سمعتُ هذه النفوس المجروحة، فزويت
ما بين حاجبي، وبقيتُ فترة هكذا، إلى
أن قال سيدي أخيراً: «بِمَ تفكر؟».

112 وحين أمكنني الإجابة قلت: «يا للحسرة
أي أفكارٍ عذبة، وأي رغبةٍ خضراء جياشة

https://jadidpdf.com

دفعَتْ بالعاشقين إلى هذا المصير المحزن».

115 التفتُّ إلى هاتين الروحين وقلت
«إن ما تعانيه هنا يا فرانشيسكا
يثير شفقتي ويزيد ألمي.

118 لكن أخبريني: في وقت تنهداتكما العذبة
بأي الوسائل وجد الحب طريقه إلى
خداعكما بفردوسه الخطير؟».

121 أجابت: «إن مرير الألم هو أن
نتذكر في ساعات بؤسنا أيامنا
السعيدةَ القديمة، وهذا ما يعرفه حكيمُك.

124 فإذا كانت في قلبك رغبةٌ قوية
لمعرفة أصل حبنا الذي سبّب سقوطنا
فاسمعني كما تسمع المعترفات الباكيات.

127 في أحد الأيام كنا نُزجي الفراغ فنقرأ
كيف وقع لانسلوت في حب الملكة.
كنا وحدنا، ولانفكر بشيء سيء.

130 تابعنا القراءة فراحت أعيننا تتلاقى
وطفِق لونُ وجناتنا يتغير
لكن لحظةً واحدة صرعتنا وهي:

133 عندما قرأنا عن الابتسامة التي تتشوقها
شفاه متعطشة، ويطبعها العاشق،

https://jadidpdf.com

قام ذاك الذي لن ينفصل عني،

136 وقبّل ثغري، وهو يرتجف، فاللوم
على الكتاب وكاتبه غاليوت، فهو وسيطُنا.
في تلك الليلة لم نقرأ... ولم نغفُ».

139 عندما كانت هذه الروح تتكلم، بكت
الروح الأخرى بجانبها نائحة
فاهتصرني الأسى كأنني أُحتضر

142 وهويتُ كما يهوي الميت.

الرموز والصور:

مينوس: اعتمد دانتي على التراث اليوناني في رسم صورة مينوس، وهو ابن أوروبا من زيوس. كان قاضياً في كريت، وعندما انتقل إلى العالم الآخر نصبته الآلهة قاضياً عند بوابة الجحيم. ويستخدم دانتي صورة مينوس ليسخر من العدالة المتشددة التي لاتعرف رحمة. إنه يصرف أسنانه وينطق الحكم بذيله، وحسب الدوائر التي يرسمها ذيله يقذف بالروح إلى دائرتها التي تحددت بلفات الذيل. لم يترك دانتي مينوس كما قدمته الميثولوجيا اليونانية، بل جعل له ذيلاً وغيّر من بعض ملامحه ليستخدمه استخداماً ساخراً.

الحشود: كان مينوس يحاكم الروح فتحل روح محلها، ويحكم الحشد فيحل حشد آخر محله. ومحاكمة الحشود صورة من الصور الساخرة للتشكيك بعدالة هذا الحكم الجماعي العشوائي.

أخيل العظيم: وهذه أيضاً صورة ساخرة اعتمدها دانتي مستخدماً أسطورة خاصة عن أخيل تقول: إن إحدى الطرواديات الجميلات ساومت أخيل «العظيم» على نفسها إذا هو انضم إلى الطرواديين وتخلى عن اليونانيين. وقَبِلَ أخيل وراودها عن نفسها في المعبد، وذهبا إلى هناك، وفي الطريق شاهده باريس فرماه فأصابه في عقبه (نقطة ضعفه التي يضرب بها المثل) فأماته، وقيل قتله لأنه تخلى عن وعده.

الكتاب وكاتبه غاليوت: غاليوت (ومعناها قوّاد بالايطالية) ليس مؤلف الكتاب، بل شخصية فيه، يقوم بدور قوّاد بين عاشق وعاشقة، ومن هنا تقول

https://jadidpdf.com

فرانشيسكا إن مؤلف الكتاب هو غاليوت، لأنه هو الذي أغواهما في القصة.

الريح السوداء: في العصور الوسطى كانوا يعتقدون أن ريحاً سوداء (آثمة) تدخل العاشقين فتدفعهما إلى الخطيئة. وقد نقل دانتي هذه الريح إلى الجحيم.

الملاحظات:

2 ـ دائرة أصغر: كلما نزلنا في جحيم دانتي ضاقت الدوائر وقلّت الحفر.

27 ـ مكان النواح في الجحيم: هنا يبدأ الجحيم الحقيقي.

34 ـ فتحة الجحيم المخرّبة: هي الفتحة التي أحدثها نزول المسيح إلى الجحيم. فقد حدث زلزال عنيف، وانفتحت فرجة نزل وصعد منها المسيح.

64 ـ مسببة القتال المرير: القتال حول أسوار طروادة الذي دام عدة سنوات بسبب هيلين.

91 ـ ملك الدهور: هو المسيح، الذي لايمكن أن يسمع لهما رجاء.

97 ـ على شاطئ البحر: هي مدينة رافينا.

102 ـ أوهموها إنها لباولو، لكنها زفّت إلى أخيه الأشوه.

107 ـ قائين: كان جيوفاني مالاتستا، شقيق باولو وزوج فرانشيسكا، وقاتلهما، على قيد الحياة أثناء كتابة الجحيم. لذلك قالت فرانشيسكا أن دائرة قائين ـ وهي من أشد الدوائر عذاباً ـ تنتظره لأنه قتلهما.

107 ـ الدائرة التاسعة: آخر الدوائر وأشدها عذاباً.

126 ـ المعترفات الباكيات: البكاء أثناء الاعتراف دليل الصدق والتوبة.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس

الدائرة الثالثة الشرهون

الحكاية: يصحو دانتي من غيبوبته فيرى نفسه في الدائرة الثالثة، وهي مخصصة للشرهين، حيث يعولون في مستنقع تهطل عليه الأمطار والثلج والبرد باستمرار. ويحرسهم سيربريوس، كلب الجحيم المثلث الرؤوس، الذي يمزقهم بأظافره وينهشهم بأنيابه ويلتهمهم بأشداقه. وينهر سيربريوس دانتي، لكن فرجيل يرمي حفنة من تراب الأرض في فكه فيهدأ. يقابل دانتي تشاكو الفلورنسي فيعلم منه الأحداث التي ستقع ومصير الصراعات السياسية. وخطيئة الشرهين أنهم نسوا نِعم الرب وانغمسوا في ملذات البطن من طعام وشراب فلم ينتجوا إلا القذارات، وبعد ذلك يصل الشاعران إلى الدائرة الرابعة.

1 عاودني الوعي الذي غاب عني
بعد سماع قصة العاشقين باولو وفرانشيسكا
وحزني الشديد لما يعانيان من آلام.

4 ما هذا؟ إني أرى عذابات جديدة
ومعذبين جدداً، أينما تحركت
أنتقل من ألم إلى ألم.

7 أنا الآن في الدائرة الثالثة: المطر

https://jadidpdf.com

المتجمد يهطل باستمرار، ثقيلاً بارداً
بوتيرة واحدة، لايتغير ولايتبدل.

10 حبات بَرَدٍ ضخمةٌ ومياهٌ قذرة وثلجٌ أسود
تتدفق من الهواء فتضيف
قذارة على قذارة المنتظرين في الأسفل.

13 سيربريوس بحناجره الثلاث ينبح
ويهر ككلب مجنون على تلك الأرواح
الغارقة في المستنقع.

16 عيناه بلون الدم القاني، لحيتُه يعلوها البلغمُ
بطنهُ منتفخ، وفي يديه مخالب مريعة
يمزق أولئك البائسين وينهشهم فيشوّههم.

19 يعودون مثل كلاب في عاصفة ثلجية،
يدورون ويلفّون هرباً منها كما لو كانوا يظنون أن الجانب
المعرّضَ للعاصفة قد يجلب الدفء للجانب الآخر.

22 حين اكتشف سيربريوس قدومنا هرّنا
وفغرَ أشداقه التنّينيّة مكشّراً
وارتجفت أطرافه فلم يبقَ طرف إلا تحرك.

25 انحنى مرشدي على الفور وبكلتا يديه
غرف قبضة من طين المستنقع
وقذفها بسرعة في شدقه.

28 ومثلما يصمت الكلب الهائج جوعاً

https://jadidpdf.com

حالما ترميه بعظمة، فلا
يأتي بحركة إلا التهام طعامه،

31 كذلك الرؤوس الثلاثة لسيربريوس
التي بنباحها كادت تجلب
الصمم لهؤلاء المعذبين.

34 سرنا على الظلال الخاوية التي يضربها المطر
وتبدو كأنها أجساد. وكلما جِسنا على
ظلٍّ غاصَ تحت قدمنا في الفراغ.

37 كل هذه الظلال تغوص في المستنقع
لكن ظلاً واحداً نهض من بينهم
وناداني عندما مررت به:

40 «أنت يا من تقطع هذه الرحلة في
هوة الجحيم، هل تذكر هذا الوجهَ؟
لقد جئت الحياة قبل أن أغادرها أنا».

43 قلت له: «ربما الألمُ الذي تعانيه
هنا، شوّه معالمَكَ فأبعدَ صورتك
فلا أعرفك كما تظهر الآن.

46 لكن قل لي من أنت؟ وأي متعةٍ
دفعَتْ بك إلى هذا العقاب، الذي قد
نجد أشدّ سوءاً منه، وليس أشدّ قرفاً؟».

49 أجاب: «أنا ابنُ مدينتك، التي

https://jadidpdf.com

جرّعتني من الحسد كأساً مريرة، أمّا
في الحياة الرغدة فادّعت أني ابنُها البار.

52 لقّبني مواطنوك «تشاكو» الخنزير،
لأن الشراهة دائي، فانظرْ بسببها
كم أعاني الآن من هذا المطر القارع.

55 لكني لست وحدي الخاطئَ المسكين:
كل هؤلاء يلاقون العقابَ نفسَه،
بالتهمة نفسها» وهنا صمت.

58 قلت: «بؤسك حرّك شَجَني
ودفعني إلى البكاء، لكن قل لي
إن استطعت، ما الذي سيحدث

61 لأبناء مدينتنا المقسمة؟
هل بقي فيها إنسانٌ عادل؟
وما الذي يجعل الحقدَ يمزقها؟».

64 قال: «سينقضي زمن طويل وصراعهم
يشتدّ حتى يصبح دامياً، وحزب الغابة
سيطرد الحزبَ الآخر بقوة غاشمة.

67 ولكن بعد ثلاث دورات للشمس ستنهار
ثقتهم وسينتصر الآخرون بمساعدة
الذي يجلس الآن على السياج.

70 سينتصر السود على البيض لسنوات عديدة

https://jadidpdf.com

يرهقونهم بالديون والأعباء
ويذلّون كبارهم، ويسفحون دموعهم.

73 اثنان عادلان لايصغي إليهما أحد:
فلغة الناس جشعٌ وحسدٌ وكبرياء، إنها
البذور التي زُرعت في الأفئدة».

76 هنا أنهى نبوءته الحزينة، فقلت:
«مازلت مشوقاً لحديثك فأخبرني:
تغيايو ومارينا ما الذي

79 جرى لهما؟ وما خطب غيرة روستيكوتشي؟
وما حال أريفو وموسكا والبقية
الذين سخّروا عقولَهم للصالح العام؟

82 أين همُ الآن؟ أين أيّ منهم؟
كم بودي لو أعرف: هل يُطعَمون
في السماء أم يسمَّمُون هنا في الجحيم؟».

85 أجابني: «تحت، مع الأرواح الأكثر سواداً
فقد أنزلوهم أسفل لجرائم أخرى،
وسترى بنفسك عندما تهبط إلى الأسفل،

88 ولكن عندما تعود إلى العالم الجميل
اذكر اسمي أمام الأحياء. لقد
أخبرتك بكل شيء، فلا تسلْ عن شيء».

91 هزّ رأسه ونظر إلى وجهي بعينين

https://jadidpdf.com

حولاوين ثم أحنى رأسه وغاص
بين الأرواح العمياء في ذلك المكان.

94 قال مرشدي: «لن ينهض ثانية
حتى يصدح الملاكُ بالبوق معلناً اليوم
الذي يأتي فيه ربّ الدعوة ويحاكم الجميع.

97 ذلك أن كل نفس تعود إلى قبرها
الحزين وتستعيد لحمها وشكلها لتكون
أهلاً لسماع الحكم الأبدي».

100 ببُطء اتخذنا طريقنا بين الخليط
القذر من الأرواح والثلج
وتحدثنا قليلاً عن طبيعة

103 الحياة المقبلة. قلت: «سيدي هل
يخفّ هذا العذاب أم يشتدّ أم يبقى
كما هو بعد إعلان الحكم العظيم؟».

106 قال: «عد إلى علمك ثانية
تجدْ: كلما ازداد الشيءُ كمالاً
اشتد شعوره باللذة والألم.

109 أما تلك الأرواحُ، فمع أنها لاتستطيع
أن تتألم إلى درجة الكمال، فستكون في
الزمن الجديد أقربَ إليه مما كانت من قبل».

112 واتبعنا، ونحن نتحدث بما لاحاجةَ أن

https://jadidpdf.com

أعيده، الطريقَ الذي يدور حول
تلك الدائرة حتى وصلنا المهبِط التالي

115 وفجأة قابلنا هناك بلوتو، العدوّ الأكبر.

الرموز والصور:

سيربريوس: يختلف كلب الجحيم هنا عنه في الميثولوجيا اليونانية، أو في الأنيادة، أو في أعمال هرقل. هنا له لحية وفكان قويان لكل رأس، وبطن منتفخ... كل هذه الأوصاف ترمي إلى جعل سيربريوس صورة للشراهة التي لاتشبع.

المطر: ثلاثة أنواع. مياه قذرة وبرد وثلج. فإذا اختلطت بالتراب شكلت مستنقع قاذورات. والغرض جعل الأرواح المحكومة تركض لاهثة بحثاً عن ملجأ يقيها الزمهرير والقذارة.

الملاحظات:

21 ـ الجانب المعرض للعاصفة: العذاب بالزمهرير، أخذه دانتي على ما نعتقد من الميثولوجيا الشمالية، من الأساطير الاسكندنافية. لكن هناك عدة شعوب تُعذب بالزمهرير وليس بالنار، كما في ديانة قدامى الفرس.

26 ـ غرف قبضة: في الأنيادة تحمل سيبيل الكعك لإسكات سيربريوس. وفرجيل، مؤلف الأنيادة خبير بهذا، ويطلق على القبضة «رشوة سيربريوس».

69 ـ الذي يجلس الآن على السياج: ربما يقصد البابا والله أعلم.

73 ـ اثنان عادلان: يقصد هو وكافلكانتي.

96 ـ رب الدعوة: يقصد المسيح: فوحده يأتي ليدين الأحياء والأموات، وفق العقيدة المسيحية.

106 ـ عد إلى علمك: المقصود التراث الوثني اليوناني، وعلى الأخص أرسطو، صاحب هذا القول، فقد ازدادت مكانته في عصر النهضة. ودانتي من البراعم النهضوية في القرون الوسطى.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع

الدائرة الرابعة — الجشعون والمبذِّرون

الدائرة الخامسة — الغاضبون والمُنزوون

الحكاية: في مدخل الدائرة الرابعة يعترض بلوتو الجهنمي الشاعرين غاضباً مزمجراً، فيهدئه فرجيل كما هدّأ من قبل سيربريوس وخارون. ونجد في هذه الدائرة الجشعين والمبذّرين، وقد انقسموا فريقين يقذف كل فريق الآخر بالصخور. خطيئتهم في الحياة أنهم تطرفوا وكان ينقصهم الاعتدال، وهي فكرة مأخوذة من نظرية أرسطو في الأخلاق.

ويشرح فرجيل لدانتي طبيعة الحظ (الثروة) ودوره. ثم يهبطان الجُرف إلى مستنقع ستيكس الذي يشكل الدائرة الخامسة، وفيها الغاضبون والمنزوون. يسيران على حرف المستنقع، وفي نهايته يقع برج ضخم. وتعتبر الدائرة الخامسة آخر طبقات الجحيم الأعلى.

1 «بابا شيطان، بابا شيطان، أليبي».
هكذا راح بلوتو يلعلع غاضباً
لكن مرشدي الخبيرَ قال ليريحني:

4 «لاتدعِ الخوف يدخل قلبك
فلن يؤخِّر رحلتك على هذا الجرف

https://jadidpdf.com

ولاتغرنَّك هيمنته على الأرواح اللعينة».

7 ثم التفت إليه وألقى نظرة على وجهه المنتفخ
وقال: «السلام عليك أيها الذئب اللعين.
اغربْ عنا واكتمْ أنفاس وحشيتك، فرحلتنا

10 إلى الأعماق ليست عبثاً.
إنها مقررة من السماء، حيث انتقم
ميخائيل من المتمردين والطامعين».

13 سقط هذا الوحش الضاري إلى الأرض
مثلما تسقط أشرعة السفينة عندما
تحطم الريح العنيفة صاريتها.

16 نزلنا المنحدر إلى الدائرة الرابعة
فوجدنا هوةً سحيقة واسعة مظلمة
كلُّ خطاةِ العالم فيها يقذفون.

19 يالعدالة الله، من يستطيع وصف
هذا الألم المرير الذي يجري أمامي؟
لماذا تُنزل فينا آثامُنا مثلَ هذه الضربات؟

22 ومثلما يندفع سيل خاربيدس إلى البحر
مصطدماً ومحطِّماً كل سيل يعترضه، كذلك
الظلال كانت تتراقص وتصطدم مع بعضها.

25 هنا رأيت أمماً من النفوس المُزهَقَة
أكثر مما رأيت في الأعلى: كل واحد يحمل أثقالاً

https://jadidpdf.com

ضخمة على صدره وبصراخ

28 مجنون يلقي بها على الآخر، ثم يستدبرون
ويرجعون إلى أثقالهم، فريق يصيح
«لماذا تدّخرون؟» والآخر «لماذا تبذّرون؟»

31 ويدورون على محيط الحلقة المرعبة
ويصلون إلى الجانب الآخر الذي كانوا فيه
وهم لايكفّون عن قذف الكلام البذيء.

34 وعندما تقابلوا، فريق في نصف الحلقة
والآخرُ في النصف الثاني انخرطوا في مبارزة.
شعرتُ بصدمة فصرخت كرجل مصاب:

37 «أرجوك يا سيدي أخبرني: ما هذا؟
من هؤلاء الناس؟ فعن يساري أرى
رؤوساً حليقة كثيرة، فهل هم كهنة؟».

40 قال: «لم يستخدم هؤلاء عقولَهم، لا في تنظيم
حياتهم، ولا في إدارة ثروتهم
فلا يعرف الاعتدالَ أيٌّ من الفريقين.

43 وذلك واضح من الشتائم التي يكيلونها
لبعضهم في آخر الحلقة حيث تقسمهم جرائمهم
المتعارضةَ إلى فريقين متنافسين.

46 الذين على رؤوسهم شعر
هم كهنة وكرادلة وبابوات

https://jadidpdf.com

فالجشع كان ديدنَهُمْ».

49 فقلت: «يا سيدي لابد أنني أعرف
بين هذا الفريق
بعضَ الأرواح الساقطة».

52 قال: «لا فهذا عبث، ففي
الحياة لم تميز عقولهم شيئاً،
لذلك تجدهم في الموت لايميزون.

55 وسوف يتصادمون ويتقاذفون أبدَ الدهر
ويوم القيامة ينهضون: فريقٌ بأيدٍ
مضمومةٍ، وفريقٌ برؤوس قفراءَ من الشعر.

58 الجشع والتبذير أفسدا العالم الجميل
ودفعا الفريقين إلى هذا النوع من الصِّدام
وأنت لاتحتاج لكلامي المنمّق حتى تعرفَ حالتهم.

61 انظر الآن يابني ما أسخفَ الثروةَ
التي يجلبها الحظ، ومن أجلها يمزّقُ
الناس ما يمزقون، فيجلبون السخرية.

64 فكل الذهب الذي تحت القمر، الذي
كان والذي يكون لايستطيع شراء
برهةَ راحةٍ لهذه النفسِ الهالكة».

67 قلت: «سيدي أخبرني ـ وقد جئتَ على
سيرة الحظ في كلامك ـ ما هذا الذي

https://jadidpdf.com

يجمع في قبضته كل طيبات الدنيا؟».

70 قال: «أيها العَالَمُ البليد، ما أعظم
حماقةَ جهلك. افتح أذنيك الآن
واسمع حكمي على الحظ وافهمْهُ.

73 المَلِكُ الذي فاقت حكمتُه كلَّ شيء
خلق السموات وجعل الملائكةَ
حراساً للنور الأبدي، الذي يشعّ

76 بالتساوي على هذا النصف وذاك.
وبالقانون ذاته خلق مَتاع الدنيا
وجعل الحظّ وزيراً متصرفاً فيه،

79 إنه وزير التبدلات. فرغم مقاومة البشر
تنتقل الثروة من أمّة لأمّة ومن بيت لبيت
في حركة تبادلية لاتبديل لها.

82 للحظ عجلةٌ تدور أبداً. لذا ترى شعباً
يعلو وآخر يسقط وفقاً لقانونها
المختبئ اختباءَ الأفعوان في العشب.

85 والإنسان الفاني لايستطيع بعلمه أن
يسيطر على الحظ. إنه يحكم في مملكته،
كما تحكم الآلهة في ممالكها.

88 تبدلاته لاتعرف هدنةً ولاتوقفاً.
الضرورة تُعيره سرعتَها، لذلك تأتي

https://jadidpdf.com

شهرة الرجال سريعاً وسريعاً تزول.

91 لكن انتبهْ فاللعنات تصب على اسمه
حتى من أفواه الذين يجب أن يمدحوه.
إن الناس تشتم الحظ وتلومُهُ بلا وعي.

94 الحظ يرفلُ في السعادة، لذلك لايسمع.
إنه ينعم مع المخلوقات الأولى
بالسعادة، وفي فلكه يدور.

97 هلّم. فعلينا أن نطوف بألوان العذاب الأخرى
فالنجوم التي ظهرت عندما سرتَ غابت الآن
والقدرة الإلهية لاتسمح لنا أن نمكث طويلاً».

100 عبرنا فوق شفير الهوة
ووصلنا إلى نبع يغلي ويفيض
حافراً مسيله وهادراً فيه.

103 مياهُهُ المخيفةُ سوداءُ من منبعها.
وجدنا ممراً مخيفاً بين الصخور
فتابعنا مجرى النبع الأسود.

106 بعد مجراه الصخري وهبوطه الوحشي
يفيض هذا النبع الحزين فيشكل
مستنقعاً يدعى ستيكس، السبخةَ الصخريةَ المخيفة.

109 حملقت بعيني فشاهدت أشخاصاً
غمرهم طينُ المستنقع،

https://jadidpdf.com

عراةً بنظراتِ سخطٍ وحشية.

112 إنهم لايتضاربون بالقبضات وحدَها
بل بالرؤوس والأقدام والأجسام
وكل واحدٍ يمزق الآخر بأسنانه.

115 قال سيدي اللطيف: «هنا يمكنك يا بني
أن ترى أرواحَ أولئك الذين جَرَفهم
الغضب، كما أريدك أن تعرف أن هناك

118 آخرين تحت سطح هذه المياه
يتنهدون ألماً ـ كما ترى في كل مكان ـ
فتطفو فقاعاتُ تنهداتهم على السطح.

121 يقولون ـ عشنا منزوين، فلم نستمتعْ
بالهواء الطلق ولاببهجةِ الشمس
فامتلأت أفئدتُنا بدخان متجهّم.

124 والآن منزوين نقبع في المستنقع الأسود ـ
هذه هي الترنيمة التي تتحشرج في حناجرهم
لأنهم لايفصحون نطقَ الأحرف».

127 بعدها تابعنا فوق قوسٍ عريض على البحيرة الكريهة
بين المستنقع المائي والشاطئ القاحل،
نرمقُ أولئكَ الذين يزدرون قذارة المستنقع.

130 وأخيراً وصلنا إلى أسفل برج سامق.

https://jadidpdf.com

الرموز والصور:

الجشعون والمُبذِّرون: الجشعون نقيض المبذرين لأن دانتي ـ كما نعتقد ـ يشرح في الدائرة الرابعة مثال المسيح في الأمناء (لوقا 19: 12) فالعبد الذي تاجرَ بالفضة وربحَ باركه سيده، أما الذي ادخر الفضة وخاف أن يفقدها فقد عاقبه سيده. فالاحتجان خطيئة تعادل التبذير. ولا تختلف الوحدانية الإسلامية عن الوحدانية المسيحية في هذا المفهوم، فالقرآن يبشر الذين يكنزون الذهب والفضة بعذاب جهنم. كما جاء «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين» (17: 27).

ستيكس: معنى الاسم باليونانية «الكريه» ونعتقد أن دانتي أوجد المعادل الموضوعي لهذه الكلمة، فجعل كل شيء في ستيكس يدل على الكراهية، فكل ما فيه قذر، حتى مياهه تصدر من منبعها سوداء نتنة عكرة. إنه ثاني أنهار الجحيم، وقد استغله دانتي لتعذيب أربعة أنواع من الخطاة: المدخرين (الجشعين) والمبذرين والغاضبين والمنزوين.

الملاحظات:

1 ـ بابا شيطان: ليس لهذا البيت معنى، ولاينطبق على أي لغة من لغات الأرض. ونظن أن دانتي استعار كلام السحرة، وما أكثرهم في أيامه، وجعله على لسان بلوتو. والملاحظ أن الذي فهم كلام بلوتو هو فرجيل وليس دانتي، لكن فرجيل لم يترجم ما فهم، إن كان فهم شيئاً. ويرجح هذا الرأي لدينا أن بلوتو يستدعي الشيطان. واستدعاؤه ـ أو استدعاء أي روح متوارية ـ لايكون بالكلام المفهوم، كما يفعل السحرة تماماً.

12 ـ ميخائيل: رئيس الأجناد السماويين عند الوحدانية المسيحية. عندما قام الملائكة بتمرد ضد سيدهم حاربهم وانتصر عليهم وطردهم إلى النار الأبدية فتحولوا إلى شياطين. وفرجيل يهدد بلوتو بقوة ميخائيل والأجناد السماويين، إن هو منعهم من متابعة الرحلة. وينصاع بلوتو لدى سماعه اسم ميخائيل.

35 ـ انخرطوا في مبارزة: المقصود بالمبارزة هنا أن يقف فارس برمح مقابل فارس برمح ويهجمان فمن أسقط الآخر عن فرسه كان المنتصر. وقد أخذ دانتي هذه الصورة من مبارزات العصور الوسطى، للدلالة على عبثية المبارزة، وبالتالي عبثية مبارزة الأرواح المعذبة.

95 ـ المخلوقات الأولى: الملائكة.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن

الدائرة الخامسة — الغاضبون

الحكاية: يقف الشاعران على حافة المستنقع فيلمحان إشارات من منارة برج المراقبة، مرسلة إلى حصن مدينة ديس، تخبران هنا من يريد العبور. ينطلق معداوي ستيكس فليجاس من الضفة الأخرى أسرع من سهم، ظاناً أنه حظي بصيد، لكنه لايجد سوى الشاعرين، فيثور غضباً. وكالعادة يسكته فرجيل. أثناء العبور يهجم فيليبو أرجنتي على دانتي، لكن بقية الأرواح تهجم عليه وتمزقه. يضل الزورق فيرى دانتي الأبراج المحمّرة لديس، عاصمة الجحيم. لكن أسوار الحديد تسد الطريق إلى الجحيم الأسفل. عند البوابة ملائكة كانوا قد ثاروا ضد الله، وقفوا يحرسونها. يمنعون الشاعرين. فرجيل لايفلح هذه المرة وينتظر وصول رسول المعونة الإلهية.

1 لنعد إلى ما كنا فيه. قلت إننا
وصلنا إلى أسفل البرج، ورفعنا
بصرنا فإذا مشعلان من لهبٍ

4 يومضان، كل واحد بجهة.
يومضُ أحدهما، فيجيبه الآخر
هناك، أبعد من مرمى النظر...

https://jadidpdf.com

7 التفتُّ إلى بحر الحكمة وقلت:
«ماذا يقول هذا؟ وبماذا يجيبه
الآخرُ؟ ومن نصبَ هاتين الشارتين؟».

10 قال: «انظرْ إلى المستنقع القذر:
فأنت تستطيع أن ترى من يستدعونه
إن لم يحجبْهُ عنك ضبابُ المستنقع».

13 لا أظن سهماً ينطلق في الهواء إلى
هدفه أسرعَ من الزورق الطائر
بين الأمواج الصاخبة يشق

16 طريقَهُ إلينا، عليه بحَّارٌ واحد
يصرخ، وهو في مقدمة القارب
«أخيراً وصلتِ أيتها النفسُ البائسة».

19 قال مرشدي وسيدي: «فليجياس، فليجياس
عليك أن تهدأ، لأنك عبثاً تزعق،
لاطعامَ نقدّمه لك، فانقلْنا إلى الضفة الأخرى».

22 وكمن يصغي لخديعة ستقع
فيمتلئُ حقداً وضغينة
هكذا كان فليجياس المهزوم.

25 صعد مرشدي إلى القاربِ وبإشارة
منه تبعتُهُ، ولم يبدُ على الزورق
أنه يحملُ ثقلاً حتى صعدتُ إليه.

https://jadidpdf.com

28 وعندما جلسنا، اندفع القارب
العتيق يضرب الماء القذر غائصاً
أكثرَ من المعتاد، وابتدأت رحلتنا.

31 وحين جرى القارب على قنالٍ منحدرِ
الموتِ برزَ فجأة رأسٌ طلاهُ الطين وصاح
«من أنت، ولم جئت قبل الأوان؟».

34 قلت: «جئتُ ضيفاً ولن أقيم.
ولكن أنت، يا من جبلتك الوحشيةُ، من تكون؟».
فقال: «اغربْ عني ألا تراني أحدَ النائحين؟».

37 قلت: «بين النائحين والمُغولين، أيها
الروحُ اللعين، ستبقى أبد الدهر، إني
أعرف أنك قذر، كما تبدو لي».

40 رفع كلتا يديه ليمسك بالقارب، لكن
سيدي كان متنبهاً فدفعه صائحاً:
«ابقَ بصحبة الكلاب، وإياك أن تزعجه».

43 ثم طوق سيدي بذراعيه رقبتي وقبّل
وجهي وقال: «أيها الروح الساخطُ
مبارَكٌ الرّحِمُ الذي حملك.

46 كان ظالماً دعياً في الدنيا
لم يذكره أحد بخير، لذلك
ترى روحه هنا غاضبةً محتدمة.

https://jadidpdf.com

49 ما أكثرَ الذين رتعوا مثل الملوك هناك
أما هنا فكالخنازير بالوحل يتمرّغون
لم يخلّفوا إلا الحقدَ والملامة».

52 قلت: «سيدي أتمنى أن أرى
هذا الآثمَ يغوص في القذارة
قبل أن نجتاز البحيرة».

55 أجاب: «أمنيتك ستتحقق
وقبل أن يلوحَ الشاطئ لناظريك
ستتمتعَ بتحقيقها».

58 وعلى الفور رأيت عصبةً تخرج
إليه من الطين وتلاحقه
فحمدتُ الله وشكرته على ذلك.

61 صرخوا: «ها هو فيليبو أرجنتي فالحقوا به
فهرب الفلورنسي كالكلب المسعور وراح
يقطّع نفسه بأسنانه، ولحقوا به...

64 هنا تركناه، ولن أكملَ حكايتي عنه،
لأن صوتاً كالعويل طرق سمعي
فرفعتُ نظري إلى الشاطئ البعيد.

67 قال سيدي: «يا بني أمامك الآن
مدينةٌ تدعى ديس، عاصمةُ الجحيم
بسكانها الحزانى، وحشدها الغفير».

https://jadidpdf.com

70 قلت: «بانت قِبابُها علي،
وأنا في الوادي، محمرّةٌ كأنّها
خارجةٌ من جوف أفران».

73 قال: «إن لهيب النار الذي
لايتوقف من الداخل يجعلها شديدة
الاحمرار كما لو في الجحيم السفلي».

76 ونحن نتكلم وصلْنا الخندق العميق
الذي يزنّر تلك المدينة وقد
ظهرتْ أسوارُه كأنها من حديد.

79 قمنا بالإبحار على الخندق في رحلة
لاتكاد تنتهي، إلى أن وصلنا مكاناً فيه
صرخ المعداوي: «انزلوا، هنا البوابة».

82 آلاف مؤلفةٌ من الأرواح التي طردتها السماء
رأيتُها تحتشد في الحصن، وهي تصرخ
بغضب: «من يسير هناك، لماذا هذا

85 الإنسان الذي لم يمُتْ يجوسُ في مملكة الموتى؟».
وبدرت من مرشدي الحكيم إشارة إلى
أنه سوف يحادث بعضهم على انفراد

88 ران الهدوءُ قليلاً عليهم
وقال أحدهم: «وحدك تقترب.
قل لمن صَحِبْتَهُ معك في مملكتنا

https://jadidpdf.com

91 أن يرجع وحيداً في الطريق المجنون
الذي جاء منه، ليرجع إن استطاع
أما أنت فلأنك ميت يمكن أن تبقى معنا».

94 أيها القارئ احكمْ بنفسك على وقع
كل كلمة سوداء في أذني وقلبي.
ببساطة يقصدون: «لا أمل لك في رؤية ضوء النهار».

97 قلت: «يا سيدي، يا مرشدي في المخاطر
كم مرةً بعد مرةٍ أنقذتني في هذا
الطريق، ودفعت عني الخطر الشرير،

100 قِفِ الآن بجانبي فقلبي يرتعد خوفاً
وإذا كان الأموات يرفضون رحلتَنا إليهم
فلنعدْ أدراجَنا إلى عالم النور بسرعة».

103 قال سيدي وقائدي: «لاتخفْ
فلا شيءَ يمكن أن يوقعَنا في أشراكهم،
طالما أن القوةَ العليا موافقة.

106 انتظرني هنا، روّحْ عن نفسك بأفكار
مفرحة، واشحن قلبك الواني بالأملِ
وهدئ روعك، فلن أتركَكَ في العالم السفلي».

109 الأبُ العطوف ذهب، وتركني
حزيناً مهجوراً هنا، يأكلني الشك بين
نعم ولا، فتقاسم قلبي اليأسُ والأمل.

https://jadidpdf.com

112 لم أستطع سماعَ كلمات سيدي.
لم يطل حديثُهُ معهم، إذ انفضُّوا
عنه فجأة، وعادوا أدراجهم

115 تاركين سيدي خارجاً. لقد أغلق
العدوُّ البوابَة في وجه سيدي
فارتدَّ إليّ بخطوات متثاقلة.

118 إطراقُ نظره وحاجباه القَلِقان
أفقداني شجاعتي، فقال متنهداً:
«من يمنعني الدخول إلى قاعات الألم؟».

121 ثم قال بصوت عال: «إني مغيظ، لكن
لاتخفْ، سوف أنتصر في هذه التجربة
وسندخل مهما وضَعوا من عقبات.

124 سفاهتُهم هذه ليست جديدة
فقد أظهروها عند بوابة أقل سرّية،
ماتزال مشرعة الأبواب لكل العابرين.

127 إنها البوابة التي قرأت عليها نقش الموتى،
منها سيأتي الآن رسول السماء، وسوف
يعبر بلا رفيق جميعَ الدوائر.

130 وبلمسة منه ستنفتح لنا كلُّ بوابات الجحيم».

https://jadidpdf.com

الرموز والصور:

فليجياس: ملك بوتيا، ابن أريس إله الحرب، لكن أمه من البشر. أغوى أبولو ابنته، فأحرق معبده في دلفي. غضِب الرب منه، فقتله ورمى روحه في هاديس، وقضى عليه بالعذاب الأبدي، فاختار له دانتي معداوي ستيكس. إن فليجياس حلقة بين الغاضبين والملائكة المتمردين.

الملاحظات:

1 ـ لنعد إلى ماكنا فيه: أي إلى متابعة الرحلة. ويبدو أن دانتي انقطع عن التأليف زمناً طويلاً.

4 ـ على شاطئ ستيكس منارات تتفاهم على العبور والنفوس الوافدة.

45 ـ مبارك الرحم الذي حملك: الكلمات للمسيح، وربما استخدم فرجيل هذه الكلمات بعد طول رفقته لدانتي، لأنه توفي قبل ظهور الوحدانية المسيحية.

125 ـ بوابة أقل سرية: هي البوابة التي مر منها المسيح وخلص من خلص حسب معتقد الوحدانية المسيحية.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع

الدائرة السادسة الهراطقة

الحكاية: أمام بوابة ديس ينتظر الشاعران. يحاول فرجيل أن يخفي قلقه. ويبدو أن الندم خامر أحدهما حتى ظهرت ربات الرعب (الفيورات) رمز الندم، في البرج المجاور وطفقن يهددن بإطلاق ميدوزا التي تحول نظرتها الناس إلى حجارة. ويقلق الشاعران وهما ينتظران النعمة الإلهية. يسمع صوت دوي ويظهر رسول الله، وبلمسة منه تنفتح بوابة ديس، ثم يعود أدراجه. يدخل الشاعران إلى الدائرة السادسة، وهي قبور من مختلف الأحجام، اندلع فيها لهيب عظيم وارتفعت منها صيحات الألم. وهذا هو عذاب الهراطقة من كل ملة. وقد شدّد دانتي على أولئك الذين يرفضون خلود الروح.

1 حين عاد مرشدي لاحظ لونَ
الخوف على وجهي الذي يزداد شحوباً،
فأخفى في نفسه ما كان على وجهه

4 وانتحى جانباً كمن يلتقطُ بالسمع
ما فاته بالنظر، فالمرء كليلُ البصر
في الهواء الأسود والضباب الكثيف

7 قال: «علينا أن نكسبَ المعركة

https://jadidpdf.com

وإلّا... فالعذراء تمنحُنا المعونةَ
أواه... كم يبدو طويلاً انتظارُ المُعين»،

10 لمستُ تماماً كيف ذهب قصدُه
اللاحقُ بقصده السابق، فكلامُهُ
لم ينطبقْ على قصده، كان مخالفاً له.

13 لكن أقلَّ كلمة عنده ضاعفت خوفي
ربما لأني استنتجت من كلامه المتقطع
نهايةً أسوأ مما كان يدور في رأسه.

16 «سيدي، ألم يأت أحد إلى هذه
الهوة المخيفة من الدائرة الأولى
التي يقتصر عذابُها على فقدان الأمل؟».

19 هكذا سألته، فأجاب: «مع أنه يندر
أن يسلك أحد هذا الدربَ، أو يقوم
بالرحلة التي أقوم بها الآن.

22 فإني ـ والحق يقال ـ قمتُ بها عندما
استحضَرَتْ روحي أريختو الظالمةُ التي
رغبتْ أن تعيد الأرواحَ إلى أجسادها.

25 بعد قليل من خروج روحي من جسدي
أجبرتني رُقاها السحريةُ أن أعبرَ هذه
البوابة لإحضار روحٍ من دائرة يهوذا

28 إنها المكان الأعمقُ والأحلكُ

https://jadidpdf.com

وأبعدُ الدوائر عن السماء المحيطة بالكل
فأنا أعرف الطريق، فلا يهمّك شيء.

31 هذا المستنقع الضخمُ الكريهُ يحيط
بمدينة العذاب، التي لن ندخلها
من دون مشاكل».

34 شرح لي هذا وغيره، ولكن البقيةَ
فاتتني، لأن انتباهي تَبِع نظري
إلى بُرج الأسوار العالية المحمرّة،

37 فقد رأيت هناك ثلاثةَ أشكال
ظهرتْ فجأة، ثلاث فيورات تسربلْنَ بالدم
واتخذْنَ شكل نساء عاقلات

40 وعلى حقويهن هيدراتٍ خضرِ
الخواصر، وقد خرجت من رؤوسهن
حيّات وأفاع تدلت على جِباهِهِن

43 صرخ سيدي الذي يعرف جيداً
وصيفاتِ ملكة العويل الأبدي: «انظرْ:
الإيرينات من مجموعة هيكاتي.

46 ميغارا على يسار البرج.
أليكتو تعول على اليمين، وبينهما
تقف تسيفوني» ولم يكملْ.

49 بأيديهن يلطمْنَ الصدورَ، وبالأظافر

https://jadidpdf.com

يمزّقْنَ اللحمَ، ويصرخْنَ صراخاً مرعباً
حتى إني التصقت بالشاعر خوفاً.

52 صرخْنَ: «هلُمي ميدوزا» وحملقن
فينا «حوِّليه إلى حجر، وقد أخطأنا
إذ تركنا برسيوس حياً».

55 «استدرْ وأطبقْ عينيك جيداً
فالغُورغونة تحولك حجراً إذا نظرت إليها
وعندها لن تعود إلى العالم ثانية».

58 بهذا أمرني مرشدي. وبنفسه
أدارني، وكأنه لايثق بيدي
إذ أطبقَ عينيَ بيديه، وهو في مكانه.

61 أنتم يا أصحابَ العقول الراجحة
استشِفُّوا العقيدةَ التي تخفيها
هذه الأشعارُ الغريبةُ بمجازاتها.

64 ومع ارتفاع المدّ في المستنقع الجهنمي
القذر، انفجرَ صوتٌ مريع
كأن الشاطئ بالشاطئ اصطدم.

67 صوتٌ، كأن قارتين من ريحٍ هوجاء
نارية وجليدية، اصطدمتا في
حربٍ ريحية تقتلع الغابة

70 وتحطّم الأغصان وتلقيها في إعصار

https://jadidpdf.com

من الغُضارِ الهائج وتجعل الذئابَ
تعوي والرعاةَ تركض بحثاً عن ملجأ.

73 حرّر عيني وقال: «التفت الآن
واقذفْ بصرك في الزبد،
لأن الضباب هناك أكثف وأقتم.

76 وكما تفرفرُ الضفادع المتجسّسة على
الأفعوان المتربص، فتتبعثر وتغوص
إلى القاع، وهناك تجَمدُ مثلَ الحجارة،

79 كذلك رأيت أكثرَ من ألفِ نفسٍ محطمةٍ
تفرُّ من طريق القادم إلينا على
صفحة ستيكس، وقدماه من غير بلل.

82 رفع يده اليسرى، وهو يمشي، وأبعدَ البخار
الكثيفَ للمستنقع عن وجهه،
ويبدو أن هذا العمل قد أجهده.

85 حالاً عرفته، إنه رسول العرشِ
الإلهي، والتفتُّ إلى مرشدي، فأشار
عليّ بالصمت والانحناء إجلالاً.

88 أي ازدراءٍ في نظرته، فأمام البوابة
انتصبَ، وبعصا لمسها فانفتحت
بلا مقاومة، وانفسحَ الطريقُ عريضاً.

91 قال وقدماه تعبر بوابة الجحيم المريع:

https://jadidpdf.com

«أيها المطرودون من السماء، حنثتم
مرتين أيها الوضعاء، لماذا ماتزال السفاهة فيكم؟

94 لماذا تتصدون لعرش الرب،
ولامهربَ من تحقيق إرادته
وفي كل عصيانٍ يزيدكم عذاباً؟

97 لماذا تقاومون القدر؟ تذكروا
عصيان سيربريوس، وما حمل من
علامات في حلقه الممزق ونقنه المقطوعة».

100 ثم عاد على المدّ القذر من حيث
جاء. لم يكلّمنا ولكنه سار
كمن تشغلُ بالَهُ مهمةٌ أخرى

103 أخطرُ من الأمور التي بين يديه.
فتحركنا باتجاه المدينة، لاخوف
ولاوجل، بعد كلماته المقدسة.

106 دخلنا البوابةَ المنفتحةَ والقاتمةَ
لكني ـ وأنا الملحاح ـ متشوقٌ لمعرفة
حالة من تضمّهم أسوارُ القلعة الملتهبة.

109 بدأت أنظر حولي منذ اللحظة التي
صرنا في الداخل، فرأيت على صفْحَتي
كلّ جهةٍ سهلاً من الألم والعذاب الجديد.

112 وكما في أرليس، حيث الرون ينحدر

https://jadidpdf.com

أو كما في بولا، قرب خليج كوارنارو
الذي بمياهه يسيِّج إيطاليا،

115 حيث الأرض غير مستوية، بسبب
القبور المنتشرة في كل مكان، كذلك
هنا، ولكن بطريقة أشدَّ مرارة:

118 فمن القبور اندلعت ألسنةُ اللهب
تحرق جدرانها حتى تبيضّ من الحرارة
فحتى الحديدُ في الكور ليس مثلها.

121 سطحُ القبور أُزيح، ومن
داخلها انطلق صراخ مخيف
إنه صراخ الأرواح الحزينة المعذبة.

124 قلت: «سيدي من يضطجع هنا
في هذه التوابيت القائمة، الذين
تدل تنهداتهم الحزينة على آلامهم الشديدة؟».

127 أجاب: «هنا كبار الهراطقة من
كل ملة، مع أتباعهم، والقبور
هنا أكثرُ مما تعتقد بكثير.

130 هنا كل واحد وأضرابُهُ يُدفنون معاً
وبحسب خطاياهم يستعر اللهب أو يخفّ».
ثم التفتّ وتبعته عبر الليل إلى اليمين

133 بين النيران والأسوار العالية.

https://jadidpdf.com

الرموز والصور:

الإيرينات (الفيورات): يمكن ترجمة الكلمة بـ «المرعبات». هن ربّات الانتقام في الميثولوجيا اليونانية، يلاحقن كل مقترف جريمة. لكن من حيث الصورة نلاحظ أن دانتي استعار الربات ليرمز إلى الندم العابث الذي لايخرج إلى الفعل.

ميدوزا: وجهها مرعب، نظرتها تحيل إلى حجر. لكن من حيث الصورة ترمز ميدوزا إلى اليأس الذي يثقل القلب فيشل الإرادة وتنهار القوى.

رسول السماء: لهذا الرسول مهمتان لدى دانتي: الأولى أن يثير الفكر، والثانية أن يحميه من المذاهب المنحرفة.

الملاحظات:

8 ـ العذراء تمنحنا المعونة: توفي فرجيل قبل ظهور الوحدانية المسيحية، ومع ذلك نسمع منه مثل هذا الكلام. دانتي لايشرح سبب نطق صاحبه هذه الجملة، ففتح الباب لكثير من الاجتهادات.

17 ـ من الدائرة الأولى: من الليمبو.

23 ـ أريختو: ساحرة تحدث عنها لوكان. وقد اختلق دانتي قصة قدرتها على إعادة الأرواح.

38 ـ الفيورات: رمز الانتقام، لذلك يتسربلن بالدم.

40 ـ الهيدرا: أفعى بتسعة رؤوس، أحدها خالد، قتلها هرقل.

44 ـ ملكة العويل: برسيفوني.

54 ـ تركنا برسيوس حياً: إشارة إلى ذبح ميدوزا وعجز أخواتها عن الانتقام من برسيوس. وقد استُخْدمت هذه الربات مؤخراً للدلالة على الندم الذي لايعقبه فعل. ومعنى البيت أنهن لو قتلن برسيوس، لما تجرأ أحد بعده أن يجوس المناطق المحرمة.

88 ـ أي ازدراء: نزول رسول النعمة الإلهية إلى الجحيم يشبه نزول ملك إلى الرعاع، لذلك يبدو مهيباً مكفهراً ومزدرياً ما تقع عليه عيناه.

132 ـ إلى اليمين: الملاحظ أن الشاعرين في رحلة الجحيم كانا ينعطفان دائماً إلى اليسار، ما عدا مكانين الأول لدى اقترابهما من الهراطقة والثاني لدى اقترابهما من جيريون. ويبدو أن الانعطاف إلى اليمين لايكون إلا في الأشياء المهمة والخطيرة. ولايوجد تفسير مقنع لهذا الانعطاف.

https://jadidpdf.com

النشيد العاشر

الدائرة السادسة الهراطقة

الحكاية: يمر الشاعران تحت أسوار المدينة، لكن أحد الموتى ينادي دانتي. وبعد أن يظهر من القبر الملتهب يعرفه: إنه فاريناتا ديلي أوبرتي، ضابط حربي لحزب الجيبليين، خصوم الجولف، ويتحدثان في السياسة، وكان كافلكانتي دي كافلكانتي، وهو والد غيدو، الشاعر المعاصر، يقطع حديثهما ويسأل عن ابنه. ثم يتابع فاريناتا مناقشاته، ويتنبأ باضطهاد دانتي ونفيه، ويعرف دانتي أن الأموات قادرون على معرفة الماضي والمستقبل إلى حدّ ما، لكنهم لايعرفون الحاضر أبداً. أخيراً يطلب دانتي من فاريناتا أن يخبر كافلكانتي أن ابنه لم يمت، ومازال حياً.

1 تقدَّمنا عبر طريق سري
بين النيران وأسوار المدينة
يتقدمني سيدي، وأنا وراءه.

4 قلت: «يا جزيلَ الاحترام، يا من تطوفَ بي
هذه الحلقاتِ الآثمة وتهبطَ إلى الأسفل،
من كلامك لا أشبع، ومن حكمتك لا أرتوي

7 فأخبرني: هل يُسمح لنا أن نرى النفوسَ

https://jadidpdf.com

داخل هذه القبور؟ فسطوحها
مرفوعة، ولا أحدَ يحرسُها».

10 فأخبرني: «كلها سوف تُغلق وتُختم
إلى يوم ترجع هذه النفوس من يهوشافاط
مع أجسادها التي ألقتها الآن في التراب.

13 في هذه الزاوية من معرِضِ الجثث
يضطجع أبيقور وأتباعُهُ الذين
جعلوا النفس تموت بموت البدن.

16 وهنا لن تجد جوابَ رغبتك
الملفوظةِ فقط، بل جواب
ما فكرت أن تخفيَهُ عني».

19 قلت: «يا مهيب الطلعة، قلبي مكشوفٌ
لك، سوى أني أنقل أفكاري بكلماتٍ
قليلة معتدلة، فمنك تعلمتُ وبأسلوبك اقتديت».

22 وجاءني صوت: «أيُّها التوسكاني، حياً تسير في مدينة
الأموات، وبألفاظٍ زاهية تتكلم
من الأفضل أن تتوقف قليلاً في الطريق.

25 لَكْنَةُ لسانِك تدلّ أنك وليدُ
المدينة التي استطلتُ عليها بلساني
وليدُ مدينةٍ نبيلة، طالما اغتظتُ منها في حياتي».

28 من دون سابق إنذار جاءني هذا الصوت.

https://jadidpdf.com

من داخل قبر، فأخذتني المفاجأة،
فهُرعتُ خوفاً والتصقتُ بمرشدي.

31 قال: «التفتْ، ماذا تفعلْ؟ انظرْ
هناك: فاريناتا ينهض من بين اللَّهب
ولن ترى إلا من خصره حتى رأسه».

34 كانت عيناي تراقبانه من قبل.
نهض فوق اللهب بصدرٍ عامرٍ وجبين مرفوع
كأنه يعلن ازدراءه بالجحيم كله.

37 بين القبور ودخانها وقَتَامِها
دفعتني يدا مرشدي إلى هذه الشخصية العظيمة
قائلاً: «انتبهْ عندما تكلمه».

40 وحين وقفت وحيداً قرب القبر
حملقت في الروح العظيم باحتقار قبل أن
يأتيني سؤالُهُ: «من أي سلالة انحدرتَ؟».

43 وإذ صمَّمت أن أطيعَهُ لم أُخْفِ
عنه شيئاً، فأصغى إلي
ورفع حاجبيه قليلاً ثم أجاب:

46 «أسلافك كانوا أعدائي وأعداءَ
آبائي، وأعداءَ حزبي، حتى إني
شتَّت شملهم في إيطاليا مرتين».

49 أجبت: «إذا كنت شتّتهم مرتين، فبالمرتين

https://jadidpdf.com

تقاطروا من كل صوب وعادوا: أما
أسلافك فتشتتوا ولم يتقنوا فن الرجوع».

52 أثناء ذلك كان هناك شَبَحٌ ينهض تدريجياً
فظهر حتى ذقنه. وأظن أنه نهض على
ركبتيه، وراح يلتفت حولي،

55 كما لو كان يتوقع أن يجد في هذا
الهواء الأسود الذي يلفحني مسافراً
آخر. لم يجد غيري فبكى وقال:

58 «وحدَكَ تطوف في أرجاء هذه
الزنزانة العمياء لأنك عبقري.
وابني مثلُكَ فأين هو؟ ولماذا ليس معك؟».

61 وببساطته أجبته: «لم أهبطْ من تلقاء نفسي
فذاك الذي ينتظر هناك قادني إلى هنا
وأظن أن ابنك غيدو كان يحتقره».

64 من كلامه ومن طريقة عذابه
عرفتُ اسمه، ولذلك استطعت أن
أجيب عما يسألُ وعما يقصد.

67 وعلى الفور نهض بكامل قامته وصرخ:
«ماذا؟ ماذا تقول؟ هل مات؟
ألم تعدْ عيناه تكتحلان بنور العالم؟».

70 وعندما رأى تلجلجي في الردّ

https://jadidpdf.com

على سؤاله، سقط على ظهره
في اللهب ولم يخرج منه.

73 لكن ذاك الروح الجليل الذي
أوقفني من قبل نداؤه لم يغيِّر
محياه، حتى لم يلتفت ليراه يسقط.

76 قال متابعاً الحديثَ السابقَ:
«إن كان أسلافي لم يتقنوا فن الرجوع
فذاك يحرقني أكثرَ من سرير اللهب هذا.

79 لكن النور سيضيء وجه الملكةِ
التي تحكم الجحيم خمسين مرة قبل
أن تعرف كم يكلف تعلّم ذلك الفن.

82 وبما أنك تأمل بالرجوع إلى العالم
فأخبرني: لماذا شعبك سنّ القوانين
المجحفةَ بحق أسرتنا؟».

85 فأجبته: «الدمارُ والمجازرُ التي
جعلت نهر أريبا أحمر عند مونتابرتي
سببتْ هذه الصرخات الغاضبة في اجتماعنا».

88 تنهد وهز رأسه قائلاً: «لم أكن
وحدي في هذا الأمر، ولم أنضمْ إلى
الآخرين من دون سبب وجيه.

91 ولكني وحدي كنت أيام اتفق

https://jadidpdf.com

الآخرون على تدمير فلورنسا.
أنا الوحيد الذي دافعت عنها جَهَارة».

94 قلت: «أتمنى أن تستريح نفسُك قليلاً
فقد حللتَ اللغز الذي يلاحقني
في هذا المكان المظلم، ويحيّر ذهني:

97 إذا لم يخني سمعي، فإني فهمت أنكم
تتنبؤون بالأحداث المستقبلية
أما الأحداث الجارية، فالأمر مختلف».

100 قال: «نحن نرى البعيد عنا، من أحداث
ماضيةٍ أو قادمة، لأن ملكَ الكونِ
مازال يسمحُ لنا بهذا النور.

103 ولكن عندما تقترب الأشياء، أو عندما تقع
فإننا لاندرك شيئاً. ولولا ما يأتينا
به الآخرون، لما عَرَفنا أخبارَ الأحياء.

106 يمكنك القول: إن كل ما نعرفه سوف
يتلاشى إلى الأبد، منذ الساعة
التي يطبق فيها علينا بابُ المستقبل».

109 قلت وقد ندمت على ما اقترفت:
«لذا ستخبر ذاك الذي سقط، الذي
سألني عن ابنه، أن ابنَهُ لم يمت،

112 وإنني إذ تلكأت في إجابتي

https://jadidpdf.com

فلأن فكري كان مشغولاً
بما حللتَ لغزَه أنت الآن».

115 ناداني مرشدي فرجوت هذا
الشَّبح الجبار أن يسمّي لي
أولئك الذين يرقدون معه:

118 «أكثر من ألف معي يرقدون
فهنا فريدريك الثاني وكاردينال
أوبالديني. أما البقية فلنصمت عنهم».

121 اختفى من غير كلام، أما أنا
فعدت إلى شاعري القديم، أفكر
في الكلمات التي حملتها النبوءةُ السوداء.

124 مشى إلى الأمام، وعندما بدأنا
المسيرَ التفتَ وقال: «ما الذي يزعجك؟».
فأجبته بما يرضيه.

127 قال: «تلك الكلمات يجب أن
تحفظَها» ثم توقّفَ ورفع إصبعه
«انتبهْ لما أقوله لك هنا:

130 عندما تقابل فيما بعد شُعاع السيدة الجميلة
التي تبصر كل شيء بعينيها البديعتين
ستتعلم منها منعطفاتِ دربك».

133 قال هذا وانعطف إلى اليسار وولى

https://jadidpdf.com

قفاه للأسوار الملتهبة، ومررنا

في قلب مدينة الألم، بطريقٍ يؤدي إلى وادٍ

136 زَكَمتْ رائحتُهُ أنوفَنا، مع أن المنحدرَ كان قد ابتدأ.

الملاحظات:

11 ـ يهوشافاط: اسم واد ورد في أدبيات الوحدانية المسيحية (يو 3: 2 و 12) وهناك عدة أعلام بهذا الاسم في العهد القديم. يقال إن المحاكمة ستقام فيه يوم القيامة. ويبدو أن هذا المعتقد شاع بين الوحدانيات الوسطوية من يهودية ومسيحية وإسلامية.

17 ـ جواب ما فكرت أن تخفيه: فيما بعد أفصح عن رغبته فطلب رؤية بعض مواطنيه.

32 ـ فاريناتا: زعيم الأسرة النبيلة في أوبرتي. قائد الجيبليين. لعب دوراً كبيراً في طرد حزب الجولف على نهر أريبا وطردهم عام 1248م. نُفي عام 1258 فعاد بقوات كبيرة وهزم الجولف على نهر أريبا وطردهم عام 1260، وفي الاجتماع الذي عُقد لهدم فلورنسا كان الوحيد الذي احتج وعارض. توفي في العام 1246 . وفي العام 1266 عاد الجولف وسحقوا سلطة أوبرتي إلى الأبد، فدمّروا قصورها وأصدروا قوانين ضد أي شخص من أوبرتي. أدين فاريناتا بالهرطقة عام 1283 أي بعد وفاته بعشر سنوات، فمحاكمات الوحدانية الكاثوليكية في تلك الأيام لم تكن مقتصرة على الأحياء، بل تطال الأموات أيضاً.

49 ـ مرتين: هزم الجولف عام 1248 وعادوا عام 1251 في المرة الثانية.

107 ـ منذ الساعة...: أي في يوم القيامة، تنتهي البشرية وينتهي المستقبل.

130 ـ السيدة الجميلة: يقصد بياتريس.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي عشر

الدائرة السادسة — الهراطقة

الحكاية: يصل الشاعران إلى التخم الجوّاني للدائرة السادسة، ويريان تصادم الصخور التي كانت في يوم ما قمة ثم تهاوت بفعل الزلزال المريع الذي هزّ الجحيم عقب وفاة المسيح. تحتهما تقع الدائرة السابعة. يجد دانتي على سطح قبر نقشاً يقول إنه مكان البابا أنسطاس. ثم يفصّل لنا فرجيل أبهاء الجحيم الأسفل. وهو تقسيم يعتمد على كتابي أرسطو «الأخلاق» و«الطبيعة» مع تفسيرات العصور الوسطى. لكن ملامح الفكر النهضوي تظهر في تمجيد الفن الذي هو ابن الطبيعة، أي حفيد الله.

ويقصد دانتي بالفن، بالإضافة إلى الفنون الجميلة، الحِرَف والمهارات اليدوية. ومن رصد الأبراج يعرف دانتي أن الوقت هو الثانية قبل شروق شمس السبت (سبت النور الذي يسبق الفصح).

1 وصلنا إلى الجُرف الكبير المنحدر بشدة
تحيطه دائرة من الصخور الضخمة المسننة
فأشرفنا على مجموعات ظلال خطف الموتُ لونَها.

4 رائحةُ النتنِ التي تنفخها الهوّةُ
جعلتنا نتراجع خلف جدارِ
أحدِ القبور الكبيرة

https://jadidpdf.com

7 وبينما كنا واقفين قرأت نقشاً في حجر:
«أنا حارس أنسطاس الذي كان بابا
لكن فوتينوس جعله ينحرف».

10 قال سيدي: «قبل أن نهبط الهوة
علينا التلكُّؤ قليلاً فتعتاد أنوفُنا
الرائحة الكريهة، ولانعود نتذكرها».

13 قلت: «إذن فلنستغلّ أوقاتَ
الفراغ التي ننتظر فيها» أجاب:
«سترى أنني كنت لتوي أفكر فيها».

16 تابع: «يا بني، تحت هذا السور
توجد ثلاث دوائرَ أصغر، كل واحدة
تشبه بدرجتها الدوائرَ التي مررنا بها.

19 لكن كل هذه الدوائرَ ملأى بمن
لعنهم الله. وحتى تتمعَّن في خطاياهم
سأشرح لك كلَّ خطيئة، وأسبابها:

22 مِن أكْرَهِ الخطايا على السماء «الضغينةُ»،
غايتُها إلحاق الأذى، ولاتتحقق إلا
عن طريق الخديعة أو القوة، وكلتاهما

25 تُلحق بالناس الضرر. لكن بما أن الإنسان
وحده قادر على الخديعة، فإن الله يكره
هذه السوأةَ ويجعلُ المخادعين في أسفلِ الدرجات

https://jadidpdf.com

28 ويُسامون أشدَّ العذاب. يلي ذلك
أصحابُ العنف. وبما أن العنف يوجَّهُ ضد
ثلاثة أشخاص، فإن دائرتَها ذاتُ ثلاثِ حلقات.

31 العنف يكون إما ضد الله أو الذات أو الجار.
والقوة تستخدم إما لإيذائهم أو إيذاءِ
ما يخصّهم، كما سوف يتضح لك.

34 بالعنف قد يصيب الإنسان جارَهُ بالموت
أو التشويهِ، فقد يتلفُ ممتلكاتِهِ أو بيته
أو أرضَهُ، بالاغتصابِ أو التلف أو النارِ أو النهبِ.

37 فالقَتَلَةُ الذين يستخدمون أيديهم
واللصوص والسارقون كلهم يُحشرون
في الحلقة الأولى، كلٌّ حسب ذنبه يعذب.

40 أما من يوقعون العنف بأيديهم في ذاتهم
أو ممتلكاتهم، فإنهم يُحشرون في الحلقة
الثانية وعذابهم هو الندم الأبدي

43 كالمنتحرين والمقامرين بكل صنوفهم، ومتلفي
الخيرات والمعتدين على حياتهم، فيبكون
في زمن كان يجب أن يبتهجوا فيه.

45 وقد يُمارس العنف ضد الله،
في القلب الذي ينكره ويجّدفُ عليه
أو يحتقر هِبات الطبيعة وجمالَها وخيراتها.

https://jadidpdf.com

49 لذلك تطبق الحلقة الثالثةُ على
سادومَ وكاهور، وكل المتذمرين
من الله وأوامره، وإن سراً،

52 فالخديعةُ التي تفسد كل ضميرٍ
قد تأتيك من إنسان تثقُ به
أو ممن لاتثق به.

55 الطريقة الأولى تقتصر على قطع
رباط الحب الذي يستمدّه الناس من الطبيعة
ولذا في الدائرة الثانية نجد

58 كل السمعانيين والمتملّقين والمنافقين
والمزيّفين واللصوصِ والمشعوذين
والمبتزّين والقوّادين وأمثالِهم.

61 أما الطريقة الثانية في الخديعة فلا تقطع
رباطَ الحب بالطبيعة فقط، بل تقطع
روابطَ الصداقة والقرابة الدموية.

64 لذلك في أضيق دائرة، حيث بؤرةُ
الظلام، وحيث مركز الكون، وعرش ديس
هناك يقبع الخونةُ في عذاب أبدي».

67 قلت: «سيدي، ما في ذهنك من وضوح
جعلني أفهم كل ما قلتَهُ، وأرى بوضوح
كل أنظمة هذه الهوة القاتمة للجحيم

https://jadidpdf.com

70 لكن أخبرني: الغارقون في أوحال المستنقع
والذين تذروهم الريح، وأولئك الذين يقرعهم
المطر، والذين صادفتهم يعولون بجنون

73 لماذا لايُعذّبون في المدينة المحمرّة اشتعالاً إذا
كان غضب الله يطالهم؟ فإن كان لايطالهم
فلماذا يُلْقَون إلى العذاب الأبدي؟».

76 قال: «لماذا انحرف فهمُك بعيداً
عما هي عادته؟ أم أن أفكاركَ
انحرفت في وجهة أخرى؟

79 هل نسيت أن كتاب «الأخلاق»
يعدّد الاتجاهات الثلاثة للنفس،
التي تكرهها السماء وهي:

82 الشهوانية والخديعة والحيوانية؟
وأن الأولى أقلُّ إساءةً إلى الله
من الأخريين، لذلك عقوبتها أخفّ؟

85 فإذا فكرت في هذا المذهب وتذكرت
الذين يعذبون في الجحيم
الأعلى خارج الأسوار

88 لفهمتَ على الفور لماذا يُفَضَّلون
عن الأرواح الجوانية، ولماذا
تخفُّ عليهم ضرباتُ مطرقةِ الله».

https://jadidpdf.com

91 قلت: «إنك شمسٌ تزيل غشاوة البصر
لقد سحرتني بإزالة هذه الغشاوة،
وإن كان الجهل ممتعاً مثل المعرفة.

94 فلنعدْ إلى الوراء مرة أخرى
لقد قلت: إن الربا جريمةٌ بحق الله
فأرجو أن تحلّ لي هذه العقدة».

97 أجاب: «تشرح الفلسفة للمهتمّين بها
في أكثر من مكان، كيف أن الطبيعة
بقوانينها وثمارِها وفصولِها

100 تنبثق من العقلِ المطلقِ وفنه:
فإذا قرأت بانتباه كتابَ «الطبيعة»
بعد بدايته بقليل لاحظت:

103 إن الفن يحاكي الطبيعة
كما يحاكي التلميذُ أستاذَه
فالفنُّ هو حفيدُ الله.

106 فبالفن والطبيعة، إذا كنت تذكر
بداية سفر التكوين، يحصل الإنسان
على خبزِه ويحققُ الرفاهية للجميع.

109 لكن المرابين باتخاذهم طرائقَ شتى
لزيادةِ ثروتهم إنما يحتقرون
الطبيعة، وما يتبعها من فنون.

https://jadidpdf.com

112 اتبعْني الآن، فنفسي تواقَةٌ للرحيل
هو ذا بُرج الحوت يظهر، والدبُّ
الأكبرُ يعتلي «كاروس» ريح الشمال.

115 الدربُ طويل، سنهبط إلى إفريز الهوة».

الملاحظات:

2 ـ الصخور الضخمة المسننة: صارت مسننة بعد الهزة الأرضية عقب وفاة المسيح، حسب المعتقد الكنسي.

4 ـ رائحة النتن: رمز لبشاعة الخطايا في تلك الدائرة.

8 ـ أنسطاس وفوتينوس: يشير إلى الخلاف حول الطبيعة الواحدة والطبيعتين. ويعتقد دانتي أن فوتينوس خدع أنسطاس وجعله يقتنع بآرائه في هذه المسألة.

50 ـ سادوم: رمز الشذوذ الجنسي وقصتها معروفة في العهد القديم، والثانية رمز الربا، وهي مدينة فرنسية اشتهرت بالربا زمن دانتي.

58 ـ كل السمعانيين: نسبة إلى سمعان الساحر الذي ادّعى أنه يقوم بكل ما قام به المسيح من عجائب.

73 ـ المدينة المحمرّة: هاديس، محمرّة بسبب النار واللهيب.

79 ـ «الأخلاق»: كتاب من تأليف أرسطو.

113 ـ برج الحوت: دانتي يعرف في أي وقت هو، من ترتيب الأبراج.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني عشر

الدائرة السابعة: الحلقة الأولى المسيئون للجار

الحكاية: يهبط الشاعران إلى سور الصخور في الدائرة السابعة. يواجهان المينوتور ويتخلصان منه، وتحتهما يقع نهر الدماء. يخبر فرجيل دانتي كيف أن توزيع الصخور حصل بعد الهزة الأرضية التي أعقبت نزول المسيح إلى الليمبو. في أسفل الجرف يقع نهر فليثون، نهر حمّام الدم، وفيه يقبع المسيئون للجار. وتطوف القنطورات ضفتيه لترمي بالسهام كل من لاينفذ العذاب الذي كُتب عليه. يطلب فرجيل من خيرون، رئيس القنطورات، أن يرسل نيسوس ليدلهم على مخاضة النهر ويتقلهم إلى الضفة الأخرى فيقبل وينفذ نيسوس ما طُلب منه، ثم يعود من حيث أتى.

1 المشهد الذي انكشف من حافة الهاوية
كان مشهداً جبلياً يعم فيه الخراب
حتى أن الطرف يرتدُّ عنه رعباً:

4 الخراب أشبهُ بانجرافاتِ ماركو قرب
ترنت على ضفة أديج، وقد نجم
عن هزة أرضية، أو انجرافٍ ساحلي:

7 فمن أعلى نقطة في القمة، حيث يبدأ

https://jadidpdf.com

انحدار الجبل، حتى السهل الأسفل، نجد
الصخورَ مبعثرة، كأنها سلَّمُ هبوط.

10 هكذا كان الممر المنحدر إلى أسفل.
وقريباً من حافة الجرف المتكسّر
استقر «عار كريت» وريثُ زواج الثور

13 من ملكة الفسق، التي اختبأت في
جوفِ بقرة خشبية. وعندما رآنا
راح يقرضُ لحمه في غضبٍ وحقد.

16 قال سيدي ساخراً: «لماذا تنفثُ
وتنخر في وجهنا. هل حسبتَه دوق
أثينا الذي صرعك في المتاهة؟

19 أتظن أيها الوحش أن هذا الرجلَ
جاء تنفيذاً لأوامر أختكَ؟ لا
جاء ليشهدَ نهايتكم في مملكة الموت».

22 ومثلَ الثور الذي يحطّم قيوده عندما تحزُّ
السكين رقبته، فلا يستطيع الوقوف أو الجري
بل ينقلب من جانب إلى جانب وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة

25 كذلك رقص المينوتور، فصرخ
مرشدي: «اهرب إلى الممر بسرعة
طالما أنه في سورة الغضب».

28 وهكذا نزلنا في هذا الممّر ذي

https://jadidpdf.com

الصخور المتحركة، التي كانت
تتهادى تحت قدميّ حالما بِلامسُها نعلي.

31 سرت متأملاً، فقال مرشدي:
«لاشك أنك تتأمل في هذه الخرائب
التي يحرسها الوحش الذي احتلّتْ

34 عليه لتوّي، سأخبرك بأني سابقاً
عندما سلكتُ هذه الطريقَ إلى الأعماق
لم تكن هذه الصخورُ قد حطّمتها الهزّة.

37 لكن ذلك، إن لم أخطئ،
كان قبل مجيء ذاك الذي أخذ
الأرواح من الليمبو، فقد اهتزّت

40 أركان الجحيم وانفتحت الثغرةُ
من كل الجوانب، فظننتُ
أن الكون يرتعد منتشياً بالحبّ

43 حتى إن بعضهم ظنّ أن العالم
وقع في الفوضى. وفي تلك اللحظة،
على ما أظن، تهشّمتِ الصخور العتيقة.

46 حوّلْ نظرك الآن إلى الوادي، لأنّا
اقتربنا من حمّام الدم، حيث يغلي البائسون
الذين ملأ عنفُهُم الأرضَ ذعراً وألماً». .

49 يا للجشع الأعمى الغشوم الذي

https://jadidpdf.com

يعترينا في الحياة الدنيوية القصيرة
ثم يقذف بنا في هوّة الأبدية.

52 رأيت نهراً يلتفُّ، وطريقاً على هيئة
قوس يزنّر كل السهل تقريباً
كما وصف لي سيدي في الطريق

55 رأيت صفّاً من القنطورات ينطّون
في الفسحة الممتدة من الشاطئ حتى الجُرفِ وقد
تسلّحوا بالسهامِ، كالخارجين إلى الصيد.

58 توقفوا عندما رأونا نهبط
واقترب ثلاثة منهم نحونا وقد أبقوا
في أيديهم القوسَ والنشاب.

61 صرخ أحدهم وهم مازالوا في الأسفل:
«مانوع عذابِكما أيّها الهابطان إلى الساحل؟
تكلّما حيث أنتما، وإلا أطلقتُ السهام».

64 قال مرشدي: «هو ذا خيرون يقف
قريباً منك، فلنوجّهْ حديثنا إليه.
دائماً يوقعك غضبُكَ في الحظّ السيء».

67 ثم قال لي: «هو ذا نيسوس الذي
قُتِلَ في الغابة لأنه أهان ديانيرا.
ولكنه انتقم لموته بقليل من دمه

70 أما الذي يجلس في الوسط يحملقُ

https://jadidpdf.com

في صدره فهو خيرونُ الجبار الذي علّم
أخيل: الآخر هو فولوس أكثرهم وحشية.

73 يطوفون بالآلاف حول حمّام الدم
ويصوّبون السهام إلى كل من يرفع
نفسه أكثرَ مما تسمح له خطيئته».

76 اقتربنا من هذه الوحوش السريعة
انتزع خيرون سهماً، وبطرفِهِ
ردّ لحيته الكبيرةَ البيضاءَ وراء فكيه.

79 وعندما كشف عن شِدْقِهِ الضخم
قال لرفاقه: «أتلاحظون
أن الرجل الثاني يحرك كل مايلمسُهُ؟

82 إن هذا ليس من عادة الموتى».
ورد سيدي الذي كان يقف قرب
صدر الوحش، الذي تمتزج فيه الطبيعتان:

85 «أصبتَ إنه من الأحياء. وإني
مضطرٌ أن أطوفَ به أرجاء هذا الوادي
وحدي فالقَدَرُ أرسله وليس تطفّلُه.

88 لقد أرسلتْهُ إليّ الروحُ النبيلة
التي ترتل التسابيحَ في السماء
فلا هو قاطعُ طريق، ولا أنا هاوي جريمة.

91 فباسمِ القدرة الإلهية التي

https://jadidpdf.com

بعونها أطوفُ أرجاء الجحيم
أرسلْ معنا أحد رجالك

94 ليرشدنا إلى ضَفّة النهر ويحملَ
تابعي على ظهره إلى الضفة الأخرى
فهو ليس روحاً ليمشي في الهواء».

97 التفت إلى يمينه وقال
لنيسوس: «اذهبْ وارشِدْهُما
وابعد من طريقهما كل ما يعترضهما».

100 وهكذا سرنا إلى جانب مرشدنا
على ضفة نهر حمّام الدم وسمعنا
صرخاتِ اليأس من شدّة الغليان.

103 بعض المغليين كان غارقاً حتى الحاجبين
وحين عَبرْنا بهم قال القنطورُ الضخم:
«هؤلاء كانوا طغاة الدم واللصوصية.

106 هنا يدفعون ضريبة ما اقترفوا:
هنا الاسكندر، وديونيسيوس
الذي عذب صقلية سنوات طويلة.

109 وصاحب الجبين الأبيض والشعر الليلي
هو أزولينو، والأشقر الذي
بجانبه هو أبيزودا أستي، الذي

112 قتله ابن زوجته» وهنا التفت

https://jadidpdf.com

إليّ شاعري الذي قال: «إنه مرشدُكَ
الآن، أنا دوري يأتي بعده».

115 وبعد قليل توقف القنطور عند
مجموعة غاصت حتى الحناجر
في بحر حمّام الدم.

118 وأشار قائدُنا إلى ظلّ انتحى جانباً:
«هذا الرجل قَتَل أمام مذبح الرب
قلباً مازال مقدساً على التايمز».

121 ومشينا فشاهدنا أرواحاً سُمِحَ
لهم أن يرفعوا رؤوسهم وصدورهم
من النهر، وعرفت الكثيرين منهم.

124 وكلما جدّ بنا السير هبط مستوى
نهر الدم، حتى لم يعد يغمر إلا أقدامَ
الخطاةِ، ومن هنا قطعنا المخاضة.

127 وعندما وقفنا على الضفة الأخرى قال
القنطور: «لاحِظا تناقص الدم الغالي
في هذه الضفة، واعلما أن

130 قاع الضفة الأخرى سيتدنّى
إلى أن يصبح دائرة كاملة، يقبعُ
في حلَقَتها الطغاةُ الذين فُرِضَ عليهم البكاء

133 وفيها تعذّبُ العدالةُ الإلهية

https://jadidpdf.com

إلى الأبد سكتوس وبيروس
وأتيلا لعنةَ الأرض.

136 وهنا تُذرفُ الدموع مدراراً
من عيون رينيرادا كورنيتو ورينير بازو
اللذين كانا قاطِعي طريق لسنوات عدة».

139 وهنا انعطفَ وقطعَ المخاضة ثانية.

الرموز والصور:

دائرة العنف: هي دائرة الحيوانية، أو خطايا الأسد، فهذه الدائرة، وحتى نهاية دائرة الهراطقة، تشكل الجحيم الأعلى.

المينوتور والقنطور: مخلوقات ترمز إلى الجمع بين الإنسانية والحيوانية، بين العقل والغريزة الحيوانية. فالمينوتور نصفه إنسان ونصفه ثور، والقنطور نصفه إنسان ونصفه حصان، فهو يختلف عن المينوتور.

فليغون: النهر الرئيسي الثالث في الجحيم، يأتي بعد أخيرون وستيكس. وهو يؤلّف دائرة كاملة حول الهوة، عميق من طرف، وضحل من طرف آخر. والخطاة الذين استخدموا العنف يُرمَون في حمّام الدم هنا إلى الأبد.

الملاحظات:

4 ـ انجرافات ماركو: تقع على بعد ميلين من روفرتو (بين فيرونا وترنت) على الضفة اليسرى لنهر أديج.

9 ـ كأنها سلم هبوط: أي أنها للهبوط فقط ولايستطيع المتسلق أن يرقاها.

12 ـ عار كريت: هي أم المينوتور باسيفي، زوجة مينوس ملك كريت. اشتهت الثور الذي قدمه إله البحر لزوجها. وليلقحها أمرت أن يصنع لها ديدالوس (صاحب المتاهة المشهورة) بقرة خشبية، اختبأت فيها بعد أن قربتها من الثور الذي ركبها فحبلت بالمينوتور: نصفه إنسان ونصفه ثور. ولم يقتل مينوس المينوتور بل وضعه في المتاهة، وعندما انتصر على الأثينيين فرض عليهم إرسال سبعة شبان وسبع عذارى كل عام طعاماً للمينوتور. أخيراً قتل نيسوس ـ دوق أثينا ـ مينوتور المتاهة بمساعدة ابنة مينوس أدرياني.

20 ـ أختك: هي أدرياني التي أرشدت نيسوس إلى المينوتور، أخيها.

https://jadidpdf.com

38 ـ مجيء ذاك...: يقصد المسيح.

42 ـ الكون يرتعش منتشياً بالحب... وقع في الفوضى: هذه الصورة مأخوذة من تعاليم الفيلسوف أمبدوقليس الذي يرى أن الكون يتألف من عناصر متقابلة حتى يتحقق الانسجام، فإن اختلفت العناصر وقع الكون في الفوضى.

62 ـ مانوع عذابكما: القنطورات يطوفون ضفاف نهر حمّام الدم للإشراف على تنفيذ العذاب، فعندما شاهد أحدهم اثنين يسيران سألهما ما نوع عذابكما، حتى يعيدهما إلى مكانهما في حمّام الدم.

64 ـ خيرون: قنطور على يديه تدرب معظم أبطال اليونان ومنهم أخيل.

67 ـ نيسوس: قنطور كان يحمل المسافرين فوق نهر أفينوس ويتقاضى أجرته. حمل في إحدى المرات على معداويته ديانيرا، زوجة هرقل فعشقها ونشدها، فرماه هرقل بسهم مسموم. قبل أن يموت لعب بعقل ديانيرا وأعطاها بعضاً من دمه المسموم وقال لها إذا دهنت زوجك بهذا الدم فسيبقى مخلصاً لك. ولما وقع هرقل في حبّ يولي دهنته ديانيرا بدم القنطور لتحميه من العشق، فمات مسموماً متألماً.

72 ـ فولوس: اسم لعدد من الشعراء الكلاسيكيين، ولم يحدد دانتي المقصود.

88 ـ الروح النبيلة: بياتريس.

107 ـ الاسكندر: المقدوني الكبير.

107 ـ ديونيسيوس: الأول توفي في العام 367 ق.م والثاني، ابنه، توفي في العام 343 وكان طاغية صقلية.

110 ـ أزولينو: دا رومانو (1194 ـ 1259) أشد طغاة الجيبليين.

112 ـ ابن زوجته: هو في الحقيقة ابنه، لكن بشاعة الجريمة جعلت دانتي يقول «ابن زوجته».

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث عشر

الدائرة السابعة: الحلقة الثانية المنتحرون

الحكاية: بعد أن يحمل نيسوس الشاعرين عبر حمّام الدم يتركهما في الحلقة الثانية من الدائرة السابعة: غابة المنتحرين. وفي هذه الغابة يعذب أولئك الذين أساؤوا بأيديهم لأنفسهم وقضوا على حيواتهم. يتحول المنتحرون إلى أشجار. والهربيات (أجساد طيور ووجوه نسوة شاحبة جوعاً) يعلو زعيقهن بين الأشجار، ويتغذين منها. ويعرض علينا دانتي حالة المنتحرين إلى أن يصل إلى منتحر فلورنسي مجهول.

1 لم يكن نيسوس قد وصل الضفة الأخرى
عندما دخلنا غابةً مترامية الأطراف
لا أثرَ فيها لدرب مطروق.

4 أوراقٌ عجفاءُ قاتمةٌ لااخضرارَ فيها.
أغصانٌ يابسة متغضّية كلّها عقَدٌ
وأشواكٌ سامة لاتحمل ثمراً ولا فاكهة.

7 إن أدغالَ الوحوش الضارية التي
يتجنبها الناس بين نهر سيسينا ومدينة كورنتو
ليست أشدَّ كثافةً وخشونة من هذه الأدغال.

https://jadidpdf.com

10 هنا الهربيات القبيحات بنين أعشاشهن،
هن اللواتي طَرَدْنَ إنياس وصحبه من
ستروفاديس بنبوءات الدمار.

13 عريضاتُ الأجنحة طويلاتُ المخالب،
الريشُ على خصورهن، أعناقٌ ووجوه بشرية،
يُعولْنَ عويلاً أبدياً بين الأشجار الوحشية.

16 بدأ سيدي الحديث: «أريدك أن تعلم
قبل أن نتابع، أننا في الحلقة الثانية
وستبقى فيها حتى نبلغَ الرمل الملتهب

19 فانظر جيداً، سوف ترى أشياءَ
في هذه الغابة، لو أخبرتك
بها لتزعزعتْ ثقتكَ بي».

22 سمعت صرخاتِ نواحٍ من كل صوب،
لكن لم أرَ أرواحاً تجوب
فتوقفتُ وقد تملكتني الحَيْرة.

25 ربما ظن أنني سأقول لنفسي إن
هذه الصرخات تأتي من بين الجذوع
الملتفة، تطلقها أرواحٌ متخفية.

28 لذا قال سيدي: «لو أنك من بين هذه
الأغصان كسرت غصناً صغيراً، فإن
ما تتعلمه يطرد ما يجول في رأسك».

https://jadidpdf.com

31 دُهشتُ، ورفعت يدي، وكسرتُ ببطء
غصناً صغيراً من فرع ضخم:
فصاح الجذع «لماذا تكسرني؟».

34 سال الدم وصبغ الغصنَ بالسواد.
عاد بعدها يصيح: «لماذا تقطعني
ألم يعدْ في قلبك رحمة؟

37 بشراً كنا على الأرض وأشجاراً غَدَونا
فلتكن في كفك الرحمة حتى
لو حسبتَ الغصن أفعى».

40 مثلما تحرقُ طرفَ غصنٍ أخضرَ
فتنزل القطرات من الطرف الثاني
ويفرقع كلما هب الهواء،

43 هكذا من ذلك الغصن سالتِ
الكلماتُ والدم، نقطةً نقطةً
فرميته من يدي، وجمّد الخوفُ جسدي.

46 ردَّ مرشدي من دون أن يحدّد المُخاطبَ
«أيتها النفسُ الجريحةُ لو أنه
آمن بما رآه في أشعاري فقط

49 لما مدّ إلى غصن يداً
لكنك تعرف أن هذه الحقيقةَ لاتصدّق
حتى تُلمسَ، وقد دفعته إلى أن يفعل

https://jadidpdf.com

52 ما يؤلمني الآن. فأرجو أن تعلن له
اسمكَ فيجعل لك ذِكراً في عالم الأرض
عندما يرجع، فقد يُعيد سمعتك».

55 قال الجذع: «كلماتك العذبةُ تجعلني
أنطق، فلا يزعجك كلامي
إن قليلاً أفضنا بالجواب

58 أنا الذي أمسكت بمفتاح قلب فريدريك،
افتح واغلق، واستخدِمهُ بكل
مهارة الفنان المتدرب.

61 بقيت مستشاراً ولم أستعنْ إلا بالقليل
من الرجال. وبقيت مخلصاً لمنصبي المجيد
ومن أجله ضحّيت بنومي وحياتي.

64 لكن الحسدَ عاهرةٌ ظلت تلقي
على وجه قيصر نظرتها الداعرة،
إنها شرُّ البلاط وطاعونُ القصور،

67 فألهبت الصدور ضدّي، وهذا
اللهبُ شغل أوغسطس، فتحولت أمجادي
السعيدة إلى أسى أليم.

70 لمتُ نفسي كل الملامة، واحتقرتُها
واعتقدتُ أن الموتَ يخلصني من الحقارة
فلم أكن عادلاً مع نفسي العادلة.

https://jadidpdf.com

73 فأقسِمُ بالجذور الجديدة لهذه الشجرة
أنني لم أخُنْ سيدي وامبراطوري
الذي كانت مزاياه أهلاً لكل تمجيد.

76 فإن رجع أي منكما إلى العالم،
فليرفعْ ذكراي، ذكرى رجل
سدّد إليه الحسدُ ضرباتٍ قاتلة».

79 نهض الشاعر وقال لي: «مادام قد
صَمَتَ فلا تدعِ الفرصةَ تفوتك
إن كنتَ راغباً في السؤال عن حياته وعذابه».

82 قلت: «سلْه أنت بما تعتقد أنه
يرضي تطلعي ويريحني. أما أنا
فلن أسألَهُ، فالحزن يمزقني».

85 استأنف شاعري: «أيُّها الروح السجين
هذا الرجل سوف يفعل ما تمنّته
كلماتُكَ، ولكن أرجوك أن تخبرنا

88 كيف يحلُّ الروح في هذا الشكل
العقدي، وهل تستطيع أي
روحٍ أن تتحرر من هذا السجن».

91 نفخ الجذع بقوة، فصارت
الريحُ صوتاً يتحدث بهذه الكلمات
«مختصَراً سوف يكون جوابي:

https://jadidpdf.com

94 عندما تخرج روح العنف من
الجسد الذي مزقته، تَمْثُلُ للعقاب
فيلقي مينوس بها في الرفّ السابع.

97 تُرمى في الغابة، بلا مكان مخصص
ولكن حيث تُرمى، تنبت هناك
مثلَ حبة القمح

100 وتنمو فتصبحَ ساقاً، فشجرة برية
ثم تأتي الهربيات فيأكلْنَ أوراقها
والقضمُ القاسي يؤلم، فتجدَ متنفّساً لألمها.

103 سنطيرُ يوم الدينونة كالآخرين،
لاستعادة أجسادنا، فلا نستطيعُ
الدخولَ فيها. فالمُتلِف لاحق له بالمُتلَف.

106 نجرّها إلى هذا المكان الموحش
وهنا كل روح يُعلّقُ جسدُهُ بالشجرة
الخاصة بشبَحِ نفسه المغتالة».

109 انتظرنا إكمال الحديث، لكن الجذع
صَمَت، وأثناء انتظارنا سمعنا
ضجّة شملتِ الغابةَ كلها،

112 مثلما يسمع الصياد ضجيج الخنزير والكلاب
تقترب من موقعه كالإعصار
فالوحوش ترتجف والأغصان تتكسر.

https://jadidpdf.com

115 نظرنا إلى يسارنا فشاهدْنا اثنين
يركضان عاريين ممزّقين، خوفاً
ورعباً، في الغابة المظلمة، فخِفْتُ.

118 صرخ الأول: «هلُمَّ أيها الموت، احضر بسرعة».
وصرخ الثاني الذي كان متخلفاً:
«إن ساقيك لم تكونا مقتدرتين

121 يا لانو هكذا في معارك توبو» وفي
الاندفاع السريع انبهرتِ الأنفاسُ
فالتصقَ بشجيرة كثيفة وصارا واحداً.

124 امتلأت الغابةُ خلفهما بالكلابِ
السوداء السريعة النهمة
ككلابِ الصيد المُطلقة من أسوارها.

127 انتزعوا المُلتصِق وأنشبوا أنيابهم
فيه ومزّقوه، ثم ابتعدوا حاملين
أشلاءه الممزقة شِلواً شِلواً.

130 أخذني سيدي من يدي داخل الغابة
وقادني باتجاه الشجرة الكثيفة النائحة
بكل أطرافها مرسلةً الكلماتِ والدمَ:

133 «أي جالكومو دا سانت أندريا. ماذا
جنيْتَ حينَ جعلتني سِتاراً يحميك؟
وما دخلي أنا إذا عِشتَ حياةً خاطئة؟».

https://jadidpdf.com

136 وعندما اقترب سيدي قال: «من أنت
يا من تدفّقَتْ جراحك دماً
مع نواحك أيها الروحُ الحزين؟».

139 قال: «أنتما يا من جئتما تشهدان
كيف مزّقَتْ تلك الكلابُ
أغصاني ومن أوراقي عرّتني،

142 فاجمعا الأوراق حول خرائبي.
ولدتُ في المدينة التي أسقطت
«مارس» ونصّبت «يوحنا المعمدان» زاعمة أن مارس

145 يجلبُ لها الألمَ الدائم. ولولا بقايا
من تمثال هذا الإله الحارس،
الذي نبذته، ماتزال على جسر الأرنو،

148 لاعتقدَ أولئك المواطنون الذين
رفعوا الأسوار على رماد أتيلا
أن عملهم ذهَبَ هباءً،

151 أنا من لايملك قصة يرويها: فقد جعلت عتبة بيتي مشنقة لعنقي».

الرموز والصور:

الغابة: تؤلف الحلقة الثانية من الدائرة السابعة، دائرة العنف، وتشمل أولئك الذين ألحقوا الضرر بنفوسهم.

الهربيات: طيور مخيفة بوجوه نساء قبيحة، الأغلب أنهن يرافقن الإيرينات (الفيورات ربات الانتقام). أسندت إليهن الميثولوجيا اليونانية مهمة انتزاع النفوس تنفيذاً للأوامر الإلهية. وقد صوّرن فيما بعد كمفسدات للأطعمة. أما

https://jadidpdf.com

صورتهن عند دانتي فترمي إلى تصوير شناعة عذاب الأنفس المنتحرة.

الأشجار الدامية: رمز بها إلى عذاب النفس التي تخلت عن الجسد بإرادتها، فهي في هذه الحلقة شجرة تنزف دماً باستمرار، عدا العذاب الذي تلحقه بها الهربيات.

الملاحظات:

6 ـ 10 ـ الحديث هنا يدور عن مقاطعة ماريما في توسكانا.

8 ـ سيسينا وكورنتو: الأول اسم نهر والثاني اسم مدينة.

48 ـ في أشعاري فقط: في الإنيادة ـ الكتاب الثالث.

58 ـ أنا الذي أمسكت: بيير ديلي فيني (1190 ـ 1249) كان الوزير القوي الأوحد للإمبراطور فريدريك الثاني.

65 ـ قيصر: فريدريك الثاني.

107 ـ كل روح يُعلق جسده: على الرغم من قتل الجسد، فإنه يبقى عبئاً، ولايستطيع المنتحران يتخلص منه في الآخرة.

121 ـ لانو: لانو داسينا: مبذر مشهور توفي في مخاضة نهر توبو قرب أريزو في العام 1287 في معركة طاحنة ضد الأريتيين.

143 ـ المدينة التي أسقطت...: فلورنسا.

148 ـ أتيلا: يخلط دانتي بين توتيلا ملك الغوط الشرقيين (ت 552) الذي دمّر فلورنسا عام 542 وأتيلا ملك الهون (ت 453) الذي دمّر عدة مدن، لكنه لم يدمر فلورنسا أبداً.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع عشر

الدائرة السابعة: الحلقة الثالثة المسيئون لله والفن والطبيعة

الحكاية: يجمع دانتي الأوراق الممزقة لروح مواطنه المجهول ثم يصل سهل الرمال الحارقة، حيث المطر الناري يتوالى بلا انقطاع، والأرواح المعذبة: المجدِّفون (الإساءة إلى الله) والسادوميون (الإساءة إلى الطبيعة) والمرابون (الإساءة للفن، حفيد الله). ويقابل الشاعران زعيم المجدفين، ومازال حتى الآن يجدف على الله. يمران بطرف غابة المنتحرين، ويصلان نبع الدم الأحمر النابع من الغابة، الذي يعبر السهل الملتهب. هنا يشرح فرجيل كل أنهار الجحيم.

1 حبي للموطن المشترك حرّكَ
مشاعري فجمعت الأوراق المتناثرة
لذاك الذي بُحّ صوته وهو يعولُ حزناً.

4 تقدمنا إلى الحد الذي يفصل
الحلقةَ الثانية عن الحلقة الثالثة
فرأينا فناً مرعباً لاتفقهه إلا العدالة.

7 وحتى أجعلَ هذا الشيء الجديد واضحاً
أقول إننا وصلنا سهلاً يرفض كل زرع
وعلى سطحه تنبلُ كل الأوراق الحية.

https://jadidpdf.com

10 الغابةُ الكثيبة تحيطه كالسياج
والخندقُ الحزين يسيج الغابة
وبين الحافة والحافة توقفتْ خطانا.

13 الأرض رمل ممتد مجدب، شكلها
لايختلف عن ذاك الذي عليه
سارت قدما كاتو في صحراء ليبيا.

16 مخيفٌ أنت أيها الانتقام الإلهي
قد يَخشى قدرتَك كل من يقرأ
الآن ما رأته عيناي من رعب.

19 رأيت قطعاناً كثيرة من الأرواح العارية
ناحتْ حتى احترقتْ من الدمع العيون.
بدت كأنها أُدينت بقانون متغاير:

22 البعض على الظهر يضطجعون
وبعضهم على أكفالِ بعضٍ يجلسون
وآخرون يطوفون، ولايتوقفون.

25 ما أكثرَ الذين يدورون جيئة وذَهاباً
أما المستلقون، فأقلهم عدداً
لكن الجميع يصرخون حزناً وألماً.

28 وعلى الرمل الوسيع تساقطت رقائقُ
من نارٍ كما تتساقط ثلوج الألب
في فضاءٍ استراحَ من لعب الرياح.

https://jadidpdf.com

31 وكما رأى الاسكندرُ السماءَ في أقاليم
الهند الحارة تُسقط النار
بلا تمييز على فيالقِ جيشه،

34 أمر جنوده، وهو في طليعتهم،
أن يدوسوا كراتِ النار على الأرض
خشيةَ أن تتصل ألسنةُ اللهب وتمتد،

37 هكذا تساقط المطرُ الناري فوق
الخطاةِ والتهبَ الرمل التهابَ الفتيل
تحت الصوّانة والزناد فضاعفَ الألم.

40 وفي نوباتٍ لاتنتهي على تلك الرمال
كانت أذرع الخطاةِ تلتفّ حول أجسادهم
هنا وهناك، اتقاءً للكتل النارية

43 بدأت: «سيدي أيها القوي الذي أحبطْتَ
كلّ الأشياءِ المعادية، إلّا الشياطين
التي تصدّت لنا في مدخل الهوة،

46 مَنْ هذا الشبحُ الجبار المستلقي على
الإفريز، وبوجهه يقابل النار محتقراً
كأن المطرَ الناري لاينال منه؟».

49 فأجاب هو نفسه، وقد سمع ماقلت
عنه لمرشدي وسيدي: «هكذا أنا
حياً وهكذا أنا ميتاً.

https://jadidpdf.com

52 ولو أرهقَ جوبيتر صانعَ دروعه
الذي وضع في يده الغاضبة الصاعقةَ
التي رماني بها في آخر أيام حياتي.

55 ولو أرهقَ بقية الآلهة، واحداً واحداً
واشتغلوا في كير «مونجيلو»
صائحاً النجدة يا فولكان الطيب،

58 كما فعل في فيغرا، إذ هُرع
إلي وهاجمني بكل قواته السماوية
فلن يفرح قلبُهُ بأدنى نصرٍ علي».

61 عندئذ تحدث مرشدي بلهجة شديدة
ما اعتدت سَماعها منه قبلاً:
«إيه كابانيوس، إن سفاهتكَ المتكبرة

64 جعلتْك تتألمُ كأن النار في
داخلك. غضبك وحدَهُ هو
العذابُ المناسب لكبريائك».

67 ثم التفت إلي وقال بلطف
«كان واحداً من السبعة ضد طيبة
احتقر الربَّ حياً واحتقره

70 بين الأموات أيضاً. يعتقد أنه
يستطيع كرهَ الله بهذه السهولة
ولكن كما قلت: غضبه وسامٌ يليق بصدره.

https://jadidpdf.com

73 اتبعْني الآن وانتبهْ وأنت تسير
ألا تضع قدمكَ على الرمل الملتهب
سرْ دائماً على حافة الغابة».

76 مَشيْنا صامتين إلى أن وصلنا جدولاً
ينبع من الغابة. يجري محمرّاً كلما
تذكرته اعترتني رجفة.

79 ومثلما ينبع جدول من بوليكامي
فلا تستخدِمُه إلا النساءُ الخاطئات،
كذلك يجري هذا النهر في الرمل الحار.

82 قاعُهُ وضفتاه وتويج حافتيه
اليسرى واليمنى تحولت إلى حجر
مما جعلني أظن أن الممرَّ من هنا.

85 «من بين كل العجائبِ التي
جعلتكَ تشاهدُها منذ عبرنا
البوابةَ التي لايعبرها أحد

88 لن ترى عيناك أعجوبةً كهذا
النبع الذي نقف عليه، لأنه يخمد
اللهيبَ فوق كلتا الضفتين».

91 هكذا قال مرشدي فرجوتُهُ
مادام فتحَ شهيتي لطعامه
أن يشرحَ لي بالتفصيل.

https://jadidpdf.com

94 قال: «في وسط البحر تنتصب جزيرةُ
خرابٍ تُعرف باسم كريت، كان
شعبها القديم طاهراً بفضل ملكها.

97 كان فيها جبل يدعى أيدا
وكانت الغدران تجعل وديانه ضاحكة
لكنه اليومَ مهجورٌ كالأثر القديم.

100 وقد رأت ريًا أنه ملجأ أمينٌ لابنها،
ولكي تُخفي صرخاتِه، فتبعد عنه الأخطار،
ملأت التلال بالباخيات يعزفْنَ الموسيقى الوحشية.

103 في قلب الجبل انتصب ماردٌ قديم
كتفاه باتجاه داميتا ونظره
باتجاه روما، كما لو كانت مرآتَهُ.

106 رأسه مصنوعٌ من ذهب، وصدره
وذراعاه من فضة، وبقية جِذعه
الضخمِ من النحاس الناصع.

109 ومن هنا وحتى أسفل من حديد،
ماعدا قدمهِ اليمنى فمن طين الأرض
صُنعتْ، وعليها معظم وقوفه.

112 كل جزء منه عدا الذهب مثلومٌ
بشق كبير، منه تنحدر دموعٌ
غزيرة تحفر مجراها في حفرة الجبل.

https://jadidpdf.com

115 تجري الدموعُ إلى هذه الحفرة
من صخرة إلى أخرى، فتصبح أخيرون
وفليثون وستيكس، ومن هذا المجرى الضيّق

118 تسير حتى نهايةِ المنحدر، ثم تختفي
من كوسيتوس، وسترى بأمّ عينك
كلَّ شيء، فلن أتكلم الآن».

121 قلتُ: «مادامت هذه المياه تنحدر من
عالمنا الفوقاني، لماذا هذا الجدولُ
يمشي فقط في هذا الاتجاه؟».

124 قال: «أنت تعلم أنَّ المكانَ مستديرٌ
ومع أنك هبطتَ الوادي عبر عدة
دوائرَ دائماً تتجه مع المنحدر إلى اليسار،

127 لكنك لم تكملْ أيّ دائرة على طول
محيطها، لذا عندما تظهرُ أشياءٌ
جديدةٌ من آن لآخرَ فعليك ألا تُدهش».

130 قلت: «سيدي هل نجد مجرى فليثون؟
وكذلك ليثي، الأول تسكت عنه
والثاني تقول فيضُ الدموع يحفر مجراه».

133 أجاب: «تُسرُّني في كل ما تسأل
لكن المياهَ الحمراءَ الغليانةَ ستردّ
على السؤال الأول الذي طرحته

https://jadidpdf.com

136 وسوف تقف عند ليثي، ولكن بعيداً:
هناك حيث الأرواح تغسلُ نفسها
فيمحو الندم قبيح ذنبها».

139 وأضاف «والآن حان وقت الرحيل عن
الغابة، اتبعْني على طول الجدول
فالضفتان لانارَ فيهما،

142 فهما طريقُنا، وعليهما كل نارٍ سوف تخبو».

الرموز والصور:

الرمال: الرمال في دائرة العنف مستخدمة رمزاً للعقم ورمزاً للبياب. والمعتقد أن صورة الرمل والمطر الناري مأخوذة من قصة سادوم وعامورة في التوراة.

كابانيوس: من الصور الرائعة في هذه الدائرة، إنه مثال للمجدف الكافر الذي لايقبل مساومة ويرفض أن يتراجع. فكما أمضى حياته يُمضي إقامته في دار الموتى غير نادم على ما بدر منه. يقول له فرجيل إن غضبه أعظمُ ألم له وأشدُ عذاب في صدره. لكن كابانيوس لايعلق بشيء على هذا القول وكأنه لايأبه به، أو كأنه من النوافل التي لايوليها اهتماماً. ومرجع هذه الخطيئة في عرف دانتي هو الكبرياء. ما غرض دانتي في هذه الصورة وإلامَ يرمز؟... الملاحظ أنه لم يبد إعجاباً بأي بطل من أبطال الجحيم كما أبداه هنا. إن الحديث في هذه النقطة يظل يدور في إشكالية التأويل.

الملاحظات:

31 ـ الاسكندر: المعلومات مأخوذة من رسالة الاسكندر إلى أرسطو، وفيها أن جنوده عرفوا الثلج ومطر النار.

51 ـ هكذا أنا: الكلام لكابانيوس.

52 ـ صانع دروعه: فولكان.

56 ـ كير مونجيلو: في الميثولوجيا أن فولكان بنى كوراً، ويقع كيره تحت هذا الجبل.

79 ـ بوليكامي: ينبوع كبريتي حار، مياهه محمرة بالقرب من فتربو.

https://jadidpdf.com

96 ـ ملكها: ساتورن (كرونوس) زوج ريّا.

100 ـ ريّا: زوجة ساتورن خبأت زيوس في كريت لتنقذه من أبيه.

102 ـ الباخيات: نصيرات باخوس، يُقمنَ احتفالات داعرة سافرة تصحبها موسيقى صاخبة. أحضرتهن ريّا لإخفاء صراخ ابنها.

119 ـ كوسيتوس: بحيرة الزمهرير والجليد في قاع الجحيم.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس عشر

الدائرة السابعة: الحلقة الثالثة — السادوميون

الحكاية: يسير الشاعران على ضفاف نهر الغليان عبر السهل الملتهب. ومن بين السادوميين يقابل برونيتو لاتيني ـ أستاذه ـ ويعلن أسفه، ويتنبأ له بسوء معاملة أهل فلورنسا. وفي هذه الحلقة حُشرت الأرواح المسيئة للطبيعة. وعذابهم أنهم يركضون باستمرار.

1 الآن نسير على الضفة الصخرية
وبخارُ النهر يلقي بظله على صفحته
فيحمي الينبوعَ وضفتيه من الثلج الناري.

4 وكما بنى أهل الفلاندر بين
بردجيس وفيسانت سداً ضخماً
خوفاً من فيضان البحر،

7 أو كما بنى أهل بادوا على نهر برنتا
سوراً يحمي مدنَهم وقلاعَهم قبل أن
تجعل الحرارةُ الثلوجَ تهطلُ من شارنتانا،

10 على هذا الشكل رُفِعتِ الضفتان،

https://jadidpdf.com

لكن المهندس، كائناً من كان، بناها
بضخامة أقل، في الطول والعرض.

13 كنا قد تركنا الغابة بعيداً خلفنا
حتى أني عندما التفتُّ إليها
لم أستطع أن أتبينها من مكاني.

16 عندئذٍ مرّت أمامي مجموعة من
الظلال تمشي قرب الضفة
نظروا فينا كما ينظر

19 الناسُ ليلاً إلى بعضهم تحت ضوءِ القمر.
ومروا في الطريق المظلم وحدّقوا فينا
مثلما يحدّق الخياطُ العجوزُ في سمّ الإبرة.

22 كنت أنظر عن كثب إلى مجموعة الأشباح
فعرفني أحدهم، فجذبني من طرف ثوبي
وقال: «عجيبةُ العجائبِ، مَنْ؟ أنت؟».

25 عندما مدّ إلي ذراعه، تمعّنتُ
في معالم وجهه عن قرب إلى
أن تقصّيت أخيراً صورته

28 في ذاكرتي على الرغم من جروقه،
وانحنيتُ مقرّباً وجهي من وجهه
وقلت: «أنت هنا أيها السيّدُ برونيتو؟»

31 قال: «ربما لايزعجك يا بنيّ أن

https://jadidpdf.com

يترك برونيتو لاتيني رفاقَهُ
ويأتي ليمشيَ إلى جانبك بعض الوقت».

34 قلت: «هذا ما تتوق إليه نفسي
وإذا شئتَ فلنجلس، إذا سمح مرشدي
وقائدي في هذه الرحلة».

37 قال: «يابنيّ كل من يتوقف عن
هذا الركب لحظةً، يدفع ثمنها
مئةَ عامٍ تحت المطر الملتهب.

40 لذلك تابع، سأسير قرب طرف ثوبك
ثم أنضم إلى رفاقي، الذين يغرقون
في حزنٍ خالد من عذاب النار الأبدية».

43 لم أجرؤ على الهبوط إلى مستواه،
لكني خفضْتُ رأسي كمن يمشي
بمهابة وهو يتأمل الخيرَ والشرَ.

46 بدأ: «ما الذي جاء بك قبل يومك
الأخير؟ أيُّ حظٍّ وأيُّ مصير؟
ومن يقودك في هذا الطريق المظلم؟».

49 أجبت: «هناك في الحياة في الاعلى،
ضعت في الوادي قبل أن أستنفذ
سنيَّ حياتي. وفي فجر

52 يومِ السبتِ عدْتُ منه. فظهر

https://jadidpdf.com

لي هذا الروحُ الكريم. وهو يقودني
الآن إلى البيت، من هذا الطريق».

55 قال: «اتبعْ نجمك، فعندها
لن تفشلَ في تحقيق المجد إن
صدَقَ تقديري في الحياة الأرضية.

58 ولو أني عشتُ لأحقّقَ ما أردتُ عمله
لنصحتكَ وأرشدتكَ في عملك
فتكونَ السماء رفيقة بك

61 لكن ذلك الشعب الخبيث الناكر للجميل
الذي انحدر من فيسولي
ومازال يحتفظ بنكهة الجبل والصخر،

64 سيكون عدوكَ بسبب طيب أعمالي.
وتفسيرُ ذلك: الشجرُ المرُّ الثمرِ
لايريدُ أن يرى التينَ الطيب يُثمر.

67 حتى الأقوالُ القديمةُ تصفهم
بأنهم شعبٌ حسود أعمى متعجرفٌ بخيلٌ
فاحذرْ أن تترسخَ عاداتهم في ذهنك.

70 مكتوب في برجك، وما كُتِب يحدث،
أن أمجادك تجعل الطرفين يكرهانك
لكن العنزةَ لن تصل إلى كومةِ العشب.

73 دعْ وحوش فيسولي تلتهم المنتوجَ

https://jadidpdf.com

مثلَ الخنازير، ولكن لاتدعْهم يلمَسون النبتة.
وإن كان بعضُ البذار ينبت بين أعشابهم الزنخة،

76 التي فيها تولد ثانية البذورُ المقدسةُ
للرومان الذين ظلوا بين رُعَاعهم
عندما بنَتْ فلورنسا عُشّاً جديداً لنسلها».

79 أجبته: «صدّقني لو كانت رغبتي تتحقق
لما انفصلْتَ أنت عن الحياة البشرية
التي فيها كنتَ مشهوراً بين الرجال.

82 ومازلتُ أحتفظ في ذهني
بصورتكَ العزيزةِ الأبوية الطيبة
إذ كنت تعلمني ساعة بعد أخرى

85 كيف يصبح الرجل خالداً،
إني ممتنٌ، ولساني سيلهجُ
بما أنت جديرٌ به، مادمتَ حياً.

88 سوف أكتبُ كلماتك عن مستقبلي كتابة جميلة
إلى جانبِ نصوص أخرى، فأعرضها على سيدةٍ حكيمة،
وهي سوف تحكمُ عليها، إن وصلت إلى ذروتها السامقةِ.

91 أريدكَ أن تعرفَ: شامخاً سأقفُ
لاشيءَ يعكر ضميري، ولا أخاف
حظي مهما جلبَ، فإني مستعدّ له.

94 مرتين وهذه النبوءة تطرق سمعي

https://jadidpdf.com

في عالم الظلال الأبدي، فلتدُرْ عجلةُ
الحظ، وليستخدمِ الفلاحُ رفشه».

97 حين تناهَتْ كلماتي إلى مسامع سيدي
التفتَ إلى اليمين وقابلني عيناً بعين
وقال: «جودةُ الفهم من جودة الإصغاء».

100 لم أُجبْهُ، تابعتُ طريقي مع
السيد برونيتو أسأله عمن معه
في الرمال الحارة من المشاهير وأبناء الذوات.

103 قال: «بعضهم يشترك في هذه المسيرة
ومن الأفضل أن تعرفَهم، أما البقيةُ فلن
نذكُرَهم، فالوقت لايتّسع لهذا الحديث.

106 باختصارٍ، كلنا قساوسةٌ وأبناءُ ذوات
ورجالُ أدب، وأساتذة مشهورون.
وكلُّنا اشتركنا بنوع واحد من الجريمة في الأرض.

109 في ذلك الحشد الحزين يسير فرنسيس الأكورزي
وبريشان، فإن رغبت أن ترى
أمثال هذه القذارات

112 فبإمكانك رؤيةَ ذاك الذي أرسله
خادم الخدّام من الأرنو إلى باشيلوني
حيث استراح من جسده ولفّهُ في كفنِهِ.

115 لن أطيلَ، ففي الرمال دخانٌ جديدٌ

https://jadidpdf.com

يرتفع، لقد وصلت دفعة جديدة
فعلي الإسراعُ للّحاق بعصبتي.

118 لا أطلبُ منك شيئاً سوى أن تجعل في
متناولك دائماً كتابي «الكنز» الذي
مازلت أحيا به». ثم استدار

121 وبدا مثلَ أولئك الذين يتسابقون
جرياً في الحقول المجاورة
لفيرونا طمعاً بالثوب الأخضر.

124 لكنه السابقُ الرابحُ ولايخسر مثلهم.

الرموز الصور:

السادوميون: جعل من السادوميين مثالاً لخطيئة إتلاف القوى الطبيعية للجسم، وإفسادها، وتشمل كل ما يضر بالجسم من سكر وعربدة واعتداء... عذابهم أن يركضوا ويركضوا بلا هدف.

الملاحظات:

11 ـ المهندس: المقصود الله لأنه هو الذي صمّم الجحيم.

30 ـ برونيتو لاتيني: ولد بين (1210 ـ 1220) وتوفي عام 1294 . أحد الجولف الفلورنسيين حمل لقب سير. أستاذ دانتي، لذلك نلاحظ الإكرام والتبجيل. ويُعتبر كتاب «الكنز» الموحي الأكبر لكوميديا دانتي.

40 ـ قرب طرف ثوبك: لأن دانتي على الرصيف ولاتيني على الرمال.

89 ـ سيدة حكيمة: هي بياتريس.

113 ـ خادم الخدام: البابا ولقبه الكامل «خادم خدّام الرب».

https://jadidpdf.com

النشيد السادس عشر

الدائرة السابعة: الحلقة الثالثة المسيئون للطبيعة والفن

الحكاية: دانتي في مكان يسمع فيه هدير الشلال في نهاية الطريق، وهو الشلال الذي يمر إلى الدائرة الثامنة. يقابل ثلاثة ظلال من نبلاء فلورنسا ويطلعهم على أخبار مدينتهم. وعند حافة الجرف يلقي فرجيل زنار دانتي في الخليج نحو الأسفل، فيأتي رداً على هذه الإشارة، باتجاه الشاعرين، شكل غريب يسبح في الهواء، إنه جيريون.

1 كنت قد وصلت إلى المكان الذي
أسمع فيه عزيف المياه الساقطة
إلى الدائرة في الأسفل، مثل ترنيمة النحل،

4 حين هُرِعتْ ثلاثة ظلال من
صفّها المتراكض على الرمل
تحت المطر الناري الحارق.

7 واتّجهوا إلينا صارخين بصوت واحد:
«قف يا من ترتدي زِياً
يجعلك من مدينتنا الضالة».

10 يا للجراح التي رأيتُ، بعضها قديمٌ

https://jadidpdf.com

وبعضها جديد تتوزع أجسادهم
فحتى الآن أرتعدُ كلما تذكرتها.

13 تنبّه أستاذي لصياحهم، فالتفت
وقالت لي وجهاً لوجه: «افعل ما يطلبون
إنهم أرواحٌ جديرة بالاهتمام.

16 فلولا النار التي تطوّق
ممرَّنا الضيق لقلت من الأليق
أن تسرعَ أنت إليهم».

19 توقفنا فاستأنفوا عويلهم
السابق، وعندما توقفوا تحتنا
رتّبوا أنفسهم في دائرة متحركة

22 كما يفعل أبطالُ الرياضة العراةُ
المتفوقون حين يهربون وهم يدورون
من قبضات خصومهم قبل الاشتباك،

25 وفي دورانهم حدّق كل واحد في قامتي.
وإذ يركضون يساراً نحو الدائرة بأقدامهم
فإن أعناقهم انفَتَلَت يميناً إلى الخلف.

28 بدأ أحدهم: «إذا كان بؤس هذا المكان
ومظهرنا الملفوحُ المشوّهُ يعرّضنا
ويعرّض ضراعتنا للاحتقار

31 فإن لنا في شهرتنا على الأرض ما يحثُّك

https://jadidpdf.com

على أن تخبرنا من أنت؟ ومن دفع
بقدميك الحيتين إلى أتربة الجحيم؟

34 أترى هذا الروحَ العاري المسلوخَ الذي
يركض في الدائرة أمامي؟... كان أعلى
مقاماً ومرتبةً في العالم الأرضي مما تظن.

37 حمل اسم غيدو غيدا وكان حفيدَ
غولدرادا الطيبةِ. حقق في
الحياة شهرةً عريضةً في المشورة والحرب.

40 والذي خلفي، يخبطُ في هذا الرمل
هو تغيايو الدوبراندي، فلابدّ أن
العالم سيسعى إلى فهم نصائحه.

43 أما أنا الذي أشاركهما العذاب
فاسمي في حياتي جاكوبو روستيكوتشي.
وأدين بهذا العذاب لزوجتي المتوحشة».

46 لو كانت لي حمايةٌ من النار المتساقطة
لرميتُ نفسي إلى السهل نحو الأسفل.
وأظنّ أستاذي يسمح لي بذلك،

49 ولكني كنت سأحترقُ وأُشوى.
وفجّر خوفي في صدري رغبةَ
أن أقفزَ وأعانقهم.

52 قلت: «ما يخالجني ليس احتقاراً، إنه

https://jadidpdf.com

رأفةٌ بحالتكم تتملك قلبي
كلما فكرت بعذابكم على هذا الشكل.

55 خنقَ الحزن كلامي عندما
أخطرني سيدي أن أناساً
أمثالَكُم قادمون إلي.

58 أنا من موطنكم، وطالما سمعت
وتأثرت بمجد اسمكم
وأعمالكم في حياتكم الأرضية.

61 أما أنا فبإرشاد سيدي أترك الثمرَ
المرَّ، وأبحثُ عن الثمر الطيب، بيد أني
مضطر الآن إلى أن أهبطَ إلى مركز الجحيم».

64 فأجابني: «أدعو بأن تبقى نفسك في
جسدك سنواتٍ وسنوات وأن تشرق
أيامُ حياتك مجداً من بعدك ـ

67 أخبرني: أما تزال اللياقةُ والشجاعةُ
ترفعان لواءهما في مدينتنا كما في القديم
أم أن المجدَ زال عن ديارها؟

70 فبورسيري، القادمُ حديثاً إلينا،
وهو في الأسفل مع رفاقنا يتعذب،
جاءنا بأخبارٍ آلمتنا وأزعجتنا».

73 «من ثروتك المفاجئة يا فلورنسا

https://jadidpdf.com

والرُّعاع المُحدَثين، ومن فسقكِ
وعجرفتكِ بكاءً تبكين وعذاباً تعانين».

76 هكذا صرختُ بوجهٍ مرفوع، فنظر
الرجال الثلاثة الذين على الرمل، كل
إلى الآخر، كمن عرفوا الحقيقة وفهموها.

79 قالوا بفم واحد: «إن كانت هذه طريقةُ كلامك
وإن كنت تُقنعُ الآخرين بهذه
السهولة، فإننا نحييك كرجل سعيد.

82 فإن عدتَ بالسلامة من هذا الطريق المظلم
وصعدتَ لترى سماء النجوم
وعندما يسرّكَ أن تقول «كنت»

85 تحدّثْ عنا إلى الأحياء». غادرونا
وكسروا محيطَ الدائرة، وغابوا في السهل
وبدت سيقانهم كأنها أجنحةٌ.

88 بين انطلاقهم واختفائهم في إفريز
الرمل، لاتستطيع أن تلفظ كلمة «آمين».
هنا طاب لأستاذنا أن يرتحل.

91 بعد أن سِرنا قليلاً شعرنا بهديرِ
الشلال قريباً منّا حتى أن
كلامنا كان يتلاشى بسرعة البرق.

94 وهذا هو النهرُ الأول على يسار

https://jadidpdf.com

أبينس يشق طريقه من مونت فيزو
حتى بحرِ الأدرياتيك. وعندما ينعطف

97 يُسمى أكواشينا من منبعه
حتى فورلي، ثم يُعرفُ
باقي مجراه باسم مونوتو،

100 فيتدفقُ صاخباً من الجبل في انحدار
واحد فوق سان بنيدتو في الألب
حيث يمكن أن يستوطنَ آلافُ البشر.

103 هكذا إلى أسفل، من ضفة منحدرة، في
تدفقٍ واحدٍ ضخم، يعلو هديرُ الماء صاخباً
حتى أنه كاد يُصِمُّنا.

106 كنت ألفُّ حولي حبلاً أشبهَ
بزنّار كنت أعتقد أني به
قد أُمسك الفهد الأرقط.

109 وعندما حللتُهُ، بناء على
طلب مرشدي، لففتُهُ
وسلمتُه له مطوياً.

112 تنحى بعيداً إلى اليمين، ورماه
بعيداً عن الحافة، فهوى مثل قوس
طويل في ظلمة هوةٍ لاقرارَ لها.

115 قلت في نفسي «ستقع حادثةٌ غيرُ

https://jadidpdf.com

عادية، فلا بد أن يتبع هذه الإشارةَ
شيءٌ ما قصد إليه مرشدي الطيب»

118 كم يجب أن يكون الرجل حذراً
قربَ أولئك الذين لايرون إلا ما نعمل.
لكن لدينا حساً يقرأ العقولَ المخبأة.

121 قال لي: «سوف ترى الآن من
أنتظر ظهوره، ويعتريك العجبُ
حالما تراه أمام ناظريك».

124 تجاه الحقيقة التي تبدو زائفة، فإن على
الإنسان الذي لايَدّعي كاذباً حين يتكلم
عن الواقعة، أن يطبق شفتيه قْدرَ ما يستطيع.

127 هنا لا أستطيعُ الصمت. أقسم أيها
القارئ بأشعار الكوميديا ـ إن أمكن
أن تظهر ـ أني

130 رأيت في الهواء القاتم شَبَحاً
سابحاً، شبحاً ولا كالأشباح
إنه فظيع، يدخل الرعب في كل قلب.

133 ومثلَ من يعود، وقد كان غائصاً
يحرِّرُ مرساةَ السفينة مما يعوقها
أو من صخرة أو من شيء غارق في البحر،

136 ظهر باسطاً جناحيه ضامّاً قدميه.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

106 الحبل ـ الزنار: تفسيرات عديدة قدمت لتعليل ظهور الزنار، الذي هو عبارة عن حبل يلفه دانتي حول خصره، كعادة الفرنسيسكان. والذي نرجحه أن الظهور المفاجئ للزنار اقتضه ضرورة السرد الفني، وليس كما قال دانتي لربط الفهد.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع عشر

الدائرة السابعة: الحلقة الثالثة المسيئون للفنّ ـ جيريون

الحكاية: يصل جيريون، تلبية لإشارة فرجيل، ويُدعى وحش الخديعة. وبينما كان فرجيل يتحدث مع جيريون حول الهبوط على ظهره وقطع الجرف، كان دانتي يطوف بين المرابين (المسيئون للفن) ومكانهم في الرمل الحارق القريب من الجرف. عُلّقت في رقابهم محافظ للدراهم، وعيونهم رغم البكاء الشديد، ورغم العذاب المرير ترنو دائماً إلى هذه المحافظ التي حملت شعار النبالة في العصور الوسطى. ثم يمتطي الشاعران جيريون ويهبطان من جحيم العنف والحيوانية إلى جحيم المُخادعين والماكرين.

1 «انظرْ إلى الوحش ذي الذيل غير الملتفّ
الذي يقطعُ الجبال ويحطّم السلاحَ والأسوار،
انظرْ إلى من يلوّث كل هذه الدنيا العريضة».

4 هكذا قال سيدي وأشار إليه أن
يقترب من اليابسة قرب نهاية
الممر، بعيداً عن المسقط.

7 اقتربَ هذا التجسيد الضخم القذر للخديعة
وجعل رأسَهُ وصدْرَهُ على حافة

https://jadidpdf.com

الجُرف المظلم، مبقياً ذيله مرفوعاً.

10 وجهُهُ بريء من أي قباحة،
وديعٌ في محياه وتعابيره
وتحتَ ذلك جسدٌ نصفه من الزواحف.

13 مخلباه مريعان كساهما الشعر حتى الإبطين
وارتسمت على قفاه وصدره وجانبيه
عُقدٌ براقة ودوائِرُ مصقولةٌ

16 لامثيلَ لها ولا على أي سجادة في الأرض
نسَجها التتر أو الأتراك، ولا
«أراخني» على نولها المزهر.

19 كما تستلقي السفينةُ في الميناء
نصفها على اليابسة ونصفٌ في الماء
أو كما يتأهب السمّورُ للعراك

22 في أرض الألمان المخمورين
هكذا الوحشُ تعلّق بالجرف
حيث زنّار من الأحجار يلفّ الرمل.

25 ذيله مشرَعٌ في الفضاء، وقد مدّ
شوكته التي تسلّح طرفه
وعقَفَها مثل حمّة العقرب.

28 قال مرشدي: «لابد أن يميل
دربُنا قليلاً، حتى نأخذَ سبيلنا

https://jadidpdf.com

إلى ذلك الوحش المضطجع هناك».

31 هبطنا يميناً وسرنا إلى الأمام
عشر خطوات صوب الحافة لتتسعَ
المسافةُ بيننا وبين الرمل الملتهب

34 وهكذا جئنا إليه، ولما وصلنا
المكان، رأيتُ جمهوراً في الطريق
يجلسون على الرمل، قرب الحافّة الفارغة.

37 توقف سيدي وقال «حتى تجمع
معرفةً عن هذه الحلقة اذهبْ واطلعْ
على حالة هذا الفريق.

40 لكن اختصرِ الحديثَ، وسأمكثُ
مع هذا الوحش حتى تعود
لأقنعَهُ بحملنا على ظهره القوي».

43 ابتعدتُ عن الحافة الخارجية
للدائرة السابعة وسرت وحيداً
حتى وصلتُ إلى الحزانى على الإفريز.

46 عيونهم بالحزن طافحة،
أيديهم المحروقة تحمي أجسادهم حيناً
من اللهب وحيناً من الرمل المحترق.

49 هكذا تفعل الكلاب في الصيف
حين تعضّها البراغيثُ والذبابُ

https://jadidpdf.com

والقِراد فتضرب بمخالبها هنا وهناك.

52 أمعنتُ في عدة وجوه منهم
والنار تلفحها، فما عرفت وجهاً
لكني لاحظت أنه

55 من كل رقبةٍ تدلت محفظةٌ ضخمةٌ
عليها صورة وحش، وشارةُ معطفٍ بأكمام
وقد اشرأبّت عيونهم إلى هذه المحفظات.

58 سرتُ محدّقاً فيهم فرأيت
محفظةٌ بلونٍ أزرقَ عليها شارة
أو صورة أسد.

61 وجُلْتُ النظر فرأيتُ واحداً يحمل
محفظة لونُها أحمرُ كالدم
عليها إوزّةٌ بيضاء أشدّ من خثارة اللبن.

64 وإلى جانبه جلس رجل وضع
شارة خنزيرةٍ زرقاء حاملاً
فصرخ في وجهي: «ما تفعل في هذه الهوة؟

67 اغربْ واعلمْ، ما دمت لم تمت بعد،
أن جاري فيتاليانو سوف يأتي هنا
ليجلسَ إلى جانبي الأيسر.

70 لقد راح الفلورنسيون يزعقون في أذني -
وأنا الذي من باذوَا أجلس بينهم -

https://jadidpdf.com

صائحين: أرسل لنا الفارس المخلص الذي لانظير له

73 الذي يحمل ثلاث عنزات في حقيبته».
وهنا فتح فمه وهو ينهض نصف نهضة،
وبتكشيرة كبيرة مدّ لسانه كثور يلعق خشمه.

76 وأنا الذي يخشى أن يغضب أستاذي
من أي تأخرٍ، وقد أوصاني بالاختصار،
تركتُ الأرواح المعذبة بلا تلكؤ.

79 عدتُ فوجدتُ مرشدي وقد امتطى
ردفَ ذلك الوحش. قال لي:
«عليك أن تكون شجاعاً

82 فهذا الوحش سيهبط بنا سلّم الهاوية
فاركبْ في المقدّمة، وأنا بينك
وبين الذيل، وإلّا تسمّمتَ به».

85 ومثل من تلبسته رعدة حمّى الربع
فتشحب أظفاره ويرتعد بدنه
لدى رؤية أي ظل ـ هكذا أنا

88 صرتُ أرتجف لدى كل كلمة مخيفة،
لكن تأنيبَهُ ملأني خجلاً، مما
جعل الخادم شجاعاً أمام معلمه.

91 امتطيت كتِفَي ذلك المخيف
وحاولت أن أقول: «ساعدني وأمسكني»

https://jadidpdf.com

لكن صوتي غارَ في حنجرتي فلم أستطع قولاً.

94 إلا أنه مراتٍ ومرات أسرع
إلى مساعدتي، فما أن جئت
حتى أركبني، وأمسكَ بي.

97 صرخ به: صرنا جاهزين يا جيريون
تذكر جيداً أن ثقلَهُ ثقلُ أحياءٍ
فاجعلْ التفافك أطولَ وطيرانك أثبتَ».

100 وكما تنزلق السفينة من مكانها
في الشاطئ إلى الخلف، كذلك انزلق
الوحش عن الحافة، ولما أحسّ أنه طليق

103 عكف ذيله وراح يحركه
بانسيابٍ مثل الحنكليس ويجمع
بمخالبه الهواءَ، وأنا أزداد شحوباً.

106 لم يكن الخوفُ الكبيرُ يوم
أطلق فيثون الأعنّةَ واشتعلتْ
السماءُ على حافة درب التبّانة

109 ولا عندما اقترب إيكاروس من الشمس
فذاب الشمع عنه وسقط الريش
وسمع أباه يصرخ «ارجعْ، ارجعْ».

112 أشدّ من خوفي وأنا في الهواء
معلّقٌ في الفضاء، فلا شيء أراه

https://jadidpdf.com

سوى الوحش الضخم الذي يحملني.

115 بطيئاً بطيئاً يسبحُ في الفضاء،
يدور ويهبِطُ لكني لاأشعر به
إلا عندما تصفع الريح وجهي.

118 على يميني سمعتُ هديرَ
شلال. تطلعت إلى أسفل
فأحنيتُ رأسي وحدّقت في الجحيم.

121 ارتعدتُ عندما تصورت نفسي أترجلُ،
ودبّ الخوف إذ رأيت النيرانَ
من كل صوب، وسمعت النواحَ الأبدي.

124 ثم رأيت ببصيرتي لاباصرتي
المجرى اللولبي الهابط إلى كل العذابات
التي تحيط بنا من كل جوانب الهوة.

127 وكما يهبط الصقرُ الذي طال تحليقُهُ
وإن لم يجد طيراً أو ما يشبه الطير
فيصرخُ الصقّار «إنه يهوي»

130 ثم ينعطفُ ويلفّ مئةَ دورة
مبتعداً عن صرخة سيده
مقطّباً تملؤه الكبرياء،

133 هكذا إلى القاع الملتهب بالنار الأبدية
لفّ الوحشُ جيريون وهبط ليضعنا

https://jadidpdf.com

عند سفح هاوية صخرةٍ في الرفّ الثامن.

136 وما إن تخلص من حمله حتى انطلق كالسهم.

الرموز والصور:

جيريون: في الأسطورة اليونانية كان حيواناً ضارياً بثلاثة رؤوس، قضى عليه هرقل. وقيل إنه كان عملاقاً ضخماً وكان ملكاً على إسبانيا. وكانت لديه رغبة في أن يغوي الناس إلى قصره ويقتلهم... والصورة التي يقدمها سفر الرؤيا لاتختلف كثيراً عن صورة جيريون (9: 9 ـ 20).

والأرجح أن يكون دانتي قد استفاد من كل هذه الصور وجمعها في رمز واحد للخديعة. والدليل على ذلك أنه جمع النسق الثلاثي في جيريون: الإنسان والحيوان والزواحف. لكن استخدامه بهذه الطريقة في النقل ليس له أي مدلول على الخديعة، فقد كان مطية ذلولاً ولم يبدر منه أي شيء.

الملاحظات:

17 ـ التتر والأتراك: كانوا أمهر نسجة السجاد أيام دانتي.

18 ـ أراخني: أعظم ناسجة أسطورية، غارت منها منيرفا فحولتها إلى عنكبوت.

22 ـ أرض الألمان المخمورين: شاع عن الألمان في العصور الوسطى أنهم يحبون المسكرات.

68 ـ فيتاليانو: رجل من بادوا أيضاً، وليس من فلورنسا.

72 ـ الفارس المخلص الذي يحمل ثلاث عنزات... يقصد المسيح.

107 ـ فيثون: ابن أبولو. طلب من أبيه قيادة مركبة السماء ليوم واحد، فأفلت منه زمام القيادة، وكادت تحدث كارثة لولا تدخل زيوس.

https://jadidpdf.com

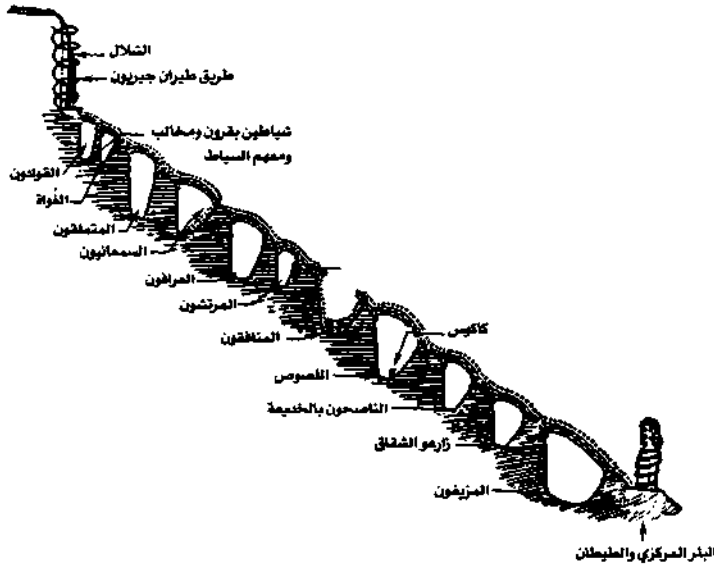

الجحيم الأسفل

https://jadidpdf.com

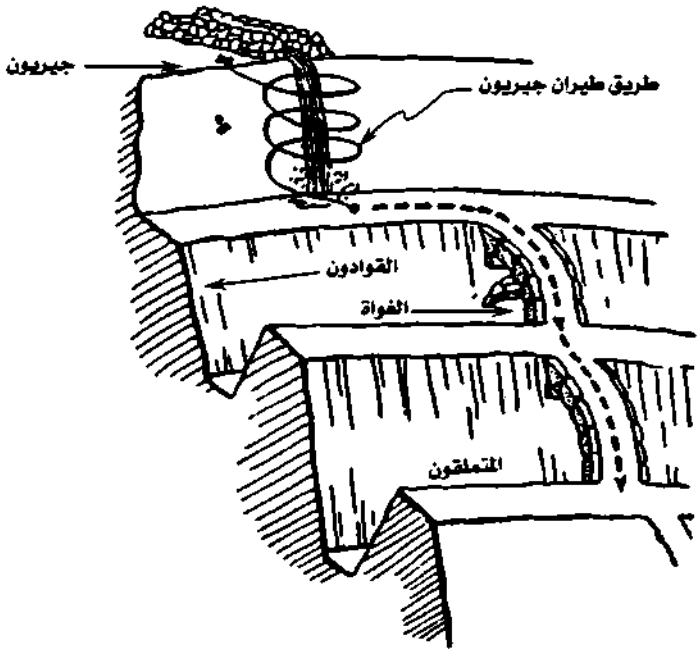

طريق جيريون

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن عشر

الدائرة الثامنة (المالبولجي)	المخادعون والخبثاء
الخندق الأول	القوّادون والغُواة
الخندق الثاني	المتملقون

الحكاية: يدخل الشاعران الدائرة الثامنة، وتسمى المالبولجي، أي الوهدات، أو الحفر المخصصة للأشرار. وهذا هو النصف الأعلى من جحيم المخادعين والخبثاء، وتكون الجرائم أخف من الطبقات السفلى. يطوف الشاعران حافة الخندق الأول وفيه يركض القوادون والغواة في اتجاهين متعاكسين. يرى دانتي أعلاماً مشهورة في الخندق الأول كجاسون وتاييس.

1 في الجحيم أرض منحدرة تدعى
مالبولجي، وهو مكان صخري
أسودُ مثلُ الجرفِ الذي يحيط به.

4 في مركز هذا المكان تماماً
يقوم بئرٌ فاغرُ الشدقِ، عريض
عميق، سيأتي وصفُهُ في مكانه.

7 والحدّ الباقي بين حفرة البئر

https://jadidpdf.com

والجرف الكبير، يشكل دائرة ضخمة
حُفِرت فيها عشرةُ أجران،

10 بالضبط كما يرى المرء تلك
الأرضَ المحفورة المحيطةَ بالقلاع القديمة
التي تحيط الخنادقُ بأسوارها

13 عدّةَ مرات. وكما تمتد جسور القلعة
من خندق إلى خندق حتى الضفة
الأخيرة، كذلك من السور الصخري

16 الكبير وعبر الأرصفة والحفر تمتد
الانجرافاتُ حتى مركز البئر الذي
يقطع إفريزَه الممراتِ ثم يجمعها،

19 وعندما أنزلنا جيريون من على ظهره
أنزلنا في هذا المكان القاتم الذي نحن فيه.
انعطفَ مرشدي إلى اليسار فتبعته.

22 وهناك على يميني امتلأتِ الحفرة الأولى
من كل جوانبها، بنفوسٍ جديدة
وعذابات جديدة، وشياطينَ جديدة.

25 في القاع خُطاةٌ عُراةٌ يواجهوننا
ومن الوسط يتجهون إلينا كذلك،
ومن الجهة الأخرى، لكن خطواتهم أسرع.

28 وكما يصطفُّ الرومان على

https://jadidpdf.com

الجسر، في اليوبيل السنوي
لتنظيم عبور الحشود،

31 هكذا هنا فكلهم يتجهون إلى القلعة.
من جانبٍ يسيرون صوبَ القديس بطرس،
ومن الجانب الآخر صوبَ القديس جيوردانو.

34 وعلى طول الممر المريع رأيت
شياطينَ بقرون تمسك سياطاً وتمشي
بين النفوس تسوطُها على الظهور.

37 أواه كيف المتخلّفون في الصف الطويل
يسرعون السيرَ بسيقانهم لدى أول
سوطة، فلا ينتظرون الثانية أو الثالثة.

40 كنّا بينهم، فرأيتُ وجهاً في الركب
فقلت: «ذلك الخاطئ هنا. ليست
المرة الأولى التي أرى فيها هذا الوجه».

43 وقفتُ للتعرف عليه، وانتظرني
مرشدي، بل سَمَح لي أن أرجعَ
بضعَ خطوات إلى جانب ذلك الخاطئ.

46 رآني ذلك المسوطُ أنعطفُ
فخبّأ وجهه، ولكني ناديتُهُ
«أنت يا من تسير مطرقَ الرأس خافضَ البصر

49 إن كانت ملامحكَ غيرُ مشوّهة

https://jadidpdf.com

فأنت فنديكو كاشانمكو من بولونيا:
ما الذي جاء بك إلى هذا الفريق؟».

52 أجاب: «بلا نفسٍ أحدّثك، لكن
شيئاً في صوتك الحي، الذي ذكّرني
بالعالم، اضطرني إلى الكلام.

55 أنا الذي أحضرتُ غيزولا الجميلةِ
نزولاً عند رغبة المركيز ليتمتعَ بها،
وإن قيل عن الحكاية بأنها قذرة.

58 هناك الكثير من بولونيا ينوحون
في هذه الحفرة، فنحن نملؤها
حتى إنه لاتوجد ألسنةٌ كثيرةٌ تتعلم أن

61 تقول «سيا» في كل الأرض الممتدة
بين رينو وسافينو، كما تعرف من
القصَصِ الكثيرة حول بخلِنا وحقدِنا».

64 وحالما تكلّم سقطتْ على ظهره ضربةٌ
من سوط، وصاح شيطان: «تحرّكْ
أيها القوّادُ، لانساءَ هنا للبيع».

67 فهُرِع إلى رفاقه، وعدت إلى
مرشدي، وبعد خطوات وصلنا
جسراً عالياً يمر إلى الجانب الآخر.

70 تسلقناه بسهولة وانعطفنا يميناً

https://jadidpdf.com

عبرَ الحافة الوعرة، وخلّفنا وراءنا
الالتفافاتِ الأبديةَ لتلك الأرواح.

73 وعندما وصلنا القسم الصخري
الذي فيه نفقٌ يؤدي إلى قسم المَسُوطين
قال مرشدي: «تمهلْ وانظر أسفل

76 إلى أولئك الأشباحِ الملفوظين
إنك لاترى وجوههم لأنهم
يسيرون بالاتجاه الذي نسير».

79 ومن الجسر نظرنا إلى الحشد
الراكض باتجاهنا من الطرف الآخر
هنا أيضاً تلاحقهم السياط.

82 قال سيدي الطيّبُ وهو ينظر فيهم:
«انظرْ إلى هذا العظيم الذي يمشي
ولايريقُ دمعة رغم كل العذاب.

85 أيُّ ملوكية احتفظ بها حتى وهو في الجحيم،
إنه جاسون، الذي بشجاعته، وبالتضحية
المخلصة هرب بكبش الكولخيين الذهبي.

88 ومرَّ فيما بعد بجزيرة لمنوس، حيث
حرّضتْ فينوس النساء ألا يضاجعن
أزواجهن، بل أن يذبحْنَهم.

91 وبلسانه المعسول وخداع

https://jadidpdf.com

العاشقِ اللئيم، أغوى هبسبيلي
التي أغوَتْ، في المذبحة، بقية النساء.

94 وهناك تركها حبلى مهجورةً،
هذا الإثمُ جلب له هذا العقاب
وبذلك استوفَتْ ميديا انتقامها.

97 الغواة كلُّهم هنا يُساطون،
ولن نقول المزيد عن هذا الوادي
وعن أولئك المحشورين في جوفه الصخري».

100 وصلنا إلى حيث يتقاطع الممشى
مع الضَّفة الثانية، التي يصعد منها
قوسٌ آخر يتقنطرُ من صخرة إلى أخرى.

103 هنا سمعنا حشداً في الوهدة التالية
يُغوِلون عالياً ويشخرون ويضربون
أنفسهم بأيديهم، ويبصقون.

106 وامتلأتِ الجوانبُ بالزبد الذي
ينفثُهُ البخارُ المتعفّنُ ويلتصق بها
فيخرّشُ الأعينَ ويزكمُ الأنوف.

109 عميقاً كان الخندق، فلا
يمتد النظر إلى قاعه إلا إذا
تسلقنا قمةَ القوسِ الصخري.

112 نظرت من هناك فرأيتُ صفوفاً

https://jadidpdf.com

من الناس في نهر من الغائط،
يبدو أنه من فضلات البشر.

115 كنت أسبُرُ القاع، فلمحتُ رأساً
لا أدري أهو رأسُ كاهنٍ أو رأسُ علماني
غطّته القذارة وأثقلته.

118 راح يصيحُ: «لماذا تحدق بي
أكثَرَ من الآخرين؟» فأجبتُ:
«إذا كانت ذاكرتي

121 تُسعِفُني فإني أعرفك، ولكن بشعر جاف.
ألستَ أليسيو إنترمينلي دا لوكا؟
وهذا هو سببُ تحديقي بك دون الآخرين».

124 عندها ضرب رأسه الريفيَّ وقال:
«أنزلني إلى هؤلاء الموتى
التمَلُّق الذي كنت أبيعه للأحياء».

127 قال مرشدي: «انحنِ إلى الأمام قليلاً
وانظرْ هناك خلفه ـ هل ترى
هناك تلك المرأة

130 التي تخدش نفسها بأظافرها
القذرة، وبالتناوب
تنتصب وتغوصُ في البرْكةِ؟

133 إنها العاهرةُ تاييس التي قالت

https://jadidpdf.com

لعشيقها، الذي أرسل يسألها «هل تشكرينني جداً؟»، «جداً؟ لا بل فوق كل تصوّر».

136 وأظن يكفي أن ننظرَ في هذه الهوة.

الملاحظات:

22 ـ على يميني: بعد نزول الشاعرين من على ظهر جيريون سارا يساراً ثم انعطفا إلى اليمين، وفي كلتا الحالتين تكون الحفرة الأولى إلى يمينهما.

29 ـ اليوبيل السنوي: أقام البابا يوبيلاً في العام 1300 وقد انتظم الناس في صفّين، أحدهما يذهب يميناً والآخر يساراً. وعلى الرغم من الحشود الغفيرة، انتظم اليوبيل، وسهّلَ حركة السير انتقالُ أعداد ضخمة من مكان إلى مكان.

50 ـ فنديكو كاشانمكو: نبيل بولوني. حتى يكسب عطف المركيز أوبيزو دا أستي فيرارا، قاد له أخته غيزولا الملقبة بـ «الجميلة».

61 ـ سيا: معناها «نعم» والأرض الممتدة بين رينو وسافينو هي بولونيا. والمقصود أن بولونيا كلها قوّادون وغواة، فدائماً «نعم» على لسانهم.

86 ـ جاسون: قائد بحارة الأرغو، وصاحب المغامرات الكبرى، والمستولي على الجزة الذهبية بمعونة ميديا.

88 ـ عندما قتلت نساء لمنوس كل رجال الجزيرة، أنقذت هبسبيلي أباها بخدعة. لكنها عندما مر الأرغونيون بجزيرتها أغواها جاسون ثم هجرها.

122 ـ دا لوكا: من عائلة نبيلة. كل ما يُعرف عنه أنه كان مايزال حياً عام 1295.

133 ـ جواب تاييس هنا لا يخص مومس أثينا الشهيرة تاييس، بل جاء على لسان تاييس في مسرحية «الخصي» لتيرنس، ونقله دانتي ليدل على الإغواء الذي فيه.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع عشر

الدائرة الثامنة: الخندق الثالث السمعانيون

الحكاية: يصل دانتي إلى خندق السمعانين. يعتبرهم مفسدين لكل الأشياء التي خلقها الله. تحيط بالخندق ثقوب يوضع فيها الخطاة مقلوبين رأساً على عقب، والنار تحرق أقدامهم. والثقوب التي يحشر فيها الخطاة أخذها دانتي من أجران المعمودية التي شاعت في مدن الشمال الايطالي. ويوضع الخطاة في هذه الأجران مؤقتاً إذ عندما يأتي خطاة جدد، يسيل الخطاة القدامى من ثقوب القاع.

بما أن العقابَ من جنس الخطيئة، فإن عقاب السمعانيين يكون بعكس ما يعتقدون. مثلاً كانوا يسخرون من زيت الخلاص الذي يمسح به المحتَضَر، لذلك يُعذبون بالزيت الناري... كانوا يسخرون من ماء المعمودية المقدس، فعُمِّدوا هنا بشواظ من نار... وهكذا.

يقول البابا نيكولا الثاني، إنه على يقين من أن خليفتيه في هذا المنصِب سيلاقيان المصيرَ ذاته، وسيذوقان المعمودية الجهنّمية.

1 سمعانُ أيها الساحر، وأنتم يا أتباعَهُ
البؤساء، بالذهب والفضة بغْتُمْ
نِعمَ الله التي يجب أن تكرّسَ

4 للحب والحق، أيها اللصوصُ المأجورون
الآن يجب أن يصدحَ بوقُ القيامة لإدانتكم

https://jadidpdf.com

هنا في الوهدة الناريّة الثالثة.

7 كنا اتخذنا طريقنا إلى الخندق
الثالث، إلى ذلك الجزء من
الجسرِ المقنطرِ وسط الوهدة.

10 أيتها الحكمة العليا، كم يشرق فنّك
في السماء، وعلى الأرض وفي
عالم الشرّ ما أعدلَ حكمكِ القوي.

13 رأيت في الجدران وفي الأرض صفّاً
طويلاً من الثقوب المحفورة في الصخر
كلُّها بحجمٍ واحد واستدارةٍ واحدة.

16 إن حجمَها هو نفسه حجمُ الثقوب
في جرن معمودية شفيعي القديس يوحنا
الذي أُقيم ليعمّدَ فيه الكهنةُ.

19 (حُطّم أحدُ هذه الثقوب منذ
أمدٍ قريب لإنقاذ صبي سقطَ وغاص.
وهذا يكفي لإقناع الناس).

22 من فُوَّهة كل ثقبٍ امتدتْ سيقانُ
الخطاة حتى الكعب، لكن باقي
الجسد كان كله داخلَ الحفرة.

25 أخامصُ الأقدام في النارِ كانت،
فتهتز المفاصلُ للضربات القوية حتى

https://jadidpdf.com

لتقطع حبالاً جُدلت من كتّان وصفصاف.

28 وكما تنتشرُ النار في مادة زيتية
على سطحها الخارجي فقط، كذلك
انتشرتْ هنا في الأعقابِ حتى الأصابع.

31 قلت: «سيدي منذا الذي في النار
يتلوّى ويتقلص أكثرَ من الآخرين؟
إن لهيبَهُ يشرئبُّ أعلى فأعلى».

34 فأجاب: «إذا رغبتَ أن أنقلك
إلى الضفة الأدنى، فسوف تعرف منه
من هو، وأي خطيئة اقترف».

37 قلت: «رغبتكَ هي رغبتي فأنت سيدي
وتعرف إنني لاشيءَ إذا ابتعدتُ عنك
وتعرف ما تدل عليه كلماتي».

40 سِرنا إلى الجسر الرابع. انعطفَ
سيدي إلى اليمين وهبطَ في ممر
ضيّقٍ في منحدر متدرج ومثقب.

43 وهكذا حملني سيّدي الطيّب إلى المنحدر
الصخري ولم ينزلني حتى أتينا
رجلاً انصبَّ العذابُ على ساقيه.

46 بدأت: «أيها الروحُ الحزين أنت
أيها المقلوبُ رأساً على عقب

https://jadidpdf.com

والمزروعُ كالخازوق ـ كلّمني إن استطعت».

49 وقفت منحنياً كالراهب الأخوي الذي يقدّم
القربان المقدس لمجرم محكوم بالزرع
يناديه ليؤخر موته لحظة.

52 «أأنت هنا يابونيفانسي؟
هل تقف هناك؟ معنى ذلك أن
كرّاسَ التنجيم كذّب عليّ بسنوات كثيرة.

55 هل أشبعَكَ الكنزُ الذي من
أجله اندفعتَ، فخنتَ ثم اغتصبْتَ
التي كانت الأجملَ بين النساء؟».

58 وقفت كفاغرِ الثغر المندهش
يسمعُ كلاماً ولا يفهم معنى،
فلا يستطيع الردَّ على هذه السخرية.

61 قال فرجيل: «قل له: لست هو،
أنا لستُ من تفكر فيه» فقلت
له ما قاله سيدي لي.

64 حرك الخاطئُ قدميه بجنون
ثم رفع صوتاً تخنقُه التنهدات
والدموع. قال: «إذن ماذا تريد؟

67 أمن أجل معرفتي قطعتَ
كل هذه التخومِ؟ إذنْ فاعلمْ أني

https://jadidpdf.com

أحد الذين خُلعت عليهم البردةُ العظيمة

70 والحق أني كنت ابنَ الدبة.
كنت حريصاً أن تتقدم جرائي،
فاكتنزْتُ الثروة في الأعلى، ووجدت نفسي هنا.

73 وتحت رأسي سأرمي كلَّ هؤلاء
الذين سبقوني في السمعانية،
إنهم يجتمعون الآن في الفجواتِ الصخرية.

76 وأنا أيضاً سأهبطُ إلى الأسفل
عندما يأتي ذاك الذي يحلُّ محلي
الذي اعتقدت للوهلة الأولى أنك هو،

79 لكني زُرِعت في هذا السرير بقدمي
المحترقتين مقلوباً رأساً على عقب أطولَ
مِمّنْ سيقف على رأسه بقدمين ملتهبتين.

82 بعده سوف يأتي من الغرب
راعٍ لاقانونَ له، بأعمال أشنعَ،
فيغطّي علي ويغطّي عليه.

85 سيكون جاسون آخر، كما قرأنا
قِصّته في سفر المكابيين، وكما ينحني
له ملكُهُ، كذلك ينحني ملكُ فرنسا مثل قصبة».

88 لا أدري إن كنتُ جريئاً،
لكني أجبته حالما أنهى كلامه:

https://jadidpdf.com

«قل لي الآن كم من كنوز الذهب

91 طلب المعلمُ من بطرسَ ضمانةً
قبل أن يعطيَهُ مفاتيحَ السماء؟
لاشك أنه لم يطلب سوى «اتبعْني».

94 ولم يطلب بطرسُ وبقيّةُ الرسل
ذهباً أو فضة من متّى عندما اختاروه
ليحل محل الذي باعَ المعلمَ.

97 لذلك ابق كما أنت، فهذا الجُحْرُ
يليقُ بك ـ واقعدْ حارساً للثروة المريبة
التي جعلتكَ تتجرأُ على الملك شارل.

100 ولولا أني مازلت أكنُّ
الاحترامَ للمفاتيح العظيمة، التي
حملتَها في حياتك، لما أحجمتُ

103 عن استخدام كلماتٍ أشدّ مرارة،
لأن جشعَك آلم العالم،
فأحزنَ الأحرار، وأبهجَ الأشرار.

106 وفي الرؤيا الإنجيلية، شاهَدَ مثلك
يوحنا، عندما رأى تلك التي على المياه
تجلسُ، وملوكَ الأرض تضاجع.

109 ولدتْ بسبعة رؤوس، وعشرة
قرونٍ ضخمة، وكانت تفرح بالعشق

https://jadidpdf.com

مثلما يفرح زوجُها بالفضيلة.

112 عبدْتَ آلهةً من الذهب والفضة،
فما الفرق بينك وبين الوثني، سوى أنه
يعبُدُ إلهاً، وأنت تعبد آلهة؟

115 آه يا قسطنطينُ، أيَّ شرّ فعلت
ـ لا باعتناق المسيحية ـ بل بمنح «الآب»
هِبةً عظيمة».

118 وإذْ كنت أترنم بهذه الأبيات، طفِقَ
يهزّ قدميه بوحشية، إما لأنه
انفجر غيظاً، أو لأنه شُحِنَ غضباً.

121 أظن أن مرشدي كان مسروراً:
لأنه وهو يقف بجانبي كان
يستحسن كل كلمة حق نطقتُها.

124 مشى إليّ وعانقني بذراعيه وحملني.
وعندما ضمّني إلى صدره،
صعد بي الممر الصخري خارج الوادي.

127 لم يشعرْ بتعبٍ وهو يحملني
إلى أن وصلنا قمة القنطرة
التي تربط الإفريز الرابع بالخامس.

130 من هوّة الأحزان وصلنا الجسرَ
وأنزل عن صدره الحمل الثقيل،

https://jadidpdf.com

الذي حمله بمسرّةٍ على هذا المعبر.

133 وهنا نظرت فرأيتُ خندقاً آخر.

الملاحظات:

1 ـ سمعان الساحر: راجع أعمال الرسل 8: 9 ـ 24

12 ـ عالم الشر: الجحيم.

17 ـ جرن المعمودية...: كان في كنيسة القديس يوحنا في فلورنسا وفيه عُمِّد دانتي.

50 ـ محكوم بالزرع: كان المجرم إذا حكم بالاعدام يُزرع كالنبتة ويُترك ليموت.

54 ـ كراس التنجيم: كان البابا ـ مثل كثيرين ـ يتعاطى التنجيم، وهو من الأعمال السمعانية.

69 ـ البردة: ثوب يلقى على البابا بعد تتويجه.

70 ـ ابن الدبّة: كان من أسرة أورسيني. وأورسا بالايطالية تعني دبة.

86 ـ سفر المكابيين: (2 المكابيين 4: 7).

96 ـ الذي باع المعلم: هو يهوذا الإسخريوطي، وقد اجتمع التلاميذ وانتخبوا متّى ليحل محل يهوذا (انظر أعمال الرسل ـ 13 ـ 26).

106 ـ الرؤيا الإنجيلية: رؤيا يوحنا 17 .

115 ـ قسطنطين: يُظهر دانتي سخطه على قسطنطين، لأنه دعم بابوية الوحدانية المسيحية مادياً مما جعلها تقوى وتبسط سلطة استبدادية مقتدرة.

https://jadidpdf.com

النشيد العشرون

الدائرة الثامنة: الخندق الرابع — العرافون

الحكاية: في الخندق الرابع يقبع العرّافون الذين تخصصوا بقراءة المستقبل، وهو ما تحرمه الوحدانية المسيحية لأنه يخالف تصورها، وهذا شأن كل وحدانية في العالم. ومثلما رفضت أي عجائبية سوى عجائبيتها، كذلك رفضت أي تصور للمستقبل غير تصورها. ومع أن دانتي وضع العرّافين في الجحيم، في المكان الذي يرضي الوحدانية المسيحية، إلا أنه شعر بالشفقة عليهم، مثلما شعر تجاه كثير من الخطاة. عقاب العرّافين هو أن أعناقهم انفتلت وصارت وجوههم إلى الوراء، مما اضطرهم إلى السير خلفاً. دانتي يستعرض بعض العرافين، وفرجيل يحدثنا عن أصل مدينته مانتوا. والرؤوس المنفتلة خلفاً إشارة إلى أن العرافين لايدركون شيئاً عن المستقبل.

1 عليّ الآن أن أشدو بآلامٍ جديدة
وأن ينسابَ شِعري ليملأ النشيد العشرين
من كتاب «الجحيم» كتابِ الأرواح المعذبة.

4 الرؤية مكشوفةٌ، بوضوح أراها
حتى أعماقها: هوّةٌ مهجورة تستحم
بدموع الحزانى المُعَذّبين،

https://jadidpdf.com

7 الذين يطوفون حول دائرة الهوّة بخطوات
كخطوات المواكب الابتهالية البطيئة.
يدورون ويدورون بنحيب صامت.

10 عندما نظرتُ في وجوههم
رأيت تشوّهاً فظيعاً أصاب كلاً منهم
بين قمة الصدر وتحت الذقن، لأن

13 الوجهَ انفتلَ على الرقبة، حيث يحدقون
خلفاً ناحية الأكفال، إذ من
المحظور عليهم أن ينظروا إلى الأمام.

16 قد يصابُ إنسان بفالج مفاجئ
فيشوّهه مِثلَهم، لكني ما عرفتُ
ولا رأيت مثل هذا التشويه.

19 فيا قارئي أعانك الله على
فهم قصيدتي، والاستفادة منها،
قلْ لي بربك كيف أمسكُ الدمع

22 وأمامي صورةُ إنسانيتنا
وقد تشوّهت، حتى أن دموعهم
تساقطت حزناً على أردافهم.

25 بكيتُ. استندتُ إلى وجه صخرة
وبكيت، حتى قال مرشدي:
«أما تزالَ كالآخرين؟ لامكانَ

https://jadidpdf.com

28 للشفقة هنا، هل هناك
أبأسُ وأتعسُ من ذاك الذي
يعترض ويحزن على ما حكم الله؟

31 ارفعْ بصرك وانظرْ إلى من
ابتلعته الأرض على مرأى أهلِ طيبةَ
الذين صاحوا به: «إلى أين

34 يا أمفياروس؟ لِمَ تتركَ ميدانَ
القتال؟» لكنه ذهب في الأرض الفاغرة
حتى وصل إلى مينوس قاضي الخطاة.

37 انظرْ كيف صار صدره ظهراً،
أراد في الحياة أن يرى بعيداً
وهو الآن كالسرطان يمشي خلفاً.

40 انظر تريسياس الذي نجح بفنه
في تغيير نفسه من رجل إلى امرأة،
فحوّلَ أطرافه وكلَّ جوارح جسده،

43 فكان عليه فيما بعد أن يضرب
مرة ثانية بعصاه السحرية أفعوانين ملتفّين
ليستردَّ جسدَه الرجولي.

46 وذلك أرونس، ظهرُهُ إلى البطن
جعل عرينَهُ كهفاً من مرمرٍ أبيضَ
في جبال لوني التي يحرثها

https://jadidpdf.com

49 أبناءُ وادي كارارا، فهناك
بلا عائق كان يراقب البحرَ
والكواكبَ الدوارة عاماً بعد عام.

52 وانظرْ تلك التي تحل شعرها خلفاً لتغطّي
نهديها ـ اللذين لاتراهما ـ ويغطي
جانبَها الآخر جلدُها الشعراني.

55 هي مانتو التي طافت البلدان، قاصيها
ودانيها، ثم استقرّتْ حيث ولدْتُ
وبهذا الصدد هناك قصة أريد أن تسمعها:

58 بعد موت والدها تريسياس،
دُمّرتْ طيبة، مدينةَ باخوس،
فهامتْ في الأرض سنواتٍ طويلة.

61 وبعيداً في إيطاليا الجميلة، تحت
الألب الذي يغلقُ بوابةَ ألمانيا التيرولية
تقع بحيرةٌ تُعرف باسم بيناكوس

64 ومن مساقط أكثرِ من ألفِ نبعٍ ونبع
تغذّي المياهُ الساقطةُ منطقةَ الإبنين
من بركة غاردا حتى وادي كامونيكا

67 وتصبّ في تلك البركة. وفي وسطها
مكان باركه كل من مطارنة بريشا
وترنتين وفيرونا أثناء مرورهم.

https://jadidpdf.com

70 بسيكيرا، القلعةُ الجميلةُ الصامدة
في وجه البريشيين والبرغاميين،
تقع في أخفضِ نقطة على الساحل.

73 المياهُ التي تفيض من حضن بيناكوس
تشكل نهراً تدفعه الريح
عبر المراعي الخضراء والذهبية.

76 وعندما تتجمع المياه كلّها، تسمى
منشوس، وليس بيناكوس، من تجمعها
وحتى غوفرنو، حيث تلتقي بنهر البو،

79 وقرب منبعه يمتد سهل، فيبطئ
وينتشر فيه مشكّلاً مستنقعاً قديماً
تُلوّثُ أبخرتُه الهواءَ في الصيف الحار.

82 مرّت العذراءُ المخيفة بالمصادفة
من هناك فرأت وسطَ المستنقع
أرضاً غير محروثة ولامسكونة.

85 وحتى لاتكونَ على صلة بالبشر
استقرتْ مع رجال فنونها وعاشت
هناك، وهناك خَلَّفَت جثمانها

88 الخاوي. وتجمع الرجال المبعثرون
الذين يعيشون في الجوار بتلك المنطقة
التي يحميها الخندقُ جيداً.

https://jadidpdf.com

91 وعلى هذه العظام البيضاء أقاموا
المدينةَ، وسمُّوها باسمِ تلك التي
اختارتها قبل غيرِها ـ مانتوا.

94 كثيرٌ من السكان استوطَنها قبل
أن يدعَ جنونُ كاسالودي
بيناموننتي يُشهرُ سيفَه بغباء.

97 كذلك أقول لك: لاتصدقْ ما يقال
عن مدينتي، ولاتجعلِ التزييفَ
يشوِّش حقيقةً ما قلتُ لك».

100 أجبتُ: «في القلب احفظْ ما قلت
وكلُّ ما عدا ذلك لايعدو مجموعةَ
فحمٍ لاجذوةَ فيها.

103 ولكن أخبرْني عن أولئك الذين
يريدون أن ينضموا إلى البقيَّة.
أيستحقون الحديث؟ إنهم يشغلون بالي».

106 قال: «ذاك صاحب اللحيةِ على
كتفيه كأنها الجِزَّةُ، كان عرافاً أيام
لم يبقَ في اليونان إلا بضعةُ ذكور،

109 فحتى المهودُ خلت من الأبناء،
هو الذي أشار بقطعِ الحبل في أوليس
وانضمَّ إليه في هذه النبوءة كالخاس.

https://jadidpdf.com

112 إنه أوربيلوس. لقد جئتُ على ذكره
في موضع ما من ملحمتي. وأنت ـ الذي تعرف كل
المواضع ـ لاشك تعرفه.

115 الآخر الذي بجانبه، المهزول الجسمِ، هو
ميخائيل سكوت، الذي يُتقن كل خديعة
سحرية. إنه أميرُ المُشعوذين.

118 وانظرْ غيدو بوناتي هناك، وأسدينتي
الذي تمنى الآن لو ظل إسكافياً.
الندمُ يأكله، لكن بعد فوات الأوان.

121 وانظرْ هناك النساءَ الساحراتُ
اللواتي تركن المغزلَ والخياطةَ ورحنَ يتنبأْنَ
ويقرأن التعويذاتِ على الهشيم والدمى والخِرق.

124 تعالْ: هو ذا قائين بأشواكه يظهر
على موجة تحت إشبيليا، وفوق
تخم نِصفَي الكرة الأرضية.

127 كان القمرُ بدراً في الليلة السابقة
ولم يؤذكَ في الغابة المظلمة حين
أنار طريقكَ قبيلَ الفجر».

130 كان مرشدي يتحدثُ، ونحن نتابع الرحلة.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

3 ـ من كتاب الجحيم: أي من الجزء الأول. الآخران هما المطهر والفردوس.

8 ـ المواكب الابتهالية: تقام في مناسبات الحزن، وتكون بطيئة الحركة.

22 ـ صورة إنسانيتنا: يعتقد دانتي أنه لايوجد مسوّغ لتشويه الصورة الإنسانية.

24 ـ تساقطت حزناً على أردافهم: علينا أن نتذكر أن الوجوه انفتلت نحو ظهورهم، فالدمع يسقط على الأرداف مباشرة.

29 ـ أبأس وأتعس: يمكن أن نأخذ هذا الكلام بعدة معان: ربما قصد أن المُعَذب في الجحيم يجب ألّا ينوح لأنه ينفذ قضاء الله. وربما قصد أن الذي يرى أهل الجحيم يجب ألا يشفق عليهم، لأن قضاء الله حق. وربما قصد أن البكاء على المعذبين اعتراض على العدالة الإلهية.

34 ـ أمفياروس: أحد السبعة ضد طيبة. تنبأ بمصرعه. أثناء الحرب حدثت هزة وانشقت الأرض وبلعته.

40 ـ تريسياس: عراف طيبة الشهير. يقال إنه رأى أفعوانين ملتفين فقتلهما بعصاه السحرية فتحول إلى امرأة، وطفق يبحث عن أفعوانين ملتفين ليقتلهما كي يعود رجلاً وقد فعل.

55 ـ مانتو: أو العذراء المتوحشة: هي مانتو ابنة تريسياس.

124 ـ كان هناك اعتقاد أن قائين يعيش في القمر ويحمل كومة أشواك على ظهره ويهيم على وجهه تنفيذاً لحكم الله. وحين يصير القمر بدراً يكون مقابل نصفي الكرة الأرضية. وكانوا يظنون أن هذا التخم يمر من إسبانيا، لذلك انعكست صورة قائين على موجة قرب شاطئ إشبيليا.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق الخامس المُرتشون

الحكاية: يرى دانتي في الخندق الخامس المرتشين. وعلى حوافّ الخندق وقف الشياطين بخطاطيفهم يشرفون على تعذيبهم، فلا يسمحون لأي منهم أن يرفع رأسه. في الخندق دبق لزج لاصق، كرمز لأصابعهم المرتشية، يخفيهم عن الأنظار، مثلما كانت صفقاتهم تتمّ في الخفاء. يهرب دانتي من الشياطين فيخبئه فرجيل في الصخور المسنّنة، ويذهب إلى الشياطين يفاوضهم، ويتفق مع زعيمهم مالاكودا. يخرج دانتي من مخبئه، ويبحثان عن معبر إلى الخندق السادس، فيخبرهم الزعيم أنه مخرّب منذ هبوط المسيح إلى الجحيم. ولكن غير بعيد عن هذا المعبر المخرب، يوجد جسر آخر.

يعتبر هذا النشيد والنشيد الذي يليه، ليس القمة الفنية للجحيم فقط، بل للكوميديا كلها. إن دانتي هنا يطلق العنان لأسلوبه بعيداً عن أي خشونة.

1 نحن من جسر إلى جسر عبرنا،
نتسلى بأحاديثَ عابرةٍ لاتهمّ «الكوميديا»
حتى وصلنا قمّة جسر شامخ.

4 تريّثنا قليلاً، فرأينا خندقَ وهدٍ
وسمعنا عويلاً عابثاً من

https://jadidpdf.com

مالبولجي موحشة مظلمة.

7 وكما يغلي القطرانُ في ترسانة
البندقية شتاءً لسدّ ثغرات قاعِ
السفينة التي لاتجرؤ على خوض البحر،

10 وبدلاً من بناءِ سفينةٍ جديدة
يقوم البحّارة بسدِّ الصدوع التي
ظهرت في الأجزاء الخارجية،

13 فمطرقةٌ تضرب الساريةَ، وأخرى تضرب
الجانبَ، وهناك يصنعون مجاذيف
جديدةً، ويجدلون الحبالَ، ويوقّعون الأشرعة،

16 هكذا كان يغلي القار بفعلِ
إلهي لابفعل نارِ الحفرة تحتنا
فيجعل الضفةَ كمستنقعٍ لزج.

19 رأيت الخندق لكني لم أرَ فيه
سوى الفقاعات التي يحدثها الغليانُ
تنفتحُ وتنفجر مثلَ هواء التنفس.

22 وإذ كنت أحدق هناك، صاح
سيدي: «انتبهْ» ودفعني
خلفاً بعيداً من مكاني.

25 التفَتُّ كمن لايستطيع الانتظارَ
لرؤية ما يخيفه، وكمن يركض وهو

https://jadidpdf.com

يتطلع بعد خوف داهم

28 فيسابقُ رعبَهُ ـ رأيت خلفي
شكلاً يركض نحونا عبر قمة الجسر،
إنه شيطان ضخم أسودُ.

31 آه! أيّ وجه كريه وحشي يحمل.
هُرع وجناحاه الضخمان مبسوطان،
إنه يجسد كل قباحة.

34 وعلى كتفيه يحمل جثماناً خاطئاً دلّاه
على كفليه وأنشبَ مخالبه
عميقاً في عظم الكاحل.

37 صرخ: «يا مخالبَ جسرنا السوداء
جئت بشيخ من شيوخ القديسة زايتا
فارموه أسفلَ ريثما أعود بالمزيد:

40 لقد زرعتُ كثيراً منهم في المدينة
كلُّهم مرتشون عدا بونتورو.
هناك بالرشوة لا تصبح نعم».

43 ألقى الخاطئَ، وانحدرَ فوراً
على الجرف، فلم يقفزْ بمثل سرعته
أيُّ كلبِ حراسة يلاحقُ لصاً.

46 غاص الخاطئ وغاب، ثم ظهرت
حدبةُ ظهره ووجهه. أما قدماه

https://jadidpdf.com

فلاصقتان بالقاع، كما لو كان يصلي.

49 لكن الشياطينَ تحت الجسر، حارسي
المكانَ والخطاةَ المقذوفين صاحوا:
«لستَ في المكان الذي يأتيه وجه قديس.

52 إنك لاتسبحُ في نهر سيركيو: فانظرْ
حولك وغُصْ، وابقَ غائصاً إلا
إذا أردت أن تعرف طعم خطاطيفنا».

55 وخدشوه بأكثر من مئة خَطّاف
وصاحوا: «ارقصْ وأنت مغمور، وارشِ
ماشئت، فلا أحد يصرف شيكّاتك».

58 غمروه في الحفرة، كما يَغمرُ
الطباخون اللحمَ في القدر
الغالي وبخطاطيفهم لايدعونه يطفو.

61 قال سيدي: «الأفضل ألّا يراك هؤلاء
الشياطينُ حتى أجهّزَ نفسي. اختبئْ
خلف تلك الصخور فهي تخفيك.

64 ومهما رأيتَ من قسوة تقع علي
لاتخفْ. إني أعرف هذه الأمور:
لقد عبرتُ هنا من قبل وعدت سالماً».

67 قال هذا وسار حتى آخر الجسر.
واستجمع كل شجاعته منذ أن

https://jadidpdf.com

وطِئنا الجسرَ السادس ليبدو هادئاً.

70 وبالعاصفة التي ترجّ البيت
عندما تطارد الكلابُ مشرّداً
فيقف فجأة ليدافعَ عن نفسه،

73 كذلك اندفع الشياطينُ الذين في الأسفل
ووجّهوا مسننات خطاطيفهم إلى معلمي
فوقف وصاح بهم «مكانَكمْ

76 قبل أن ترموا بخطاطيفكم
وكلاليبكم أرسِلوا أحدكم يسمعني
ثم تشاوروا في قتلي».

79 صاحوا جميعاً: «ليذهب مالاكودا».
فتوقفت الجماعة وتقدم أحدهم قائلاً:
«أيَّ خيرٍ سوف يجني من عمله هذا؟».

82 قال سيدي: «أتظن يا مالاكودا
أنك تراني هنا قاطعاً تلك المسافة
سالماً منك ومن كل شرّير بلا علم

85 الإرادة الإلهية والقَدَر المهين؟
أفسحِ الطريق، فقد أمرتِ السماء
أن أُطلعَ صديقاً على أحوال الجحيم».

88 فأنزل الشيطان الواقفُ على الحافة
الصوّانية خَطافَه، ثم قال للآخرين

https://jadidpdf.com

«إياكم أن تلحقوا به أذى».

91 فصاح بي مرشدي... «أيها اللّاطي
وراءَ صخرِ الجسر مثل الهرّ هلُمّ
فقد صِرنا في أمان».

94 سمعته فخرجت من مخبئي
فتجمع الشياطين حولي حين ظهرتُ،
فخفتُ أن يرجعوا عن وعدهم.

97 ومثلما شاهدت مرة مشاة بيزا
يخرجون بعد الهدنة من قلعة كابرونا،
يحملقون في صفوف الأعداء،

100 ألصقتُ كامل جسمي بمرشدي
ولم أتركْ نظري يرتدُّ لحظة
عن الشياطين السود العابسين.

103 هزُّوا خطاطيفهم وقال الواحد للآخر:
«أتريد أن أصيبه في إليته؟»
فأجاب الآخر: «ارمِهِ للإزعاج فقط».

106 لكن الشيطان الذي تحدث إلى سيدي
التفتَ وصرخ به: «اهدأ أيها المُخالس».
ثم قال لنا: «لاطريقَ من هذا الجانب

109 فالقنطرة تناثرت هنا حطاماً،
فإذا أردتم المتابعةَ فسيروا على هذه الحافة

https://jadidpdf.com

فهناك معبرٌ آخرُ خلف هذا.

112 فبعد خمسِ ساعاتٍ من الآن انهار الجسر
منذ ألف ومئتين وست وستين سنة
ويوم واحد. فساعتها وقعتِ الهزّة في الجحيم.

115 سأرسل عشرةً من أنصاري ليرَوا
إن كان هناك أحد، فاذهبا
معهم، فلن يلعبوا معكما لعبةً سيئة».

118 ثم بدأ بأمرهم: «أنتما إلى الأمام
والوسط غريزلي وهلكن. وأنتما ديدوغ
وكيرلبيرد ترأسا العشرة.

121 وخذ غرافتر ودراغنتث معك.
وأنتم يا بفتسك وكاتكلو وكرامبر وكريزيرد
راقبوا دائماً القارَ المغلي

124 طالما تسيرون، واحرصوا ألا ينزعج
السيدان حتى يصلا إلى الرّجم
وهناك يجدان طريقاً».

127 صحت: «سيدي باسم السماء، أيّ
نوعٍ من المرشدين هؤلاء؟ فلنمضِ
وحدنا إن كنت تعرف الطريق... فلا ثقةَ بهؤلاء.

130 إن كنتَ حذراً كما عهدتك فانظرْ
كيف يقضقضون أسنانهم علينا

https://jadidpdf.com

ويقاربون حواجبهم تهديداً لنا».

133 قال: «لا أحب هذا الخوفَ فيك
دعهم يقضقضون ويقاربون ما شاؤوا.
إنهم يهدّدون هؤلاء المعذبين في المراجل».

136 انعطَفُوا إلى الضفة اليسرى في صف،
لكنهم قبل الانعطاف عضُوا على أسنانهم
إشارة لمعلمهم ليوافق على العبور،

139 فوافق بصوتِ نفيرٍ أخرجه من دبره.

الملاحظات:

7 ـ ترسانة البندقية: لم تكن الترسانة قديماً مختصة بصناعة الأسلحة، بل تشمل أيضاً إصلاح السفن وأشياء حِرفية كثيرة.

37 ـ يا مخالب جسرنا السوداء: بالإيطالية «يا مخالبَ الشر» والمخالب السوداء كناية عن الشياطين.

97 ـ مشاة بيزا: احتل الجنود التوسكانيون، ومنهم دانتي، قلعة كابرونا. ثم عُقدت الهدنة فانسحبوا منها، بين صفوف الأعداء المحملقين بهم.

112 ـ بعد خمس ساعات: يحدد بدقة موت المسيح: 34 م.

119 ـ غريزلي: معناه المنقط، وكل اسم له معنى. ديدوغ معناه كلب الموتى، وكيرلبيرد معناه اللحية المجعدة، ودراغنتث معناه أسنان التنين... وهكذا.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق الخامس — المُرتشون

الحكاية: انطلق الشاعران مع مرافقيهم من الشياطين. يرى دانتي المُرتشين مرميين في الخندق مثل الضفادع في الماء. ويختفون في القار حالما يرون الشياطين، ويخرجون رؤوسهم في غفلة منهم. يُخرج الشياطين أحد المرتشين من القار فيروي قصته ويخدع الشياطين ويهرب، فيختصم الشياطين فيما بينهم ويسقط اثنان منهم في الخندق. ينظم كيرلبيرد فرقة ملاحقة، فينتهز الشاعران فرصة الفوضى التي دبّت، ويتابعان الرحلة وحدهما.

1 كم رأيت من فوارسَ راحت تقتحم المعسكراتِ
فتتقدمُ وتتقهقرُ، وتكر وتفرُّ،
رأيت كيف تبدأ في الحروب المجزرة

4 ورأيت كيف تحتاج الجحافلُ أرضكم
يا أهلَ أرزو، وكيف تعترك
الفوارسُ بالسيوف والرماح،

7 ورأيت أرتالاً طويلة تُهرع إلى
الأجراس والطبول من بعيد وقريب.
ورأيت شاراتِ القلاع تثير للحرب الفيالقَ،

https://jadidpdf.com

10 لكني لم أرَ أبداً خيالةً أو بيادة
ولاسفينةً راسية، ولاومضة نجم
بنفخة بوقٍ خفيفة استعدت وأقلعت.

13 ذهبنا مع الشياطين العشرة ـ يالهم من متوحشين ـ
وكما يقول المثل «القديسون في الكنائس والسكارى
في الحانات» كذلك صار معنا.

16 انتباهي كلّه راح نحو القار فرأيت
الناس فيه يغلون، فعرفت
طقوسَ القار وعذابه.

19 وكالدلافين التي ترفعُ فوق موج
البحرِ ظهرها المقوسَ لتحذر البحارة
فيسرعوا إلى إنقاذ السفينة

22 كذلك تفعل هذه النفس هنا أو هناك
لتخفِّف الألم المريع فترفع ظهرها
فوق القار لحظة ثم تغيب.

25 وكما تخبِّئ الضفادعُ على ضفاف
المستنقع جسَدها ورأسها في الماء
فلا يبقى سوى الخياشيم،

28 كذلك وقف الخُطاة في تلك الحفرة،
لكن ما أن رأوا كيرلبيرد يتقدم
حتى غاصُوا جميعاً في القار

https://jadidpdf.com

31 ورأيت ـ والرعبُ في قلبي حتى الآن ـ
أحَدهُم يعلو قليلاً، كما يحدث
أن تغوصَ ضفدعةٌ وتظهرَ أخرى،

34 فضرب كاتكلو ـ وكان الأقربَ ـ خَطّافه
في شعر الخاطئ القاري وانتشله.
بدا مثل فقمةٍ يشرشرُ الماء منها.

37 وقتَها صرتُ أعرف كل أسماء الشياطين
إذ لاحظتهم أول ما اجتمعوا
ثم أصغيتُ لهم وهم يمشون.

34 صاح الشياطين: «كريزيرد
أغرز فيه مخالبك ليذوقَ
طعمها ثم اسلخْ عنه جلده».

43 قلت: «سيدي هل تستطيع أن تطلعَني
على اسمِ وتاريخ هذا التعيس
الذي سقط في براثن أعدائه؟»

46 تقدم مرشدي من الشَّبَح الخارج من
القار المغلي وسأله متى جاء. أجاب
«ولدتُ في مملكة نافار

49 جعلتني أمي في خدمة فارس من الفرسان
لأنها بالاثم حبلتْ بي من وغد
قتلَ نفسَهُ عندما فقَدَ ثروته،

https://jadidpdf.com

52 فجئت وطني في خدمة الملك
الطيب تيبالت. فبدأت أتعاطى الرشوة
التي أدفع ثمنها في هذا القار المغلي».

55 لقد أشعره بَغَتسك، الذي له في نهاية
شفته السفلى نابان أرعبُ من نابي خنزير،
كيف يمكن لأي منهما أن يمزقه.

58 قد تقع الفأرة بين مخالب قطط شرسة
لكن كيرلبيرد طوّقه بذراعيه وصاح
«إني سأهصرُهُ فقِفوا بعيداً».

61 ثم استدار إلى مرشدي: «إذا رغبتَ في
سؤاله عن شيء آخر فاسأله».
ثم أردف: «اسألْهُ قبل أن يمزِّقُه الآخرون».

64 فقال مرشدي للخاطئ: «أود أن أعرف
إذا كان بين النفوس الأخرى تحت
القار إيطاليون» فأجاب المسكين:

67 «لقد تركتُ للتو شبحاً جاء من الجوار
لو أني بقيت في الحفرة معه، لما
طالتني هذه الخطاطيف التي تؤلمني».

70 فجأة جأر غرافتر بصوت عالٍ:
«طال وقوفنا» وعقفَ ذراع
الخاطئ فانتزع قطعةَ لحم.

https://jadidpdf.com

73 أراد دراغنتث أن يشترك في اللعبة
فهُرع وأمسكَ ساقي الخاطئ، لكن
كيرلبيرد التفَّ وراح يدور وهو مقطب.

76 وعندما خفَّ ضجيجُ الشياطين
قليلاً وهدؤوا، أسرع مرشدي وسأل
البائسَ الذي كان ينظر في جرحه:

79 «من الخاطئ الذي تقول بأنها كانت
ساعة شؤم حين تركْتَه على الشاطئ
وصرتَ بين الشياطين؟» أجاب البائس:

82 «إنه شبَحُ الراهب غوميتا من غلورا،
متقنُ كلِّ خديعة: فعندما وقع أعداء
سيّدهِ بيده كسِبَ رضاهم تماماً.

85 فقد أخذ أموالهم بلا مسوّغ ولادعوى
وأطلق سراحهم. وفي صفقاته كلّها لم يكن
مساوماً صغيراً، بل كان شرهاً لايشبع.

88 ومعه في المِرجَلِ صديقهُ الحميمُ
دون ميشيل زانشي من لوغودورو
وهما دائماً يثرثران عن سردينيا.

91 ولكن انظرْ إلى الشيطان الذي يكشّر إلى
جانبك. هناك الكثيرُ أريد إطلاعك عليه
لكني أظنه جاء ليسلخَ جلدي».

https://jadidpdf.com

94 لكن زعيمهم أحسَّ باللعبة البليدة،
فالتفتَ إلى كرامبر الذي كان يستعد للضرب
وقال له: «اذهبْ أيها الصقرُ، قلت اذهب».

97 قال الخاطئ: «إذا أردتم أن تروا أو تسمعوا
توسكانيين أو لومبارديين، فإني أستطيع
إخراجهم من مخابئهم، إن تريثتم

100 فدعوني أجلسُ على طرف الخندق
وأبعِدوا هؤلاء الشياطين عن النظر
فطالما هم هنا، لن يخرجَ أحدٌ من الحفرة.

103 إن في مقدوري اصطيادَ الكمية التي
تريدون من النفوس. يكفي أن أصفّر،
وهذه طريقتنا عندما يخرج أحدنا من الحفرة».

106 رفع ديدوغ خيشومه وهو يستمع إليه
ثم هزّ رأسه وقال: «لنستمع إلى المُرتشي
يروي أحابيلَهُ، وبعدها يلقي بنفسه أسفل».

109 قال البائس الدبقُ المعجونُ بالخيانة:
«أكون أخبثَ حين أوقِعُ
أصدقائي في البؤس الأليم».

112 وبعكس رغبة الآخرين، لم يطقْ
هِلْكِنْ صبراً فقال للبائس:
«إذا قفزت فلن أتعقّبك ركضاً،

https://jadidpdf.com

115 بل كالصقر يتعقّب فأراً. لنتركِ
الحافةَ ولنختبئْ عند الضفة:
ولنرَ إن كنتَ أخبثَ منا جميعاً».

118 أيها القارئ أنت أمام لعبة جديدة...
انسحبَ الشياطين من حرف الضفة
وقاد ديدوغُ الفريقَ المتوحش.

121 اختار النافاريُّ اللحظةَ المناسبة،
وثبّت في الأرض قدميه.
قفز وبلحظة صار حرّاً.

124 شعر الشياطينُ بالعار، وأولهم
هِلْكِنْ، الذي تسبب في ذلك
وراح يجأر «سأمسك بك».

127 صفّق بجناحيه، لكن الرعبَ أقوى
من الجناحين، فاختفى الخاطئُ،
ولم يفلحِ الشيطان إلّا في رفع صدره استعداداً.

130 إن البطةَ البرية تختفي عندما يهاجمها العقاب،
فهي تُهرع إلى الأسفل، وهو يرجع
في الهواء تعِباً مدحوراً.

133 غضب غريزلي من هرب الخاطئ
فلحق بهِلكنْ متمنّياً أن ينجو
الشبح، فيتذرعُ ويثيرُ معركة.

https://jadidpdf.com

136 وحالما غاص المرتشي في الخندق
أنشب غريزلي براثنه في هِلكن
فتشابك المخلب بالمخلب فوق الحفرة.

139 لكن هِلكن كان صقراً أقوى من اثنين
فأنشب فيه مخالبه واشتبكا
وسقطا معاً في الخندق الملتهب.

142 الحرارة أوقفت المعركة فوراً،
لكن الأجنحةَ انغمست في القار
فما استطاعا الخلاص، فأصدر كيرلبيرد

145 أمراً بأن يطير أربعة إلى الضفة الأخرى
بكل خطاطيفهم. وبسرعة انقسم
الشياطين فأخذ كل واحدٍ مكانه،

148 بعضُهم على الطرف القريب، وآخرون
على البعيد. ألقوا خطاطيفهم للاثنين
اللذين في القار، فازدادت الندوبُ

151 نضجاً. وتركناهم على هذه الحالة وسرنا.

الرموز والصور:

خصام الشياطين: الغرض من هذه اللوحة التي تبسط بها دانتي إقناعنا بأن عالم الشياطين معرض للانقسامات والفوضى والصراعات. وينجم هذا برأيه من أن هذه المخلوقات المرذولة لانظام لها، ولايمكن لقباحتها أن تكون منسجمة. وقد بدا أن الإنسان أخبث من الشيطان وأشد دهاء.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

8 ـ الأجراس: تستخدم الأجراس في الحروب لإصدار الأوامر، فتقرع قرعات يتفق عليها مسبقاً.

9 ـ شارات القلاع: عندما يكون العسكر على مقربة من القلعة وعلى مرمى البصر، فإن الإشارات تصلهم بتحريك راية في النهار وشعلة في الليل من برج القلعة.

19 ـ الدلافين: لوحظ أن الدلافين ترفع ظهرها فوق الماء لتنبه السفن من العاصفة المقبلة.

89 ـ دون ميشيل زانكي: هو أيضاً راهب.

https://jadidpdf.com

النشد الثالث والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق السادس المنافقون

الحكاية: يطارد الشياطين الغضابُ الشاعرين اللذين اضّطرا للالتجاء إلى الطبقة العليا للخندق السادس. وهنا يجدان المنافقين، وعليهم أردية نسجت من رصاص. وهذه الأردية ظاهرها براق لمّاع وباطنها خيوط من رصاص. وبهذا يكون دانتي قد ترجم نفاقهم بصورة مادية. ويرى دانتي قيافا الكاهن الذي أمر بإطلاق سراح براباس وصلب المسيح. وعذاب قيافا هو الحكم الذي طلبه للمسيح في الحياة الأرضية، فقد رُبط بأوتاد مثبتة في الأرض.

بعد ذلك يتابع الشاعران طريقهما على الجسور فوق الخندق السادس.

1 بصمتٍ، وحيدين بلا رفقة، مشينا
مثلما يمشي رهبان الفرنسيسكان: الواحد
خلفَ الآخر، خارجَ الدير.

4 حضرتني حكاية إيسوب، عندما
استرجعتُ الصراع الأخير بفكري،
إنها حكاية الضفدع والفأرة،

7 لأنك واجد لو قارنت بين قفا رؤوسهم

https://jadidpdf.com

وأذيالهم، لوجدتها متشابهة
مثلما تتشابه «نعم» و«أجل».

10 وبما أن التخيُّلَ يتلوه تخيُّلٌ
فقد زحمني رتل جديد من الأفكار
التي ضاعفت من خوفي الأول.

13 قلت في نفسي: «بسببنا حلّ
الهُزءُ والضررُ والخديعةُ بهؤلاء
الشياطين وجعلناهم يبدون حمقى.

16 فإذا أضفنا إلى هذا حِقدَهم الطبيعي
فسوف يتعقّبوننا مثلَ كلاب الصيد
التي تطارد الأرنبَ البريّ بأنيابٍ جاهزة».

19 بقيت أتلفّتُ إلى الوراء، وأحسَسْتُ
أن شعر رأسي قَفَّ خوفاً فقلت
«سيدي لو تخبئ نفسك

22 وتخبئني، فإني جد خائفٌ من الشياطين،
إنهم يتعقبوننا، هكذا أتخيل
كأني الآن أسمعُ وقع أقدامهم».

25 قال: «لو كنتَ مصنوعاً من زجاج المرايا
لما انعكستْ صورتُك الخارجيةُ أوضحَ
مما تنعكسُ في فكري صورتُك الداخلية،

28 فحتى الآن ذهنُك يدخل في ذهني

https://jadidpdf.com

إنه حقاً يشبهه في الفعل والشكل
لذلك لابد أن ننتهيَ إلى هدف واحد.

31 إذا كان الجانبُ الأيمنُ لهذا المكان
منحدراً بحيث نستطيع الهبوطَ فيه
إلى الخندق التالي، فسننجو من المطاردة».

34 هكذا شَخَّصَ. وما كاد يصل إلى قرار
حتى رأيتُهم قريباً منا، كادوا
يطالوننا بأجنحتهم العريضة الخفّاقة.

37 حملني سيدي كالأمّ وقد انتبَهتْ
إلى صوت الحريق وألسنة اللهب فشعرتْ
بالخطرِ فخطفَتْ من المهد وليدَها وركضَتْ

40 مهتمةً به أكثرَ من نفسها، فلا تضيّعُ
لحظة حتى لوضعِ سترٍ واحد على
جسدها، بل تهربُ حافيةً عارية.

43 وفي الضفة الوعرة من القمة العليا
اتخذ طرقهُ في المنحدر الذي تشكّلُ
جدرانُه الجانبَ الأعلى للخندق التالي.

46 المياهُ المتدفقة في الطاحونة
المندفعة من فتحة ضيقة لتضرب
مسنّنات العجلة، ليست

49 أسرعَ من هبوط سيدي تلك

https://jadidpdf.com

الضفةَ، وهو يحملني ويلصقني بصدره
لا كرفيقٍ، بل كابن.

52 كادت قدمه تلامس القاعَ، عندما
ظهرَ الشياطينُ في القمة يصفّقون بأجنحتهم،
لكن هذا لم يُثِرْ خوفَ مرشدي

55 لأن الإرادة الإلهية التي أوكلت
إليهم الخندق الخامس، حدّدت عملهم
بحيث لايُسمحُ لهم بعبور تخوم الخندق.

58 أما نحن فقد رأينا في عمق الهوّة
أناساً مطليين دهاناً، مقهورين
ومكدودين يدورون ببطء وألم.

61 كلّهم يرتدون عباءات فُصِّلت على شكل
تلك التي يرتديها البندكتيون في كلوني.
قلانس ضخمةٌ تتدلى فوق عيونهم.

64 من الخارج ذهبيةٌ برّاقةٌ جميلة ومن
الداخل رصاص يبدو عنده قفطان
فريدريك خفيفاً كالريش.

67 آه يا عباءة الأبدية المُتلفة.
اتجهنا إلى اليسار ثانية عبرَ طريقهم
نسمع عويل بؤسهم، لكنهم

70 ساروا ببطء إلى ذلك الرصيف القاحل

https://jadidpdf.com

ترهقهم أثقالهم، حتى أن الذين
يرافقون خطواتنا كانوا يتغيرون باستمرار.

73 قلت ونحن نسير هكذا: «هل تسمح ونحن
نمشي أن نلقيَ نظرةً على هؤلاء
عسى أن نجد اسماً أو تاريخاً لأحدهم؟».

76 قال واحد منهم يفهم التوسكانية
ونحن نغذّ السير: «هوّنا من سرعتكما
يا من تسرعان في هذا الهواءِ المريض،

79 ربما كنت أنا أحد من يلبي مطلبكما».
سمع سيدي هذا الكلام والتفت قائلاً:
«انتظرْ هنا، ثمَّ سِرْ حسب خطواته».

82 انتظرتُ فشاهدْتُ عبرَ الطريق
نفسين يبدو أنهما يسرعان للحاق بي،
لكن ضيقَ الطريق وثقلَهما أخّرهما.

85 عندما وصلا إلي من ذاك الطريق
الضيق حدقا بي صامتين مندهَشِين،
ثم التفتَ أحدُهما إلى الآخر وقال:

88 «يبدو من حركة حنجرة هذا الرجل
أنه حي، ولو كانا ميتين فكيف سُمِحَ
لهما أن يخلعا المعطفَ الرصاصي؟».

91 ثم قال لي: «أيها التوسكاني، بما أنك

https://jadidpdf.com

جئت من بعيد إلى كلية المنافقين
فلا تبخلْ وأخبرْنا من أنت؟».

94 فقلت: «ولدتُ وترعرعتُ في فلورنتين
على الضفاف الخضراء الجميلة لنهر الأرنو
وأنا أسيرُ الآن بجسدي الذي كان لي.

97 ولكن من أنتما، يا من تتنهدان كلما
طافتِ الدموع على خديكما؟
أيّ عقاب هذا الذي تكابدانه؟».

100 قال أحدهما: «هذه الأثوابُ البراقة
رصاصٌ ثقيل علِقتْ علينا كالأثقال،
لذلك تسمعُ لها قعقعةً وصريراً.

103 نحن راهبان فرنسيسكانيان من بولونيا
اسمي أتالانو واسمه لودرنغو
وقد اختارتنا مدينتُكم.

106 واختير أحدنا ليقيمَ السلام.
ويمكن رؤية هذا النوع من السلم
قرب غاردنغو».

109 قلت: «أيها الراهبان، خطيئتكما...».
وعندها رأيت شخصاً مصلوباً على الأرض
بثلاثة أوتاد، فشعرتُ بالرعب.

112 حين رآني هناك صدرَتْ منه تنهداتٌ

https://jadidpdf.com

حارةٌ في لحيته يتقلص منها بدنه،
فقال لي الراهب كاتالانو

115 وعيناه تتابعاني: «هذا المصلوبُ
على الطريق أشار على الفريسيين
أن من الأفضل تعذيب رجل لمصلحة الشعب.

118 عارياً سُمِّر، كما ترى، على قارعة
الطريق يراهُ كل العابرين، ويشعر بثقل
كل من يمرّ عليه، إلى أبد الآبدين.

121 حموه وبقية المجلس الذي
كان سببَ الغضب على كل اليهود،
سُمِّروا كذلك للذنب ذاته».

124 ثم رأيت فرجيل يقف مستغرباً
فوق تلك الروح التي تمدّدت
على الصليب في منفى الجحيم الأبدي.

127 ثم التفتُّ وسألتُ الراهب: «إذا سمحت
هل تخبرنا إذا كان على اليمين
فجوةٌ في الجدار الصخري للهّوة

130 يمكن لاثنين أن يعبرا منها إلى الخندق
التالي، من دون أن ندعُو الشياطين
لإنقاذنا من هذا الذي نحن فيه؟».

133 قال: «أقرب مما تظن، فهناك جسر

https://jadidpdf.com

يمتد من الدائرة الكبرى للتالفين الهالكين
ويقطع كل خندقٍ من الطرف إلى الطرف.

136 إلا قنطرة هذا الخندق فهي محطّمةٌ،
لكن يمكن بحذر تسلّقُ الخرائبِ التي على المنحدر
والتي تشكل كومةً في قاعه».

139 وقف مرشدي، وبنظرةٍ قاتمةٍ
قال: «لقد كذب علينا ذاك الذي
بخطّافه يشتّت الخطاةَ هناك».

142 وقال الراهب: «سمعت مرة في بولونيا حكيماً
يناقش خطايا الشيطان، وسمعت منها
بأنه كذوب، ومنبع الأكاذيب».

145 أنهى الخاطئ كلامه فوجدت
وَجْهَ سيدي الطيب يظلمُ غضباً.
سار مبتعداً عن المكان بخطوات واسعة، وابتعدتُ

148 عن المنافقين، أتبع آثار قدميه العزيزتين.

الملاحظات:

4 ـ حكاية إيسوب: فأرة أرادت عبور نهر، فتبرعت ضفدع لذلك. خافت الفأرة من السقوط من على ظهرها. اقترحت الضفدع على الفأرة أن تربط نفسها بذراعها ففعلت. وفي عرض النهر غاصت الضفدع فكافحت الفأرة هرباً من الموت. رآهما صقر فجنح وانتشل الفأرة، لكن الضفدع مربوطة بها. وهكذا لقيتِ الاثنتان المصيرَ نفسه.

65 ـ قفطان فريدريك: قيل إن هذا الملك كان يعاقب الخونة بوضعهم في مِرجل ولفّهم بالرصاص على شكل قفطان، ثم يشعل النار تحت المرجل.

116 ـ على الفريسيين: انظر إنجيل يوحنا (11: 49 ـ 50)

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق السابع اللصوص

الحكاية: بعد تسلق عسير من قاع الخندق السادس يصل الشاعران إلى قنطرة الجسر السابع. يسمعان أصواتاً، لكن الظلمة تحجب كل شيء. الخندق مليء بالزواحف المتسلطة على أشباح القابعين فيه وهم اللصوص. فالأفعى تلدغ اللص وتحوله إلى رماد، ثم يعود إلى شكله السابق. واختيار الزواحف نابع من طبيعة الذنب، فاللصّ يزحف حتى يرتكب جريمته. ويتعرف الشاعران على اللص فاني فوشي، فيروي قصته ويتنبأ بسقوط حزب البيض.

1 في أول فصل للسنة الجديدة
عندما تصبح أشعةُ الشمس دافئةً في بُرج
الدلو، فيكون النهار والليل متساويين،

4 وعندما يرسم الصقيعُ الأشيبُ صورةَ
أخيه الثلج الأبيض عل الأرض،
لكن الشمس تمسح ما رسمته ريشتُهُ إلا قليلاً،

7 ينهض الفلاحون طلباً للرعي
فلا يرون إلا الحقولَ البيضاء
وثغاءَ الخرفان فيلطمون أفخاذهم.

https://jadidpdf.com

10 يرجعون إلى البيت ويمشون هنا وهناك
بائسين حائرين لايعرفون ماذا يفعلون،
وهناك يزول عنهم اليأسُ

13 حين ينظرون إلى وجه الأرض كيف تغيّر
بعد قليل من الزمن، ثم يأخذون
عقاقيفَهم ويسرحون بقطعانهم في المراعي.

16 هكذا شعرت بالكآبة، لما رأيتُ سيدي
مقطِّباً، وبلحظة سرعان ما جاء
الدواءُ الشافي لآلامي.

19 لأننا حين وصلنا خرائبَ القنطرة المحطمة
اتجه نحوي بابتسامةٍ عذبة عرفتها فيه
منذ التقينا في الغابة المظلمة.

22 فتح ذراعيه ـ ويبدو أنه نظّم
خطةً ذكية متقنة ـ فحملني
وصعد بي، ثم مثل شغّيلٍ

25 واع يقدّر الأمورَ حقَّ تقديرها
ويفكر في الأشياء تماماً، متحمّلاً
الآلامَ، كذلك رفعني فوق حاجز كبير.

28 وعندما صرتُ في الأعلى، اختار صخرة أخرى
قائلاً: «تسلّقْ من هنا ولكن جرّبْ
أولاً إن كانت تحمل ثِقَلَك».

https://jadidpdf.com

31 من يرتدي عباءةَ المنافقين لايستطيع التسلقَ
فنحن بالكاد ـ هو خفيف وأنا ألقى المساعدة ـ
استطعنا التسلق يداً بيد.

34 ولو لم تكن الحافَّةُ في هذا الجانب
أقصرَ من تلك التي على الجانب الآخر
لتراجعْتُ ـ الحديث عني لا عن مرشدي ـ

37 وبما أن جوانبَ الخنادق تشكِّل
باتجاه مدخل البئرِ المركزي منحدَراً
مستمراً، نجم عن ذلك أن كل وادٍ

40 ترتفع إحدى حافتيه عن الأخرى.
على أي حال تسلّقنا حتى وصلنا
آخر نتوءٍ يوازي القمة.

43 رئتاي تضخّان ألماً مع الأنفاس
فعليَ كتمانُ النفس حتى أستمر، ولم
أحاولِ الصعود، بل جلست على صخرة.

46 قال سيدي: «اطرح عنك هذا الإعياء
فالجلوسُ على وسائد الريش والأرائك
والنومُ تحت الأغطية ليس طريقَ الشهرة.

49 فالشهرةُ التي لايبذل الانسان حياتَهُ
من أجلها لاتتركُ في الأرض ذكرى
إلا الزبدَ في الماء أو الدخانَ في الهواء.

https://jadidpdf.com

52 فانهضْ وسيطرْ على أنفاسك المبهورةِ
واجعلْ نفسك قويةً، تربحْ في كل معركة
إلا إذا انجرفت مع الجسد فتسقطَ.

55 هناك مرتفع طويل علينا تسلّقُهُ،
وليس هذا كافياً. فإن فهمتني فأثبتْ
أنكَ تسابق الزمن وتكسب».

58 نهضتُ وجعلت نَفَسي يظهر واضحاً
أكثر مما هو، وأجبت: «اذهبْ
حيث ترغب، فأنا جاهز وقويّ».

61 اتخذنا طريقنا صُعُداً في الجُرف
بصعوبة، لأنه ضيقٌ مائلٌ وعرٌ
أكثرُ من أي طريق كنا قطعناه.

64 سرتُ وأنا أتكلم لأخفِيَ ضعفي
فسمعت صوتاً لايبينُ الكلمات
جاءنا من أعماق ظلمة الهوّة التالية.

67 لم أفهمْ ما قيلَ، وإن كان مرشدي
أوصلني إلى قمة القنطرة التالية،
لكن المتحدثَ بدا في غضب جامح.

70 حدّقتُ لأبصرَ، لكن الظلامَ كان كثيفاً
ولاتستطيع عينُ حيٍّ أن تخترقه.
قلتُ: «سيدي أرجوك أن تقطع

https://jadidpdf.com

73 الخندق إلى الضفة الأخرى
ولنتسلقِ الجدار، فأنا أسمع ولا أفهم
وأنظر أسفلَ ولا أرى شيئاً».

76 قال: «ردّي الوحيد على طلبك
هو العمل، فالاقتراح الملائم جوابُهُ
الصمت، وعلى الأيدي أن تباشرَ العمل».

79 ورحنا نعلو ونهبِطُ حيث رأسُ الجسر
ينحني حتى التخم الثامن، ويضلّ حافّتَهُ،
وأخيراً ظهر لنا الوادي.

82 وهناك وقع نظري على حشد مريع
من الأفاعي حتى أن مجرد ذكرها
الآن يجعل دمي بارداً من الخوف.

85 لن تتباهى بعد الآن صحراء ليبيا،
فمع أن رمالها تربّي الأفاعي النشّابةَ
والثقّابة والقلّابة والدُّخانية وذاتَ الرأسين

88 فإنها لاتربي كل هذه التنوعاتِ
من الأفاعي السامة، ولا حتى أثيوبيا
وكل بلاد ساحل البحر الأحمر.

91 وسطَ هذه الحشود رأيت أناساً
يركضون عراةً خائفين يائسين، لا
يجدون مخبأ، ولاعقيقاً يخفيهم.

https://jadidpdf.com

94 الثعابينُ الملتفّةُ غلّت أيديهم إلى
الوراء، وجعلت رأسها وذنبها على
الحقوين، وراحت تلتفُّ وتضغط لتعذّبهم.

97 رأيتُ أحد الحفاة يركض حول صخرة،
وعندما مرّ بنا شاهدتُ أفعواناً
يلدغه حيث تتصل الرقَبةُ بالكتفين.

100 لايمكن لقلمٍ، مهما كان سريعاً، أن
يكتب حرف «أ» أو حرف «ر» أسرع من
اندلاع اللهب فيه وسقوطه رماداً.

103 وعندما يصير كومةَ رماد على
الأرض، يتجمع الهُبابُ من تلقاء
ذاته، فيستعيدُ الخاطئ شكلَهُ السابق.

106 هكذا تماماً يعلن الفلاسفة أن
العنقاءَ تموت ثم تولدُ ثانية
عندما تكمِلُ عامها الخمسمئة.

109 لاتعيش على العشب والحبوب، بل
على قطراتِ البلسم واللُّبان
وتلتحفُ بالمرّ والطيب.

112 وكما يسقط شخص دون أن
يعرف هل مسّه شيطانٌ أو
جذبه آخر بقيود لاتراها عيناه

https://jadidpdf.com

115 ثم يجاهد لينتصبَ، ويفرك عينيه
مندهشاً ـ ومايزال تحت الألم الذي
عاناه ينظر حوله ويتنهدُ ـ

118 هكذا الخاطئ عندما ينهض من جديد.
فيا قدرة الربّ، بغيضةٌ إرادتُكِ التي
تنتقمُ بمثل هذه الضرباتِ المرعبة.

121 سأله مرشدي من هو ومتى وصل. أجاب
باشمئزاز: «أنا من توسكانيا، ومنذ عهدٍ
قريب دفعوا بي إلى هذه الهوة.

124 أنا فاني فوشي الوحشُ. كنتُ بغلاً
بين الرجال، اخترْتُ الحياةَ الحيوانية على الحياة
الإنسانية. كان عريني في بستويا المتوحشة».

127 قلت لمرشدي: «أخْبِرْهُ قليلاً
واسألْهُ عن الجريمة التي جاءت به هنا
فقد عرفْتُهُ رجلَ دمٍ وغضب».

130 سمعني الخاطئُ وبدا منزعجاً.
التفتَ وحدّقَ في وجهي،
وقد ظهرَ على محيّاهُ خجلٌ كئيب.

133 قال: «عثوركَ علي بين بؤساء
هذا المكان يؤلم قلبي أكثرَ من ألمه
يوم غادرتُ حياتي الأرضية.

https://jadidpdf.com

136 لكني بصدق أجيبك:
لقد قُذِفَ بي هنا لأني سرقتُ
الكنزَ من غرفة ملابس الكهنة،

139 اتّهموا غيري زوراً واعتقلوه، فإن
خرجتَ من هذه المشاهد المريعة
فلن ترى صورةً تدخل المتعةَ في قلبك.

142 اسمع بأذنيك الصاغيتين لما أقول:
بستويا سوف تطرد حزب السود،
وشعبٌ جديد وقوانينُ جديدةٌ تظهر في فلورنسا.

145 ومن فاديماغرا سيأتي مارس
بكومة من بخار ملفوفةٍ بغيوم كثيفة
كالليل، وبعاصفةٍ مريعة وإعصار مدمّر.

148 وستنشبُ معركةٌ في حقول بشينو
عندما يأتي فجأة في قلب الضباب
ويوجّهُ ضربةً تصيب كل البيض.

151 هكذا أنبئك. وقد تحزنُكَ النبوءة»:

الرموز والصور:

اللصوص: يرسم دانتي لوحة حية لعذابات اللصوص مستعيناً بمسموعاته في العصر الوسيط والميثولوجيا العالمية. فقد اختار الأفاعي لتعذيب اللصوص، لأنها تزحف مثلما كان يزحف اللص في الحياة سعياً وراء الأذى والضرر. ونظن أن العذاب في هذا الخندق هو العذاب الذي كانت تشيعه كنيسة العصور الوسطى، لذلك يحتج دانتي في البيت 119 على هذا الظلم، معتبراً تعذيب

https://jadidpdf.com

اللصوص بهذه الطريقة بعيداً عن روح المسامحة التي تدعيها الوحدانية المسيحيّة.

الملاحظات:

85 ـ صحراء ليبيا: أسماء الأفاعي هنا منقولة عن جون شاردي، وقد ابتكرنا لها الأسماء المناسبة: الدخانية Chelydri لأنها تخرج دخاناً من نيلها. النشابة Jaculi لأنها تنشب على الفريسة والثقابة Phorese لحفرها ثقباً بذيلها في الأرض. والقلابة Cenchri لأنها عندما تتحرك تقلب قلباً. وذات الرأسين Amphisbolnae لأن لها في كل طرف رأساً.

93 ـ عقيقاً يخفيهم: كانوا يظنون أن العقيق يخفي الجسد عن الأنظار، وهو يشبه الاعتقاد بطاقية الإخفاء في الشرق.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق السابع — اللصوص

الحكاية: يغلي فاني غضباً إلى درجة أنه يقذف العدالة الإلهية بشتائمَ بذيئةٍ، فتلحق به الأفاعي، ومنها الوحش كاكوس الذي تغطي ظهره الأفاعي وتنانين النار، فيهرب مسرعاً. ثم يقابل دانتي خمسة من نبلاء فلورنسا. أشكال اللصوص تتغير بطريقة عجائبية تذهل عقل دانتي.

1 قال فاني هذا ورفع يديه عالياً
وقد جعل قبضتَهُ على شكل ثمرةِ تينٍ
صائحاً: «خذ أيّها الربُّ، خذْ، أرميها في وجهك».

4 منذئذ صرتُ أحب الأفاعي لأن
إحداها التفّت حول عنق المسكين
كما لو أنها تقول: «لاتتكلم أكثر».

7 أخرى ربطت ذراعيه خلفه وعقَدتْ
الرأس والذنب بين حقويه فراح
يتألم، غيرَ قادرٍ على الحركة ولو أنملة.

10 بستويا، بستويا، لماذا لايقتربُ فناؤكِ

https://jadidpdf.com

ورماداً تصيرين، وتنتهي أيامك
فلا تعود بذور شرّكِ تنتشر.

13 في كل الجحيم، في كل صالاته المرعبة
لم أجد شبحاً شامخاً على الله كهذا
لا ولا حتى الذي سقط من أسوار طيبة.

16 هربَ من غير أن ينبسَ بكلمة، وهناك
رأيت قنطوراً مرعباً يطارده صارخاً:
«أين المجدّف اللعين، أين؟».

19 لا أظن منطقة ماريما فيها من الأفاعي
كما على ظهر هذا الوحش من
كفلِهِ حتى بدايةِ شكله البشري.

22 وعلى كتفيه، خلفَ الرأس تماماً،
تنّينٌ ينفثُ ناراً تحرق
كل ماتَمَسُّه، تمدّدَ وبسطَ جناحيه.

25 قال مرشدي: «إنه كاكوس
الذي فتح في جبل أفنتين
في السهل الإيطالي بحيرةً من دم.

28 لايرافقُ أصحابه في حفرة الدم
خوفاً من الخديعة التي بواسطتها
سرقَ قطيعَ هرقل، وقد أقلع

31 عن السرقة، لأن هرقل اكتشف

https://jadidpdf.com

عرينهَ وأنزلَ به مئة عصا، فلم
يشعرْ حتى بالعشرة الأولى منها».

34 وأثناء ذلك مرّ قنطورٌ في طريقه
وجاء ثلاثة أشباحٍ. لا أنا ولا
مرشدي شعرنا بوجودهم أبداً

37 إلا عندما صاحوا: «من أنتما؟».
فقطعنا حديثَنا وانتبهْنا إليهم
وكانوا في مكان لا أراهم فيه.

40 ولكن كما يحدث عادة عندما يتدخل
الحظ، أو أحدٌ يهيءُ الفرصةَ، أن
أحدهم وهو يكلّم الآخرَ، تحرك

43 لينبّهَ صاحبه قائلاً: «لماذا تأخر
كيانفا؟ أين هو؟» وحتى أجعلَ سيدي
يُصغي وضعْتُ سبابتي بين فمي وأنفي.

46 فإن كنت أيها القارئُ لاتصدق ما تقرأ
فلا عجبَ لأني أنا نفسي الذي رأيتُ
كل شيء بوضوح، أكاد لا أصدق.

49 وإذ كنت أحدّقُ فيهم نشَبَتْ
سحليةٌ بستة أرجلٍ مِخلبية على
أحدهم من أسفلِ بطنه حتى عنقه.

52 الوُسْطَيان غاصتا في جوفه

https://jadidpdf.com

والأماميتان أمسكتا ذراعيه
وأنشبتْ أسنانها في خديه،

55 والخلفيتان أمسكتا الفخذين.
ذيلُها مر بين ساقيه والتفَّ
على حقويه. بأم عيني لم أشهد

58 لبلابةٌ التفّتْ على شجرة
بإحكام مثلما التفَّ هذا الوحش
بأرجله على جسد الخاطئ،

61 والتصقَ مثلَ الشمع الساخن، فامتزجَ
اللون حتى لم يعد يُعرف أين يبدأ
لونُها وأين يبدأ لونُ البائس،

64 تماماً مثلما يسبق اللونُ البني اللونَ الأسود
على الورقة المحترقة، فيتغيرُ إلى
أسودَ في حين يختفي الأبيضُ أمامه.

67 رآه زميلاه فصرخ أحدهما:
«ويلاه يا أغنيلو كيف تغيّرتَ
لا أنتَ الواحد ولا أنت الاثنان».

70 الرأسان صارا واحداً
ورأينا وجهين يندمجان
وبدأت تظهر معالمُ وجهٍ جديد.

73 من الأطراف الأربعة العليا للإنسان والوحش

https://jadidpdf.com

ظهر ذراعان، ثم نَمَتْ من الفخذين
والساقين والبطن والصدر أعضاء لم أرَ مثلها.

76 اختَفَتْ الملامحُ الأولى فكانا
هما وغيرُهما في آن واحد
وجرى التحوّلُ بطيئاً بطيئاً.

79 وكما تقفز السُحليةُ ظهيرة يوم حار
من سياج إلى سياج ومن ظلّ إلى ظلّ
وتلمعُ كالبرق حين تجتازُ الطريق،

82 كذلك صار في أمعاء الاثنين، فقد
قفز وحشٌ صغير ضارٍ عنيفٌ
وأسودُ مثلُ حبّ الفلفل.

85 وفي الجزء الذي يتلقى فيه الإنسان
تغذيته الأولى، نهشَ أحدُهما
واستلقى أمام أحد اللّصين.

88 حدّقَ الضحيةُ فيه من غير أن يتكلم،
والحقيقة أنه وقف كالعمود، تثاءب كمن
يريد النومَ أو كمنهوكٍ أصابته حمّى.

91 الضحيةُ والوحشُ نظرا في بعضهما
ومن جُرح الضحية وفم الوحش خرجتْ
سحابتان قاتمتان، فاختلطَ الدخان بالدخان.

94 فليذهبِ الآن «لوكان» وتاريخُه عن

https://jadidpdf.com

المسكين سابيلوس وناسيديوس
وليُصْغِ إلى ما سأقوله،

97 وليصمتْ «أوفيد» وهو يكتب عن قدموس
وأريتوزا، فلا أحسدُهُ على أشعاره
حيث يجعل هذه نبعاً وذاك أفعى،

100 لكنه لم يحوّل كائنين: وجهاً لوجه
وطبيعة لطبيعة، وعناصرُ هذا وذاك
تصبح واحدة، كما في هذه الحالة.

103 لقد استجاب كل واحد للآخر،
فقد شَقَّ الوحش ذيله إلى شُعبتين
وجمع الضحيةُ الجريحُ قدميه.

106 تَجَمَّعَ الساقان والفخذان،
تماهيا معاً: ولم يبق لهما أثرٌ
من الخصر حتى أخمص القدمين.

109 صار ذنب الوحش يتحول رويداً
ليسد ما يفقد الخاطئ الضحية
فالجلد الناعم يَخشن والخشِنُ يَنعم

112 والإبطان ابتلعا الذراعين، وأطرافُ
الوحش الأمامية القصيرة طَفِقتْ تطول
بقدْرِ ما تتقلّص ذراعا الضحية.

115 والتفَّتِ الساقان الخلفيتان وشكلتا

https://jadidpdf.com

العضوَ السرّي للإنسان، بينما صار
العضوُ الواحد للضحية ساقين.

118 وطيلة الوقت كان الدخان يلفهما:
فيلوّنُ جلداً ويزيلُ لونَ آخر. ينزع
شعراً من الضحية ويزرعُ شعراً في الوحش.

121 أحدهما انبطح فنهض الآخر،
من غير أن يحوّلا نظرهما الذي تغير
كل ما تحته فتغير الخرطوم وتغير المكان.

124 الواقف امتدّ شِدقُه حتى الصدغين،
ومن المادة الكثيفة هنا
نَمَتِ الأذنان من الجلد الناعم

127 وما تبقى تحت العينين من مادة
شَكّل الأنفَ: وفي الوقت ذاته،
تشكلتِ الشفتان حسب الحجم المناسب.

130 أما المجرمُ المستلقي فينزلق
داحوسه ويصبح خرطوماً ويسحبُ
أذنيه مثلما يسحب الحلزون قرنيه.

133 وبين الشفتين ينشعب اللسان الذي
كان للكلام، إلى شُعْبتين، أما شُعْبتا
لسان الآخر فتلتصقان. ويتمُ عَمَل الدخان.

136 والروح التي تحوّلت إلى وحش تذهب

https://jadidpdf.com

إلى الوادي تُهسهسُ فوق الصخور
وخلفَهما يسيرُ الآخر يتحدث ويبصق،

139 ويهز كتفيه الجديدين ويقول
للآخر الباقي: «يجب أن يتحولَ
بوزو ليزحف على هذا الطريق مثلي».

142 هكذا رأيتُ التغيرات والتبدلات
والتبادلات في أثقال الخندق السابع
وربما غرائِبُهُ سببتْ شيئاً من شطط قلمي.

145 ومع أن رؤياي اضطربتْ وذهني
تشوّش، فإنهما لم يهربا بطريقة حذرة
مع أنها طريقةٌ سريعة.

148 وقد عرفت أن بوشيو شانكاتو من
بين الثلاثة الذي جاؤوا أولاً
هو الوحيدُ الذي لم يتغير.

151 أما الآخرُ فهو من تبكينه يا جافيلي.

الملاحظات:

2 ـ على شكل ثمرة تين: إشارة بذيئة وشتيمة يقذفها فاني في وجه الرب.

15 ـ الذي سقط من أسوار طيبة: كابانيوس. انظر النشيد 14: 68 من الجحيم.

25 ـ كاكوس: ابن فولكان. عاش في كهف عند سفح جبل أفنتين. وقد سرق قطيع هرقل الذي كان يرعى في سهل روما. ضربه هرقل حتى الموت، وظل يضربه حتى بعد موته. حُكم عليه بالعذاب، ولكن بدلاً من حراسة فليثون مع أخوته القنطورات يأتي به دانتي إلى هذا الخندق من غير أن يصفه بالقنطور.

https://jadidpdf.com

69 ـ لا أنت الواحد ولا أنت الاثنان: أي لا أنت أنت ولا أنت هو، ولا أنت الاثنان معاً.

85 ـ الجزء الذي يتلقى فيه الإنسان تغذيته الأولى: السرّة.

143 ـ أثقال: أشباح أو بؤساء الخندق.

151 ـ من تبكيه جافيلي: هو فرنسيسكو دي كافلكانتي، الذي قتله سكان قرية جافيلي (قرب وادي الأرنو) فتجمع أقرباؤه وانتقموا له بقتل الكثير من الجافيليين.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق الثامن — الناصحون بالخديعة

الحكاية: بلهجة ساخرة يفتتح دانتي هجاءه لفلورنسا. ثم يتوغل الشاعران في الأماكن الوعرة إلى أن يصلا قنطرة الجسر التالي حيث الناصحون بالخديعة يطوفون قاع الخندق، وقد لفَّ كلٌّ واحد منهم لسانٌ من اللهب. تستوقف فرجيل شعلة مزدوجة، فيها روح أوليس وروح ديوميد. وهنا يروي أوليس قصة رحلته الأخيرة.

1 فورنزةُ ابتهجي فقد خفقتْ بنودُك عاليةْ
طافت بأجنحة الخنا فوق البحار وفي البلاد النائيةْ
قد شاع إسمُكِ في الجحيم فزغردي يا زانيةْ.

4 بين اللصوص وجدتُ منهم خمسة، أبناء
جلدتك، اخجلي، ألبستني عاراً. وأنت
بعيدةٌ، لن تصعدي بهمُ إلى شرف العلى.

7 فإذا كان الناس يحلمون بالحقيقة قبيل
الصبح، فلسوف تشعرين حالاً،
ما الذي يخبئ لك براتو والآخرون.

10 ما وقع لم يقعْ أسرعَ مما يجب

https://jadidpdf.com

ولكن ليحصلْ ما يحصل بسرعة لأنني
أرى العبء يثقلُ كلما مرّت السنون.

13 غادرْنا المكان، وتسلق مرشدي
حجراً فحجراً، كسلم طبيعي كنا
نزلنا عليه وتسلقتُ خلفه.

16 وعلى الطريق المنفرد مشينا فوق
النتوّات والوعورة، حيث لايمكن
لقدمٍ أن تسرعَ ما لم تسعفْها الأيدي.

19 وقتها تألمتُ، وأنا الآن أتألم
إذ أسترجع الأشياءَ التي رأيتها، فأكبحُ
جماحَ نفسي الحارّة بلجامٍ مُكرهٍ عليه

22 من عبقريتي، وإلا انحرفت عن طريق الفضيلة
بحيث إذا نجمةٌ، أو أيُّ شيء جميل
منحني هِبةً، لا أجد باباً للندم.

25 مثلَ الحباحبِ يراها الفلاح عندما
يستريحُ على هضبة وينظر في الوادي
(حيث يحرث الأرض أو يقطف العنب أو يقلّم الأشجار)

28 في الفصل الجميل عندما يكون وجهُ الشمس
التي تنيرُ العالمَ قد ابتعد شمالاً، وحين
يحلّ البعوض محلّ الذباب في الهواء.

31 بمثل هذه الشعلاتِ رأيتُ ظلمةَ

https://jadidpdf.com

الهوّةِ الثالثة مضاءةً حين وصلتُ إلى
الطرف الذي منه يظهر القاع.

34 ومثل ذاك الذي انتقمت له الدبتان بضراوة
تطلع إلى عربة إيليا وهي تصعد
وخيولُها تثب نحو السماء،

37 فلم يقدرْ أن يتابعها بناظريه
وكل ما بدا له نارٌ تشبه
سحابةً تبرقُ وتضيء السموات،

40 كذلك الأمر في هذه الشعلات الملتهبة
فلا أحدَ يستطيع أن يرى اللصّ،
فكلُّ شعلةٍ تلفّ لصاً، كما لو كان يتخفّى.

43 على الجسر وقفتُ، ومن حافته أشرفتُ
بعيداً وتطلعتُ، ولو لم أكن ممسكاً بصخرة
لكنت هويتُ، وإن لم أكن دُفعت.

46 قال مرشدي وقد لاحظ دهشتي:
«في هذا اللهب توجد أرواحٌ، فكل
خاطئ لفَّ نفسه بشعلةِ عذابه».

49 قلت: «سيدي كلماتك تزيد ثقتي
لقد رأيتُ هذا من قبلُ، بيدَ أني
كنت أرغب في أن أسألك:

52 أيّ روح فُرِضَ عليها أن تتحمل آلام شعلةٍ

https://jadidpdf.com

كبيرة انقسمت إلى شُعبتين عظيمتين
كما لو أنها من «ألبيري» حيث أتيوكل وبولينكس».

55 ردّ: «إلى أبد الآبدين في هذا الطريق
سيطوف أوليس وديوميد في هذا الثوب
متَّحِدَين في الألم، كما كانا متحدين في الغضب.

58 بكاءً يبكيان على خدعة الحصان الخشبي،
البابِ الذي من خلاله
خرجتِ البذورُ النبيلة للرومان.

61 إنهما يحزنان على موتِ أخيل،
وديداميا الحلوةُ تبكيه حتى في الموت
ولابد أنهما في غمرةِ الألم يذكران البالاديوم».

64 صحتُ: «يا سيدي أرجوك، وأكرر الرجاء
حتى المرّةِ الألف ـ إذا كانت هاتان الروحان
تستطيعان الحديثَ من قلب النار،

67 فدعني أتريثُ هنا حتى تقتربَ الشعلة.
لاترفض، فأنت ولاشك تعرف كم
أنا متشوقٌ لهذه الشعلة».

70 فقال: «مادمتَ تطلب حقاً
فستكون لك طَلْبتُكَ. لكني أنا
أطلبُ منك أن تمسك لسانك،

73 ودعِ الكلام لي، فأنا قادر على

https://jadidpdf.com

معرفة السؤال في عقلك، وهما
يونانيان قد يحتقران كلامكَ فلا يأبهان بك».

76 وعندما مرت الشعلةُ المزدوجة
حسب المكان والزمان المناسبين
سمعت سيدي يقول هذه الكلمات:

79 «أيها الروحان يامَنْ تسيران في شعلة
واحدة. إن أرضَتْكما حياتي الأرضيةُ
وإن استطعتُ كسبَ حبكما

82 القليلِ أو الكثيرِ لأشعاري الرفيعة
أناشدُكما أن تتوقفا وأن يخبرَني أحدُكما
أين اختفى من هذه الدنيا، وأين مات».

85 الطرفُ الأكبرُ للشعلة العتيقة
بدأ يرتجف كما لو كان يصارعُ الريحَ،
ثم تحرك رأسٌ من الطرف العلوي

88 وترنّحَ إلى هذه الجهة وتلك
وبدأ يتكلم كأنه لسانٌ ناطقٌ
بصوت يرتفع قليلاً عن الجئيرِ:

91 «عندما غادرتُ سيرسَ التي احتجزتني
أكثرَ من عام قرب غايتا قبل
أن يسميها إنياس هذا الاسمَ بكثير

94 لاشوقي لابني ولا احترامي

https://jadidpdf.com

لأبي العجوز، ولاتلبيةً
لنداء حبٍّ بنيلوبي

97 نزعَ من عقلي فكرةَ
تجربةِ الطوافِ في العالم
ومعرفةِ نقائصِ البشرية وفضائلها،

100 فامتطيتُ ثبجَ البحر الكبير بسفينة
مفردة مع تلك النفوس القليلة
التي بقيتْ بعد أن هجرني الآخرون.

103 أبحرتُ بعيداً إلى مراكشَ وإسبانيا
ورأيت جزيرةَ سردينيا وركبتُ
كلا الشاطئين، وكل موجةٍ قبّلتِ البر.

106 السنُّ تقدم بنا، وبدا علينا الضعف
عندما أبحرْنا أخيراً في الممر الضيق
حيث رأينا أعمدةَ هرقلَ منتصبةً

109 تنذر الملاحين ألا يبحروا أكثرَ.
كنت قد تركتُ سَبتةَ عن يساري
أما إشبيليا فصارت خلفي على اليمين.

112 قلت: «يا رفاق البحر، يا من بعد
مئة ألفِ مخاطرةٍ وصلتم الغربَ،
لاترفضوا في هذه اللحظة الحرجة

115 من توهُّجِ مشاعرنا الباقيةِ أن

https://jadidpdf.com

نقتحمَ المخاطرَ لمعرفة ذلك
العالمِ البعيد خلف الشمس.

118 أيّها اليونانيون، لم تُخلَقوا لتعيشوا
عيشةَ الضواري، بل خُلقتم
للسير نحو الرجولة وإثبات الذات».

121 وبهذا التحريضِ الوجيز جعلتُ رفاقي
متشوقين إلى الرحلة، حتى أنني عجزْتُ
أن أَثنيَهُم عنها، حين بدأنا.

124 وبتوجيه مؤخِّرة السفينة إلى الصباح
ومقدِّمتها إلى الليل اندفعنا خارجَ عالم البشر
جاعلين مجاذيفنا أجنحةً في رحلتنا المجنونة.

127 في تلك الليلة صار القطبُ فوقنا
بكل نجومه، أما نجمُنا فغار ولم
يخرجْ من قاع محيطه.

130 خمسَ مرات منذ أن ضربت مجاذيفُنا
مياهَ المحيط وراء العالم، توهّجَ
النورُ تحت القمر وخمد،

133 حين رأينا في طريقنا المميت
قمةً شمّاءَ جدَّ مظلمة
أشك أن يكون إنسانٌ رأى مثلها.

136 ما كادت أثوابُ الفرح والتهاليلِ ترتفع

https://jadidpdf.com

حتى تلاشتْ عندما هبّت عاصفةٌ
من الأرض الجديدة وضربتْ مقدّمة السفينة.

139 ثلاثَ مراتٍ ضربتِ السفينةُ المياهَ، كما لو
كان «الآخر» مسروراً لإصدار أوامره.
وفي الرابعة راحت المؤخِّرة تعلو والمقدِّمة تغرق

142 حتى غاب عنا النور وأطبقت المياه».

الملاحظات:

1 ـ فورنزة: الاسم القديم لفلورنسا.

9 ـ براتو والآخرون: براتو هو كاردينال أرسله البابا لتوطيد السلام فلم يفلح فأصابت الكوارث فلورنسا. الآخرون هم رجال الدين من زملاء براتو. والمعنى أنه إذا كان براتو قد فعل ما فعل من كوارث، فما يخبّئ الآخرون؟

34 ـ انتقمت له الدُبّتان: هو أليشع. كان يمشي فصاح به الأطفال «اصعدْ ياأقرع». فلعنهم، فظهرت دبّتان وقتلتا اثنين وأربعين منهم. راجع الملوك الثاني (2: 23 ـ 24).

54 ـ أتيوكل وبولونكس: ابنا أوديب. اختصما على سلطة طيبة. وخلافهما سبّب حملة السبعة ضد طيبة.

56 ـ أوليس وديوميد: ابتكرا خدعة إدخال الرجال إلى الحصان الخشبي الذي أدّى إلى سقوط طروادة.

61 ـ أخيل: يذكر دانتي خداع أوليس. ومنها أن أخيل لايريد المشاركة في الحرب، فتخفى بزي امرأة، لكن أوليس كشفه، فكان سبب اشتراكه وموته.

62 ـ ديداميا: ابنة ملك سكيروس الذي هرب إليه أخيل في زي امرأة حتى لايشارك في الحرب، لكن أوليس اكتشفه. أثناء إقامته في البلاط عرف ديداميا وحملت منه بغلام. وعندما انخرط في الحرب ماتت عليه حزناً.

63 ـ البالاديوم: تمثال لأثينا كان موجوداً في طروادة فسرقه أوليس.

82 ـ أشعاري الرفيعة: الإنيادة.

91 ـ سيرس: ساحرة احتجزت أوليس.

92 ـ غايتا: مدينة ايطالية ساحلية.

https://jadidpdf.com

96 ـ بنيلوبي: زوجة أوليس الوفية.

105 ـ كلا الشاطئين: أي كل البحر الأبيض المتوسط

140 ـ الآخر: الله.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق الثامن — الناصحون بالخديعة

الحكاية: ذهب أوليس وديوميد بشعلتهما المزدوجة. وظهرت شعلة الكونت غيدو دا مونتيفلترو. وهو يريد أن يسمع أخباراً جديدة عن بلاده التي مزقتها الحروب (وهو يشبه فاريناتا)، ويجيب دانتي ويخبره عن أحوال المدن المتردية. ويسأل غيدو عن قصته، فيخبره كيف استدرجه البابا بونيفانسي الثامن إلى الخطيئة.

1 أنهى أوليس كلامه، فانتصبت الشعلةُ
الطويلة، ولم تعد تهتزّ. وحالما
غادرتنا، بإذنٍ من الشاعر الطيب،

4 جاءت أخرى من خلفها، فتحوّل
انتباهُنا إلى الشعلة الجديدة. جؤارٌ
غريبٌ بعيد، جاء من الرأس المشتعل

7 مثل خوار الثور الصقلّي ـ ثور النحاس
الذي كان أول خوارٍ له من ذاك
الذي في جوفه، والذي صنعه بمبرَدِه،

https://jadidpdf.com

10 ليجعلَ خوارَهُ من صراخ الضحايا
بطريقة يبدو كأنه، وهو الثور
النحاسي، يولولُ ويتألم،

13 وهكذا الكلماتُ الحزينةُ، فلما لم
تجدْ طريقاً عبر النار أو حولها
تحوّلَتْ إلى لغة تصنعُها النارُ نفسُها.

16 ولكن عندما وجَدَتْ طريقها إلى
رأس الشعلة، نقلت إليها الهزّاتِ التي
اكتسبتها في طريقها، فسمعنا لسانَ النفسِ

19 الحزينة المتوارية يقول: «أنت يا من أتوجّهُ
بكلامي إليكَ، يا من قلتَ للومبارديِ
اذهبْ لم يعدْ لي سؤال، عندما جئتُ أنا،

22 وإن كان مجيئي متأخراً قليلاً. وربما
لايسوؤك أن أتوقفَ وأحدثكَ برهة،
فأنت ترى أنني غيرُ مستاء من لهيب النار.

25 إن كنتَ جئتَ حديثاً إلى هذا
العالم الأعمى، من عالم إيطاليا الجميلة
التي فيها اقترفْتُ خطيئتي:

28 هل هناك سلمٌ أم حربٌ في رومانا؟
لأني من تلك التلال بين أربينو
وتلك التينة التي ينبع منها التيبر».

https://jadidpdf.com

31 كنت ماأزال أحدّقُ فيه من الجُرف
القاتمِ للهوّة عندما شدّني مرشدي
قائلاً: «إنه إيطالي فتحدثْ إليه».

34 كنتُ قد جهزتُ سؤالي
فلم أتلكأ بل باشرتُ الحديثَ
قائلاً: «أيتها الروحُ الخبيئةُ هناك في الأسفلِ

37 رومانا الحزينةُ ليستِ الآن ولم تكن، من
دون حرب، مزروعةً في دم طغاتِها،
لكن عندما تركتُها وجئتُ لم تكنِ الحربُ سافرة.

40 وظروف رافينا ماتزال هي هي
طيلةَ الأعوام المنصرمةِ وعلى أسوارها
تجثُمُ نسوُر بولينتا وتغطي سرفيا بأجنحتها.

43 المدينةُ التي قاومت الفرنسيين
بشجاعةٍ وكدّست جبلاً من قتلاهم
تعاني الآن من وطأةِ المخالبِ الخضر.

46 وكلبا فيروشيو، العجوز والفتى
اللذين أغرقا مونتانا بالدم،
مازالا ينهشان بأسنانهما الحادة.

49 لاموني وسانترنو مازال يحكمهما
السَّبع ذو العرينِ الأبيض الذي
يغيّر سياستَه كلما هبَّ هواء جديد.

https://jadidpdf.com

52 والمدينةُ التي يغسلها السافيو، كما
تقبع بين السهل والجبل،
كذلك تعيشُ بين الحرية والطغيان.

55 والآن أرجوكَ عرّفْ باسمك،
لاتقسُ كما قسا عليك الآخرون
واعملْ على أن يكون لك صيتٌ في الأرض».

58 وعندما زأرتِ الشعلةُ تحت
الحافة التي نقف عليها، تمايلَتْ
برأسها الأعلى، ثم قالت:

61 «أنا أعلم أن جوابي هو لذاك
الذي يستطيع العودةَ إلى العالم
وهذه الشعلةُ لن تتحرك.

64 وطالما لا أحدَ ـ كما أسمع ـ يعود إلى
الحياة من هذه الهوة، فلن أخافَ
على سمعتي، وسأقدّم لك الرَّد الصحيح

67 كنت رجلَ سلاحٍ، ثم لبستُ ثوبَ
الفرنسيسكان، على أمل أن أكفِّر عن ذنوبي.
ولاشك أنني كنت سأنجحُ في مسعاي

70 لولا الكاهنُ الأعظمُ ـ وربما هو في الجحيم ـ
الذي أعادني إلى كل الخطايا السابقة.
كيف ولماذا؟ أودّ أن أخبرك

https://jadidpdf.com

73 بكلماتي الخاصة: عندما كنتُ
من لحم ودم، كما حملت بي أمي، لم تكن
أفعالي أفعالَ ليثٍ، بل أفعال ثعلب.

76 لم أتركْ حيلةً، كلها كانت معي
من الولادة، واعتمدْتُ على فنوني
فشاعتْ ووصلت أطرافَ الأرض.

79 لكن عندما رأيتُ أمامي الدلائل كلّها
التي تحذر الإنسان بأن عليه
طيَّ شراعه وجمعَ حباله

82 فما كان يضحكني صار يبكيني
ويزعجُ روحي، صِرْتُ عندئذ راهباً،
آه كم كان ذلك يبهجني.

85 كان هناك أميرُ الفريسيين الجدد الذي
امتشقَ حُسامَهُ وسار إلى لاتيران، ولكن
ليس ضدَّ العرب أو اليهود،

88 فكل من يقفُ ضده يكون مسيحياً، لا
ضدَّ عكا راح يحارب
ولا في بلاد السلطان يتاجر.

91 وهو الذي ازدرى كهنوتَهُ وكهنوتي،
ازدرى مؤسّسته، والحبلَ الذي تمنطق به
والذي يجعل المتزنرين به أنحفَ.

https://jadidpdf.com

94 وكما أرسلَ قسطنطينُ وراء سلفسترو
ليشفيَ برَصَهُ، باحِثاً عنه في كهوف سوراتي
كذلك هذا، من عرشه أرسل ورائي،

97 لأشفِيَهُ من حمّى كبريائه التي تُلهبُ دمه.
طلب مشورتي فالتزمتُ الصمتَ
لأن كلماتِهِ بدَتْ لي مترنحة.

100 قال: «لاتخشَ شيئاً، سوف
تبقى آمناً، لذلك تحدّثْ بصراحة
وعلمني كيف أسحقُ بالتسرينا.

103 وأنت تعلم أن في يدي سلطةَ فتحِ
أبوابِ السماء وإغلاقِها، لأن معي
المفتاحين اللذين تخلّى عنهما سلستين بسهولة».

106 هذه البراهينُ القويّةُ أخافتني
فقلتُ صار الصمتُ أسوأَ من الخطيئة،
وعندها تكلمْتُ: «أيها الأب المقدس

109 طالما أنك من إثمي تطهّرني
فلأفعلِ الإثم الآن: ليكنِ الوعدُ طويلاً
وليكن تنفيذُه ضئيلاً، بذلك تضمنُ النصر لتاجك».

112 فيما بعد، عندما متُّ، جاءني القديسُ
فرنسيس ليستردَّ روحي، لكن أحدَ الملائكة
السودِ قال: «دعْهُ ولاتغلطْ معي.

https://jadidpdf.com

115 إن اسم هذا الشخص سجّلتُهُ في دفتري
في اللحظة التي قدّم فيها نصيحتَهُ المخادعة
فصار منذئذ ملكي، فأمسكْتُ بناصيته.

118 فمن لايندَمْ لايُعتقْ، ولايُقبَلُ
الندمَ على شيء والرغبةَ فيه معاً
فهما فعلان متناقضان.

121 ما أبأسني، أيُّ ندم شعرت به
عندما غادرني وهو يقول: «ربما
لم تسمعْ أنني كنت منطقياً».

124 حملني إلى مينوس، الذي لفَّ
ذيلَهُ حولَ ظهره ثماني لفّاتٍ
وبعد أن عضَّه غاضباً ضربَ الأرض

127 صارخاً: «خذوه فغُلُّوه، ونار اللصوصية
أضلُّوه» لذلك أنا انتهيتُ إلى ما ترى،
يأكل الألمُ قلبي وأنا في هذه الملابس».

130 أنهى قصته، فتحركت الشعلةُ
بذبالةِ رأسها التي تهتزُّ وتضطربُ
وتنمّ عن ألمِ الندامة.

133 بعد هذا سرتُ ومرشدي وتسلّقنا
صخرةً حتى وصلنا الجسرِ الذي يتقنطر
على خندقٍ آخرَ يُقدّم فيه الحسابُ،

https://jadidpdf.com

136 فمن كنزِ الربِّ الحديدي ينال زارعو الشقاقِ
دفعة من الغضب.

الملاحظات:

7 ـ الثور الصقلي: ثور نحاسي صنعه بيريلوس لطاغية صقلية فالاريس. كانت الضحية توضع فيه وتوقد النيران، ويعلو الصياح الذي يسمع من خلال فتحات حتى ليُخيّل أنه خوار ثور. والطريف أن بيريلوس كان أول المجربين. وكان الطاغية آخر ضحايا الثور. فقد وضعوه فيه وطبخوه.

42 ـ نسور بولينتا: لوردات بولينتا، حكموا رافينا، يضعون شارة نسر على معاطفهم.

43 ـ المدينة التي قاومت الفرنسيين: هي مدينة فورلي، فقد وقفت عام 1282 ضد الجيوش الفرنسية التي أرسلها البابا مارتن الرابع، وكان يقودها غيدو دا مونتيفلترو.

45 ـ المخالب الخضر: في العام 1300 وقعت فورلي تحت حكم سينبالدو دغلي أردلافي، وكان على سلاحه شارة أسد أخضر.

46 ـ فيروشيو: قلعة مالاتستا وابنه مالاتستينو، وهما اللذان يدعوهما دانتي بالكلبين العجوز والفتى أي الأب والابن.

50 ـ السبع ذو العرين: هو ماغيناردو دي باغاني: حكم المنطقة بين نهري لاموني وسانترنو. وكان شعاره سبعاً أزرق على رقعة بيضاء. والسبع في العرين الأبيض يُقصد به وبأنصاره جيبليي الشمال.

52 ـ المدينة التي يغسلها السافيو: هي سيسينا، حكمها مالاتستينو في العام 1312 . تقع بين فورلي وريميني.

70 ـ الكاهن الأعظم: البابا بونيفانسي (أو بنفنسنت).

85 ـ أمير الفريسيين: هو البابا نفسه.

88 ـ كل من يقف ضده: أي ضد البابا.

89 ـ لاضد عكا راح يحارب: الذي حارب عكا هُمُ العرب، وقد مدهم تجار البندقية، أصدقاء البابا بالمعونة.

90 ـ ولا في بلاد السلطان يتاجر: الذي تاجر في البلاد العربية هم اليهود، والمعنى أن أعداء البابا لم يحاربو لإسقاط عكا كما فعل أصدقاء البابا، ولم يتاجروا كاليهود.

105 ـ سلستين: البابا السابق. وتزعم الكنيسة الغربية أن مفتاحي السماء أعطيا لبطرس وصار البابوات يتوارثونهما.

113 ـ الملائكة السود: الشياطين.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق التاسع زارعو الشقاق

الحكاية: يصل الشاعران إلى طرف الخندق التاسع، ويتطلعان إلى حشد من النفوس هم زارعو الشقاق. خطيئتهم شق ما كان مؤتلفاً، لذلك نجد أن عذابهم يقوم على «شق» يُحدثه سيف الشيطان فيهم، كلّ حسب ذنبه. والشقاق ثلاثة أنواع: الشقاق الديني والشقاق السياسي والشقاق العائلي:

1 من يستطيع، ولو كرَّرَ آلاف المرات، وتحرّر
من الوزن والقافية، أن يصفَ
ما شاهدته هنا من دماء وجراح.

4 عظيمٌ هو العذاب، فعبثاً يحاولُ اللسان،
لأن لغةَ أحاسيسنا وذاكرتنا ينقصها
مُعجَمُ هذه الآلام الفظيعة.

7 لو أن الإنسانَ يستطيع أن يجمعَ
في مكانٍ واحد كل أولئك
الذين أراقوا دمهم في أرض أبوليا

10 وضحايا الحرب الطروادية والحرب الطويلة كلّها

https://jadidpdf.com

التي خلّفتْ أكواماً من خواتم الذهب،
كما يقول ليفي، الذي لايخطئ،

13 وأجسادَ أولئك الذين جرحوا
برماح روبرت غيسكارد، مع
كلّ الذين جُمعتْ عظامُهم في

16 سيبرانو حيث صار كل أبولي
خائناً، والذين من تغلياكوزو
حيث انتصرَ الأردو العجوز من غير سلاح.

19 لو جُمِعَ هؤلاء كلُّهم، وأظهر هذا
طرفَه المجروحَ، وأبدى ذاك طرفةَ المقطوعَ
لما ساوى الجوارحَ المبتورةَ في الحفرةِ التاسعة.

22 دنُّ الخمر تفلعه هراوة أو مِقرعةُ مقاتلٍ،
ولايمكن أن ينشقَّ بالعرضِ الذي رأيته
في ذاك الذي شُقّ من ذقنه حتى نهايةِ بطنه.

25 بين ساقيه تعلّقتْ أحشاؤه،
مع قلبه ورئتيه وكبده ومرارته
وكيسِ الطعام الذي يدفع النفايات.

28 وقفْتُ وحملقْتُ فيه من رفٍّ صخري
وبيديه أمسك صدرَه وفتحَهُ
صارخاً «انظرْ كيف فعلتُ بنفسي

31 انظرْ ماذا حصل لي وسوف

https://jadidpdf.com

ترى قدّامي ابنَ عمي يمشي ذارفاً دمعاً سخيناً
وقد شُجَّ الرأس حتى الذقن».

34 وصرخ أحدهم: «الأنفسُ الداميةُ والحزينة
في هذا الخندق كُلُّهم من زارعي الشقاق
وكما شَقُّوا غيرهم، كذلك شُقّوا.

37 خلفَهُم يتربَّصُ الشيطانُ الخاصُّ بهم،
إنه يشقُّهم بساطوره ويرسِلهم يمشون
ويمشون إلى أن يجدد فَلْعَهَم بسيفه الطويل،

40 وعندما يكمِلون الدورة حول الهوة
يقفون أمامه مرة ثانية وقد
اندملت الجروح التي أحدثها.

43 ولكن من أنت، يا من تحدّقُ فينا
من هناك لتؤخرَ هبوطك إلى
الهوّةِ التي حكموكَ بها طبقاً لذنبك؟».

46 أجاب مرشدي: «الموتُ لايدركه
وروحُه لاتخضعُ للعذاب
فهو يعرفُ ذلك وهو على قيد الحياة،

49 وعلي، أنا الميتُ، أن أقودَهُ عبر
قاعاتِ الجحيم المظلمة، من حلقة إلى حلقة
وهذا مؤكّد مثلما تراني أمامك».

52 أكثرُ من مئةِ شبحٍ كانوا يمشون تحت

https://jadidpdf.com

الشرفةِ التي وقفنا فيها أصغوا
لكلماته، وحدّقوا بي، فالتهمَ الألمُ دهشَتَهم.

55 تابَعَ «إن كنتَ فعلاً سترجعُ وترى
الشمس ثانية، فأخبرْ فرا دولسينو
أنّهُ إنْ لم يسرعْ ويأتِ ليسيرَ معي،

58 فليُسلِّح نفسه تماماً ضد
الثلوج، وإلا دَحَرَه النافاريُّ
وباتَ من الصعب إسقاط هذا التسلط».

61 هذا ما قاله المعذَّبُ العظيم، وقد رفع
قدمه، وبعد أن أنهى كلامه مدّها
إلى الأرض وسار في طريقه.

64 آخرُ ـ وهو الذي قُطع حلقُهُ
وجُدِعَ أنفُه حتى الحاجبين، وجُرح
في أذنه الباقية ـ وقف مع هؤلاء

67 الذين يحملقون بي من الهوّة مندهشين
وفتَحَ جُرحَ حنجرته الحمراء، كما لو كانت
فماً، ومن خلاله تحدث وقال:

70 «أيها الروحُ غيرُ المحصّنةِ ضد البؤسِ
يا من رأيتُكَ في إيطاليا الجميلة.
إن لم أكن مشتبهاً بينكَ وبينَ غيرك:

73 إذا كُتب لكَ أن ترى السهل الرائع

https://jadidpdf.com

وتلك المنحدرات من فرسيلي إلى مركابو
تذكّرْ بيير دا مديشينا بألم.

76 وأبلغْ هذا التحذيرَ إلى النبيلين
في مدينة فانو: السيدين غيدو وأنغيوليلو:
إنهما ـ إن لم تكن نبوءاتُنا باطلةً ـ

79 سَيُقذفان من سفينتهما إلى البحر
وسوف يُغرِقهما الموجُ قرب كاثوليكا
تنفيذاً لخيانَةٍ طاغية.

82 لم ير نبتون جريمةً شنعاء كهذه في
البحار كلّها من قبرصَ حتى مايوركا
ولا حتى في غاراتِ القرصان، أو بحَارة الأرغو،

85 والخائنُ ذو العينِ الواحدة، صاحِبُ الأرض
الذي يتمنى، هذا الذي بجانبي هنا،
لو أنه لم يكن قد رآها،

88 سيدعوهما للتفاوض، ولكن وراء
هذه الدعواتِ الحارّةِ سيعمل على
ألا يصلّيا لتجنّبِ عاصفةِ فوكارا».

91 قلت له: «إن كنتَ ترغبُ أن
أحملَ اسمكَ إلى العالم، فأخبرني عن
ذاك الذي في عينيه نظرةٌ مريرةٌ».

94 وضَع يدَهُ على خدّ صاحبهِ الشّبحِ وباعد

https://jadidpdf.com

له فكّيه ليفتحَ فمه قائلاً:
«انظرْ، هذا هو، لايستطيع الكلام،

97 إنه المتشردُ الذي أراح قيصرَ من شكوكه
يوم قال له وهو على نهر الروبيكون:
«المتأهِّبُ لايربحُ إذا تأخر».

100 أواه كم يبدو كوريون بائساً أمامي
فليس في حلقِهِ سوى بقيةٍ من لسانٍ
كان يجرؤ على الكلامِ المرير.

103 ومن بينهم آخرُ بترتْ ذراعاه من الأعلى
صاح رافعاً ما تبقى منهما في الهواء الزَّنخِ
بينما الدمُ يسيل على وجهه: «تذكّرْ

106 أيضاً موسكا دي لامبرتي الذي قال
«لكل حادثٍ نهايةٌ» فزرع
ميادين القتال بموتى توسكانيا».

109 فقُلْتُ: «ودفع كل عشيرتكَ إلى الموت».
فعانى ألماً فوق ألم، وارتحلَ
وقد بدا في ألمه كالمجنون.

112 مكثْتُ أراقبُ تلك الآلاتِ المتكسرةِ
ورأيت شيئاً عجيباً، لاأجرؤ أن
أشيرَ إليه من دون مزيدٍ من التثبتِ،

115 بيد أن ذهني الواخِعَ قوّاني، وشدَّ

https://jadidpdf.com

أزرِيَ دليلي الطيبُ الذي
يحمي الإنسان بدرعِ طهارته.

118 ولقد رأيتُ، وراعني ما رأيت،
جسداً يسير برأسه المقطوع، مثلَ
الآخرين، فسارَعَ الخطوات وقد سربله الدم،

121 الكفُّ يمسكُ برأسه من شعره
والرأسُ كالمصباح تحت الكفّ مالَ متأرجِحاً.
عيناه ترمُقنا، ودمعُ العين منهمرٌ قنوطاً،

124 وبنفسه من نفسه جعلَ الرأسَ مصباحاً
فكان اثنين في واحد، وواحداً في اثنين.
كيف يكون هذا، إنه يعرف من أمَرَ بذلك.

127 وعندما وقف تحتنا مباشرةً رفعَ
الرأسَ على مدى ذراعه نحو جِسرنا
حتى يسمعَ جيداً، وقال:

130 «أيُّها الروحُ الحيُّ في هذه الهاوية
انظرْ أي حكمٍ حكَموا به علي وابحثْ
في الجحيم كلِّه إن كان هناك مثله.

133 وعندما إلى الأرض تعود، تذكرني
أنا برتران دي بورن، وكنت أنا
الذي دفعتُ الملكَ الشابَّ إلى التمرد،

136 فقام الإبن على الأب والأب على الإبنِ

https://jadidpdf.com

مثلما أوقع أكيتوفل بين أبشالوم وداوود
ومنذ أن فصَلْتُ ما يجب أن يكون

139 واحداً، في الواجب والحب، حملتُ دماغي
مفصولاً عن أصلِه في هذا العنق
وسرْتُ هنا أحملُ وزرَ خطيئتي،

142 دائماً العينُ بالعينِ: هذا هو قانون الجحيم المطبَّقُ عليّ».

الملاحظات:

9 ـ أبوليا: في هذه المنطقة الواقعة شمال شرق إيطاليا، وقعت أعظم الحروب.

10 ـ الحرب الطروادية: هي الحرب التي وقعت بين أنصار إنياس والسافيين 343 ـ 290 ق.م

10 ـ الحرب الطويلة: هي الحرب القرطاجية بقيادة هانيبال.

11 ـ خواتم الذهب: كانت مقتلة عظيمة، حتى أن هانيبال جمع خواتم قتلى الرومان فبلغت ثلاثة بوشلات.

14 ـ روبرت غيسكارد: (1015 ـ 1085) يضعه دانتي في الفردوس باعتباره محارباً في سبيل الله، فقد منع اليونان من احتلال إيطاليا.

16 ـ سيبرانو: في العام 1266 تصدَّى الأبوليون بقيادة مانفرد لحراسة ممر سيبرانو ضد الملك تشارلز، لكنهم تحت ضغط البابا خانوا مانفرد وفتحوا الممر للفرنسيين، فاندحر مانفرد وقُتل في المعركة نفسها.

17 ـ تغلياكوزو: ميدان معركة دارت بين الأردو العجوز وكونرادين ابن أخ مانفرد في العام (1268). وقوله «انتصر من غير سلاح» مبالغة لأنه تظاهر بالانسحاب واستدرج كونرادين إلى الكتائب المختبئة التي هجمت على مؤخرته ودحرته.

56 ـ فرا دولسينو: في العام (1300) أنشأ دولسينو «أخوية» دعت من بين ما دعت إليه، شيوعية النساء والملكية. لكن كليمنت الخامس أصدر فرماناً ضده واتهمه بالهرطقة، ونظم حملة صليبية ضده فحاولت الأخوية مع نسائها أن تتمركز في التلال بين نافارا وفرسيلي، لكن بعد سنة من الحصار نفدت المؤونة، واندحرتِ الأخوية في آذار 1307، وأُحرق دولسينو على الخازوق مع مرغريت «أخته في المسيح» في حزيران التالي.

https://jadidpdf.com

84 ـ بحارة الأرغو: جماعة جاسون. ويشير إلى جريمتهم في تقطيع أبسيرتوس، شقيق ميديا، وإلقاء أعضائه في البحر لدى رجوعهم من أرض الكالخيزيين. الخائن ذو العين الواحدة: مالاتستينو.

119 ـ جسداً يسير برأسه المقطوع: هو برتران دي بورن، فارس مشهور ورئيس تروبادور البروفنس. قيل إنه أوقع بين ملك إنكلترا هنري الثاني وابنه «الملك الشاب»

137 ـ أكيتوفل: أحد مستشاري داوود الذي تركه وساعد ابنه المتمرد أبشالوم (صموئيل 2: 16 ـ 17).

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع والعشرون

الدائرة الثامنة: الخندق العاشر المزيِّفون

(الطبقة الأولى: السيميائيون)

الحكاية: يمشي دانتي على طرف الخندق التاسع متوقعاً أن يرى أحد أقاربه جيري ديل بلو، بين زارعي الشقاق. يحثه فرجيل على السير، ويصلون إلى الخندق العاشر، ويطلان على «المزيِّفين» وتتألف الطبقة الأولى من «السيميائيين» الذين يزيفون طبيعة الأشياء. ومن هنا يتحدد عذابهم فهم يُعذبون بأمراض وبيلة تشوّه أحاسيسهم، بالإضافة إلى كل ما يساعد على تزييفها، فتُسلّط عليهم الضجّة والظلمة، بحيث لاتعود الحواس تعمل حسب طبيعتها، تماماً مثلما كان يعمل هؤلاء المزيفون في الأرض.

1 مشهدُ الموتى المحطّمين جعل عينيّ
تذرفانِ الدموع. الشوق يدفعني
إلى البقاء والبكاء، لكن فرجيل قال:

4 «ما الذي تنتظرُ؟ لماذا تحملقُ
كما لو كنتَ لاتستطيع أن تزيح عينيك
عن الظلالِ التي تمرُّ مواكِبُها؟

7 أمامَنا الكثيرُ نشاهده في الحفرِ الأخرى

https://jadidpdf.com

فانظرْ إلى الوادي ـ إن كنت تستطيع
العدَّ ـ وأرتالِ الأرواح البائسة،

10 التي تدور اثنين وعشرين ميلاً. القمر
الآن تحت أقدامنا. الوقت قصير
وأمامك الكثيرُ الذي يجب أن تراه».

13 أجبت: «لو عرفتَ عن أي شيء أبحثُ
لمنحتني إذناً بالبقاء أطولَ».
وإذ كنت أتحدث، سار سيدي

16 وسرتُ أنا بدوري
وراءه، وحالما مشينا على
الجُرف قلتُ: «داخل ذلك

19 الكهف الذي على حرفه وقفتُ أحدّقُ
طويلاً، أعتقد أن روح أحد أقربائي
تدفع الثمن، الذي يدفعه الخطاةُ غالياً».

22 قال مرشدي: «اجعلْ ذهنك يوجّه
اهتمامه إلى أمور أكثرَ جدارة،
أما قريبك فدعْهُ لقدره بين العميان،

25 فقربَ الجسر وبين الحشد رأيته
يتجه نحوك بإشارات تهديدية،
وسمعتهم ينادونه جيري ديل بلو.

28 وقتها كان يشغلكَ صاحبُ الرأس المقطوع

https://jadidpdf.com

الذي كان في حياته سيّد التافورتي
ولم تنظرْ إليه فتابعَ سبيله».

31 أجبت: «يا مرشدي الطيّبَ. موتهُ
كان بسبب العنف، وحتى الآن لم ينتقم له
أولئك الذين يمتون إليه بالقُربى، وبالعار.

34 ولهذا السبب يكره أقرباءه، ولذا
لايتحدث معي، كما أظن،
مما يجعلني أشفقُ عليه أكثر».

37 تحدثنا عن هذا حتى وصلنا إلى الطرف
المضيء الذي منه نستطيع أن
نرى أرضيةَ الهوّةِ التالية.

40 ولما اجتزنا ذلك الطرف ظهر لنا الرواقُ الأخيرُ،
ووقع كل سكانه تحت مرمى أنظارنا،
ولكن الضبابَ يملأ المكان.

43 ومن هؤلاء الموتى انطلقَتْ صرخاتٌ
مريعةٌ تحزنني وتؤلمني كرشقاتِ السهام
فرفعْتُ يدي إلى أذني.

46 ولو أن البؤس الذي يملأ مشافي الأوبئة في
ماريما وفالديكيانا وسردينيا في
أشهر الصيف حين ينتشرُ الموتُ كالهواء

49 العفنِ، جمعتَهُ كلّه في خندق واحد ـ

https://jadidpdf.com

ربما صوَّرَ آلامهم. ومع الزعيق
تنشرُ الأعضاءُ المبتورة رائحة النتن.

52 تابعنا إلى اليسار فمررنا من عتبة طويلة
إلى آخرِ جسرِ المالبولجي. وهناك
لاح لنظرنا القاعُ النتن.

55 هناك تقومُ العدالةُ العليا،
الادارةُ المقدسة للأب الأول،
تُصدِرُ الأحكامَ الأبدية على المزيفين.

58 لاأظن أن هناك منظراً
يمكن أن يُرى، ولا حتى في إيجينا، عندما
ضربَ الوباءُ كلَّ الشعب، حتى الوحوشُ

61 نفقَتْ وتحولَتْ إلى ديدانٍ صغيرة
إلى أن صار من الضروري على
الشعب القديم ـ كما يؤكد الشعراء ـ

64 أن يولَدَ مجدداً من النمل ـ أيأسُ
من منظر الأرواح وقد تكوّمت على بعضها
في القاعِ الكريه من ذلك الوادي المقرف.

67 فترى هذا اضطجع على كتفِ ذاك
أو على بطنه، والبعضُ يزحفون على
ركبهم وأيديهم بين الصخور المتكسرة.

70 بصمت، خطوةً خطوةً، سرنا

https://jadidpdf.com

نرى ونسمعُ تلك الأشباحَ التي
لاتقوى على النهوض من فراشها الصخري.

73 رأيتُ هناكَ اثنين، مثلَ وعاءين
وُضِعَ الواحدُ على الآخرِ ليحفظَ حرارته
وقد غطتهما القشورُ من الرأس حتى القدم.

76 ما رأيت خادمَ إسطبلٍ يسرعُ ليرجعَ إلى
بيته، أو الذي ينتظره سيده،
يمشّطُ الخيولَ بقسوة أشدَّ

79 من ذينكَ الروحين، اللذين
يحكانِ نفسَهما بأظافرهما
للتخفيف من حدّة حُرقةِ البثور.

82 وكلما حكّا هرهرتْ قشورُ البثور
كما تَبشُرُ السكينُ سمكةَ الشبوط
أو أي سمكة أخرى، ولكن أكبر بكثير.

85 صاح سيدي بأحدهم: «إيه أنت
يا من تكشطُ قشورك وكأن
أصابعَكَ مخالبُ وكماشاتٍ، أخبرني

88 إذ كان عندكم ـ وإن شُغِلتَ بأظافرك،
وهي عدّة شغلك الأبدي ـ إيطاليّ بين
النادبين في الأعماق المظلمة».

91 ردّ من بين الدموع: «كلانا إيطاليان

https://jadidpdf.com

في عذاب لاينتهي، كما ترى،
ولكن من أنت حتى تسألنا؟».

94 قال سيدي: «أنا ظلٌّ يقود هذا
الإنسانَ الحيُّ من حفرة إلى حفرة
لأريهِ الجحيمَ كما أُمرت».

97 وحالما ردَّ مرشدي انطلق الاثنان
وبعصبيةٍ التفتا إلي، كما فعلَ
الآخرون الذين فوقَ رأسِ مرشدي.

100 التفتَ سيدي، المهتَمُّ بي دائماً،
وقال: «اسألْهم ما تريد».
فقلت لهذين الشبحين البائسين:

103 «ربما ذكرى اسميكما وأفعالكما
لن تموتَ أبداً من أذهان الناس
في الحياة الأرضية، بل تعيشُ كثيراً.

106 أخبراني من أنتما، ومن أي مدينة،
ولاتخجلا من عقابكما المقرفِ
فتُخفيا حقيقةَ هويتكما».

109 أحدهما قال: «كنت رجلاً من أريزو.
أشعلَ ألبرتو السييني النارَ وجعلها مِخرقتي،
ولكني لستُ هنا بسبب الحادث الذي أماتني.

112 فعلاً مازحته مرة وقلتُ: «أعرفُ

https://jadidpdf.com

كيف أنهض وأطير في الهواء». وبكل
اندفاعة الرجل الغبي، أراد

115 مني أن أعلّمه. وبما أني لاأستطيع
أن أصنعَ منه ديدالوس ـ وليس لسبب آخر ـ
طلبَ من أبيه حرقي على الخازوق.

118 لكن مينوسَ العادلَ دفعني إلى
هذا الخندقِ الأخير من العشرة بسبب
السيمياءِ التي مارستها في الأرض».

121 قلت للشاعر: «أهناك عِرقٌ أشدُّ
تفاهةً من السيينيين؟ فحتى الفرنسيون
يبدون بالمقارنة، جدّ معتدلين».

124 فأجابني أبرص آخرُ بسخرية:
«ماعدا ستريكا، الذي خطط بدقة
أن يعيشَ وينفقَ باعتدال،

127 ونيكولو، الذي كان في زمنه،
أسبقَ الجميع في تلك الحديقة المكتظة
إلى اكتشافِ الاستخدامِ الباهظ للقرنفلِ،

130 وباستثناء مجموعة الموهوبين الرائعةِ
التي فيها بدّد كاشيا كرومَهُ وغاباتِهِ
وأظهر أباغليتو ذكاءه.

133 فإن رغبتَ أن تعرفَ من انضمَّ إلى

https://jadidpdf.com

صراخك ضد السيينيين، فادرسْ وجهي
باهتمام، فهو يعطي الجوابَ المناسب.

136 سترى أنني الظلُّ المعذّبُ لكابوشيو
الذي بممارسته فنَّ السيمياء
زيّنَ المعادنَ، وعليك أن تعرف إلى أي
مدى كنتُ قرداً طيباً للطبيعة».

الملاحظات:

10 ـ القمر الآن تحت أقدامنا: تكون الشمس فوقهم، أي ظهر سبت النور.

27 ـ جيري ديل بلو: ابن عم والد دانتي، قتل في نزاع مع آل ساكيتي في فلورنسا.

47 ـ ماريما، فالديكيانا، سردينيا: أهم مناطق وباء الملاريا.

59 ـ إيجينا: حورية ولدتْ من جوبيتر ابناً هو إيكوس. غارت جونو منها فسلطت الأوبئة على جزيرتها ـ المسماة باسمها ـ فمات كل حي من إنسان وحيوان ما عدا إيكوس الذي صلّى طالباً مساعدة أبيه في إسكان الجزيرة، فتحول النمل إلى بشر، وسموا «المرميدون» وبهم حارب أخيل في طروادة.

110 ـ السييني: من مدينة سيينا.

136 ـ كاباشيو: زميل دانتي أيام الدراسة. تعاطى السيمياء فأُحرق على الخازوق.

https://jadidpdf.com

النشيد الثلاثون

الدائرة الثامنة: الخندق العاشر — مزيِّفو الشخصية

مزيِّفو النقود

مزيِّفو الكلمة

الحكاية: يتابع دانتي استعراض أنواع المزيفين، ويعرض نماذج منهم، مثل ميرا وجياني سكيكي. ويعرض علينا النزاع بين آدم البرسكاني وسينون الطروادي. يؤنبه فرجيل على هذا التأخر، فيتابعان الرحلة.

1 حين انتقمَتْ جونو من سيميلي
ذاك الانتقامَ المرعبَ، راحتْ
بغضبٍ شديد تضربُ البيتَ الملكيَّ الطيبي.

4 فجُنَّ جنونُ الملك أتاماس من خديعتها
عندما رأى زوجته تحلّق
ومعها ابناهُ، فصرخ بحاشيته:

7 «اطرحوا شباككم هناك، وهنا عبْرَ الممر
سأقتنص هذه اللبوةَ مع الشبلين».
وأنشبَ أظفاره مجنوناً ضارياً.

https://jadidpdf.com

10 أمسكَتْ بابنه ليرخوس ولوّحَتْ به، ثم
على صخرةٍ قَذَفته، فرمَتِ الأمُّ
نفسها مع ابنها الآخر في البحر وغابا.

13 وعندما دارت عجلةُ الحظّ
لإذلالِ كبرياءِ هذا الطروادي
زالتِ المملكةُ وزال المُلكُ،

16 هيكوبا ـ المشرقةُ الحزينةُ البائسةُ ـ
رأتْ بولكسينا تُذبح وبوليدورس
يموتُ بلا دفنٍ، ولاقبرٍ، ضائعاً،

19 وحيداً قرب بحر غريب،
فراحتْ تُعولْ وتنبحُ في
سَوْرةِ جنونها كالكلب.

22 لا في طيبةَ ولافي طروادة شوهدتْ ربّاتُ الرعب
يُصِبْنَ رجلاً أو حيواناً، في غضب جنوني
كما شاهدْتُ رجلين شاحبين عاريين قذرين،

25 أسرعا فجأة في اتجاهنا وقد
كشّرا عن أسنانهما كخنزيرين جائعين
لم ينالا وجباتهما ليلة كاملة في الحظيرة.

28 أحدهما غرز أنيابه بوحشية
في عنق كابوشيو، ولما جرّه
مزّقَتْ بطنَهُ صخورُ القاع.

https://jadidpdf.com

31 قال الأرتوزي الذي يرتجف قربي:
«ذلك الكابوسُ هو جياني سكيكي في عالم الأرض،
وهو هنا يركض مسرعاً يشوّه الآخرين».

34 أجبتُ: «ربما الآخر لايغرزُ أسنانه
فيكَ، فهلّا أخبرتنا أيُّ ظل
هو قبلَ أن يبدأ بحمّى الركض؟».

37 أجاب: «الظل الذي في الأعلى ظلٌّ قديم،
إنه ميرا، ابنةُ سنيراس الآثمةُ،
أحبَّت أباها أكثرَ من الحب الطبيعي.

40 فانتحلَتْ شكلَ شخصية أخرى، وجاءت
متنكرة لتأثَمَ معه، مثلما تنكّر ذاكَ
الذي يركض هناك، للحصول على

43 الفَرَس الأسطورية، فاضطجعَ متنكراً
بدلاً من بوزو دي دوناتي على فراشِ الموت
وأملى وصيَّته على كتّاب العدل».

46 وعندما غاب الاثنان عن الأنظار
التفتُّ لأراقبَ الأرواحَ
السّفاحيةَ المرتمية يساراً ويميناً.

49 وهناك شاهدْتُ خاطئاً من نوع آخرَ
فَقَدَ مدّ ساقيه عند الجِنية
وبدا لكل العالم كأنّه مندولين.

https://jadidpdf.com

52 فقد انتشرَ الاستسقاءُ فيه وامتدّ
إلى الأطراف، فصار يشوّهه حتى بدا
وجهُهُ صغيراً جداً أمام بطنه المتورِّم،

55 ضغط جداً على شفتيه ودفعهما
إلى الأمام مثل مريضِ الحمّى العطشانِ
فاندلقَتْ شفّة على الذقن وأخرى إلى أعلى.

58 «أنتما، يا من لايطالكما عقابٌ
في هذا العالم المريع (ولا أعرف السبب)
انظرا إلى بؤسِ ووضاعة هذا الذي

61 كان يُدعى ماستر آدم. ما أكثر
المسراتِ في حياتي أما هنا فأنشدُ
نقطة ماء فقط لأطفئَ ظمئي.

64 الجداولُ المتدفقةُ في جنبات
كاسنتينو إلى نهر الأرنو تنشرُ
على ضفتيه رطوبةً عذبة منعشة،

67 تجري باستمرار بتدفقها ورقراقها
في خيالي فيؤلمني عطشُها أكثرَ
من المرض الذي ينهشُ لحمي.

70 العدالةُ الصارمةُ مزّقتْ روحي
ونثَرتْها كالتبن، وسوف تجدها
أشدّ صرامةً في البلد الذي ارتكبتُ إثمي فيه.

https://jadidpdf.com

73 وهذا يضاعف ألمي، فهناك في
رومِنا سكَكْتُ صورةَ يوحنا المعمدان
على خليطةٍ ذهبية ـ فاعتُقلتُ وأُحرقتُ،

76 ولكن لو رأيتَ روحَ غيدو هنا
أو أليساندرو أو روحَ أخيهما القذرِ
لما اتجهَتْ عيني صوبَ كل المياه

79 المتدفقةِ من نهر براندا. أحد الثلاثة
جاء هنا ـ إن لم تكذبِ الأشباحُ
الراكضة. ولكن أيّ جدوى في ذلك

82 طالما لافائدةَ من ساقي. لو كنتُ
خفيفاً وتحركت بوصةً كل مئةِ سنة
لكنتُ تحركت منذ أمد طويل

85 وأمسكته من بين نفايات هذه الحفرة
مع أن الدربَ يمتدّ أحد عشر ميلاً
ولايقلّ عرضُهُ عن نصفِ ميل.

88 فبسببهم أنا في حظيرة الخنازير هذه،
هم الذي ألحّوا علي فزيّفت الفلورين
بإنقاص ثلاثة قراريط من ذهبِ الخليطة».

91 فقلت: «مَنْ هذان النائحان على تخوم
يدكَ اليمنى، ومن الذي يصعد دخانُهُ
كما يصعدُ البخارُ من اليد المغسولة شتاءً؟».

https://jadidpdf.com

94 أجاب: «كانا هنا عندما هبطتُ لأول
مرة، ولم يتغيرْ وضعهما منذئذ،
ولن يتغيرَ إلى الأبد كما أظن.

97 أحدُهما تلك الكاذبةُ التي اتَّهمت يوسفَ زوراً
والآخرُ سينون، يونانيٌّ طروادةَ المزيفُ
إن حمّى حارقةً هي التي تجعلهما يدخّنان بشدة».

100 وسينون أحدُ اثنين كاذبين، وربما
اتُّهم بما اتُّهم به ماستر آدم، لطمه على
بطنه المنتفخة المتحجرة،

103 فقرعَتْ كالطبل ـ فردّ ماستر
عليه بضربة من ذراعه على الوجه
من دون أدنى ذرّةٍ من التهذيب

106 قائلاً له: «مع أني لا أقدر على تحريك
ساقيّ المتورمتين، فإني أملك
ذراعاً تجيبُ عندما لايكون هناك جواب».

109 قال البائسُ سينون: «لم تكن ذراعُكَ طليقةً
عندما أخذوك إلى الخازوق، كما كانت
طليقةً عندما كنت تسكُّ». فقال المستسقي

112 ماستر: «تقول الحقّ، ولكن لم تقلِ
الحقَّ عندما استنطقوك في طروادة».
فردّ سينون: «لم أنطقْ بكلمة حقّ،

https://jadidpdf.com

115 أما أنت فزيّفتَ من النقود ما يملأُ بوشلاً.
أنا قُذِفتُ هنا لجريمة واحدة، أما
أنتَ فجرائمك تفوق جرائمَ شيطانٍ في الجحيم».

118 أجاب ماستر المتورّم: «تذكّرِ الحصانَ،
وربما آلمكِ، أيها الحانثُ، أن تتذكر
أن العالم كلّه يعرفُ الدورَ الذي قمتَ به».

121 قال اليونانيُ: «يكفيكَ عذابُ العطش
الذي يشوي لسانكَ، وعذابُ الماء الذي
يجعل بطنكَ متورّماً كسياجٍ أمام عينيك».

124 فردّ مزيّفُ النقود: «هذه عادتك
أن تملأ فمكَ بالقذارة، ودائماً تقذفها،
وإذا كنت عوقبتَ بورمِ الاستسقاء

127 فإنكَ عوقبتَ بالحمّى التي تقرّح مخكَ،
ولو دعوك إلى لعق مرآة نرسيسَ
لما احتجت إلى دعوة ثانية».

130 كنت واقفاً فوق هذين
عندما قال سيدي: «إذا بقيتَ تنظرُ
هكذا فليس بعيداً أن أخاصمكَ».

133 عندما سمعته يرفع صوته
أسرعت وعلاني الخجلُ الذي
يزيدني شحوباً كلما تذكرته.

https://jadidpdf.com

136 ومثل من ركِبه كابوسٌ
وأطبق على عقله النائم، يتمنى
وهو يحلم أن يكون كلُّ شيء حلماً

139 كذلك أنا: فخجلي منعَ صوتي
من أن أسأله العفوَ، لكن
خجلي حقَّق لي الاعتذار أكثر.

142 قال مرشدي برقة: «قليلٌ من الخجل
يغسل غلطةً أعظمَ من غلطتكَ،
لذلك أبعِدْ عن عقلك كل ندم.

145 ولاتنس أنني إلى جانبك دائماً، إذا
حدث ثانية، ونحن نسير، أن وجدنا
أنفسَنا عند مجموعةٍ تثرثر،

148 فإن من التفاهةِ الإصغاءُ إلى التفاهة».

الملاحظات:

1 ـ انتقمت جونو: أنجب جوبيتر ابنه باخوس من سيميلي، وهي ابنة قدموس الطيبي، فغارت جونو زوجته، وانتقمت بطرق مختلفة، منها رمي الملك أتاماس بالجنون.

16 ـ هيكوبا: زوجة بريام ملك طروادة. بعد دمار طروادة أُسرت وأُجبرت على التضحية بابنتها وشاهدت ابنها يُذبح ويترك بلا دفن.

31 ـ الأرتوزي: غريغولينو، صاحب كابوشيو.

32 ـ جياني سكيكي: عندما مات بوزو دي دوناتي، قام ابنه سيمون بحمله من فراشه، ووضع جياني بدلاً منه، ليدلي بوصية على الكاتب بالعدل لصالح سيمون ونال سكيكي نصيبه، ومنه فرس مشهورة.

38 ـ ميرا: ابنة سنيراس ملك قبرص، عشقت أباها فتنكرت ونامت في فراشه.

https://jadidpdf.com

اكتشف أبوها الأمر فهربت وتحولت إلى شجرة آس. ومن مضاجعة أبيها جاء أدونيس.

61 ـ ماستر آدم: البريسكي الذي أمره الكونت غيدو روفينا بتزييف الفلورين الفلورنسي، فوضع واحداً وعشرين قيراطاً من الذهب بدلاً من أربعة وعشرين، فخلق في شمال إيطاليا أزمة خطيرة.

65 ـ كاسنتينو: مقاطعة ينبع منها نهر الأرنو.

74 ـ يوحنا المعمدان: شفيع فلورنسا، سُكّت صورته على الفلورين.

79 ـ أحد الثلاثة: هو غيدو الذي توفي قبل العام 1300 .

97 ـ اتهمت يوسف: هي زوجة فوطيفار، التي ادّعت أن يوسف راودها عن نفسها.

98 ـ سينون: يوناني أقنع الطرواديين أنه معهم، وأقنعهم بادخال الحصان الخشبي، فسقطت المدينة.

116 ـ جريمة واحدة: يبدو أن دانتي يعتبر كل مسكوكة مزورة جريمة قائمة بذاتها.

128 ـ مرآة نرسيس: كان نرسيس يتمرأى في صفحة مياه الأنهر. ولعق المرآة يعني شرب الماء.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي والثلاثون

الحفرة المركزية العماليق

الحكاية: يصل الشاعران إلى البئر الذي في قاع الهوة. وحول هذا البئر يقف العماليق، لايظهر من فوق حافته إلّا خصر العماليق فما فوق. ويرى الشاعران النمرود باني برج بابل وإفيالتس وبرياروس اللذين حاربا الآلهة، وتيتوس وتيفون اللذين شتما جوبيتر، كذلك يريان «أنتيوس»، وهو من أضخم العماليق. يطلب فرجيل من أنتيوس أن يحملهما بكفه ويضعهما برفق في قاع الجحيم.

1 بلسانه تلقيت أول جرح
فسال الدمع دماً على الخدّين، ثمّ
بلسانه ذاتِه قدّم الدواءَ وشفاني.

4 ومثلُ هذا ما سمعته عن الفولاذ
السحري للرمح الذي به يستطيع أخيل
وأبوه أن يجرحا بلمسةٍ وأن يداويا بأخرى.

7 أدرنا ظهورنا إلى الوادي وتسلقنا فيه
إلى قمة الضفة الصخرية التي تحيطها
الأسوارُ، فقطعنا بصمتٍ إلى الحفرة المركزية.

https://jadidpdf.com

10 هنا كان الوقت بين الليل والنهار
عيناي لاتخترقان الظلمةَ إلّا قليلاً،
لكني سمعتُ اللحن الذي يؤديه البوقُ

13 بصوتٍ أعلى من أيّ رعد. وكأني
أغصبُ عيني على النظر، حدّقتُ في الظلمة
عبرَ ممرّ الصوت لأعرفَ مصدره.

16 بعد الهزيمة الدموية عندما فقد شارلمانُ
عصبةَ «الفرسان المقدسين» لم ينفخْ رولاند
مع كل ألمه، مثلَ هذا الصوت.

19 وإذ حدّقتُ في ذلك العماء الغامض
رأيت ما خيّل لي أنه رواقٌ بأبراج هائلة
فصرختُ: «سيدي ما هذه المدينة؟».

22 قال: «مازلتَ بعيداً في الظلمة حتى
تتبينَ بوضوحٍ ماتراه، ومن
الطبيعي أنك تخطئُ التشخيصَ.

25 سوف تتضح رؤياكَ عندما تصل ذاك المكان
ومهما أخطأتْ عيناك تقديرَ المسافة،
أشيرُ عليك بأن تزيدَ من خطواتك».

28 ثم أخذ بيده يدي وقال: «الأفضلُ
أن تعدّ نفسك لرؤية حقيقة غريبة.
دعْني الآن أشرحُ لك حقيقةَ الأشكال التي تراها.

https://jadidpdf.com

31 ماتراه ليس أبراجاً، بل عماليقُ يقفون في
البئر من منتصفهم فما دون. وهم
مقيمون حول حافته يحرسون الحفرةَ الأخيرةَ للجحيم».

34 مثلما يبدأ الإنسان في الضباب المنقشِعِ
يميزُ قليلاً قليلاً الأشكالَ التي مازالتْ
عليها بقيةٌ من بخار الهواء،

37 كذلك هذه الأشكالُ بدأت
تتضحُ كلما ابتعدَتْ عن الظلمة وقاربتِ البئرَ
فابتعدَ الخطأُ عني، واقترب الرعبُ مني.

40 وكما تتوّجُ الأبراجُ الكبرى في قلعة
مونترغيوني السورَ المحيطَ، كذلك العماليقُ
الذين مايزال جوبيتر يهدّدهم كلما هدرَ الرعد.

43 وقد ظهر من على الحافَّة الصخرية للبئر
النصفُ الأعلى لأجسادهم المنتصبة
كالأبراج في هواء الجحيم المظلم.

46 اقتربتُ مسافةً كافيةً فظهر أحدهم
وقد أسبلَ ذراعيه الطويلتين على جانبيه
وظهر وجهُهُ وكتفاه وصدرهُ ومعظمُ بطنه.

49 عندما أقلعتِ الطبيعةُ عن النماذج
التي شَكّلت منها هؤلاء الوحوشَ فعلتْ
خيراً، وانتزعتْ من مارس مقاتلين أمثالَهم.

https://jadidpdf.com

52 فإذا لم تندمْ على خلق الحيتان
والفيلة، فإن الإنسان العاقل يرى
في ذلك عدالتَها وحسنَ اختيارِها:

55 فحيث اجتمعتْ أداةُ المعرفة مع القوة
الغاشمة وإرادةِ الشر، فإن
البشرية لاتستطيع الدفاعَ عن نفسها.

58 وجهه ـ كما بدا لي ـ شبيهٌ تماماً، بطوله وعرضه،
بكوز الصنوبر البرونزي في كنيسة القديس بطرس
أما بقية أعضائه فمتناسبةٌ ومنسجمةٌ مع بعضها،

61 بحيث أن الرصيف الذي صار أشبهَ
بميدعةٍ لخصره، يفضحُ الادعاءَ
بأن ثلاثة فريزيين يقفون على الحافة

64 الواحدُ فوق الآخر لايصِلون إلى شعره،
فمِنْ مربط عباءته وحتى الأسفل هناك
مسافةُ ثلاثين شبراً من الأشبار الضخمة.

67 «رافل ما هي أميك زابي ألميت»
هكذا بدأ ينفخُ مغنياً من شِدقهِ المرعب
وليس هناك أعذبُ من هذه المزامير تليقُ به.

70 فقال سيدي: «أيها المأفونُ اذهبْ
إلى بوقك وانفخْ فيه بنفسك عندما
يتملك الغضبُ والانفعالُ نفسَكَ الغبية.

https://jadidpdf.com

73 تحسّس رقبتكَ، أيها الرأسُ المشوّش
واعثرْ على الحبل، ففيه رُبط البوقُ
وتدلى على صدركَ الجبار»، وقال لي:

76 «إنه يقوم باختبار الخطأ الذي
اقترفه على الأرض، إنه نمرودُ، الذي
بسببه لم يعدِ البشرُ يتكلمون لغةً واحدة.

79 لاتهدِرْ كلماتك معه: فذلك غباء.
فكلّ الكلام لديه بلا معنى، مثل كلامه
الذي لايفهمه أحد. إنه كلامٌ خنفشاري».

82 سرنا نحو اليسار على طول الهوّة،
وبعد مسافة رميةِ سهمٍ وجدنا الثاني
وهو أضخمُ هامةً وأوحشُ نفساً.

85 أنا لا أعرف من ربطَ هذا الوحشَ،
ولكني رأيت ذراعَهُ اليمنى تثبتُ
خلفه ويده اليسرى على صدره،

88 بسلسلة ضخمة تلفُّ حوله من
رقبته فأسفل، مكملة خمسَ لفّاتٍ
قبل أن تختفي تحت الحافة.

91 قال لي سيدي: «هذا الجبارُ المتباهي
تحدّى جوبيتر مجرّباً قوته
فكافأه جوبيتر بما تراه.

https://jadidpdf.com

94 إنه إفيالتس، الذي هبّ منتفضاً مع بقية
العماليقِ ضد الآلهة، فالذراعان اللذان
رفعهما مكتّفان الآن وإلى الأبد».

97 قلت: «إذا كان بالإمكان أودّ أن
أحملَ معي ذكرى رؤيةَ
الجبارِ بريارُوس الهائل».

100 قال: «ما أقربَهُ إلينا، وتستطيع
أن ترى أنتيوسَ الذي يمكن أن يحدثنا
لأنه طليقٌ، وهو الذي سينزلنا إلى كوسيتوس،

103 إلى قاع كل الخطايا. والعملاقُ الآخرُ
يقف بعيداً عن طريقنا. إنه مقيّدٌ
ويبدو كهذا، بتقطيبة أشدَّ وحشية».

106 هزَّ إفيالتس بدنه، فلم أرَ
زلزالاً مريعاً يهدُّ الأبراج بعنف
مثلَ زلزلة هذا الوحش.

109 هنا شعرتُ بالخوف كما لم أشعر به:
واعتقدتُ أنه الخوفُ الذي يميتني
لولا هذه الأغلالُ التي تقيّده.

112 تركنا الوحشَ، ووصلنا غير بعيد
عنه إلى أنتيوس، الذي من كتفه
فقط برزت خمسةُ أذرعٍ وضعها على الحافة.

https://jadidpdf.com

115 «أيها الروح الذي مرة في وادي زاما
ـ حيث غدا سيبيون وريثَ المجد، وحيث
ولّى هانيبالُ وجنوده مهزومين ـ

118 أخذْتَ أكثرَ من ألف أسد ضحيةً لكَ
وهذا ما وطّد بعض الاعتقاد بأن
أبناءَ الأرض سيكسبون المعركة،

121 بانضمامكَ إليهم ضد الأولمب السامي ـ
لاتتمنّعْ من أن تقدم لنا خدمةً صغيرة،
وهي أن تنزل بنا إلى حيث الزمهريرُ: كوسيتوس

124 أم أنك تريدنا أن نمضِيَ إلى تيتوس أو تيفون؟
إن هذا الرجلَ يمكن أن يقدّمَ ما أنت مشتاقٌ له:
لذلك لاترفضْ طلبه، واحنِ هامتك.

127 فما زال قادراً على تجديد ذكراك
فهو حيّ، وحياته طويلة، ما لم تأخذه
العنايةُ الإلهية إلى السعادة قبل الأوان».

130 هكذا كلّم سيدي «بُرجَ الكبرياء»،
ومن دون تأخير وصلتْ يدا العملاق
اللتان ذاق ضربَهُما هرقلُ، ورفعتا سيدي.

133 وعندما شعر فرجيل أنه متمكّن دعاني:
«هيا سوف أجعلك في أمان».
وأخذني بذراعيه ورفعني.

https://jadidpdf.com

136 ومثلما يبدو كارسندا لعيني من
ينظرُ إلى أعلى وهو في المنحدر
حيث الغيومُ تمرُّ في ذاك الاتجاه

139 جاعلةً البرج يبدو كأنه منقلِبٌ ـ
هكذا بدا لي أنتيوس في لحظة رعب
عندما وقفتُ متمسكاً أرقبه من الأسفل

142 وهو ينحني، وكنت أقول في قلبي
ليتنا ذهبنا في طريق آخر، لكنه
وضعنا بلطفٍ في الحفرة الأخيرة التي

145 يقبعُ في زمهريرها يهوذا ولوسيفر. ثم انتصب
مثل صاريةٍ فوق سفينة.

الرموز والصور:

العماليق: الملاحظ أننا هنا في جو ميثولوجي. العماليق عوقبوا لأنهم تمردوا على جوبيتر أو على آلهة الأولمب، حتى أن بعضهم أراد أن يضع جبلاً فوق جبل للوصول إلى الأولمب ومحاربة الآلهة. فالمشهد هنا يدافع عن المعتقدات الوثنية، عن آلهة الجمال والفنون والطبيعة، ويدين كل قباحة ولو لم تكن مترافقة مع جريمة. فتمرد العماليق خرق للدستور المنطقي، خرق للحق والخير والجمال. وقد أقلعت الطبيعة عن إنتاج هذه المخلوقات.

الملاحظات:

5 ـ رمح أخيل: ترك بليوس والدُ أخيل رمحَه السحري لابنه، وبه يستطيع أن يجرح ويداوي.

17 ـ رولاند أو «أورلاندو»: ابن أخ شارلمان، بطل الملحمة الفرنسية «أغنية رولاند». حمى مؤخرة شارلمان أثناء الانسحاب من جبال البيرينيه. وعندما هاجمه العرب أبث عليه كبرياؤه النفخ في البوق طلباً للنجدة. لكنه صرخ عندما كان يُحتضر فسمعه شارلمان على بعد ثمانية أميال.

https://jadidpdf.com

17 ـ الفرسان المقدسون: عصبة تشبه فرسان المائدة المستديرة.

41 ـ مونترغيوني: قلعة في وادي إلزا قرب سيينا شيدت عام 1213 . أسوارها تسيجها لأكثر من نصف كيلومتر، ومتوجة بأشكال برجية. دُمرت الآن تماماً.

59 ـ كوز الصنوبر البرونزي: كوز يبلغ ارتفاعه سبعة أقدام ونصف القدم تحت مظلة كنيسة القديس بطرس في روما، لكن هذا الأثر نُقل الآن إلى الفاتيكان.

63 ـ الفريزيون: اشتهر رجال فريزلاند بطول قاماتهم.

67 ـ رافل ما هي...: بيت لامعنى له يصور نطق النمرود ولغته الخاصة.

77 ـ النمرود: أول ملك في بابل، قام ببناء البرج الشهير، فعوقب بتبلبل الألسنة هو وكل من يعمل في البرج، ومن هنا اختلاف اللغات كما تذهب الأسطورة. أما التوراة فلا تصوره عملاقاً.

94 ـ إفيالتس: ابن نبتون من أفيميديا. حارب مع أخيه أوتس الآلهة. حاول أن يضع الجبال فوق بعضها للوصول إلى مكان الآلهة.

99 ـ بريياروس: عملاق آخر قام ضد الألوهية. وصفه فرجيل بالضخامة، له مئة ذراع وخمسون يداً (الأنياذة 10: 565 ـ 568).

101 ـ أنتيوس: ابن نبتون من تيلوس (الأرض). يكتسب مزيداً من القوة كلما لمس الأرض. قتله هرقل، وقد اصطاد لطعامه مئة أسد في وادي زاما، وهو الوادي الذي انتصر فيه سيبيون على هانيبال فيما بعد. لكن أنتيوس لم يحارب ضد الآلهة. ولذلك نجده غير مقيد.

123 ـ كوسيتوس: الهوة الأخيرة للجحيم.

124 ـ تيتوس و تيفون: ابنا تيلوس أيضاً. هاجما جوبيتر، الذي قذفهما تحت بحيرة ترتاروس.

136 ـ كارسندا: برج مائل في بولونيا.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني والثلاثون

الدائرة التاسعة: كوسيتوس

الحلقة الأولى: قائين (خونة الأقارب)

الحلقة الثانية: أنتينورا (خونة الوطن)

الحكاية: يصل الشاعران إلى قاع الجحيم حيث بحيرة الزمهرير، وتدعى كوسيتوس، وهي مقسّمة إلى أربع حلقات. المعذبون فيها هم خونة الأقارب وخونة الوطن وخونة الضيوف وخونة الأسياد. فما العذاب الذي ابتكره دانتي لهم؟

الخيانة تعني قطع الرابطة وفقدان الحرارة الإنسانية. وكل من لايشعر بدفء العلاقة البشرية يعمد إلى قطعها. فعذابه - إذن - هو وضعه في بحيرة جليد لايستطيع أن يمد يده لقطع أي شيء، أما الزمهرير فرمز لفقدان الحرارة البشرية. فالعذاب هنا، كما هو في غير مكان، من اختيار الخطاة أنفسهم. إنه يليق بحياتهم الأرضية.

في الحلقة الأولى (قائين) نطلع على خونة الأقارب وفي الحلقة الثانية (أنتينورا) نطلع على خونة الوطن: قائين غدر بأخيه، وأنتينورا خان طروادة وتآمر مع اليونانيين.

1 لو اقتنصُ القوافي جهمةً مريعةً

مثل الوهدة الأخيرة في الجحيم،

التي تحمل أثقالَ كل الوهدات فوقها،

https://jadidpdf.com

4 كنت عبّرتُ عن جوهر
فكري تعبيراً دقيقاً، ولكن بما أني
من دونها، فسأبدأُ وفي نفسي شيء من نفور.

7 ليس سهلاً أن أصفَ
قاع الكون كله، ولايُستحسَنُ
بالألسنة أن تلغوَ بكلام طفولي سطحي.

10 ولكنْ على سيدات الينبوع السماوي
اللواتي ساعدْنَ أناملَ أمفيون في بناء سور طيبة
أن يمنحْنَ شِعري ما يجعلُ الكلمة مساوية للشيء.

13 وأنتم أنتم يا حثالةَ القذارة، يا من
تقبعون في مكانٍ اسمُه وحدَهُ يثيرُ الألمَ
أما كان الأفضلُ لو وُلِدتم نعاجاً أو معزى؟

16 نحن نقف الآن في الهّوة القاتمة للبئر
بعيداً في المنحدر تحت أقدام العماليق،
وبينما كنتُ أحدّقُ بالجدار الهائل،

19 سمعتُ صوتاً صارخاً: «انظرْ أيَّ طريق ستأخذ
واحذَرْ أن تجوسَ على رؤوس
الأخوة الحانثين البائسين».

22 نظرتُ فرأيتُ تحت قدمي
إلى الأمام بحيرةً متجمّدة
كأنها مُلِئتْ بِلّوراً. صفحتها سميكة

https://jadidpdf.com

25 لن تجد لها مثيلاً، لا في مجرى
الدانوب شتاءً، ولا في مجرى الدونِ
تحت الشمس المتصلبة،

28 فلو ضربتَها بجبلِ تامبرنك وقمة
التيرابانا الضخمةِ، لما تأثرتْ
حتى حوافيها، ولو بصَدْعٍ بسيط.

31 بالطريقة التي تجلسُ الضفادع تنقُّ
وقد خرجت خياشيمُها فوق الماء، في الفصل
الذي تحلمُ فيه بنتُ الريف بجني محصولها.

34 كذلك هؤلاء الموتى المزرقّون المسمّرون
وحتى ذلك الجزءِ الذي يظهر عليه الخجلُ
تصطكُّ أسنانهم مثل اللقالق.

37 كلٌّ صوّب وجهه نحو الجليد ليشهدَ
بفمه المرتجفِ وقلبه المتألمِ
ودموعِهِ الأبدية على شدَّة الصقيع.

40 وعندما حملقْتُ حولي، نظرتُ أسفلَ
فرأيت عند قدمي اثنين اجتمعا معاً
لدرجة أن شعرَ رأسيهما نما معاً.

43 قلت «من أنتما، يا من تضطجعان
ملتصقَيْنِ صدراً بصدر؟». فسعيا إلى تحريك
رقبتهما، وعندما رفعا رأسهما كما لو كانا

https://jadidpdf.com

46 يجيبان، تشكّل دمعُهما، وماكاد الدمعُ
ينبجسُ حتى جمّده الزمهريرُ بين
الجفون فسدّها وأطبقها بإحكام

49 أشدّ من إحكام خشبتين بين فكي مَلْزمةٍ
وأثار الألمُ جفونهما، فانخرطا في نطاح
مثل تَيْسين في قِراعٍ وحشي مفاجئ.

52 ثم صرخ واحدٌ، صلّمَ الزمهرير أذنيه
من رأسه المتندّب، ووجهُهُ ظلّ
منخفضاً: «لماذا تنظر إلينا بقسوة؟

55 إن كنت راغباً في معرفة من اشتركا
في مصير واحد، فهما مع أبيهما ألبرت
ملّكُوا وادي بسينزيو. من رحمٍ واحدٍ

58 خرجا، ولو بحثتَ في دائرة قائين كلّها، لن
تجد في كل هذا الخراب ظِلّين نموذجيين
يقفان هنا متجمديْنِ في الزمهرير،

61 ولاذاك الذي تلقّى صدرُهُ وظلُّه طعنةً
من الرمح العظيم للملك أرثر فقطَعَتْهُ،
ولا فوكاشيا، بل ولا هذا المربّطُ

64 في الجليد فلا أرى منه سوى رأسِهِ
والذي ـ وإن كنت توسكانياً ـ تعرفه جيداً
فهناك في الأرض كان اسمه ساسول مسكروني.

https://jadidpdf.com

67 وأنا ـ حتى أريحَكَ وأخبرك كل شيء ـ
كاميشون دي بازي. إني أنتظر كارلينو
الذي تبدو خطاياي فضائلَ لدى جريمته».

70 تركته فرأيتُ آلافَ الوجوه شاحبةً
من البرد فارتعدْتُ، وهكذا أفعل
كلما تذكرتُ تلك الأماكن المتجمدة.

73 وإذ وصلنا مركز كل الأثقال
رحتُ أرتجف في الظل الأبدي.
ولا أدري، هل إرادتي أم المصادفةُ

76 أم القدرُ... كل ما أعرفه أنني تبعتُ
مرشدي بين الرؤوس فصدمَتْ قدمي
بعنف وجهاً منها. بكى وصرخ:

79 «لماذا ترفسني؟ إن لم تأت للمزيد
من الانتقام لخيانتي في معركة مونتابرتي، فلماذا
تضيفُ إلى عذاباتي عذاباً آخر؟».

82 قلت: «أيها السيد اسمح لي بلحظة توقُّفٍ
أزيلُ من نفسي الشكَّ نحو هذا الرجل،
ثم يمكنك أن تحثَّ خطاي ما شئت».

85 توقف السيد فجأة، وخلال وابلٍ
من الشتائم البذيئة التي قذفها البائسُ قلت:
«من أنت يا من تلعنُ الآخرين؟». قال:

https://jadidpdf.com

88 «ومن أنت يا من تجوس أنتينورا،
مخزنَ لحم الموتى، رافساً خدودَ الآخرين
بشدة. لو كنت حيّاً لما رفستَ أشد؟».

91 قلت: «أنا حيّ، فإن كنت تبحثُ عن شهرة
فمن الأفضل لك قبل كل شيء
أن يدخل اسمُك ضمنَ ملاحظاتي عن الجحيم».

94 «رغبتي عكسُ ما تقول تماماً،
فدعْني وشأني، لأنك لاتعرفُ كيف
يكون التملّقُ في هذه الهوّة الجليدية».

97 جذبته من شعر قفوتِهِ وقلت:
«إما أن تخبرني من أنت حقاً،
وإلّا فلن تبقى شعرةٌ في رأسك».

100 قال: «لو جعلتني أصلعَ لما فعلت.
أقسمُ لا أقولُ اسمي ولا أُظهرُ وجهي
ولو فلقتَ رأسي».

103 كنت ممسكاً بشعره جيّداً، ونتفْتُ
أكثرَ من قبضة شعر، بينما راح
المسكين يعوي، لكنه ظلّ مُشِيحاً بوجهه عني،

106 فإذا آخرُ يقول: «ما الذي يؤلمكَ يا بوكا؟
أي خطأ في الجحيم؟ أليس رديئاً لدرجة
أنكَ تسمعُ صريفَ أسنانك؟ أتريد النباحَ أيضاً؟».

https://jadidpdf.com

109 صرخت: «لاتقلْ شيئاً الآن أيها الخائنُ القذرُ
وتأكد أنني ـ بالنسبة إلى عارك ـ سأنقل
تقريراً وافياً عنك». فرد المسكين:

112 «قل ما يرضيكَ ولكن ابعد عني.
فإذا عدتَ إلى الأرض، فتجاهلْ
ذلك المسكينَ الذي لديه الكثيرَ ليقوله الآن.

115 هنا يرثي فضة الفرنسي، ثمن الخيانة.
قل في تقريرك رأيت بوزو دا دورا
حيث يُحفظ الخطاةُ بالجليد.

118 فإن سألوك من هناك غيره يمضي الشتاء
فقل بيكيريا الذي شقّت فلورنسا عنقَه، وهو
هنا إلى جانبكَ. والأقربُ منه هو جياني

121 دا سولدانيرا، وأظنّه مع غانيلون
وتيبالديلو، اللذين فتحا بواباتِ فنزا
وتركا بولونيا تُنهبُ عند الفجر».

124 تركته، فرأيتُ روحين معاً في
حفرة واحدة، وقد صدَعَهما الجليد
فكان رأس الواحدِ خوذةَ الآخر.

127 وكما يقرض الجائعُ الخبزَ اليابسَ ـ هكذا
غرز الخاطئُ أنيابهُ في قفا الآخر،
عند قاعدة الجمجمة ملتهِماً غذاءه الكريه.

https://jadidpdf.com

130 لقد التهمَ تيديوس في ساعة غضبه
رأسَ مينالِيبوس بوحشية ليست أشدَّ من
وحشيةٍ من التهمَ الجمجمةَ وشربَ الدم.

133 قلت: «أنتَ، هناك، يا منْ تُظهرُ
كراهيتكَ للآخر، أخبرني لماذا؟
بشرط: إذا كان ما تخبرني به تعليلاً

136 معقولاً ضدَّ هذا الذي تأكله
بكل هذه الشراهة، فإني إن
عرفتكَ وعرفته، سأحدّث الأحياءَ

139 بقضيتك، إنْ أبقى لي اللهُ قوةَ الكلام».

الرموز والصور:

كوسيتوس: هي الدائرة الدنيا في الجحيم، تقع تحت الضجيج وتحت النار، حيث الأنفس الضائعة تقبع في صمت أبدي مريع وفي زمهرير جليدي مخيف. وجرائم الكوسيتوس هي أبشع الجرائم إطلاقاً. وكوسيتوس (نهر الحزن) هو رابع أنهار الجحيم، وقد أطلق دانتي على الحلقة الأولى اسم قائين، قاتل أخيه، رمز خيانة الأقارب، وعلى الحلقة الثانية اسم أنتينورا، الذي خان طروادة وباعها لليونان.

الملاحظات:

3 ـ تحمل أثقال كل الوهدات: إنها تقع تحت كل الدوائر وجرائمها أبشع الجرائم.

10 ـ سيدات الينبوع السماوي: ربات الفنون. أما أمفيون فقد عزف على القيثارة فجاءته حجارة جبل سيتيرون وشكلت أسوار طروادة.

28 ـ تامبرنك ـ تيرابانا: لايعرف موقع هذين الجبلين.

32 ـ الفصل الذي تحلم...: الصيف.

35 ـ الجزء الذي يظهر عليه الخجل: الخدود.

https://jadidpdf.com

41 ـ اجتمعا معاً: هما أليساندرو ونابليون، ورثا وادي بيسينزانو، أي قتل كلٌ الآخرَ من أجل التركة (أليساندرو من الجولف والآخر من الجيبليين)

61 ـ صدره وظله: هو موردريد، ابن أخ الملك أرثر، حاول قتله فعاجله أرثر برمحه الذي نفذ من صدره وطعن ظله.

63 ـ فوكاشيا: قتل ابن عمه.

66 ـ مسكروني: قتل ابن أخيه من أجل الميراث.

68 ـ كاميشون: ذبح أحد أقربائه.

68 ـ كارلينو: كان على رأس حامية القلعة، لكنه سلمها لقاء رشوة.

70 ـ تركته: هنا ينتقل من حلقة قائين إلى حلقة أنتينورا.

73 ـ مركز كل الأثقال: قاع الجحيم.

79 ـ المتكلم هو بوكا الذي خان فريقه في معركة مونتابرتي.

115 ـ فضة الفرنسي، ثمن الخيانة: الفضة هي الرشوة. إشارة إلى فضة يهوذا.

116 ـ بوزو دا دورا: برشوةٍ سَمَحَ للفرنسيين باختراق خطوط الدفاع.

119 ـ بيكيريا: قطع الجولف رأسه عام 1258 لتآمره مع الجيبليين المنفيين.

120 ـ جياني:غيّر ولاءه السياسي وانضم إلى حزب آخر فوضعه دانتي في الأنتينورا.

121 ـ غانيلون: انضم إلى العرب وخان رولاند.

122 ـ تيبالديلو: فتح بوابات المدينة عام 1280 للجولف لينتقم لنفسه من أسرة جيبلية.

130 ـ تيديوس... ميناليبوس: تيديوس قَتَل في المعركة ميناليبوس، لكنه أصيب بجرح مميت، فطلب رأس ميناليبوس فقطعوه وجاؤوه به، فراح يلتهمه قبل أن يموت. وتيديوس واحد من «السبعة ضد طيبة».

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث والثلاثون

الدائرة التاسعة: كوسيتوس

الحلقة الثانية: أنتينورا (خونة الوطن)

الحلقة الثالثة: بطليموس (خونة الضيوف)

الحكاية: يصغي دانتي إلى أوغلينو الذي يسرد قصة موته جوعاً. فقد سجنه روغيري ومنع عنه الطعام فمات جوعاً هو وأبناؤه، لذلك نجده في الجحيم يأكل رأس خصمه انتقاماً لنفسه ولأبنائه الأربعة الذين ماتوا جوعاً الواحد بعدالآخر، وبقي هو يومين وليلتين يتلمسهم ويبكيهم. وكان أوغلينو قد تحالف مع روغيري ضد حفيده نينو دي فسكونتي.

بعد أن يترك الشاعران أوغلينو يدخلان حلقة بطليموس المكابي (سفر المكابيين الأول: 16 وهو من الأسفار الأبوغريفية) الذي قتل حماه وضيوفه في وليمة دعاهم إليها. وهنا مكان عقاب أولئك الذين خانوا حق الضيافة، فلا يبدو من تحت الجليد إلا نصف وجههم، وتجمد الدموع في عيونهم. وفي هذه الحلقة يأتي الشياطين بالروح قبل أن يموت الجسد، نظراً لبشاعة الجريمة، أما أجسادهم التي تغادرها الروح فتحل فيها الشياطين.

1 رفعَ الخاطئُ شدقه عن وليمته المرعبة

ومسحهُ بشعر الرأس المدمّى

https://jadidpdf.com

الذي لم يبقَ شيء من قفوته

4 وأخيراً قال: «سألتني أن أعيدَ عليك
جريمةً مريعة، مجرّدُ التفكير
فيها يفطرُ القلبَ شقّين،

7 لكن إذا كانت كلماتي بذوراً تثمرُ
في التشهير بهذا الذي أنهشهُ،
فسأروي لكَ قصتي من خلال عبراتي.

10 أما من أنت، وأيّ قوة جاءت بك
إلى هذا العالم السفلي، فأنا لا أحزر
لكن كلامكَ يدلّ أنك فلورنسي.

13 يجب أن أعرّفكَ بنفسي، أنا الكونت أوغلينو
وهذه الوليمةُ المقدسةُ هي رئيسُ الأساقفة روغيري،
وسأخبركَ الآن لماذا أنهشُ رأسه.

16 كنتَ قد عرفتَ من قبلُ أني وثقتُ به
فدفعتني خيانته إلى الأسر فالموت.
لكن ما لاتعرفه ـ أقصدُ المِيتةَ

19 غيرَ الإنسانيةِ التي عانيتها ـ
سوف تعرفه كاملاً مكتملاً:
ثم احكمْ بنفسك مدى تدميره لي.

22 هناك نافذةٌ ضيقة في ذلك السجن الصخري
الذي يسمى الآن «برجُ الجوعِ» بعد حادثتي،

https://jadidpdf.com

(لاشك أن آخرين دخلوه أيضاً)

25 من خلال قضبان هذه النافذة
بدَتْ لي أقمار كثيرة عندما نمتُ نومة
شريرة هتكَتْ لي حجابَ المستقبل.

28 ظهر لي هذا الوحشُ كنبيل يطاردُ
الذئبَ وجراءه عبر الجبل
الذي يخفي لوكا عن بيزا.

31 كانت كلابه متوحشةً سريعةً ماهرةً. ودفع
أمامه كثيرينَ من آل سيسموندي وغالاندي
ولانفرانسي، ليكونوا ضحاياه.

34 وما هو إلا شوطٌ قصيرٌ حتى تعبَ الأبُ والأبناء
إلى درجة الإعياء، بعدها رأيتُ
الأنيابَ الوحشيةَ تمزّق العنقَ والخاصرة.

37 قبيل الفجر استيقظت والحلم محفور في عقلي،
وسمعت أولادي، الذين كانوا معي هناك،
يصرخون في نومهم، ويطلبون كسرةَ خبز.

40 ستكون القسوةُ بعينها إن استطعْتَ
أن توقفَ الدمع عندما تفكّرُ بما أصاب
قلبي، فإن كنتَ لاتبكي لمثل هذا،

43 فأيُّ شيء في الدنيا يبكيك؟ اقتربَ
موعدُ تقديم الطعام. استيقظَ أبنائي

https://jadidpdf.com

جميعاً، وكلٌّ خائفٌ من حلمه القاتم.

46 وسمعت من قاعدة ذلك البرجِ المرعب
صوتَ مطارقٍ تسمّر البوابات:
حَدقْتُ في وجوه أبنائي ولم أتكلم.

49 لم أبكِ. تحجّر مافي داخلي
بكى الأولاد وقال أنسليم، أصغَرُهم:
«أبتاه، ما الذي يؤلمكَ؟ لقد تغيّر محيّاكَ».

52 لا كلمةً نطقتُ ولا دمعةً ذرفتُ
لا في ذلك النهار ولافي الليل الطويل
إلى أن ظهرتْ شمسُ يومٍ جديد.

55 عندما سقط شعاع صغير في السجن المظلم
قرأتُ في الوجوهِ الأربعة الرعبَ
والخرابَ اللذين أشعر بهما.

58 عضَضْتُ يدي في ألم مرير فظنوا
أنني أمضغ ذاتي جوعاً فنهضوا
فجأة معاً. سمعتهم يقولون:

61 «يا أبتي ستخفّف آلامنا كثيراً
إن أكلْت لحمنا: فأنت الذي وضعتَ
علينا هذا اللحم، فانزعْه الآن واستَرِدّه».

64 تماسكتُ إشفاقاً عليهم. آه أيتها الأرض
الصلبةُ، لم لا تعولين جهاراً؟ كل ذلك

https://jadidpdf.com

اليومِ والذي يليه جلسنا صامتين. وفي اليوم

67 الرابع، غادرَ الأكبرُ، سقط أمامَ عيني وصرخ،
زحفَ على أرض السجن حتى قدمي وقال:
«أبي لماذا لاتساعِدْني؟» ومات.

70 وكما تراني أنت الآن، رأيتهم يسقطون
الواحد بعد الآخر في اليومين الخامس والسادس.
كنتُ قد عَمِيتُ، فرحتُ أزحفُ من

73 جسد إلى جسد أهزّهم بجنون. ولأكثر من
يومين أصيحُ بأسمائهم، وهم موتى
ثم قضى الجوع على ألمي، وعليّ».

76 قال هذا فضاقتْ عيناه وانتزعَ
الجمجمةَ ثانية وراحَ يقضقضُها
بأسنانه كما يقضقضُ الكلبُ عظمةً.

79 بيزا، يا أقذرَ وصمةٍ على الأرض
التي فيها تتردد نغمة (سي) عذبةً واضحةً
مادام الجِوارُ توانوا عن زعزعة الأرض

82 التي عليها تقفين، فلتبنِ كابرايا وغورغونا
سداً يجعل نهر الأرنو يفيض حتى مصبه
فيقضيَ على عرقك النَّجس.

85 فإذا كان أوغلينو سقط في التجربة
وخان قلاعكِ، ما كان عليكِ

https://jadidpdf.com

أن تذيقي أولاده كلَّ هذا العذاب:

88 يا «طيبةَ» الزمن الحديث، يا ظالمةُ، إن من
قتلتِ ـ بريغاتا وأوغشينو ومن ذكرتهما
من قبلُ ـ أصغَرُ من أن يقترفوا جرماً».

91 قطعنا مسافة أطولَ، فوجدنا منجماً
جليدياً فيه فئةٌ أخرى، ولكن بعذاب أعظمَ،
فالأشباحُ لاينحنون بل يضطجعون على ظهورهم.

94 بكاؤهُمُ الشديدُ أطبقَ عيونهم
والحزن الذي لايجد للدمع مخرجاً
ينقلبُ إلى الداخل فيزيدَ الآلام:

97 لأن الدمعاتِ الأولى التي ذرفوها تعقّدت
فوراً في مآقيهم، وبتجمدها شكّلت
جسماً بلّورياً في فجوة العين.

100 وعلى الرغم من أني كنت واقفاً في ذلك
المكان، فقد صرتُ مخدّراً كنُدبةِ الجرح
ومن وجهي تلاشت كل الأحاسيس.

103 ومع ذلك شعرت بريحٍ أخذتْ تهب
قلت: «سيدي ماذا يثيرُ الريحَ؟
ألا تتلاشى كل سخونةٍ هنا في الأسفل؟».

106 أجاب سيدي: «حالاً ستكون حيث ترى
عيناكَ المصدرَ والسببَ

https://jadidpdf.com

فينكشفَ لك هذا السر».

109 أحد الذين سمّرهم الجليدُ
صرخ بنا حين مررنا: «أيها الرومانيان
ما أقساكما حتى قُذفَ بكما إلى أسفل.

112 أريحاني قليلاً من ألم هذا
النقابِ الصلب، اتركا قلبي يبكي
لحظة قبل أن يجمدَ الدمعُ ثانية».

115 قلتُ له: «إذا أردتَ خدمتي
أخبرني باسمك، فإن لم أُسعفْكَ
فلأهبطْ إلى أطراف الجليد».

118 قال: «أنا الفرير البيريغو، أنا الذي
دعوتُ إلى ثمار حديقة الشر، وهنا
أعلموني موعدَ التين».

121 قلت: «ماذا؟ هل متّ سلفاً؟».
فقال: «لا أعرفُ كيفَ يقفُ جسدي
في العالم الأرضي. فعوقبتُ بحافة

124 بطليموس، التي تأتيها الأرواحُ
قبل أن تقطع أتروبوس خُيوطَهم.
فيمكنك أن تعتِقَ روحي من

127 الدموع المتجمدة التي تغطي وجنتي
وسأخبركَ بهذا. عندما تخونُ النفس، كما فعلت،

https://jadidpdf.com

فإنها تُنزعُ من جسدها ويحلُّ الشيطان محلها

130 متسلطاً على الجسد حتى تنقضي أيامه
وتهبطُ الروحُ المدمرة في هذا الصهريج،
لذلك أظن أنه يظل هناك دليل في

133 العالم الأرضي، وهو ذلك الظلُّ الأسود
الذي يُمضي الشتاء خلفي.
فإن عبرتَ حديثاً مدخل ذلك

136 العالم الجميل، فلا شك أنك ستعرف
جسدَهُ، اسمه برانكا د أوريا
وقد مرت سنواتٌ بعد مجيئه هنا».

139 قلت: «أظنك تحاول خداعي
فبرانكا د أوريا مازال حياً، يأكل
ويشرب ويملأ ثيابه وسريره».

142 أجاب الشبحُ المتجمد: «ميشيل زانكي
لم يصلْ بعدُ حفرةَ المخالب السود، حيث
الخُطاة يُرمون في حفرة حارة،

145 وقد ترك جسده للشيطان كما فعل
ابنُ أخيه ورجلٌ آخرُ في الخيانة
فأُلقي بهم في هذه الهوّة.

148 ولكن مدَّ يدك الآن واجعلني أبكي».
فلم أفِ بالوعد الذي قطعتُ،

https://jadidpdf.com

إذ من الأفضل أن أكون قاسياً معه.

151 آه منكم يا أبناءَ جنوى، أيتها النفوسُ
الوضيعةُ يا من ضللتم عن طريق الحق،
لماذا لم تُطردوا من الأرض؟

154 فهناك إلى جانب نفس رومانا
السيئة، وجدتُ نفساً جنوية
تستحمُ في كوسيتوس بينما الجسم

157 يدبُ في الأرض ويبدو رجلاً حيّاً.

الملاحظات:

28 ـ هذا الوحش: روغيري.

32 ـ غالاندي ـ سيسموندي ـ لانفرانسي: ثلاثة نبلاء من بيزا، وهم أصدقاء رئيس الأساقفة.

75 ـ قضى الجوع على ألمي، وعليّ: أي مات جوعاً.

80 ـ كابرايا وغورغونا: جزيرتان قرب نهر الأرنو.

105 ـ تتلاشى كل سخونة: يعتقد دانتي أن الريح لاتتولد إلا من السخونة.

119 ـ دعوت إلى ثمار حديقة الشر: أي اقترفت الخطيئة.

120 ـ هنا أعلموني موعد التين: هنا أعلموني متى أموت هناك في الأرض. والتين رمز لموت الخاطئين لأن يهوذا الأسخريوطي شنق نفسه بجذع تينة.

125 ـ أتروبوس: ربة الأعمار. هي التي تقطع خيط العمر فيموت المرء.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع والثلاثون

الدائرة التاسعة: كوسيتوس

الحلقة الرابعة: يهوذا (خونة الأسياد)

الحكاية: كان فرجيل قد قال لدانتي إنه بعد قليل سيعرف مصدر الريح. وعندما وصلا قريباً من المصدر قال فرجيل «هي ذي رايات ملك الجحيم تتجه إلينا»، ويتوقف دانتي في مركز الجحيم يصف الشيطان الغارق حتى خصره في الجليد. وبأجنحته التي تشبه طواحين الهواء يثير العواصف التي كان يشعر بها دانتي، والتي عرف الآن مصدرها. ويقوم الشيطان بتقليد ساخر للثالوث الأقدس فيضع في أفواهه الثلاثة يهوذا في الوسط وبروتوس وكاسيوس في الطرفين. وبوساطة الشيطان يعبران إلى النصف الثاني للأرض بعد أن يمرا بالكهف الصخري. وبمتابعة مجرى نهر ليثي يخرجان في جزيرة جبل المطهر، في النصف الثاني للأرض. وكان ذلك قبيل فجر عيد الفصح.

1 قال سيدي: «هي ذي راياتُ ملك الجحيم
تتجه إلينا. فانظرْ أمامك: هل تستطيع
أن تخرجه من مركز درع الجليد؟».

4 ومثلَ طاحونةِ الهواء المدومة التي تبدو من
بعيد عند الشفق، أو عندما يصعد الضبابُ
من الأرض ـ هكذا لاحت تلك الآلةُ

https://jadidpdf.com

7 مثيرةً ريحاً وحشية مريرة، فخفْتُ
وجعلتُ من ظهر سيدي ملجأً، فهناك
لا مهربَ من مواجهة الريح.

10 وقفتُ حيث النفوسُ في الطبقة الأخيرة
(وأسجل بشعري خوفي) وقد طُمرت كلّها
لكنها تظهر تحت الجليد كما يظهر القشُّ في الزجاج.

13 بعضهم تمدّد، وآخرون تسمّروا واقفين
وآخرون على رؤوسهم، بعضٌ على أخامصهم،
وبعضٌ يحنون أقدامهم على رؤوسهم كالقوس.

16 عندما سرنا بعيداً عبرَ الجليد
كان مرشدي سعيداً أن يريني المخلوق الأحمقَ
الذي رفض في يوم من الأيام نعمةَ الفردوس.

19 طلب مني التوقفَ والانتحاءَ جانباً، قال:
«سترى الآن وجهَ ديس. هذا هو المكانُ
الذي عليك أن تتسلَّحَ فيه ضدَّ كل خوف».

22 لاتسلْني أيّها القارئ كيف تجمّد دمي
وصوتي اختنقَ من خوف لا أستطيع
وصفَه: فهذا رعبٌ يصعب تصويره.

25 لم أمُتْ لكنني فقدْتُ أنفاس الحياة
فتصوّرْ بنفسك كيف صرتُ: كأنني من
الحياة انتُزِعتُ، وإلى الموت لم أصِلْ.

https://jadidpdf.com

28 هناك انتصبَ إمبراطور مملكة الألم
وقد مدّ صدره الأعلى فوق الجليد
فالعماليقُ لايصلون حتى إلى إبطه.

31 فقارنْ بيني وبين العملاق
ثم احكمْ أيَّ قامة هائلة يملك
وتخيّلْ كلّ شيء بالقياس إليها.

34 إذا كان في يوم ما جميلاً كما هو
الآن قبيح، ويشمخُ متمرداً في وجه
خالقه، فلا شك أنه مصدرُ كلِّ شر.

37 أيُّ رعب تملكني وقد رأيتُ رأسه
برجاً فوقي، وفيه ثلاثة أوجُهٍ
الأول في المقدّمة وكان محمراً كالقرمزِ

40 والآخران، بطريقةٍ سحرية، امتزجا
به من منتصف كل كتِفٍ وحتى النقطةِ
التي يتّحدُ بها الجميع في قمة الجمجمة.

43 الأيمنُ كان بين الأبيضِ والأصفرِ المخضرّ
والأيسرُ كان بلون أولئك الذين
يجدهم المرءُ على ضفاف النيل.

46 تحت كل رأس جناحان ضخمان مخيفان
يصلحان لطائر وحشي مريع، أنا لم أرَ
شراعاً لم يُصنعْ من ريش نُصِبَ على سفينة

https://jadidpdf.com

49 يصل إلى ضخامة جناحه. نسيجها وشكلها
أشبه بأجنحة الوطواط ـ يخفقُ بها
ثلاثَ مرات فتهبُّ عاصفة عظيمة،

52 وتلك الرياحُ هي التي تجمد كوسيتوس،
يبكي بأعينه الستِّ على ثلاث ذقون
فيجري الدمع ممزوجاً بزبد وقيح دموي.

55 في كل شِدقٍ يتقلب خاطئٌ مهشَّمٌ
بين أسنانه الجرافية. فهو يبقى ثلاثةً
في عذاب أبدي ليكونوا وجبتَهُ الأبديةَ.

58 أما الذي في الأول، فيبدو أن القضمَ
لايلعب دوراً بالقياس إلى التمزيق
فأحياناً كان يسلخُ كل جلد ظهره.

61 أوضح مرشدي: «هذا الشَّبحُ المعذَّبُ هو
يهوّذا الأسخريوطي. إنه هو الذي يضع
رأسه في الداخل ويلوّح بساقيه على الذقن الوحشية.

64 أما الاثنان الآخران اللذان اندلق رأساهما
فالذي تدلّى رأسُه من الوجه الأسود هو
بروتوس. انظرْ كيف يغضبُ ولاينطقُ بكلمة.

67 أما صاحب الذراعين الضخمتين فهو
كاسيوس ـ ولكن كاد الظلام يعمّ
فعلينا أن نذهب، لأننا رأينا كل شيء».

https://jadidpdf.com

70 وكما أمرَ أمسكْتُ بعنقه، وهو يرتقب
اللحظةَ التي تنتشر فيها الأجنحة
وتصلُ إلى أقصى اليمين.

73 أمسك بالكشْحِ الأشعث للملك الشيطان
ثم من خصلة إلى خصلة صار يهبطُ
بين الشَّعر المجدول وغطاءِ الجليد المتجمد.

76 وعندما وصل إلى فخِذه الضخمِ،
حيث يغوص في انتفاخ الحَدَبة،
التفت سيدي ومرشدي

79 برأسه حيث كانت أقدامه وطفق
يمسك الشعر كأنه يتسلق، حتى
فكرت بأنه عاد بنا إلى الجحيم.

82 قال: «تمسّكْ جيداً» ودلّت أنفاسه
على كدّه وتعبه «لاطريقَ إلا هذه
الدرجاتُ لتخلصَ من هذا الجحيم».

85 أخيراً تسلّق من خلال فتحة في
الصخرة المركزية، وأجلسني على الحافة
ثم جاءني يدبُ دبيباً بكل حذر.

88 تطلعْتُ إلى أعلى وفي ظني أني أرى لوسيفر
كما تركته، ولكني رأيت بدلاً منه ساقيه
وقد أشرعهما عالياً في الهواء.

https://jadidpdf.com

91 دعْ كلّ أولئك الأغبياء يغضبون
لعجزهم عن فهمِ مسألة عبوري هذه
وإن كنتُ مشوشاً.

94 قال سيدي: «انهضْ على قدميك،
لقد ارتفعتِ الشمس حتى نصف الثلاثية
فأمامنا دربٌ طويل وصعودٌ عسير».

97 لم نجدْ هناك بهواً من أبهاء القصور،
بل وجدنا حفرة حيوانية طبيعية في الصخر
مع أرضية مهشمة وهواءٍ راكدٍ لايعرف النور.

100 قلت لما نهضتُ: «قبل أن أغادر
هذه الهوّة، أرجو يا سيدي أن
تشرحَ لي خطئي في كل هذا:

103 أين الجليدُ؟ ولوسيفر كيف
انقلب من أعلى إلى أسفل، وكيف
سافرتِ الشمس من الليل إلى النهار فجأة؟».

106 قال: «أنت تتوهم أنك مازلت في
الجانب الآخر، في المركز، حيث أمسكتَ
بالكشحِ الأشعث لدودةِ الشر الكبيرة

109 التي تمزق قلب العالم. فطالما كنت أهبطُ
كنت أنتَ هناك، لكن عندما استدرت
كنت قد اجتزتَ نقطةَ انعدام الجانبية.

https://jadidpdf.com

112 أنت الآن في النصف الآخر
والسماءُ فوقنا هي النصفُ المقابل
لتلك السماء التي تظلّل اليابسةَ،

115 ومن تحت نقطة الوسط لتلك السماء الأخرى
جاء الإنسان الذي ولدَ بلا خطيئة وعاش
بلا شائبة، ليتألمَ ويموت.

118 أنت تضع قدميكَ على مدار صغير
يشكّلُ الوجهَ الآخر لدائرة يهوذا
فعندما يحلُّ المساءُ هناك يشرقُ الصباحُ هنا،

121 وهذا الشيطانُ الضخم وصورةُ الشر
الذي جعلْنا من جلده سلّماً
مايزال في سجنه مستَراً.

124 لقد قُذفَ به من أعالي السماء إلى هذا الجانب،
والأرضُ التي تمتد هنا كانت غارقةً في البحر،
لكنها هربَتْ شمالاً إلى نصفنا خوفاً ورعباً.

127 وربما ذاك الخوفُ نفسُهُ جعل القمّةَ
التي ماتزال ترتفع على هذا الجانب
تهرب إلى الأعلى مخلّفَةً هنا هذا الكهفَ.

130 وهنا، تحتُ، يبدأ تخمُ قبرٍ
بلعزبوب الكئيب، وهناك مكانٌ
لايُعرف بالنظر، بل بصوت

https://jadidpdf.com

133 جدولٍ صغير يسرحُ عبر الفجوة
التي انفتحت في الصخرة الضخمة
في سيرٍ هادئٍ متعرّج أبدي».

136 عبرنا ـ أنا وسيدي ـ وبدأنا نسلك
ذلك الدربَ المهجورَ والمظلمَ
لنصعَد إلى العالم المشرق ثانية،

139 هو أولاً وأنا بعده، ومن غير تفكير
بالراحة عبرْنا الظلامَ إلى مكان فيه فتحةٌ مستديرة
جعلتنا نرى عجلاتِ السماء المشرقة الجميلة،

142 ونسير مرة ثانية تحت النجوم.

الملاحظات:

1 ـ رايات ملك الجحيم: أصلها «الرايات الملكية تقترب» ترنيمة كتبها في القرن السادس المطران فيناتيوس فورتوناتوس، تنشد في احتفالات عيد الصليب، وقداس الجمعة الحزينة، لحظة الكشف عن الصليب.

17 ـ المخلوق الأحمق: الشيطان.

38 ـ ثلاثة أوجه: تقليد ساخر للثالوث الأقدس.

62 ـ يهوذا: انظر نموذج عذابه في السمعانيين (نشيد 19).

68 ـ عفا قيصر عن كاسيوس، لكنه عاد وتآمر على قتله.

95 ـ نصف الثلاثية: الثلاثية المقصودة هي من 6 ـ 9 صباحاً، فنصفها يكون السابعة.

127 ـ القمة: جبل المطهر.

129 ـ الكهف: هو الحفرة الحيوانية الطبيعية التي وردت في البيت الثامن والتسعين من هذا النشيد.

133 ـ الجدول الصغير: نهر ليثي.

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

القسم الثاني

الـمَطهر

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

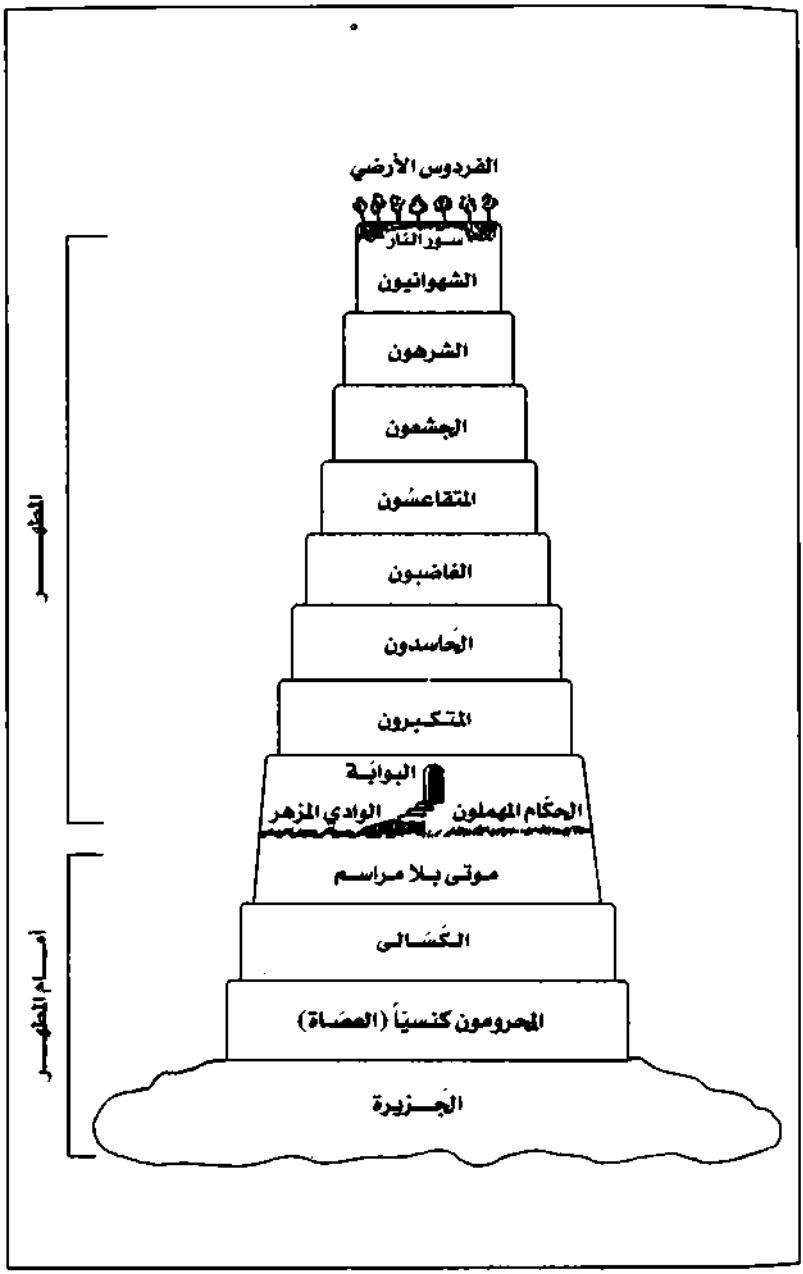

مخطط المطهر

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

النشيد الأول

أمام المطهر: شاطئ الجزيرة كاتو الأتيكي

الحكاية: خرج الشاعران من الجحيم قبيل عيد الفصح (10 نيسان 1300) وابتهج دانتي لرؤية السموات المكشوفة ورأى بقربه شيخاً بمظهر مهيب. إنه كاتو الأتيكي حارس شواطئ المطهر. عاملهما كهاربين من الجحيم، لكن فرجيل أقنعه بالمهمة المنوطة به. هنا يقدم كاتو تعليماته لفرجيل: أن يقود دانتي إلى الشاطئ وأن يغسل يديه بندى الصبح الجديد، وأن يزيل عن وجهه أدران الجحيم، وأن ينظف عينيه من الضباب الذي علق بهما، وأن يلف خصره بقصبة طرية تنمو في الطين الناعم للساحل. وهنا يختفي كاتو وينهض دانتي الذي كان راكعاً أمام كاتو. وتحدث معجزة، وهي عندما يكسر فرجيل القصبة ويلف بها خصر دانتي، تنمو على الفور قصبة جديدة مثلها تماماً.

1 الريح هفهافة والماء رقراق

فياسفينة إلهامي ارفعي شُرُعا

وودعي موج بحر الموت والظلم

4 الآن أشدو بأغنيتي للمملكة الثانية

حيث روحُ الإنسان تتطهر من إثمها.

وتستحق بعدها الصعودَ إلى السماء العليا.

https://jadidpdf.com

7 فيا ربّات الفن المقدسات، إليكنَّ أضرع
أريد أن ينهض شِعري الميت إلى نور الحياة
فاطلبن من كاليوبي الجميلة أن تعزفَ

10 لحناً يجعل صوتي يصدح بأغنية قوية
ما إن تسمعها البيريوسات التسعُ
حتى يفقدْنَ الأمل، ولايرفعن صوتاً.

13 ياقوتُ الشرق الشافي اللازوردي
تجمّعَ من أعلى ذروة السمْت
إلى أن وصل خط الأفق،

16 جَدّدَ أمام عيني الضياءَ
حالما خرجت من الهواء المميت
الذي أرهقَ نفسي وأعمى باصرتي

19 الكوكب الجميل الذي ينبتُ الحبَّ
جعل الشرقَ يتلألأ بأشعته
التي حجبت برجَ الحوت السابح في السماء.

22 استدرتُ يميناً، ورحتُ أفكر
في هذا القطب الآخر، فشاهدت أربعة أنجمٍ
لم تظهر لعينٍ منذ بدء البشرية.

25 وقد بدتِ السمواتُ مبتهجات
فيا نصفَ الكرة الشمالي المترمّل
كم أنتَ بائس لأنك لاترى إشعاعها.

https://jadidpdf.com

28 وحالما أنهيتُ تحديقي، انحرفتْ عيناي
إلى الشمال قليلاً، إلى القطب الآخر،
حيث اختفى فيه الدبُّ الأكبر.

31 شاهدت قربي رجلاً عجوزاً وحيداً
معالمه ملأتني احتراماً، يتمنى أي أب
أن يكونَ في صدر ابنه كهذا الاحترام.

34 لحيتُه طويلة تشوبها خيوطٌ من البياض
كشعر رأسه، الذي تدلّت منه ضفيرتان
على صدره من هنا وهناك، وأشعةُ

37 النور المقدس من النجوم الأربعة جعلت
وجهَهُ مشرقاً بحيث بدا لي
كأنه يواجهُ الشمس.

40 وبهذه الوقفة، وضفيرتاه تترنحان
يميناً وشمالاً، قال: «أيُّ الرجال أنتما
ركبتما جدول الظلام هرباً من سجن الأبدية؟

43 من قادكما؟ ومن أضاءَ أمامكما
لتهربا من وادي الأبدية
القابع كالأعمى في الليل البهيم؟

46 هل خرقتما قوانينَ الجحيم؟ أم أن مستشاراً
جديداً في علياء السماء أصدرَ أمراً بأن
يتنزهَ أبناءُ الجحيم على أرصفتي؟»

https://jadidpdf.com

49 هنا، وبكل يقظة وضع معلمي يده
عليّ، وباليد والكلمة والإشارة
ثنيتُ ساقي، وركعتُ وأحنيتُ هامتي احتراماً.

52 قال: «ليس بسلطتي، بل بسلطة السماء
سيدةٌ مباركةُ النعمة طلبت مني المساعدة،
أن أرافقَ هذا الرجل في يومه الحالك.

55 ولكن بما أنك تبغي المزيد فلن
أرفض لك طلباً، وسأروي حقيقة
مجيئنا، وأنّى لي أن أرفض لك أمراً؟

58 هذا الرجل لم يَرَ بعد خاتمةَ أيامه
لكنه بطيشه المجنون اقتربَ من نهايته
فليس معه من الزمن إلا القليل.

61 وكما قلت لك طُلب مني أن أبذلَ قصارى
جهدي لإنقاذه، فما رأيت طريقة أفضلَ
من أخذه في هذا الطريق ليتبصّر.

64 فقد أريتُهُ الجحيم بقطيعه الآثم
وقصدتُ أن أريه النفوس التالية
التي تتطهر هنا تحت إشرافك.

67 أما كيف أحضرته فتلك حكاية طويلة
فربُّ الصباؤوت ساعدني على إرشاده
إليك، لتراه وتسمعه وتملي إرادتك.

https://jadidpdf.com

70 فتهلّلْ لمجيئه، لقد جاء باحثاً عن
الحرية، ذلك الشيء النفيس الذي
يعرف قيمته من نذر له حياته.

73 وأنت تعرفها، يا من استعذبتَ الموت
من أجلها في أوتيكا، حيث سينهض
جسدك شامخاً شرفاً يوم القيامة.

67 أما القوانين فلم نخرقها، فما زال الرجل حياً
وأنا في الطبقة التي لاتخضع لحكم مينوس
مع حبيبتك مارسيا، التي تدعو

79 لك أيها القلب الطيب، بعينيها الطاهرتين
بصلوات لاتنتهي، فباسم حبها
اسمح لنا أن نتابع رحلتنا ببهجة

82 عبر ممالكك السبع، وحين أرجع
إليها سأحمل لها كل امتناني لك
إن سمحت لي أن أتلفظ باسمكَ في الأسفل»

85 فأجاب: «هناك في الحياة الأرضية
كانت مارسيا ضياءَ العين والقلب
فكنتَ ألبّي كلَّ ما ترغب وماتتمنى.

88 الآن تقبعُ هي خلف نهر الشرور
فلا كلماتُها ولا صلواتُها تهز مشاعري
بهذا حُكِمَ علينا عندما ارتحلتُ من هناك.

https://jadidpdf.com

91 ولكن إذا كانت السيدة السماوية، كما قلت،
أمرتكَ بهذا الطريق، فلا حاجة أن تتملقني
فاطلبْ باسمها كل ما تريد.

94 فاذهبْ وارشُدْ هذا الرجل، ولكن
اربطْ خصره بقصبة خضراء طريّة
واغسلْ وجهه من آثار الجحيم،

97 فلا أظن أنه يستطيع السيرَ بعينين ضبابيتين
قبل أن يمثلَ أمام الملك الذي يحرس
البوابة. إنه من الفردوس.

100 هناك تحت، حول هذا الشاطئ كله
ينمو القصبُ في الطين الناعم.
وعلى طول هذا الشاطئ

103 لايمكن أن ينمو نباتٌ آخر ويعيش
لا النباتُ الذي له ورق، ولا الذي جذعُهُ
قاسٍ، لأنه لاينحني أمام الريح والموج.

106 ولاترجع عبر هذا الطريق مرة ثانية
فحالما تشرق الشمس ستنيرُ لك طريقاً
لن يصعبَ عليك أن تتسلقَ الجبلَ منه».

109 تكلّمَ وتلاشى من أمام أنظارنا.
نهضت من دون أن أتكلم، فنظر
فيّ مرشدي، وأنا حدقتُ في وجهه.

https://jadidpdf.com

112 «إذن اتبعْ خطواتي، يا بني
وابقَ بجانبي، سنغيّرُ سيرنا عن هذا الطريق.
السهل ينحدر ويصل إلى الضفة المستديرة»

115 الفجرُ مبتهجاً يدفع أنفاسَ النهار
أمامه، بحيث من بعيد وصل إلى
مسامعي هدير البحر.

118 سرنا في ذلك الطريق المنعزل كمن
يبحث عن طريق ضاع منه، ويعدّ
الزمنَ المفقودَ إلى أن يجده ثانية.

121 وعندما وصلنا مكاناً على الطريق
حيثُ نفحاتُ الصباح شكّلت
حبّاتِ الندى لدى أول حرارة للنهار،

124 انحنى سيدي برفق، ووضعَ
على العشب راحتيه
وكنت أعرفُ قصده.

127 فرفعت إليه وجهاً اغرورقَ بالدموع
فنظّفَ وجهي وظهرَ لونه الحقيقي
من تحت بقايا هواءِ الجحيم الأسود.

130 وعندما وصلنا الشاطئَ المنعزلَ
الذي لم ير بحّاراً وصل إليه استطاع
بمهارته أن يعود بالشراع والمجذاف.

https://jadidpdf.com

133 وهناك، كما قال الأتيكي، طوق خصري
بقصبة. لكن ما أن قطعها ـ يا للعجب ـ
حتى رأيت في مكانها تماماً،

136 قصبةً أخرى تشقُّ الأرضَ وتنتصب.

الرموز والصور:

كاتو الأتيكي: ماركوس بورستيوس كاتو الأصغر (95 ـ 41 ق.م). باسم الحرية عارض سياسات كل من قيصر وبومبي. لكنه رأى قيصر أعظم شراً فانحاز إلى بومبي، وبعد خسارته في معركة تاسيوس فضل أن ينتحر بسيفه ولايفرّط بحريته. وقد جعله فرجيل في الأنيادة أكمل نموذج للكراسة التامة للحرية. وقد اعترف بهذه المكانة كل كتّاب الرومان. وشاعت هذه النظرة في العصور الوسطى على الرغم من هيمنة الكنيسة هناك. وهذا ما جعل دانتي يرفع كاتو من الليمبو إلى المطهر. فهو إذن مخوّل لدخول السماء وإن كان وثنياً.

النجوم الأربعة: رمزَ بهن إلى الفضائل الطبيعية الأربع: العدالة والحكمة والعفة والشجاعة. وسوف يعود بهذه الفضائل مرة أخرى على شكل حوريات. وبسبب هذه الفضائل رفعه دانتي من الليمبو إلى المطهر.

الندى: في الجحيم بكى دانتي وأكثر من الدموع. والندى تطهير من الحزن. لايجوز للحزين أن يدخل مباهج المطهر، قبل أن يتخلص من «الدموع».

القصبة: في الجحيم كان دانتي يلف حبلاً على خصره. أخذه منه فرجيل ورماه كإشارة لجيريون (رمز الخديعة). الآن يلف فرجيل حول خصر دانتي قصبة خضراء طرية. القصبة رمز التواضع والتواضع صيانة للنفس من الخطايا المميتة. أما الحبل فلا نظن أن له رمزاً. إنه «نجدة» فنية وربما له علاقة بحبل «يهوذا».

الملاحظات:

5 ـ تتطهر النفس: في المطهر يوجد ألم ولايوجد عذاب. وهو ألم مؤقت لأنه أداة تطهير.

8 ـ شعري الميت: شعري الذي قلته في الجحيم.

9 ـ كاليوبي: ربة الشعر الملحمي.

https://jadidpdf.com

11 ـ البيريوسات: بنات بيريوس التسع اللواتي تحدَّين ربات الفنون. حولتهن ربات الفنون إلى غربان.

19 ـ الكوكب الجميل: الزُّهرة.

24 ـ منذ بدء البشرية: منذ آدم وحواء. ودانتي يعتقد أن الفردوس الأرضي كان قائماً في القطب الجنوبي.

29 ـ القطب الآخر: القطب الشمالي.

53 ـ سيدة مباركة: بياتريس.

67 ـ رب الصباؤوت: الله.

74 ـ أوتيكا: المكان الذي انتحر فيه كاتو.

77 ـ مينوس: قاضي الجحيم. مكانه هو الدائرة الثانية في الجحيم.

78 ـ مارسيا: ابنة القنصل فيليبوس، صارت زوجة كاتو الثانية وأنجبت له ثلاثة أولاد. طلبت الطلاق بضغط من أبيها، وتزوجت صديق كاتو هورتنسيوس (وهذا ما قصده «ألبي كل ما ترغب») وبعد موته تزوجها كاتو ثانية.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني

أمام المطهر: شاطئ الجزيرة النوتي الملاك ـ كاسيلا

الحكاية: الوقت فجر. دانتي، وقد اغتسل ولف القصبة على خصره، يقف على الشاطئ الذي احتشدت فيه النفوس. يأتي النوتي الملاك لنقل الأرواح المختارة من منبع التيبر إلى شاطئ المطهر. أحد الأرواح، وهو كاسيلا الموسيقي وصديق دانتي، يعرفه ويحاول معانقته، فتذهب ذراعاه في الهواء فيتذكر أنه روح. يطلب منه أن ينشد بعض أشعاره التي لحنها. تنخرط الأرواح في بهجة عارمة لكن كاتو يؤنبها على تراخيها وكسلها، ويأمرها بالاسراع إلى التطهر.

1 الآن بلغتِ الشمس طرفَ الأفق
وراحت تغرق وكان نصفُ دائرة
سمتِها فوق أورشليم

4 بينما الليلُ يزحف في الطرف المقابلِ
من رمالِ الغانج وحتى برج الميزان
الذي يهرب منها كلما أخذتِ الفصولُ تتغير.

7 فحيث وقفتُ كنت أرى أورورا في ممرها
وقد زال الشحوبُ من وجنتيها
واللونُ البرتقالي يزداد كلما تقدّمت.

https://jadidpdf.com

10 كنا مانزالُ على الشاطئِ واقفَيْن
كالمرتَحِلين في طريق مجهول، أجسادهم
فوق الطريق، ونفوسهم تطوف جوالة

13 وهناك، وكما في فاتحة النهار
يلمع مارسُ، ربُّ الحرب، في الغرب على صفحة
المحيط عبر الضبابِ الكثيف، بأشعةٍ

16 حمراءَ، كذلك ظهر نور ـ أتمنى لو
يظهر ثانية ـ يتحرك فوق البحر
سريعاً سرعةً لامثيل لها.

19 وما هي سوى لحظةٍ حتى وجّهتُ طرفي أسأل
مرشدي، وما إن التفتُّ إلى الوراء
حتى رأيتُهُ أكبرَ وأشدَّ إشراقاً مما بدا لي.

22 وعندئذ من كل طرف جاء شيء
أبيضُ غيرُ معروف، ومن تحته
هناك شيءٌ يزداد بياضاً شيئاً فشيئاً.

25 تابعنا المراقبةَ إلى أن ظهرتِ الأشياءُ
البيضاءُ في كل طرف، واتخذتْ شكلَ
أجنحةٍ، أما فرجيل فلم يتكلم أبداً.

28 لكنّه لما رأى الأجنحةَ صاح: «اركعْ. اركعْ
وضمَّ ذراعيكَ، إنه ملاكُ الربّ
وسوف ترى الكثيرَ من هؤلاء الرسل.

https://jadidpdf.com

31 انظرْ كيف يهزأُ بكل أدوات الأرض
فهو لايستخدم مجذافاً ولاشراعاً، بل أجنحةً
لينتقلَ من شاطئ إلى شاطئ.

34 انظرْ إلى الجناح كبرج راح يشمخ في الهواء
ويهفو إلى السماء: الريش ريشُ الأبدية
لاريش طير، ولامما يغطي الفانين».

37 وكلما قطع طائرُ السماء مسافة بيننا
ازداد إشراقاً وإشراقاً
حتى لم أعدْ أستطيع احتمالَ نوره،

40 فأحنيت رأسي. كان يطلقُ سفينته
باتجاه الشاطئ، خفيفةً سريعة كأنها لاتجري
على ماء، فما من شراعٍ بمثل هذا الانطلاق.

43 في مؤخِّرة السفينة وقف قبطانُ الرب
وقد بدت عليه معالمُ البركة، وأكثرُ
من مئةِ نفس جلسوا في المقدمة.

46 يرتّلون جميعاً بصوت واحد:
«عندما خرجتْ إسرائيل من مصر»
ويتنقلون من شعر إلى شعر، فجعلوا الجو بهيجاً.

49 وأشار لهم بالعبور، فتحركوا
جميعاً بحركة واحدة إلى الشاطئ.
ومثلما جاء سريعاً، سريعاً ذهب.

https://jadidpdf.com

52 أما الحشد الذي خلّفه وراءه فبدوا
كأنهم غرباءُ في أرض غريبة يحملقون
وكأنهم يحاولون أن يفهموا شيئاً مجهولاً.

55 الشمس التي ترسلُ مع كل شعاع سهماً
وصلت بُرج الجدي في قبة السماء
وراحت ترسلُ سهاماً من كل جانب.

58 وعندما نظر ذلك الحشد حيث مرشدي
وحيث أنا، قالوا: «إن كنتما تعرفان
فدلّانا على طريقِ تسلقِ هذا الجبل».

61 ردّ فرجيل: «أظنكم تعتقدون أن لنا
خبرةً طويلة في هذا المكان، ولسنا كذلك
فنحن مثلكم تماماً، حُجّاجٌ لكننا

64 وصلنا قبلكم بفترة قصيرة جداً
إنما تسلُّقُ هذا الطريق مهما كان
وعراً ومنحدراً يبدو لنا كلعبة أطفال».

67 وعندما نظروا إليّ، وعرفوا
من أنفاسي أني مازلتُ حياً
حملقوا بي متعجبين وعلَتْهم شحوبةُ الموت.

70 ومثلما تتشوق الغوغاءُ للأخبار يحملها
رسولٌ بيده غصنُ زيتون
غير آبهين بمنْ يزحم مَنْ -

https://jadidpdf.com

73 هكذا كان كلّ واحدٍ من هذه الأنفس
يقترب مني محملقاً فيّ، وقد نسوا
أنهم جاؤوا لإنجاز المهمة النبيلة.

76 رأيت واحداً يتقدم من بينهم إليّ
وقد علا الحبُّ وجهه، وارتسمت عليه الفرحة
حتى إني سرتُ إليه باسطاً ذراعي لمعانقته.

79 يا للظلال الجامدة. ثلاثَ مرات
ضربتُ ذراعي خلف ظهره، وثلاثَ
مرات عادا إلى صدري فارغين.

82 دُهشت وانخطفَ اللون من وجهي
لأنه ضحك بلطف وأبعدني عنه
فتقدمتُ ثانية كأنني أكرر المحاولة.

85 وبصوتٍ ناعم شجيّ يشبه النَّغمَ
أوقفني، فعرفته من صوته
وطلبت منه أن يتريثَ ويكلمني

88 أجاب: «كما أحببتكَ في الحياة بجسدي
الفاني، أحبك الآن وأنا متحرر من جسدي:
لذلك استوقفتُكَ. لكن ما الذي جاء بك؟»

91 أجبت: «لقد سلكتُ هذا الطريقَ أيها
الصديقُ كاسيلا، على أمل العودة.
ولكن أنت؟ ما الذي سبّب تأخيرك الطويل؟»

https://jadidpdf.com

94 أجاب: «لا لوم عليّ طالما أن الذي
يسمحُ للروح حسب مزاجه، وحسب وقته
قد رفض عدة مرات أن يُسمح بمروري:

97 فإرادته تتكيف شكلاً ومضموناً حسب
الإرادة العادلة، فحتى ثلاثة أشهرٍ
سمح لكل من طلب منه، من دون استثناء.

100 وهكذا كان علي أن أقفَ بدوري
على الشاطئ حيث يصبح جدول التيبر مالحاً
فتلقّاني هنا مرحّباً لأني مرتحلٌ معه.

103 وقد حمله جناحاه فوراً
إلى المكان الذي تردُه النفوسُ
التي لم تنحدر إلى أخيرون».

106 قلت: «إن لم يكن هناك قانون جديد
يحظِّر استخدام مهارتكَ، أو استعادتَكَ أغاني
الحبّ التي كنت تسحرني بها،

109 فأرجو أن تغنّي وأن تحرِّكَ
روحي، التي بهذا الجسد سلكت
درباً طويلاً هنا، فاعتراها الإرهاق».

112 «الحب الذي يصبّ حديثَهُ في قلبي»
هكذا غنّى فانبعثت في الهواء نغمةٌ
رخيمة مازالت حتى الآن تتردد أصداؤها.

https://jadidpdf.com

115 أنا ومرشدي وكلُّ الأرواح هناك
تجمّعنا حوله وجذبتنا نغمةُ غنائه
إذْ لم يكن ثمة شيء يشغَلُ بالنا.

118 وقفنا متسمّرين لاننطق بكلمة
عندما راح الأكبرُ المبجّلُ يصرخ
فجأة: «أيتها الأرواحُ الكسولة، ما هذا؟

121 لمَ كل هذا التواني؟ لماذا الإهمال؟
هيّا إلى الجبل، واغسلوا عنكم القذارة
التي تحجبُ عنكم وجهَ الرب».

124 وكما يجتمع سِربُ حمام على فسحةٍ زريبة
لالتقاط وجبة من القمح أو الزؤان
بهدوء ودون شعورٍ بالكبرياء، فلا

127 يشغل البالَ إلا الغذاء
وفجأة يظهر ما يدبّ الرعبَ في القلوب
فيتفرق السرب ويتبعثر دفعةً واحدة في الهواء

130 هكذا رأيت هذه الصحبةَ الجديدة
يقطعون الأغنية وينطلقون إلى المنحدر
كمن يسرعون ولايعرفون لماذا

133 وهكذا ذهبنا أيضاً بسرعة لاتقلُّ عنهم.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

1 ـ بلغت الشمس طرف الأفق: يلاحظ القارئ أن الزمن في المطهر يقابل تماماً الزمن فوق أورشليم، أي المساء هنا صباح هناك.

7 ـ أورورا: ربة الفجر ويقصد هنا الشمس.

47 ـ عندما خرجت إسرائيل من مصر: المزمور 113 .

71 ـ غصن الزيتون: عندما يحمل الرسول غصن الزيتون لايدل فقط على السلم، بل أيضاً على الأخبار الطيبة.

79 ـ يا للظلال الجامدة: هنا نلاحظ أن دانتي يعامل الأشباح على أنها من لحم ودم، فيضفي عليها صفات جسدية.

91 ـ كاسيلا: يبدو أنه موسيقار توفي قبل رحلة دانتي بأشهر، لذلك يسأله لماذا تأخرت؟ والمعلومات التي قدّمها دانتي هي كل ما يعرف عنه، ويبدو أنه كان يلحن له بعض أشعاره.

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث

أمام المطهر: سفح الجبل المتأخرون في التوبة

الطبقة الأولى: العصاة

مانفرد

الحكاية: تبعثرت الأرواح، وانطلق دانتي وفرجيل. كانت الشمس في أول شروقها، فكان الظل يرتمي أمام السائر غرباً. لاحظ دانتي أن هناك ظلاً واحداً، فخاف أن يكون قد ضل عن مرشده، فكان فرجيل يشرح له ذلك بأن الأرواح لاظلال لها. وأفهمه أن للعقل حدوداً. ويصل الشاعران إلى سفح الجبل، فيرى دانتي المتأخرين في التوبة الذين أحلّوا الرغبة محل النعمة. وكما تأخروا في حياتهم سوف يتأخرون هنا، على سفح الجبل ثلاثين ضعفاً عن تأخرهم الزمني في الحياة، ولايصعدون قبل ذلك. من بين هؤلاء يقابل دانتي مانفرد الذي يطلب منه نقل رسالة إلى ابنته كونستانسي، يطالبها فيها بالصلاة من أجله حتى لايطول تأخره. ويشرح لدانتي كيف إن إصدار البابا أو الكاهن أمر حرمان بالعصاة لايمنع رحمة الله والتطهر والخلاص.

1 تبعثرت تلك النفوسُ عبر الساحة
وقد التفتوا بوجوههم نحو الجبل
حيث العقلُ يستحثُّنا والعدالة تنظّفنا

4 اقتربتُ أكثرَ فأكثرَ من مرشدي

https://jadidpdf.com

لم لا، إذ كيف أتابع طريقي من دونه؟
ومن سوف يقودني في بطن الجبل؟

7 بدا لي أن الندمَ يعذّبه لتسرّعه:
يا أيها الضمير النبيل النظيف، كمْ
يؤثر فيك كثيراً، الخطأ البسيط جداً.

10 عندما حدّ من التسرع الذي يهدِرُ
كرامة كل فعل عند الإنسان
صار عقلي، الذي كان مقيداً،

13 متحرراً ومتشوقاً لرؤية كلّ ما أمامي،
فرفعتُ عيني بحثاً عن ذلك الجبل
الذي يرتفع من البحر وحتى عنانِ السماء،

16 الشمس تحبو خلف ظهري لاهبة حمراء
فنورها يسقط على الأرض أمامي
راسمةً بأشعتها ظلَّ جسدي.

19 بالخوف شعرتُ، وحولي استدرتُ
لفكرة طرأت وهي أن مرشدي تخلّى عني
إذْ لمْ أرَ على الأرض سوى ظلٍّ واحد.

22 لكن فرجيل التفت إلي وقال:
«لم ماتزال مرتاباً؟ لماذا تشك
في وجودي هنا، وإني أرشدكَ في طريقك؟

25 لقد مرَّتِ الأماسي على قبرِ جسدي

https://jadidpdf.com

الذي فيه دفنتُ ظلي. وقد نقلوه
من برنديزيوم إلى نابولي.

28 فإن كنتَ بلا ظل، فهل يدهشكَ
هذا أكثرَ من أن السموات التي تبثُّ
النور ترسله من سماء إلى أخرى؟

31 إننا في هذه الأجسام نستجيبُ للألم والحرارة
والبرودة حسبَ صنيعِ تلك الإرادة التي
لاتريد أن تخبرَ بكل طرائقها.

34 مجنون كل من يحلم أنه قادر على
فهم التعليل الدنيوي لمسألة:
ثلاثةِ أشخاصٍ في جوهرٍ واحد متكامل.

37 فلتقنَعُوا يا أبناءَ حوّاءَ بما هو مجهول
فلو كنتم تعرفون كل شيء لما احتاجت
العذراءُ مريمُ أن تتألم وتحمل ولداً.

40 لقد رأيتم نفوساً عظيمة تتعطش عبثاً
وأخرى تروي كل عطشِ رغائبها
التي تحوّلتِ الآن إلى ألمٍ أبدي.

43 نعم أتحدث عن أفلاطون وأرسطو
وكثيرين غيرهما» وهنا أحنى رأسه
وتحرّك صامتاً بوجهٍ مكفهر.

46 أثناء ذلك كنا وصلنا سفح الجبل

https://jadidpdf.com

فوجدنا هناك شفيرَ هاويةٍ، لن تجدي فيها
أسرعُ الأقدام، إلا إذا سارت في الهواء.

49 إن أشدَّ الطرقِ المهجورةِ الوعرةِ في
الجبال بين ليرسي وتوربيا، أشبهُ بسلّم
إذا قيست بهذه الطريق التي تبدّتْ لنا.

52 تعجّبَ مرشدي: «الآن من يستطيع أن
يقولَ في أي اتجاه نجدُ مرتقى يمكن
أن نسلكَ فيه من دون أجنحة».

55 كان واقفاً وكان رأسه محنياً على صدره
يتأملُ في أي اتجاه يمكن أن نسلكَ
ووقفت أنا هناك أنظر بين الصخور،

58 فرأيت عن يساري إلى جانب الجُرف
حشداً يجرجرُ أقدامَهُ بتثاقلٍ في اتجاهنا
وكأنه واقفٌ لبطء حركته.

61 قلت: «سيدي انظرْ إلى الأعلى فهناك
بعضُ القادمين، علّهم يحلّون المعضلة
إن لم تحلّها أنت بعقلك».

64 نظر إلى الأعلى، فانشرحَ صدره وقال:
«لنذهبْ إليهم طالما أنهم متثاقلون
وأنت أيها الإبن العزيزُ تمسَّكْ بما تعتقد».

67 كنا بعيدين جداً عن ذاك الحشدِ المتثاقل

https://jadidpdf.com

(أقصد أننا كنا بعيدين بعد أن قطعنا ألفَ خطوة)
أبعدَ من رميةِ حجرٍ بمقلاعِ رامٍ قويّ،

70 حين واجهوا الجُرفَ ووقفوا هناك أمامه
كمن يخاف مما يراه قادماً إليه،
فراحَ ينتظره وهو يحملق.

73 فقال فرجيل: «أيتها النفوسُ التي غادرها
السلامُ، أيتها النفوس المختارةُ، أناشِدكم
باسم السلام الذي تنتظرونه بشوق على ما أظن

76 أخبرونا أين منحدرُ الجرف فنعرفَ الطريق
الذي سيسلكه هذا الرجل؟ فمن عرف
قيمةَ الزمن حزَّ في نفسه التلكؤُ».

79 كما تتدافع الخراف على البوابة ـ أحاداً
ومثنى وثلاثاً، فيتقاطر البقيةُ خلفهم
بكل وداعة، والأنف بالأرض،

82 وما يفعله الأولُ يفعله الآخرون، فإن
توقف توقفوا خلفه ببلادة
وصمتٍ، لايعرفون لما يجري سبباً ـ

85 هكذا وقفتُ هناك مع مرشدي
فجاء النسقُ الأول من الحشدِ السعيد
بنظرةٍ وقورة وحركاتٍ رزينة.

88 وعندما رأيتُ الأرواحَ التي جاءت أولاً

https://jadidpdf.com

من ذلك الحشد، النور يسقط على الأرض
إلى يميني بحيث سقط ظلّي على الصخرة

91 توقّفوا وتراجعوا قليلاً كما لو أنهم ينفرون
وكل الآخرينَ الذين جاؤوا بعدهم
فعلوا كالأوائل دون أن يعرفوا لماذا؟

94 وجّه سيدي الكلامَ إليهم: «دعني أؤكدُ
لكم الفكرة التي لاتتكلمون عنها. إن من
ترونَهُ أمامكم إنسان حيٌّ لاينفَذُ النورُ منه.

97 لاتعجبوا وتأكدوا أنه لايبحث
عن طريقٍ لتسلقِ هذا المرتقى
من غير قوة من السماء»

100 فقالت تلك الأرواحُ النبيلة
محرّكين ظهورَ أيديهم باتجاهنا:
«استديرا أولاً ثمّ سيرا بخطٍ مستقيم».

103 وقال لي أحد الأرواح: «كائناً من تكون
انظرْ إلى الوراء عندما تسير واسألْ
نفسكَ إن كنتَ رأيتني هناك على الأرض».

106 أمعنتُ فيه النظرَ فدار رأسي
كان أشقر كالذهب وكان وطنياً نبيلاً
أحدُ حاجبيه شُقَّ بضربة سيف.

109 وعندما اعترفت بكل تواضع

https://jadidpdf.com

أني لم أرهُ على الأرض قال:
«انظر» وكشف عن جُرحٍ كبير في صدره.

112 أضاف وهو يبتسم: «أنا مانفرد حفيد
الامبراطورة المباركة كونستانسي، أرجوك
عندما ترجعُ إلى هناك، إلى ما فوق الأفق

115 أن تذهبَ إلى ابنتي الجميلةِ، الأمِ النبيلةِ
لمجد صقليةَ وأراغون وأن تنطقَ
بالحقيقة، إن لم ينطقْ بها الناس.

118 لقد جُرح جسدي مرتين، بجُرحين مميتين
عندما حزيناً أسلمت الروح إلى الله
الذي رحمتُهُ تنتظرُ الجميعَ.

121 عظيمةٌ كانت خطاياي، ولكن
لاحدود لرحمة الألوهيةِ التي تبسط
ذراعيها لكل الآتينَ إليها.

124 ولو أن راعي كوسنزا، مدفوعاً
بغضب كليمنت لملاحقتي، قد درس
كتابَ الله، في هذه الصفحة المشرقة

127 لظلتْ عظامي في الأرض هناك
في رأس الجسر خارج بنفنتو
تحت حراسةٍ مشدّدة لتلةٍ صخرية.

130 الآن بعثَرَتْها الريحُ وأغرقها المطرُ،

https://jadidpdf.com

ها هي ملقاة خارج المملكة، عند نهر
فيردي حيث نقلها بفتائلَ مطفأة.

133 لم يلعنِ الكاهنُ أو البابا إنساناً
مثلما لُعنتُ، لكن الحبَّ الإلهي يمكن أن
يعود مادام هناك خيطٌ صغير أخضر من الأمل.

136 إن العصاةَ يموتون. ومع أنهم يتوبون
عن خطيئتهم إلى الكنيسة المقدّسة
إلا أن عليهم الانتظارَ خارجَ الضَّفة، مثلنا

139 الآن، ثلاثين ضعفاً عن المدة التي ظلوا فيها
يرفضون الطاعةَ، لكن يمكن إنقاص هذه
المدة بالصلوات المخلصة عن روحهم.

142 فانظرْ أيَّ خدمة كبيرة تقدمها لي بعد
عودتكَ، عندما تخبر كونستانسي الصالحةَ
عن وضعي وعن هذا القانون الذي يمنع دخولنا المملكة.

145 فلربما من هؤلاء الذين على الأرض يأتينا خير عميم».

الرموز والصور:

العصاة: العاصي في العرف الكنسي هو ذاك الذي يعصي أوامر الكنيسة. ولكن الكنيسة مجسدة بإرادة إنسانية. والإرادة الإنسانية لها هرميتها من قسيس الضيعة وحتى البابا... وهؤلاء هم أصحاب قرارات الحرمان.

دانتي، الذي سبق رجالات النهضة، لايعتبر العصيان يستحق الحرمان من الغفران (133 ـ 140) إن أقصى عقوبة للعصاة هي أنهم يبقون ثلاثين ضعفاً عن مدة العصيان على الأرض، خارج بوابة المطهر، وهم أول طبقات المطهر. لكن إن كان للميت قوم صالحون في الأرض، فإن الصلوات الحارة تقصّر

https://jadidpdf.com

كثيراً هذه المدة وبذلك سحب البساط من تحت كارزمية القرارات الكنسية في القرون الوسطى.

الملاحظات:

10 ـ التسرع الذي يهدر كرامة كل فعل: بما أن الكبرياء مدخل كل خطيئة، فإن الكرامة مدخل كل فضيلة، باعتبار الكرامة أقرب إلى التواضع. وقد رأى أن التسرع في كل شيء هدر للكرامة.

21 ـ ظل واحد: كان دانتي وفرجيل يسيران فشاهد دانتي ظله فقط، فاعتقد أن فرجيل تخلّى عنه ناسياً أنه جاء بجسده الذي يترك ظلاً.

27 ـ من برنديزيوم إلى نابولي: مات فرجيل 19 ق.م وأعيدت عظامه إلى نابولي بأمر الامبراطور أوغسطس.

50 ـ ليرسي وتوربيا: الأولى على شاطئ المتوسط قرب نهر ماغرا والثانية على الجانب الآخر من ليغوريا. وسلسلة الجبال بينهما من أشد السلاسل وعورة في أوروبا.

102 ـ محركين ظهور أيديهم: أي يدلون على الطريق.

112 ـ مانفرد: ملك صقلية ولد 1231 وقتل في معركة بنفنتو على يد تشارلز (الجحيم 28: 16) عام 1266 وكان أبيقورياً. رفض الانصياع للأوامر البابوية. لكنه كان قوياً فلم يصدر قرار الحرمان في حياته. بعد موته حرمته الكنيسة. أمضى سبعة عشر عاماً ونصف العام (نصف حياته) عاصياً، فعليه أن يمضي 525 سنة إلا إذا صلّت له ابنته.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع

أمام المطهر: الإفريز الأول المتأخرون في التوبة

الطبقة الثانية: الكسالى

بيلاكوا

الحكاية: يصعدان الجبل. دانتي يصرخ بأنه غير قادر على التسلّق فيحثّه فرجيل بأنه سيصل قريباً إلى إفريز الكسالى. يجلس على حافة الإفريز، ويشرح له فرجيل طبيعة الجبل، وكيف أن الصعود يكون من الأصعب إلى الأسهل، حسب طبيعة الخطايا. وعند «النعمة الكاملة» لايعود هناك جهد للتسلق. لكن العقل البشري (فرجيل) لايستطيع الصعود، بل الحب المقدس (بياتريس) هو الذي يرافقه في السموات، ثم يلتقي دانتي روحاً هو بيلاكوا، ممثل الكسالى، وأكسل رجل في فلورنسا. وبسبب الكسل تأخرت عنه نعمة الله، لذلك ينتظر مدة تعادل مدة كسله، ما لم ترفع له الصلوات.

1 عندما يتركز الإحساسُ في اللذة

أو الألم، فإن النفسَ بكليتها

تغرقُ في هذا الإحساس،

4 فتبدو كأنها تخلت عن كل قواها الأخرى.

وهذا ما جعلني أُنكرُ الخطأ الذي يؤكد

https://jadidpdf.com

أن نفساً تلتهبُ فينا على حساب أخرى.

7 ولهذا السبب فإننا عندما ننجذبُ بأنفسنا
بالرواية أو الاستماع إلى شيء من الأشياء
يمرُّ بنا الزمن دون أن نَعِيَه.

10 فتلك التي تحسُّ وتشعر ملكة،
وتلك التي تجعل النفسَ فعالةً ملكةٌ أخرى
ويبدو أن الأولى مقيدةٌ والثانيةَ حرةٌ.

13 وقد قادتني تجربتي الخاصَّةُ إلى ذلك
إذ بينما كنت أصغي لتلك الروح،
صعَدَتِ الشمس ـ دون أن أعي ذلك ـ

16 بمقدار خمسين درجة في قبّةِ الظهيرة
عندما في نقطة معينة في الطريق
صاحتْ تلك المجموعةُ ككورسٍ «هنا مبتغاكم».

19 عندما ينضج العنب في المنحدر وعلى الحافة
فإن الفلاح، بمِذراته، يأخذ شوكاً ويسد
الفجوةَ التي تقود إلى العنب. إن تلك الفجوة

22 أكبرُ من الفجوة التي وجدناها في السور الصخري
وهناك في الأعالي ـ وقد خلّفنا الحشدَ وراءنا ـ
قادني مرشدي وسرت خلفه: كنا وحيدين.

25 حتى تصعدَ إلى سان ليو، أو إلى نولي
لتتسلقَ في سمانتوزا ـ تكفيكَ ساقان:

https://jadidpdf.com

هنا لاشيء يجديكَ سوى جناحين سريعين.

28 أقصد أن أطيرَ بجنح الشوق وريش
الرغبة التي يقودني بها مرشدي
أملي ونوري في الطريق.

31 حوصِرْنا بين سُورين، مما جعلنا
نبذل جهداً عبر الصخور المسننة
وقد استدعى التسلّقُ استخدامَ أيدينا وأقدامِنا.

34 فوق القمة الأخيرة للجُرف، وصلنا
المنحدرَ المكشوفَ. سألت سيدي: «هل مِلْنا
يساراً أم يميناً، أم مازلنا نتسلق؟».

37 قال: «لم نخطُ خطوةً واحدة في أي اتجاه
بل نسيرُ قدماً ونشق طريقنا في الجبل
إلى أن نجدَ شخصاً ما يرشدنا».

40 القمة ترتفع في السماء أبعد من مرمى النظر.
والمنحدرُ الذي واجهناه كان أشدَّ من
خطٍ ينزل من منتصف المرباعةِ إلى المركز.

43 كان التسلق قد استنفذ جهدي حين صرختُ:
«أيها الأب الطيب، أعِدْني أو توقّفْ
أو دعني هنا في بطن الجبل».

46 أشار إلى حافةٍ عالية قليلاً
تلفُّ كل وجه المنحدر. قال:

https://jadidpdf.com

«أرفعْ نفسك إلى تلك الحافّةِ ياولدي».

49 أثارتني كلماتُه فأكرهتُ
نفسي على السيرِ خلفه زاحفاً
إلى أن وطئت قدماي تلك الحافة.

52 جلسنا، وجهنا للشرق نراقب
الخط الذي تسلقناه، فلربما
النظرة إلى الخلف تريح المسافرين في الطريق.

55 نظرتُ إلى تحت، إلى الشاطئ
ثم نظرتُ إلى الشمس، فوقفتُ مندهشاً
لأن سهامها كانتْ تأتي من اليسار.

58 التقطَ فرجيل سريعاً ما فكرتُ به
عندما تطلعت إلى عربة الشمس
تندفع بيني وبين كهفِ الريح الشمالية.

61 قال: «إن كان كاستر وبولوكس في صحبةِ
تلك المرآةِ المشرقةِ التي ترسل أشعتها
بالتساوي إلى أعلى وأسفل، فسوف ترى

64 العَجَلَةَ الإثني عشريةَ للبروج تستدير
وتتوهج حتى تقتربَ من الدبين ـ إلا
إذا انحرفتْ عن طريقها المحدد.

67 فإن نويْت أن تفهمَ لماذا الأمر هكذا
فتخيل صهيونَ وهذا الجبلَ قائمين

https://jadidpdf.com

في الأرض، الأولى فوق والثاني تحت

70 وللاثنين أفق واحد مع أنهما
في نصفين مختلفين، فالطريق الذي
فشل فيه فيثون لابد أن يمر

73 من هذا الجانب، ولو أنه مر
من ذاك الجانب لنجا
كما يتّضحُ ذلك لذهنك».

76 قلت: «إني أصرّحُ علانية يا سيدي
أنني لم أستوعب هذه النقطة
لأن ذهني كان شارداً:

79 ذلك أن منتصف دائرة السماء العليا
يُسمى خطَّ الاستواء، ويقع دائماً بين
الشمس والشتاء، وللسبب ذاته

82 يقع بعيداً شمالَ هذا المكان في كل الأزمان
كما يرغبُ العبريون، عندما أقاموا
أورشليم، أن يروه متجهاً إلى المناطق الحارة.

85 لكن إن سمحتَ سأكون مسروراً حين أعرف
كم تسلقنا، لأن القمّةَ تحلق في السماء
أبعد مما يستطيع بصري»

88 قال: «هكذا هو الجبل، فعندما تبدأ
الروحُ في المنحدرات الدنيا يجب أن تبذل كل جهودها

https://jadidpdf.com

وكلما اقتربتْ من هدفها خفّ جهدُها.

91 وعندما نصل النقطةَ التي تبدو فيها
المنحدراتُ أخف، ويغدو التسلقُ
أسهلَ من سير الزورق مع تيار الماء،

94 ثم يستقيم، وليس قبيل نهاية
الرحلة، تجدْ أنت بُغيتك.
إن هذا معروف لي، ولن أقول شيئاً آخر»

97 خرجت كلماته قاسيةً، عندما سمعنا،
قريباً مني، صوتاً يقول: «ربما في ذلك الوقت
تجدان أن عليكما الراحة قبل المتابعة».

100 التفتنا معاً نحو الصوت، وهناك
قريباً من يسارنا، رأينا صخرةً هائلة
لم نكنْ حتى تلك اللحظةِ منتبهين لها.

103 وتوجّهنا إليها فوجدنا
رجلاً قذرَ المظهر، ممدداً في ظلها
ينشدُ الراحة، وعلى الأرض بعض الناس.

106 أشدُّهم تعباً، بحكم وضعه،
جلس معانقاً ركبتيه، بينما ترك رأسه
يتدلى بينهما إلى منتصفِ ساقيه.

109 قلت: «انظر يا سيدي إلى هذا النادمِ
الذي يبدو أنه تكاسل كلياً. وكأن

https://jadidpdf.com

الكسلَ جزءٌ من كينونته فلا يستطيع المسير».

112 لكن هذا المتكوّمَ تحرك، بل رفع رأسه
فوق فخذه ـ إلى القدر الذي يرانا فيه
قال: «تفضلْ وتسلّقْ، إن كنت رياضياً».

115 عندها عرفته، وكل الألم الذي
ظلّ يكوي رئتي ويسرّعُ نبضي
لم يمنعني من الذهاب إليه.

118 رفع رأسه عندما وقفت قريباً منه
وقال: «أعرف حقاً لماذا تسير
الشمسُ إلى يسارك عبر السماء».

121 كلماته القصيرة وحركاته الأقصرُ معاً
رسما نصف ابتسامتي على شفتي. أجبت:
«بيلاكوا، مصيركَ لم يعدْ يشغلُ بالي.

124 وأنا مسرور لذلك. ولكن لماذا تجلس
هنا؟ أتنتظرُ مرشداً يهديك؟
أم أنك عدتَ إلى أحابيلك القديمة؟»

127 قال: «يا صديقي القديم، ما الفائدة من
التسلق؟ لن يسمح طيرُ الرب على البوابة
بعبوري للمثول قبل وقتي. يجب الانتظار

130 هنا حتى تدور عجلةُ السماء
بقَدْر ما أهدرتُ من حياتي
لذلك أحتفظ بتنهداتي الطيبة.

https://jadidpdf.com

133 يمكن للصلاة من قبل بارٍّ
ممتلئٍ نعمةً أن تساعدني. أما غير ذلك
فعديمُ الأهمية، لأنه لايُسمع».

136 كان شاعري قد استأنف الطريق
إلى المنحدر الأعلى قائلاً لي: «هلمَّ
فقد وصلتِ الشمس الآن ذروة النهار فوق البحر

139 وأرخى الليل إحدى قدميه على رمال مرّاكش».

الرموز والصور:

مذهب تعدد النفوس: هل في الإنسان نفس أم نفوس؟ يذهب أفلاطون إلى أن في الإنسان ثلاث نفوس: النباتية (ومركزها الكبد) والشعورية (ومركزها القلب) والفكرية (ومركزها الدماغ). أرسطو يخالفه فيرى أن من الصعب قيام انسجام بين ثلاث، في حين يمكن القول أن في الإنسان نفساً واحدة بملكات كثيرة، وبذلك تتم عملية السيطرة المركزية. وعلى الرغم من أن دانتي يعتبر أفلاطون من كبار أساتذته، يشير في هذا النشيد إلى خطأ نظريته. وقد حاول توما الأكويني تحوير نظرية أفلاطون بما ينسجم ومعتقدات الكنيسة.

الملاحظات:

16 ـ بمقدار خمسين درجة: الدرجة أربع دقائق.

25 ـ سان ليو: مدينة قرب سان مارينو. ونولي مدينة ساحلية تستخدم كميناء.

42 ـ منتصف المرباعة إلى المركز: المرباعة آلة قياس زوايا وإسقاط خط من منتصفها إلى المركز يعني تشكيل زاوية قائمة.

80 ـ خط الاستواء السماوي: لاحاجة إلى الوقوف عند المعلومات التي قدمها دانتي، فالأمر يربك القارئ من جهة، كما أنه لم يعد منسجماً مع نتائج العلوم الحديثة.

97 ـ بيلاكوا: صانع آلات موسيقية في فلورنسا، وكلماته تدل على سخرية مريرة.

132 ـ التنهدات الطيبة: التوبة. ويعني أنه لم يتب إلى الله في حياته. وظل في عصيانه حتى مات.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس

أمام المطهر: الإفريز الثاني المتأخرون في التوبة

الطبقة الثالثة: موتى بلا مراسم

الحكاية: في الطريق إلى الإفريز الثاني يرى حشد من النفوس ظلَّ دانتي. هؤلاء هم الذين بالعنف ماتوا ولم تُقم لهم الطقوس الأخيرة. فبما أن حياتهم قطعت قطعاً، فإنهم لايملكون الفرصة الكاملة للتوبة. ولهذا السبب نجدهم أرقى مرتبة من الكسالى. وقد اجتمع هؤلاء حول دانتي وراحوا يطالبونه بذكر أسمائهم. ومن بين الحشود يتحادث مع جاكوبو ديل كاسيرو وبونكونتي دا مونتيفلترو. ويلتقي أيضاً سيدة باسم بيا (التقية) وكلهم طالبوه بالصلاة والمساعدة.

1 تركتُ الظلالَ خلفنا وسرتُ
في أعقاب معلمي، فإذا أحدهم
ورائي يصيح مشيراً إلي:

4 «انظروا إلى اليسار، حيث الظلمةُ
تأتي من متسلقِ الجبل ذاك.
انظروا إليه كيفَ يمشي مثل الأحياء».

7 سمعتُ الكلمات، توقفْتُ والتفتُ
خلفاً إليهم، فرأيتهم واقفين محملقين

https://jadidpdf.com

فيّ وحدي، وفي ظلي.

10 ثم قال سيدي: «لماذا جعلتهم يلعبون
بعقلكَ حتى تدنت سرعتك؟ ماذا جرى
لك وماذا في أذنك يهمسون؟

13 اتبعني ودعِ الناس تتفرق
قفْ كبرج يصمد في زمن المصاعب
ولاتَحْنِ هامتَك مهما عصفت الريح.

16 وعندما يولي الإنسان اهتمامه لكل
همسة، يفقد اتجاههُ الحقيقيَّ
ويجعلُ عقله ينساق وراء أي تغير».

19 وهل أقول سوى «أنا قادم»؟ وقد قلتها.
وعَلّتني المعالمُ التي تطلب المسامحة
والتي تبين أن النعمةَ لابدّ آتية.

22 وأثناء ذلك، عبرَ المنحدر أمامنا
مرّتْ جمهرةٌ من النفوس تغني الشعر
بعد الشعر بالتبادل وتنشد مزمور «ارحمني».

25 ولكن عندما رأوا أن نور الشمس لايستطيع
تمزيق شكلي غيروا لهجتهم إلى (وووو)
بشكلٍ مطول وبنَفَسٍ متصل، ثم مثل المراسلين

28 انفصل عن الجمع اثنان وجاءا
نحونا يركضان صائحين: «نرجوك

https://jadidpdf.com

أن تتكرم وتخبرنا من أنت؟»

31 فردّ مرشدي: «يمكنكما أن تعودا إلى
هؤلاء الذين أرسلوكما وأن تُعلنا أن
جسد هذا الرجل من لحمٍ ودمٍ فعلاً.

34 إنّ ما أوقفهم هو ظلُّه، كما أظن،
وجوابي يكفيهم، فليقدموا المجد
لمن يستطيع أن يفعل الكثيرَ لهم».

37 لم أر بخاراً ماراً ينطلق من
هواء أول الليل، أو من غيومِ
غروبِ شمس آب، أسرع من

40 هذين اللذين أسرعا إلى الحشد
وعندما وصلا، شاهدتُ كل الجمع
يأتينا كفصيلة فرسان مطلقةِ الأعنة.

43 قال شاعري: «مئات آتون إليك
يريدون منك رجاءً، فاسمعهم
ولكن تابغ مسيرك وأنت تصغي إليهم».

46 جاؤوا صائحين: «أيها الروحُ النقي
أنت يا من ما تزال في جسدِك الذي ولدت
فيه، لتصعدْ إلى البهجة ـ توقفْ وكلّمنا.

49 ألا ترى فينا من تعرفه؟ ألا ترى
من تحملَ أخبارَه إلى الدنيا؟

https://jadidpdf.com

تريّثْ، ألا تتوقف؟ لماذا تسرع؟

52 كلنا نفوسٌ بالإثم مُتنا، خطاةً
كنا في ساعتنا الأخيرة، التي
أشرق فيها مصباح السماء في قلوبنا

55 تُبنا وتصالحنا مع الله وغفرَ لنا
وانتقلنا من تلك الحياة إلى هذه،
ولقد تقطع القلبُ شوقاً لرؤيةِ وجهه».

58 قلت: «أيتها الأرواح المجيدة،
لاأرى بينكم من أعرف، ولو بقيتُ
العمر كله أبحث في وجوهكم.

61 ولكن تكلموا وسوف أنقل كلامكم، حسبَ العهد
الذي جاء بي إلى هنا، مستهدياً بخطوات مرشدي
منتقلاً من عالم إلى عالم، إلى ما ينتظرني من خير».

64 قال أحدهم: «لانطلب منك قَسَماً تلتزم به.
كل ما نطلبه مساعدتكَ ـ إلا إذا تلاشت
قدرتك على تحقيق ما نقول.

67 أبدأ بنفسي الآن، وأناشدك
إن كنت سترى ثانية الأرضَ، التي تقع
بين رومانا ونابولي، فانقل رغبتي

70 إلى أهل فانو، وقل لهم أن يرسلوا
إلى السماء صلوات مقدسة لخلاصي

https://jadidpdf.com

فأتطهرُ من إثمي، وخطيئتي أرميها خلفي.

73 أنا من فانو، لكن الجراحَ التي نالتني
هدرت حياتي ونفسي مما جعلني
أُحشر بين أهل أنتينورا. لقد قُتِلتُ

76 في المكان الذي كنت أشعر فيه بأعظم طمأنينة.
قتلني آزو الذي من آستي ـ لقد استشاطَ
غضباً عليَّ أكثرَ من اللزوم.

79 لو أني اتجهت إلى لاميرا عندما كانوا
يبحثون عني في أورباغو لكنت
أتنفسُ الهواء الآن بين الأحياء.

82 ركضتُ في المستنقع، القصب يصفعني
والطين يعوقني. هناك سقطت
وهناك من شرايين تدفقت بحيرةٌ من دم».

85 قال آخر: «ليت الحبَّ المقدس يحقق
رغبتك في صعود الجبل، فتنالَ
مرادَك، قدم لي يد المعونة

88 أنا بونكونتي، كنت من قبل مونتيفلترو
تناستني جيوفانا والآخرون
وسرت بين هذه الأرواح منكسَ الرأس».

91 قلتُ: «أي قوة، أو أي حظ دفع بك
إلى الانحراف بعيداً عن كامبلدينو

https://jadidpdf.com

وقبركَ هناك ينتظر من يكتشفه حتى اليوم؟»

94 قال: «من تحت كاسنتينو يمرُّ
جدول الأرخيانا، وينبع من
فوق الصومعة في أبينينو

97 ومن هناك، حيث يصب نهر الأرنو، ويفقدُ اسمه
جئت، وعلى قدمي هربت، فقطعوا
عُنقي، وبدمي صبغوا كل أطرافِ الطريق.

100 هناك زاغ البصر. هناك كانت الصرخة
الأخيرة مني، إذ لفظت اسم مريم.
سقطتُ، وهناك وحيداً تمدّد جسدي.

103 قلتُ لك الحقيقة. فعنْ لساني حدّثِ
الأحياءَ. ملاكُ الرب أخذني، فصرخ
شيطان الجحيم: «يا لص السماء، لماذا

106 تأخذُ ما ليسَ لك. فإن أخذت الجزء الخالد
لأنه أراق دمعةً جعلتني خالي الوفاض
فسأعامل ما بقي منه معاملة أخرى».

109 أنت تعرفُ الطريقة التي يتكثّف
بها البخار في الهواء، ثم ينفجرُ
مطراً، حالما يصبح ثقيلاً.

112 من الشرير لايُخرج إلا الشرُّ،
إنه مازال يحب الأذيةَ، فيحرك

https://jadidpdf.com

الضباب والريح بما في طبيعته من قوة ومهارة،

115 من براتوماغنو حتى سلسلة الجبال
نشرَ اللعينُ الضباب وملأ الوادي في نهاية اليوم
ثم جعل السماء سوداء عمياء.

118 تحولَ الهواء المشبع بالبخار إلى مطر
وانهمر لتفيضَ الجداولُ والينابيعُ
بما لاتستوعبه الأرضُ،

121 فاختلطتِ المسيلاتُ في تيار
وطوفان، جرفَ كل ما أمامه
إلى النهر الملكي، لاتوقِفُهُ قوة.

124 وهناك الأرخيانا بهياجِهِ وطينهِ
وجد أمامه أشلائي فجرفها
إلى نهر الأرنو، وانتزعَ من صدري

127 الصليب الذي صنعته ووضعته في عنقي،
ودفعني في قاعهِ على صخرة،
ثم قبرني ودفنني بشوائبه».

130 تكلمت ثالثة عندما انتهى الثاني:
«أرجوك عندما ترجع إلىالأرض
وتستريحَ من عناء رحلتك الشاقة،

133 اذكرني أنا اسمي بيا. سيينا شهدتْ
مولدي، وماريما شهِدتْ وفاتي

https://jadidpdf.com

وهذا ما يعرفه ذاك الذي أخذني زوجةً

136 بخاتَمٍ كلُّه جواهرَ، قبل أن يأخذ حياتي».

الملاحظات:

24 ـ ارحمني: بداية مزمور من مزامير التوبة لداوود: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك...

75 ـ أنتينورا: أهل بادوا وسموا كذلك باسم مؤسسها.

79 ـ لاميرا: مدينة بين أورباغو وبادوا.

80 ـ أورباغو: في أيام دانتي كان الطريق بين البندقية وبادوا يمر من مدينة أورباغو.

88 ـ أنا بونكونتي، كنت من قبل مونتيفلترو: في المطهر والسماء تسقط الألقاب فبونكونتي هو كونت مونتيفلترو.

89 ـ جيوفانا: زوجة بونكونتي.

94 ـ كاسنتينو: مقاطعة أو واد في أعلى الأرنو.

123 ـ النهر الملكي: الأرنو.

133 ـ بيا: معنى اسمها التقوى أو التقية. ابنة من أسرة سيينا يقال إنها تزوجت نيلو، لكنه أراد أن يتزوج وريثة ثرية، فدفعها من النافذة إلى هوة سحيقة، لذلك قالت هذا ما يعرفه ذاك الذي أخذني زوجة بخاتمٍ كله جواهر، قبل أن يأخذ حياتي...

https://jadidpdf.com

النشيد السادس

أمام المطهر: الإفريز الثاني المتأخرون في التوبة

الطبقة الثالثة: الذين قتلوا بالعنف

سورديلو

الحكاية: يسير الشاعران وحولهما الحشود. ويقدم دانتي الوعود بأن ينقل رغباتهم إلى العالم. ثم يتحرران من الجمهور فيسأل دانتي مرشده فرجيل: لماذا تستطيع الصلاة تغيير المشيئة الإلهية؟ ويشرح له فرجيل هذه المسألة، ثم يقول له: إن جوابه جزئي، ولن يجد الجواب الشافي إلا عند بياتريس. وكلما صعدا مرّت الشمس خلف الجبل (عصر عيد الفصح) ويقابلان رجلاً من منتوا هو سورديلو. يعانقه فرجيل، ابن بلده. ويلقي اللوم على إيطاليا التي تدفع الأخوة إلى الاقتتال. ويدين الامبراطور ألبرت لفشله في توحيد إيطاليا وتحقيق السلام. وأخيراً نسمع هجاءً مريراً لفلورنسا باعتبارها نموذجاً للدولة التي مزقتها الحروب.

1 الخاسر، بعد أن تنتهي لعبة النرد، يجلس
في مقعده حزيناً متألماً وحيداً،
يعيد في ذهنه كل رمية، وكأسَ الحكمةِ يتجرّع.

4 ومع الرابح يذهب الآخرون، هذا

https://jadidpdf.com

أمامه، ذاك خلفه، ذاك بجانبه.
كلهم يريدون أن يتذكّر ولاءهم له.

7 ومن غير توقف ينقد هذا ويعطي ذاك
وحيث امتدت يده يخفُّ الاحتشاد
إلى أن لايعود هناك تجمُّع.

10 وهذه حالتي مع ذلك الحشد في ذلك اليوم
فكنت أتلفتُ بنظري هنا وهناك وفي كل مكان
واعداً كل نفسٍ بتنفيذ ما سمعت.

13 هناك الأيتوزي الذي جاء يندب
لأن يدَ تاكو القاتلة طالتْهُ
والآخرُ غرق بينما يطاردُ عدوه.

16 وهناك فريدريك تونيلو، الذي وقف
ضارعاً يمدُّ يده، والبيزي أيضاً الذي
قدرُه جعل مارزوكو الطيّبُ يُظهر القوة.

19 رأيت الكونت أورسو، وظلٌّ واحدٌ تمزق
جسده، على حد قوله، من الحسد والكراهية
وليس من إثمٍ اقترفه. وسوف أسميه صراحةً

22 إنه: بيير ديلا بروسي. ومن هذه الكلمة
ربما السيدةُ برابانت تدبّر أمرها وإلا
ستجد نفسها في جماعة أسوأ.

25 وعندما سرتُ في طريق متحرراً من ضغط

https://jadidpdf.com

الأشباح الذين كلُّ صلاة يتلوها غيرهم
تدفعهم إلى الأمام، نحو غفرانهم،

28 قلت «يا ضياءَ نفسي، يبدو لي
من أحد أبيات شعرك أن المصلي
لايستطيعُ أن يغير قانون السماء الثابت:

31 ومع ذلك فإن كلَّ هؤلاء يضرعون من
أجل الصلاة، فهل يضيع أمَلُهم؟ أم
أني قرأت في بيت شعرك ما ليس في نيتكَ؟»

34 أجاب: «معنى البيت واضح، إنْ
حصرت ذهنك فيه، فليس الأملُ
عبثاً لدى الجميع على السواء.

37 بردُ العدالة لاينحني لتوسلات المتحمسين،
لكن نقاءَ القلب يختصرُ الزمن المفروض
على الماكثين هنا، وشوقهم للصعود يستنفده.

40 أما الأرواحُ التي كتبتَ عنها في ذلك المكان
فالخطيئة لاكفّارةَ لها، ولأنهم وثنيون
فإن صلواتهم لاتصل إلى الله.

43 ولكن وفِّرْ هذه الأسئلة
إلى أن تقابلَ تلك التي صارت مصباحك
بين الحقيقة والعقل.

46 هل تفهمني؟ أنا أقصد بياتريس

https://jadidpdf.com

سوف تظهر في العلى، في ذروة
هذا الجبل والبسمةُ على ثغرها»

49 قلتُ: «سيدي لنذهبْ مسرعين الآن،
صرتُ أجد الصعود أسهل من الأول.
وانظرْ، هاقد صار للمنحدر ظلّ».

52 قال: «النهرُ إلى زوال وعلينا أن
نغذَّ السيرَ طالما أن هناك نوراً
لكن الصعودَ أصعبُ مما تتصور:

55 فقبل أن ينتهيَ لابد أن تلفَّ الشمس
من مكمنها الحالي وراء الجبل
وتلقي ظلك على الأرض مرة أخرى.

58 ولكن انظرْ إلى ذاك الروح الذي توقفَ
وراح ينظر إلينا: لاشك سيدلّنا
على أفضل طريقٍ في رحلتنا»

61 اقترَبْنا منه. أيها اللومبارديّ
أيها الروحُ الهادئ، تراقبنا بنبلٍ ومحبة
ما هذا الازدراءُ في نظرتك الجليلة.

64 لم يكلمنا عندما عَبْرنا
ولكنه نظر إلينا بعينين ثابتتين
وكأنه أسدٌ في القيلولة.

67 صعد فرجيلُ إلى جانبه ورجاه

https://jadidpdf.com

أن يدلَّنا على أفضل طريق للصعود.
تجاهل سؤالنا، وردّ بسؤال

70 عن البلاد التي وُلدنا فيها
ومن نحن. فقال سيدي اللطيف:
«مانتوا». فقفز الظلُّ فوراً

73 على قدميه، مثل من يلبي شيئاً مفاجئاً
صائحاً: «مانتواني... أنا سورديلو
من مدينتك ذاتها» وتعانق الإثنان.

76 إيه إيطاليا، يا منزل الآلام ويا عصبة العبيد
يا سفينةً بلا ربّانٍ في عاصفة مريعة
لست أميرةَ الأقاليم... بل أنت فاسقة.

79 قفزَ الروحُ النبيل لدى سماعه
أولَ صوتٍ يتلفظ باسم مدينته
وضمَّ مواطنهُ إلى صدره:

82 بينما مايزال في داخلكِ الأخُ يحارب أخاه
مع أن سوراً واحداً ومستنقعاً واحداً يحيطانِكِ
وأبناؤكِ الأحياءُ يأكلُ الواحدُ الآخر.

85 أيتها الأرضُ البائسة، فتّشي كلّ بحاركِ
وشطآنكِ، وسفوح تلالكِ ـ أين تجدين
بقعة واحدة فقط تحظى بنعمةِ السلام؟

88 ماذا يعني إذا جاء جوستنيان ووضّحَ

https://jadidpdf.com

قوانينَ الأعنةِ إذا لم يجلسْ أحدٌ على السَّرجِ؟
من دونه كان تبريركِ للعار ضعيفاً.

91 أيها المحترمون، الذين مازلتم تدعون
عالياً، وتسمحون لقيصرَ أن يمتطيَ الجواد،
هل فعلتم شيئاً سوى أنكم قرأتم ما كتبَ اللهُ لكم؟

94 انظروا كيف صارت المُهرةُ ضارية ولا من
يكبحُ عِنانها، ولايصحِّح مسارَها بمهماز،
طالما أمسكتم أنتم زمامَ الأعنة.

97 يا ألبرت النمساوي، تركت الفرسَ تصبحُ
شَمُوساً، فلا فارس يروّضها، كان
عليك أن تكبح جَماحَها قبل اليوم.

100 أما من حكم عادل يهبطُ من النجوم
على بيتكَ، وينزلُ ضربةِ قاصمة
تقضي على نسلكَ فلا يُخْلَف، لأنك

103 يا سيّدي مثلَ أبيكَ في جشعكَ
لغزو الديارِ الشمالية، قد جعلتَ
حديقةَ الامبراطورية تصبح أرضاً للبذار.

106 تعال وانظرْ آل مونتاغو وآل كابوليت
وانظرْ بيت مونالدي وقد خيّم الفقر عليه
وانظرْ آل مليبكي في أحذيتهم المهترئة.

109 تعالَ أيها الامبراطور الظالم، انظر لوَرْدَاتِك

https://jadidpdf.com

يعانون الاضطهاد، تعال داوِ جراحَهم
وانظر أي ضمان يقدمه سانتافيور.

112 تعالْ انظرْ روماكَ التي تبكي وحيدة
مترملة وبائسة، تنوح في الليل والنهار
وتقول: «لماذا يا قيصري تخلّيتَ عني؟»

115 تعالْ وانظر شعبك ـ هذا هو في كل مكان ـ
يوحّده الحب، فإن لم تحركك الشفقة علينا
فتعال واحترم اسمك الطيب.

118 جوبيتر، أيها الفائق، يا من صلبت من أجل
البشرية، سأسألك إن كنت تسمح بالسؤال
ألا ترى أن عين عدالتك انحرفتْ بعيداً؟

121 أم أن ما تفعله هو مخطط رسمتْه
حكمتك التي لاحدّ لها من أجل الخير،
وهذا لايمكن أن يدركَه الإنسان الفاني.

124 فالبلادُ عشُّ طغاة، وأي مبتذل
يلعب لعبة الحزبية، يمر بتجربة
باسيليوس مع الدهماء.

127 فلورنسا، يافلورنساي. ليدخلَ السرورُ
إلى قلبك لأن استطرادي في هذا النشيدِ
لم يصبك لحكمة مواطنيك وغيرتهم.

130 عدالة الآخرين عميقةٌ في القلب لكن

https://jadidpdf.com

خيطَ القوس لايُقذفُ بسرعة، بل بروية،
أما أنت فتطلقين الكلمةَ سريعةً من لسانك.

133 يرفضون الوظائفَ: شعبك؟
لا، بل يصرخ واحدُهم قبل أن
يسأله أحد: «سأضحي بنفسي من أجل الوظيفة».

136 افرحي، أقول افرحي، ما أشدَّ مواهبك:
ثروتكِ، طمأنينتكِ، وفكرَكَ الرفيع.
مهما قلتِ الحقيقة، فإن الوقائع ليست غامضة.

139 أثينا ولاسيديمون، سنتا القوانين
والفنونَ الحضارية في الأيام الخوالي
لاأظنهما متمدنتين كفايةً،

142 إذا قيستا بكِ. لكننا دائماً نذكر
ذكاءكِ حيث أن الخيط الذي
تغزلينهُ منتصفَ أوكتوبر تقطعينه قبلَ نوفمبر.

145 كم وكم في الزمن الذي تذكرين
غيّرتِ عملتكِ وعاداتكِ وقوانينك
ووظائفك، وكم قطعت أطرافك ورتَّقتها؟

148 لكن إذا لم تمتْ ذاكرتك، فسوفَ
ترين نفسك كتلك المرأة المريضة
التي لاتجد راحة، ولاعلى فراش الريش

151 بل تتقلّبُ كأنها محاطةٌ بالألم.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

3 ـ كأس الحكمة يتجرع: يعيد اللعبة بذهنه ويحرك الأدوات بحكمة. والمقامرون الخاسرون يُعيدون كل أدوار أوراق اللعب، ويتخذون موقفاً حكيماً في لعبهم الخيالي كتعويض عن لعبهم الحقيقي الفاشل.

51 ـ صار للمنحدر ظل: أي اقتربت الشمس من المغيب.

106 ـ آل مونتاغو وآل كابوليت: هما الأسرتان اللتان استغل سيرتهما شكسبير في مسرحية روميو وجولييت.

118 ـ جوبيتر يا من صلبت من أجل البشرية: يلاحظ القارئ أن دانتي هنا يقوم بعملية تمويه على الوحدانية المسيحية ليهرب من حرمان الكنيسة فهو يذكر اسم جوبيتر باعتباره وثنياً، لكنه يلبسه ثوب الإله المسيحي (صلب من أجل البشرية) حتى يخاطبه بحرية. ولولا ذلك لاعتُبرَ الكلام تجديفاً.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع

أمام المطهر: الإفريز الثاني المتأخرون في التوبة

الوادي المزهر الطبقة الرابعة: الحكام المهملون

الحكاية: بعد أن يتعرف سورديلو على فرجيل يضع نفسه في خدمته، ويسير معه حتى بوابة بطرس. ويشرح سورديلو قانون الصعود وهو أنه لايتم إلا إذا أشرقت الشمس، فيقضون الليل في الوادي المزهر حيث نفوس الحكام المهملين، ينتظرون التطهير. ويتسلق الثلاثة حتى حافة الوادي. ويراقبون فيه كل الحكام. والوادي يقابل قلعة الوثنيين الفضلاء في الليمبو.

1 ثلاثَ أو أربعَ مراتٍ تعانقا بأخوة،
ثم تراجع سورديلو إلى الوراء
وقال: «يا ابن بلدي من أنت؟»

4 «قبل أن يُسمح لهذه الأرواح الجديرة
بالبركة، أن تصعد هذا الجبل،
كان الأوكتافيُّ قد وضع في القبر عظامي.

7 أنا فرجيل. السماء عليَّ محرّمةٌ، لا لأني
اقترفت اثماً، بل لأن الإيمانَ فاتني»

https://jadidpdf.com

بهذه الكلمات ردّ سيدي على سورديلو.

10 وكمن يواجه فجأة شيئاً
عجائبياً، فيكون بين المصدّق
والمكذّب، ويتصرف كالاثنين معاً ـ

13 هكذا فعل سورديلو. ثم حنى رأسه الكبير
واستدارَ وعانقَ سيّدي ثانية،
ولكن من ركبتيه كما يفعل الخادم مع السيد.

16 قال: «المجدُ الخالدُ للشعبِ اللاتيني
الذي فيه اكتسب لسانُنا وضوحَ العظمة،
المجدُ للبلاد التي عشتُ فيها.

19 أيُّ نعمة جعلتني التقيكَ؟
فأخبرني ـ إن كنت جديراً ـ هل
جئتَ من الجحيم ومن أيّ دائرة؟»

22 رد فرجيل: «عبرتُ كل واد في مملكة
الألم. إن قوةَ السماء رسَمتْ لي
هذا الطريق، وباسم تلك القوة أتيتُ.

25 ليس ما فعلته، بل ما لم أفعله
أفقدني حقي في أن آملَ رؤيةَ
الشمس الأبدية، كما عرفتُ مؤخراً.

28 يوجد في الأسفل مكانٌ مظلمٌ فيه
ألم وليس فيه عذاب. فنواجه

https://jadidpdf.com

لا صرخاتِ ألم بل تنهداتٍ يائسة.

31 هناك أقطن مع نفوس الأطفال الذين
ماتوا وهم في مرحلة براءتهم، قبل أن
تغسِلَهم مياهُ المعمودية من قذارة الأرض.

34 هناك أسكنُ مع الذين لم يتزينوا
بالفضائل الثلاث المقدسة، لكنهم
عرفوا البقية ومارسوها بكل صفاء.

37 فإن كنتَ تعرفُ فاسمح لي أن
أطلب منك:أن تدلنا كيفَ نصلُ
بداية المطهر من أقصر الطرق».

40 أجاب: «لسنا ثابتين في مكان واحد،
بل نطوف صُعُداً حول هذا المنحدر
بعيداً عن البوابة، وسأكون مرشدَكَ.

43 لكن النهارَ يهرب مسرعاً، وفي
الليل لامجال للصعود: فالأفضل أن
نختارَ مكاناً مناسباً نستريح فيه.

46 إن بعضَ الأرواح تخيِّم هنا على اليمين
فإن سمحتَ أخذتُكَ إليهم، وأظن
أنك سوف تُسَرَّ لرؤيتهم»

49 سأل مرشدي: «ماذا تقول؟ إذا
أرادَ أحدٌ الصعودَ ليلاً اعترض الآخرون

https://jadidpdf.com

طريقه؟ أم هكذا ببساطة لايستطيع الصعود؟»

52 رد الروحُ النبيل: «حالما تغيبُ الشمس
لاتستطيعَ أن تجتاز هذا الخط» ـ ودلّ
بإصبعِه على الأرض بينه وبين مرشدي.

55 «ليس هناك من يعترض صعودك إلا
ظلالُ الليل: وهذه وحدَها كافيةٌ
لأن تحبط إرادة أي متحمّس.

58 يمكن أن يهبطَ المرءُ خلال الليل
ويتجول في كل أرجاء المنحدر، طالما
يغلقُ الأفقُ ضوءَ الصباح عن العين».

61 سمعتُ صوتَ سيدي بشيء من الدهشة يقول:
«قِدْنا إلى المكان الذي حدثتنا عنه
فقد يُكسِبنا تأخُّرنا شيئاً من المتعة».

64 لم نرتحلْ بعيداً عن مكاننا حتى
شاهدت حفرة في المنحدر
كما يجدها المرءُ في الجبال على الأرض

67 قالت الروحُ: «هناك حيث الجبل يصنع
حنيةً بين طياته: «المكان الذي يمكن
الانتظارُ فيه حتى الصباح الجديد».

70 حافّة الوهدة تدور من اليسار إلى اليمين.
درب تلعب فيه الريح، لا بالمستوي ولا بالوعر،

https://jadidpdf.com

قادنا إلى حيث انتصبتِ الحافة في منتصف الهوة.

73 الذهبُ والفضةُ النقية والقرمزُ
الأزرقُ والفوسفوريُ والخشبُ
الوهّاج والزمرُد البراقُ لحظة كسره...

76 كلّ الألوان باهتةٌ إذا قيست
بأزهار الضفاف المعشبة
التي تضيء تلك الفرجَةَ.

79 كلها ليست لها طبيعة الألوان هناك.
وليس هذا فحسب، بل آلاف الروائح
تفوح بشذى غير أرضي يعطّرُ الهواء.

82 سالفي ريجينا ـ من ذلك الاخضرار
ارتفعتْ ترنيمةٌ إلى السماء بكورس نفوس
مختبئةٍ عن النظر خلفَ حافةِ تلك الفرجة.

85 قال المنتواني: «يا سيدي لاتطلبْ
مني أن أقودكما إلى هناك
مالم ترحل الشمس إلى كِناسها.

88 يمكنُ ملاحظتهم من هذا المرتفع
ومتابعة أفعالهم، زرافات
ووحداناً، أفضلَ مما لو صِرتم بينهم.

91 ذاك المتربع في القمة بنظرة خجولة
فلا يحرّك شفتيه عندما يمدحه الآخرون،

https://jadidpdf.com

لم يفعلْ في حياته ما كان يجب أن يفعله.

94 كان الامبراطور رودولف الذي
كانت دولتُهُ الرفيعةُ أوقفتْ موتَ إيطاليا.
ومع أن غيره حاول، إلا أن المحاولةَ تأخرت.

97 وذاك الذي يواسيه كان يحكمُ
البلادَ التي يدفع مياهَها نهر ملداو إلى
نهر ألبي وألبي يدفعها إلى البحر.

100 إن أوتوكار الذي كان مُحترماً مهيباً
منذ أن كان في الأقمطة أكثرَ من ابنه
المبذّر فنشسلاو ذي اللحية الكبيرة.

103 أفطسُ الأنف ذاك الذي يتحدث برأسه المفلطح
إلى ذلك الأنيق، قُتل أثناء هربه
مُهيناً السوسنةَ التي في غُرف خوذته.

106 لاحظْ الطريقة التي يضرب بها صدرهُ ويصرخ.
وانظر إلى الآخر كيف جعل راحةَ يدهِ
متكأً لخدّه وهو يُصدِر التنهدات.

109 هو والدُ طاعون فرنسا وحموه.
إنهما يعرفان طرقه وأحابيلَه الآثمةَ،
ولذلك ترتفع نغمةُ الحزن منهما بين المغنين.

112 ذاك الضخم الذي بجانب ذلك الروحِ
ذي الأنفِ الضخم، يغني بانسجام

https://jadidpdf.com

امتاز في حياته بكل فضيلة.

115 ولو أن ذاكَ الأصغرَ الجالسَ
خلفه ظلّ ملكاً بعده، لانتقلتِ
الفضيلةُ من وعاء إلى وعاء.

118 ولكن ـ يا للحسرة ـ لم يحصلْ لخلفيهما.
فريدريك وجيمس يحكمان المملكة إلى الأبد.
إن ميراث أبيهما لم يرثه أحد.

121 نادرةٌ هي الشجرة التي تدفع
بالفضيلة إلى كل نسغ. إن الذي
يفعله ذلك يفعله قاصداً، لتُطلب منه.

124 وما أقوله ينطبق على ذي الأنف الكبير
ولايقلّ عنه الآخرُ الذي يغني معه.
وبسببه تحزن بروفنس وبوغليا.

127 ويجب أن تستسلمَ مرغريت وبياتريس
لكونستانسي عندما تتكلمُ عن جدارة زوجها.
لأن الأبناء يتدنّون أكثر من تدني النبتة عن بذرتها.

130 انظرْ هناك حيث وحيداً يجلس ملك انكلترا
سيدُ الحياة البسيطة. لقد امتدت فروعه
في نسيجٍ صالحٍ من الأبناء.

133 أما الجالسُ متنحياً على الأرض
تحت البقية، متطلعاً إليهم، فقد

https://jadidpdf.com

كان المركيز وليم لونغسور الذي تألم

136 في الساندريا. إذ من كبريائه صرخ مونفراتو وكانافيسي».

الرموز والصور:

قوانين الصعود: عُرف عن دانتي أنه من أنصار حرية الإرادة إلى أبعد مدى. لكنا نجده هنا يأخذ باستعارات وصور مجازية تشير إلى عكس ما عُرف عنه تقريباً. فالصعود في الجبل لايتم إلا إذا أشرقت الشمس الأبدية (الله) أما الهبوط فيمكن في الليل والنهار، فكأن الحرية التي يتمتع بها الإنسان هي حرية الاقتدار على الفعل السلبي والتراجع، أما التقدم فلا يتم إلا بوجود الشمس الأبدية، فالأمر منوط بمزاجها، كما يبين دانتي فيما بعد. والأرجحُ أنه يعكس هنا آراء المؤمنين.

الانعتاق الأول: أول انعتاق يطلعنا عليه دانتي هو الرحلة الرؤيوية للمسيح. فقد هبط إلى الجحيم وحرر من يريد وصعد بهم إلى السماء. نعم هكذا من الجحيم إلى النعيم. ماذا قصد دانتي من وراء ذلك؟ أيريد أن يفهمنا أن أحكام الوحدانية المسيحية في الإيمان وتصنيف الناس ليست دقيقة، أو أن فيها عشوائية؟

الحكام المهملون: صورة يقدمها دانتي تخالف قوانين الصعود في الشمس الأبدية. إن الحكام مسؤولون عن الرعيّة، وأي تقصير في شؤونها يحاسبون عليه: لأن إرادة التقدم مطلوبة من الحكام. فحرية الإرادة التي اهتزت في قوانين صعود الجبل المطهر، تعود هنا إلى الانسجام مع الفكر الدانتوي.

الملاحظات:

6 ـ الأوكتافي: أوغسطس الامبراطور الذي أكرم فرجيل.

27 ـ كما عرفت مؤخراً: أي كما عرفت بعد قيام الوحدانية المسيحية. ساعتئذ كان في الليمبو. وعندما هبط المسيح إلى الجحيم عرف كل ذلك.

35 ـ الفضائل الثلاث المقدسة: هي التي جاءت بها الوحدانية المسيحية (الإيمان والرجاء والمحبة) لتحل محل الفضائل الطبيعية الأربع (العدالة والحكمة والعفة والشجاعة).

82 ـ سالفي ريجينا: ترنيمة في الكنيسة الكاثوليكية «نحيي الملكة، أمُّ الرحمة، إليك نضرع في وادي الدموع...».

https://jadidpdf.com

95 ـ الامبراطور رودولف: توج 1273 امبراطوراً. والد ألبرت الجرماني.

96 ـ غيره حاول: هو هنري السابع في لوكسمبورغ. توّج امبراطوراً (1303 ـ 1313).

97 ـ الذي يواسيه: أوتوكار الثاني ملك بوهيميا.

102 ـ فنشسلاو: الرابع (الطيب) ملك بوهيميا ورث أباه 1278 وانتخب ملكاً على بولونيا 1300 وتوفي 1305 .

103 ـ الأفطس: فيليب الثالث ملك فرنسا 1245 ـ 1285 أعقب والده لويس التاسع. والواقع إنه لم يمت أثناء الفرار كما زعم دانتي.

109 ـ طاعون فرنسا: فيليب الرابع (الجميل) توج عام 1285 وهو نموذج الملك الشرير عند دانتي.

112 ـ الضخم ذي الأنف الضخم: اثنان من الأعداء الذين تصالحوا. الأول بدرو الثالث ملك أرغون 1276 والثاني هو تشارلز الأول ملك صقلية وبوغليا (أبوليا).

115 ـ الأصغر: الفونسو الثاني (الرائع) ملك أرغون 1286. لم يخلف وريثاً. انتقل المُلك إلى أصغر اخوته. انتقل عرش أرغون إلى جيمس، وعرش صقلية إلى فريدريك.

130 ـ ملك انكلترا: هنري الثالث 1216 ـ 1278 تقي لكنه فاتر. ابنه ادوارد الأول طوّر انكلترا وأصلح القانون.

135 ـ المركيز وليم السابع (لونغورد) الملقب بالسيف الطويل، مركيز مونفراتو. وهو الأضعف بين الأمراء.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن

أمام المطهر: الوادي المزهر الحكام المهملون

هبوط الليل ـ أحد الفصح ـ الملاك الحارس

الحكاية: هبط الليل واجتمعت النفوس وتصاعدت ترتيلة المساء. ينزل ملاكان من السماء لحراسة الوادي الجميل. يتعرف دانتي على القاضي نينو وتدور محادثة بينهما. ويستنكر نينو زواج أرملته بعد وفاته، وتظهر النجوم الثلاثة (الفضائل الدينية الثلاث: الإيمان ـ الرجاء ـ المحبة) لتحل محل النجوم الأربعة (رمز الفضائل الطبيعية عند الوثنيين: العدالة ـ الحكمة ـ العفة ـ الشجاعة).

1 كانت الساعةُ هي الساعة التي يسترجع فيها
الملاحون ذكرياتهم عن أول يوم، عن البيت
والأصدقاءَ الذين أبحروا وإياهم مع أنفاس الصباح،

3 مما يثير في قلب المسافر الجديد في الطريق
الحبّ والشوقَ عندما يسمع من بعيد
الناقوس يعلن نهاية النهار المنصرم ـ

7 عندما بدأت أصغي للأصوات، إذ
تلاشى كل صوت. فشاهدتُ روحاً

https://jadidpdf.com

يشير في كل الاتجاهات ليثير الانتباه،

10 رافعاً يديه ضامًّاً راحتيه في صلاة
متجهاً بنظرة نحو الشرق كأنه يقول:
«لاأعرف شيئاً سوى أنك هنا»

13 «إليك أمام النور نتقدم» ترنيمة آخر الليل انطلقت عذبة
بنغمة صافية تكريسية حنونة، وقد
فقدتْ مشاعري الإحساسَ بالذات نهائياً.

16 وعندئذ انضمَّ الجميع بصُداح ذهبي
إلى الترنيمة، ورتَّلوها حتى النهاية
وأعينهم مرفوعة إلى عنان السماء.

19 إذا أردتَ الحقيقةَ، أيها القارئ، فتمعَنْ،
لأن حجابَ المجاز هنا رقيقٌ، يمكن
أن يهتكهُ كلُّ من يحاول ذلك.

22 شاهدتُ تجمّعَ الملوك، وازداد ابتهالهم
وضوحاً، وهم وقوفٌ شاحبون متواضعون
بأعين إلى السماء مرفوعة، كما لو ينتظرون شيئاً.

25 فرأيتُ ملاكين ينطلقان من السماء
ويهبطان من الذرى، حاملين سيفين
منكسرين ملتهبين ليس لهما طرفان.

28 ثوباهما أخضران كورقة في تفتّحها
وأجنحتهما خضرٌ تصفّق وتردُّ الطيّات

https://jadidpdf.com

إلى الوراء فترفرف هفهافةً.

31 الأول حطَّ فوقي في الأعلى، والآخرُ
فوق الضفة الثانية. وهكذا بصمت
الوادي، صار الناسُ محصورين بينهما.

34 رأيتُ بوضوح أن شعرهما ذهبي
لكن عيني ارتدتا عندما صادفتا وجهيهما
فلم يستطيعا احتمال الضوءِ الباهر.

37 قال سورديلو: «لقد هبطا من سماء مريم
لحماية الوادي من الأفعى التي سوف
يظهر رأسها بعد لحظة».

40 أما أنا فلا أعرف من أين ستأتي، لذلك
هرعت ووقفت خلف الكتفين اللذين
يحمياني والتصقت بهما أرتجفُ خوفاً.

43 كذلك قال سورديلو: «لنذهبِ الآن
حيث النفوس العظيمة، ونحادثهم
فرؤيتك سوف تسرهم، على ما أعلم».

46 لم يكن يفصلُنا سوى ثلاث خطواتٍ على ما أظن
عن سفح الرصيف الصغير، وهناك رأيت
ظلاً يحملق فيّ كما لو كان يعرف وجهي.

49 كان الجو قريباً من ساعة الإظلام
لكن كان هناك ما يكفيني لأرى، في

https://jadidpdf.com

ذلك الصف القريب، ما كان محجوباً من قبل.

52 خطوتُ نحوه، وخطا هو نحوي -
إنه القاضي النبيل نينو، فكم ابتهجتْ
نفسي لرؤياه سالماً إلى الأبد.

55 لم تبقَ كلمة ترحيبٍ إلا قيلت من الطرفين
ثم استفسر: «منذ متى جئت إلى سفح
الجبل فوق الجانب الأعرض؟»

58 أجبت: «أوه جئت من هوة الألم
هذا الصباح. ومازلت في حياتي الأولى
مع أنني حصلتُ على الأخرى في طريقي».

61 وعندما سمع هو وسورديلو مني هذا
الجوابَ، فجأة رجعا إلى الخلف
كما لو دُهشا من شيء عجائبي.

64 أحدهما التفتَ إلى فرجيل والآخر ذهب جانباً
إلى ظلٍّ كان يجلس قريباً منه. صاح: «كونراد
هيا انهض وانظر نعمة الربّ التي حصل عليها».

67 ثم قال لي: «بقدْر ما أنت مدينٌ للرب
الذي أخفى سره عميقاً، فلا يعرف
أحد طرقه - أناشدُك

70 عندما ترجع ثانية إلى الأرض
أن تقول لجيوفانا أن تلهجَ باسمي

https://jadidpdf.com

في صلاتها هناك، حيث يبارك الأبرياء.

73 ولا أظنّ أن أمّها يهمها أمري
منذ أن نزعتْ عنها الغطاء الأبيض
الذي لابد أن تحتاجه مرة أخرى.

76 لقد أظهرت لكل الناس كم تبقى
نار الحب متقدة في قلب امرأة
لم تعد تعرف المداعبة باللمس والنظر.

79 إن الحية ـ شعار ميلانو ـ لن تقيم
فوق قبرها شرفاً رفيعاً مثلما كان
يفعل ديكُ كالورا هناك»

82 هكذا تكلم، وحملَتْ معالمهُ سيماءَ
غضب يصل إليه الرجلُ الطيب
بعقله، وربما بشعوره.

85 نظرتُ إلى السموات ورأيت تلك
النقطة المركزية التي تتباطأ عندها النجوم
مثل عجلةٍ تلي المحور مباشرة. قال مرشدي:

88 «ما هذا الذي تحملق فيه يا بني؟»
قلت: «في تلك النجوم الثلاثة اللواتي
يُنزّن المناطق الشمالية، وكلها تُبرِقُ»

91 قال: «تحت حافة الفضاء الآنَ ذهبت
النجومُ الأربعة اللواتي شاهدتهن صباحاً

https://jadidpdf.com

وهذه النجوم الثلاثة ظهرت مكانهن».

94 حالما تكلمَ مرشدي هبّ سورديلو
وأمسكه مشيراً بالذراع والإصبع
صائحاً: «هذا هو عدونا هناك».

97 تماماً عبر جانب الوادي غير المحروس
تهادتْ أفعى، ربما هي نفسُها التي قدّمت
الطعام المرَّ الذي منه صرخت حواء.

100 بين العشب والأزهار الجميلة انسابت الأفعى
الطويلة، رافعةً رأسها من وقت لآخر
تلعق نفسها كما تفعل الحيوانات الغندورة.

103 لم أر، ولا أستطيع أن أخبرك هنا
كيف استعدّ النسران السماويان وطارا
لكني رأيتهما معاً في عنان السماء،

106 وسمعت حفيفَ أجنحتهما تخفق في الليل،
فهربتِ الأفعى. أسرع الملاكان وعادا
إلى مكانهما ثانية، بالسرعة ذاتها.

109 الظلّ الذي دعاه القاضي بصرخته
لم يتحرك من جانبه، فخلال كل ما جرى
كان يحملق فيّ دون أن يرفّ له جفن.

112 قال: «ربما المصباحُ الذي يقودك
إلى ما تريد يجدُ زيتاً كافياً في بئرك

https://jadidpdf.com

لينيرَ طريقك إلى القمة الزاهية.

115 وإذا كنت تستطيع أن تروي كيف
تجري الأشياء في وادي دي ماغرا، فافعل
لأني كنت في يوم ما لورداً عظيماً هناك.

118 كنت أُسمي كونراد مالاسبينا ـ الحفيد
وليس الجدّ. وها أنا أطهّر
الحب الذي أحمله لخاصتي».

121 أجبت: «أنا لم أكن في يوم قريباً
من البلاد التي ذكرت. لكن هل في أوروبا
قريةٌ صغيرة تجهل الاسمَ الذي تحمل؟

124 إن أمجاد بيتك النبيل حملتْ شهرة
لورداته بعيداً، وشهرةَ البلاد،
ومن لايعرفهم، يسمع بشهرتهم.

127 أُقسم لك ـ وقد يسوقني طريقي
إلى الأعلى ـ أن بيتك المجيد
لم يفقدْ مضاء السيف ولاكرم المال.

130 الطبيعة والاعتيادُ شكّلا سلالتك،
ومع أن رأس المظالم يمنع الآخرين،
فإنها مازالت تتجنبُ الشرَّ وفي طريق النعمة تمشي».

133 فقال: «اذهب الآن لأن الشمس لنْ تكملَ
راحتها السابعة في سرير برجِ الحمل

https://jadidpdf.com

الذي يغطيها بأقدامه الطويلة الأربع،

136 قبل أن ترسخَ هذه الشهادةُ التي بها
نطقت في مركز رأسك، بمسامير
ضخمة أقوى من الإشاعة.

139 وهذا مؤكدٌ مثلما القدر مؤكد في قانونه الثابت».

الرموز والصور:

الأفعى والملاكان: ما الذي قصده دانتي؟ الصراع بين الخير والشر، وانتصار الأول في نهاية المعركة؟ لماذا يعود الأفعوان ـ إذن ـ في المساء التالي؟ هل يريد القول بأن أهل المطهر لاينالهم شر؟ لكن الأفعى تأتي كل يوم، ويصابون بالذعر كل ليلة، ويقطعون غناءهم وأفراحهم. أما الثوبان الأخضران فترميز للأمل. ونرى أن من الأفضل القول إن دانتي يقوم برسم لوحة فنية بديعة، وإن كانت تتضمن هنا وهناك شيئاً من آرائه.

الملاحظات:

13 ـ إليك أمام النور نتقدم...: ترنيمة آخر الصلوات تقال لطرد الخوف من الأشباح والأشياء الضارة.

19 ـ النجوم الثلاثة: هي فضائل المسيحية: الإيمان والرجاء والمحبة.

26 ـ سيفين منكسرين: السيف رمز العدالة. منكسرين: رمز الرحمة.

71 ـ جيوفانا: ابنة نينو. وقال أمها لأنها تزوجت من غيره. اسمها بياتريس. وصدقت نبوءة دانتي عندما قال أن نسلها سيحظى بمجد السيف والقلم. فابنها صار حاكماً غنياً. ولم يعش دانتي حتى يرى مصداق نبوءته.

88 ـ 93 ـ يلاحظ القارئ كيف يشير دانتي إلى أن الفضائل المسيحية حلت محل الفضائل الوثنية.

112 ـ المصباح: الله.

131 ـ رأس المظالم: المقصود الشيطان.

134 ـ راحتها السابعة في سرير برج الحمل: حتى تعود الشمس إلى برج الحمل تستغرق سنة. فراحتها السابعة، أي سنتها السابعة. أما العدد سبعة فإنه ترميز لمدة خلق الكون، إذ خلق الله الكون في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع

بوابة المطهر الملاك الحارس

الحكاية: يحلم دانتي أن نسراً ذهبياً صعد به إلى السماء، حيث فلك النار. يستيقظ فيجد نفسه فعلاً نقل في نومه، وأن لوسيا هي التي حملته إلى جانب سور ضخم، ويرى نفسه هو وفرجيل أمام بوابة المطهر. الملاك الحارس يجلس على قمة الدرجات الثلاث (رمز الأجزاء الثلاثة للاعتراف: الاعتراف والتوبة والغفران) يؤشر الملاك سبع مرات على جبهة دانتي بسيفه الناري (رمز الخطايا السبع) ثم يسمح بدخول الشاعرين. وتنفتح البوابة بصوت كالرعد، وينطلق الجبل في «ترنيمة التسبيح».

1 على شرفة الشرق ظهرت عشيقة
تيتونس الهرمة شاحبةً اللون
ولكنها الآن عافت زنود العشيق وقد نَفَرتْ

4 كمثل النقاب شعاعٌ تهادى على وجهها
وقد طرّزته اللآلئ على شكل عقرب
في أواخر حُمَّتها لذعةٌ قاتلة.

7 والآن وحيث كنا، خطا الليل
خطوتين إلى الأمام، بينما في الثالثة

https://jadidpdf.com

بسط جناحيه كأول إقلاعٍ للتحليق،

10 عندما أنا، بجسم آدم المهزوم،
استسلمت للنوم، وخلدت إلى الراحة
عبرَ العشب الذي جلسنا عليه خمستنا.

13 في تلك الساعة الجديدة، عندما يشرق
الفجرُ الأول، ويشدو السنونو أغانيه
الحزينة، ربما ذكرى أحزانه السابقة،

16 وعندما يتمرد العقل على خضوعه
للجسد، وتتسلسل الفكرة الواعية
يصبحُ عقلاً تنبؤياً في رؤياه،

19 أبصرتُ في حلمي نسراً يرافقني
عالياً في السماء المشرقة، ويضعني
بدقة، على جناحين ذهبيين كبيرين.

22 يبدو أنه يرفرف حيث التاريخ القديم
يسجل أن غانيميدَ اختُطف من
بين رفاقه، ونُقل إلى الجبل الأعلى.

25 قلت في نفسي: «ربما من عادته أن يحطّ
في هذه البقعة، وربما يحتقر أن
يأخذ فريسته في أيّ مكانٍ غير هذا».

28 وبكل سهولةٍ صفّق في السماء
كلمعان البرق، فراح يرتفع بي

https://jadidpdf.com

أعلى وأعلى حتى مدار النار،

31 بدا لي أننا وقعنا في اللهب العظيم
وصارت نار الحلم تحرقني،
وتلتهم نومي فاستيقظت.

34 لابد أن أخيل نهض هكذا ـ
حدق حوله بعينين زائغتين
هنا وهناك، لايعرف أين هو ـ

37 عندما سرقَتْهُ ثيطس نائماً، وهو صبيٌّ
وطارت به من مربّيه خيرون إلى سكيروس
وهناك أغواهُ اليونان وأخذوه إلى طروادة.

40 نهضت قلقاً، وحالما طار النوم
من وجهي، صار لوني أبيض مثل
من يحوّل الرعب دمه إلى جليد.

43 وإلى جانبي جلس المعزّي فرجيل وحيداً
ومرت على الشمس ساعتان وأكثر. جلستُ
مقابل البحر. وكان الوادي الجميل قد غاب.

46 قال: «لاتخفْ. من هنا سيكون طريقنا
مليئاً بالبهجة. كُن على ثقة. لذلك
لاتتراجع إلى الوراء، بل كافح بكل قواك.

49 أنت الآن في المطهر. انظر إلى
الرصيفِ المحيطِ هناك أمامك، وانظرْ

https://jadidpdf.com

إلى تلك الفرجة ـ ففيها البوابة الذهبية.

52 قبل أن يطل الفجر وبينما
كانت نفسك غارقة في النوم
على أزهار الوادي الجميل

55 تقدمت سيدةٌ وقالت: «أنا لوسيا
دعني أحمل هذا الرجل النائم، فربما
استفاق ليرى أمله أمامه».

58 بقي سورديلو والآخرون. انحنتْ
وأخذتك. وعندما اكتمل النور
انطلقتْ في صعودٍ عذب ورحت أتبعها.

61 لقد وضعتكَ هنا. ثم بعينيها أشارت
إلى ذلك المدخل المفتوح. وبعد ذلك
ذهبت، وبذهابها استيقظت أنت».

64 وكما يجد المرء شكّه يتلاشى وخَوفُه
يزول ويتحولُ إلى ثقة جديدة
فيرى بالتدريج الحقيقةَ واضحة جلية،

67 كذلك تغيرتُ، ورأيتُ وجهي يشرق
بالسعادة، ونهض مرشدي فجأة
لتسلّق المنحدر، وسرت خلفه.

70 أيها القارئ، أنت تعرف ولاشك إلى أي
ذروةٍ رفعت موضوعي. وستعجب قليلاً إن

https://jadidpdf.com

دعوتُ إلى مزيد من الفن فيما أكتب.

73 وإذا اقتربنا أكثر من الذروة، وصلنا مكاناً
حسبته لأول مرة أنه صدع
كبير في وجه صخرة ـ رأينا منه

76 بوابةً كبيرة، في المكان الذي يعلونا
بثلاث درجات، كل درجة بلون، أما
الحارس فلم يقل كلمة ولم يقم بحركة.

79 ببطءٍ شديد رفعت جفني باهتمام
رأيته على الباب جالساً على قمة الدرج
بوجه يشع أكثر مما تحتمل عيناي.

82 واستلّ سيفاً، وكانت عين النهار
تضربه فيعكس ناراً، بحيث كلما
حاولت النظر، ارتدّ البصر.

85 سمعته ينادي: «ماذا تعملان هناك؟
أجيبا من أين جئتما، وأين مرشدكما؟
انتبها لئلا تجدا عزيزتكما المرتقبةَ».

88 قال معلمي: «قبل لحظةٍ من الآن
حضرتْ سيدة السماء وشرحت لنا
وطلبت منا: «اذهبا هناك. البوابة أمامكما».

91 قال حارس البوابة اللطيف: «أتمنى أن
تظل تساعدكما في الداخل أيضاً.

https://jadidpdf.com

إن روحكما طيبة. اصعدا الدرجات الثلاث».

94 صعدنا الدرجة الأولى: ممرّ أبيض
يتوهج لمّاعاً ناعماً فعلى صفحته
رأيت صورتي الحقيقية كما لم أرها من قبل.

97 الثانية مصبوغة بما هو أشد من الأزرق الغامق
ومصنوعةٌ من صخرة ناريةٍ خشنة
شابَ طولها وعرضها كثيرٌ من الشقوق.

100 الثالثةُ والأخيرة مصنوعة من البرفير
أو هكذا بدت لي، لكنه برفير أحمرُ متوهجٌ
كالدم الذي ينفر من الشريان.

103 وضع ملاك الرب كلتا قدميه
على هذه الدرجة النهائية وجلس على
عتبةٍ بدت لي مصنوعة من صخر الأدمنتين.

106 بكل رغبة طيبة قادني مرشدي
على الدرجات الثلاث وهمس في أذني:
«الآن اطلبْ منه بتواضع أن يدير المفتاح»

109 بكل خضوع سجدت على قدميه المقدستين
وباسم الرحمة سألته أن يدخلني.
لكني طرقت أولاً ثلاث طرقات على صدري.

112 سبعة ندوب بحرف خ، رمز الخطايا
السبعِ رسَمَ بطرف سيفه على جبيني وقال:

https://jadidpdf.com

«أزل هذه الندوب عندما تمر إلى الداخل».

115 لون لباسه كان بلون الرماد، بلونٍ
الأرض التي يراها الإنسان محروثةً بعمق
ومن تحت ثيابه أخرج مفتاحين.

118 الأول من ذهب، والثاني من فضة.
جعل الأبيض في البوابة أولاً ثم الأصفر
وراح يعمل بهما حتى دبّ الرضى في صدري.

121 قال لنا الملاك: «أيُّ مفتاح من هذين
المفتاحين إذا وضعَ في القفل ولم يدر
فيه ظل الباب موصداً.

124 أحدهما أشد نفاسةً من الآخر الخشن
الذي يحتاج إلى مزيد من المهارة والعبقرية
لأنه هو الذي يحلّ عقدة القفل.

127 إنهما من القديس بطرس الذي أوصاني أن
أحرصَ على إدخال الذين يركعون
أمامي أكثر من حرصي على تركهم خارجاً».

130 ثم فتح البابين المقدسين وقال:
«ادخلا. ولكن أحذركما أولاً: لاتنظرا
إلى الوراء وإلا عدتما إلى الخارج فوراً»

133 إن الصخرة التاريبية، في تلك الساعة
المصيرية التي أُخذ فيها الكنزُ من ماتيلوس

https://jadidpdf.com

لم تصدرْ هديراً قوياً وشديداً

136 كما صدرَ من مفاصل البوابة المقدسة ـ
التي كانت مصنوعةً من الحديد القاسي ـ
عندما أنّت من الثقلِ الملقى عليها.

139 لدى أول رعدةٍ التفت نصف التفاتة،
إذ تهيأ لي أنني أسمع كورساً يغني أنشودة
«المجدُ لله في العُلى» ممتزجةً بذلك الصوت الجميل.

142 وقفتُ هناك، والنغماتُ التي وصلت أذني
تركت في نفسي انطباع إنسان يذهب إلى
الكنيسة ويسمع الكورسَ والأورغ يصدحان:

145 مرة هذا ومرة ذاك، ومعهما الكلمات.

الرموز والصور:

الملاك الحارس: يصور دانتي الملاك الحارس تصويراً يضفي عليه المهابة. ولو نظرنا إلى مجمل الصورة التي قدمها دانتي: الدرجات... الركوع... الراكع... الملاك الذي يرسم على وجهه شارة خ سبع مرات، لذكرتنا بصورة الكاهن والمعترف وكرسي الاعتراف. فالدرجات: كرسي الاعتراف. والمعترف: دانتي، وملاك الرب هو الكاهن الذي يمحو الخطايا بعد الاعتراف. وقد تكون الدرجات الثلاث رمزاً للاعتراف فالندم فالغفران.

الدرجات الثلاث: قلنا إنها المراقي الثلاث في كرسي الاعتراف. ولكن لو دققنا في الوصف للاحظنا ما يذكرنا ببطرس (اسم بطرس يعني الصخرة) الذي قال له المعلم... أنت الصخرة وعليك أبني كنيستي.

الملاحظات:

1 ـ 7 ـ يحار القارئ ما الذي يفهمه من هذين المقطعين؟ وما غرض دانتي؟ إن تيتونس هو زوج أورورا (الفجر) ابنة الشمس التي طلبت منها أن يكون

https://jadidpdf.com

زوجها خالداً فكان لها، لكنها نسيت أن تطلب الاحتفاظ بشبابه فطال به العمر وتمنى الموت فلم يحصل عليه، فطلب تحويله إلى زيز الحصاد فتحول. ولكن ما علاقة كل ذلك بسياق الحكاية؟ وفي الأبيات 70 ـ 73 نجد دانتي يفخر بأنه أدخل الفن في موضوعه، فأي فن في أبياته هذه؟

13 ـ يشدو السنونو: تيريوس ملك تراقيا تزوج بروكني. لما رأى أختها فيلوميلا اغتصبها. عرفت أختها فاتفقتا على قتل ابن بروكني وتقديم لحمه لأبيه. عرف الأب وطارد الأختين فتحولت الأولى إلى عندليب والثانية إلى سنونو. والذكريات الحزينة هي هذه الفاجعة.

23 ـ غانيميد: يشبه دانتي نفسه بغانيميد وهو غلام جميل حتى إن جوبيتر اتخذ هيئة نسر واختطفه إلى الأولمب ليكون ساقي الآلهة.

24 ـ الجبل الأعلى: الأولمب.

37 ـ خيرون وسكيروس: كان أخيل يتدرب على يد القنطور خيرون وعلمت أمه ثيطس أنه سيقتل في طروادة. وحتى لايأخذه اليونان خطفته وهو نائم إلى سكيروس. ومع ذلك أغواه اليونان فذهب وقُتل.

112 ـ حرف خ: أول حرف من كلمة خطيئة.

115 ـ لون لباسه: لون الرماد، إشارة إلى مهابة الكهانة الأصولية.

132 ـ لاتنظرا إلى الوراء: اتّبع دانتي طريقة الاشتراط التي تُفرض على البطل. فعندما نظرت امرأة لوط إلى الوراء صارت عمود ملح. وعندما نظر أورفيوس إلى الوراء فقد زوجته... وهكذا. وهذا الاشتراط نوع من السخرية الخفية. فتكفي التفاتة إلى الوراء حتى يرى المؤمن نفسه خارج المطهر. إذن كل شيء يعتمد على الحظ والمصادفة، لا على قوانين الكنيسة ومخططاتها الأخروية الدقيقة.

133 ـ الصخرة التاربية: كنز روما كان باستسلام ماتيلوس وكان يضعه في خزانة تاربيا. أراد قيصر بعد اجتياز الروبيكون الاستيلاء على الكنز. تغلب على ماتيلوس وفتح البابين قسراً، فسمع منهما هذا الصوت العظيم.

https://jadidpdf.com

النشيد العاشر

سم الإبرة

الكورنيش الأول المتكبرون

سوط الكبرياء

الحكاية: تنغلق البوابة خلف الشاعرين، ويصعدان إلى الكورنيش الأول عبر ممر ضيق يصفه دانتي بـ «سم الإبرة»، وفي الساعة التاسعة أو العاشرة من صباح الاثنين يصلان الكورنيش. يبدو الكورنيش الأول مهجوراً. يرى دانتي صوراً محفورة في صفحة المرتقى، تمثل التواضع الذي هو سوط الكبرياء. ويلفت فرجيل انتباهه إلى المتكبرين الزاحفين تحت أثقال الصخور على ظهورهم، ويصف عذاباتهم بأنها غير محمولة.

1 قد عبرنا عتبة البوابة الكبرى
قلما يحدث هذا، لأن زوغانَ قلبٍ
الإنسان يجعل الطريق المتعرج يبدو مستقيماً.

4 من الصوت عرفت أن البوابة أُغلقت ثانية،
وأيُّ ماء ـ لو أني التفت إلى الوراء ـ
يمكن أن يغسل لي هذه الخطيئة؟

https://jadidpdf.com

7 تسلقنا الصخرة من صَدْعٍ ضيق يمتد
منه طريق متعرج يتلوى
كأنه الموجة تعلو وتهبط.

10 قال مرشدي «إن هذا يستدعي السيرَ الحريص
فلننتقل من هنا إلى هناك، وذلك
حسب ثنية الجدار وميلها».

13 هذا النوع من السير جعل خطانا بطيئة
والقمر الشاحب وصل إلى
مقصورته الغريبة ونام فيها

16 قبل أن نستطيع العبور من «سم الإبرة»
ولكن عندما عبرنا إلى مكان فسيح
يتراجع فيه سفحُ الجبل ليشكل إفريزاً

19 شعرت بالتعب، وكلانا أحسّ بالضياع
فلا إشارةٌ ولا دليل. الإفريز مستو
ووحيد مثل طريق في الصحراء.

22 فمن الحافّةِ التي تمتد في الفراغ وحتى
سفح الذروة المتسامقة تبلغ المساحة
ثلاثة أضعاف الإنسان تقريباً.

25 وإلى المساحة التي يمكن أن يصلها النظر
يظل الاستواءُ واحداً، ومن خلال امتدادها
يبدأ الكورنيش سواء من اليسار أو من اليمين.

https://jadidpdf.com

28 لم تكن أقدامنا قد خطت خطوة واحدة
هناك عندما تبينتُ أن المنحدر الداخلي الذي
يرتفع من دون أي موطئ قدم للصعود،

31 كان مرمراً أبيض مزيناً
بمشاهد محفورةٍ تزدري بأعمال
بوليكليتوس، بل بأعمالِ الطبيعة:

34 الملاك الذي هبط من السماء إلى الإنسان
بقرار السلام الذي بكى الناس من أجله قروناً،
هذا القرار الذي فتح السماء بعد طول إغلاقها،

37 حفر الصورة واقفاً في مواجهتنا بقوة ومحبة
وبنعمةٍ واضحة على وقفته،
فكانت الصورة تنطق وتتحرك.

40 وأقسمُ إنني أكاد أسمع من شفتيه «السلامُ
عليك يا ممتلئةً نعمة» يقولها لمن أدارتِ
المفتاح، وفتحت لنا المحبة الكاملة، فقد كانت محفورةً

43 هناك، وكل معالم وجهها
ـ كأنها صورة بالشمع مطبوعة ـ
تقول: «ها أنذا أَمَةُ الرب»

46 قال سيدي اللطيف: «لاتجعلْ كل
اهتمامك في هذا الجانب فقط».
(كنت واقفاً غرب الجانب الذي فيه القلب)

https://jadidpdf.com

49 وجهت طرفي قليلاً إلى اليمين
(وهو المكان الذي وقف فيه معلمي وحثّني)
وهناك خلف صورة مريم رأيت

52 مشهداً آخر حُفِرَ على الجدار الأبيض
الأملس، فعبرتُ من أمام الملاك واقتربت
من المشهد كثيراً لأعرف ماذا يعني.

55 حُفِرَ المشهد بالمرمر الناصع. الثيران
والمحراث وتابوتُ العهد الذي منه
يخافُ جميع المدنسين.

58 أمامه سبع جوقات يمشون
شوّشوا أحاسيسي، ففي سمعي أقول
لايغنّون، لكن بصري يقول: نعم يغنّون.

61 وبالطريقة نفسها، حول الدخان المتصاعد
من محرقة البخور، فقد تنازع الأنف والعين
بين لا وبين نعم، تنازعاً مبهجاً.

64 وأمام الوعاء المقدس، طفِقَ إمام المغنين المتواضع
يرقص متمنطقاً بالحبال، فكان في رقصه
أقل من زوجٍ وأكبر من ملك.

67 قبالته حفرتْ صورة ميكال
واقفةً خلف نافذة قصر تنظر أسفلَ
وقد قُطّبت حزناً واحتقاراً

https://jadidpdf.com

70 سرتُ إلى اليمين قليلاً
فشاهدت وراء ميكال لوحةً
بيضاء شديدة النصوع.

73 هذه اللوحةُ مأخوذة من التاريخ المجيد
للأمير الروماني الذي دفع انجرافه
للعدالة «غريغوري» إلى إقناع السماء بالانتصار له.

76 إنني أقصد تراجان، الامبراطور المجيد.
وقد رسمت عند عنان حصانه صورة أرملة
والدمع يخنقها على ابنها المسكين.

79 وقد امتلأ جانبا اللوحة والخلفية
بالفرسانِ المتأهبة، والنسور المرسومة
على راياتها، فتبدو كأنها تصفق في الريح.

82 ظهرت المرأة في الصورة راكعة
جعلها الفنّ كأنها تقول: «سيدي انتقمْ
لابني. لقد ذُبح. فالحزن يقتل قلبي».

85 ويجيبها: «العدالة ستتحقق،
انتظري أوبتي» فتقول «سيدي»
ـ تتحدثُ بالحزن الذي في داخلها ـ

88 «وإن لم تعد؟» قال: «سيأخذ
بثأر ابنك من يتوَّجُ بعدي» فتقول:
«وأي فضلٍ إن كنت تنسى وهو ينفّذ».

https://jadidpdf.com

91 فقال: «ثقي إنني سوف أحقّق
واجبي قبل أن أذهب من أمامك
العدالة أوقفتني، والشفقة أحنت هامتي».

94 الصانع الذي لاشيء جديداً
بالنسبة إليه قدم هذا «الكلام المحسوس»
الجديد علينا، لأنه غير موجود في الأرض.

97 رحت أتأمل هذه اللوحات وأفكر
بهذه الصور الرفيعة ـ نفيسةٌ بذاتها
ونفيسة لأنها من صنع يديه.

100 قال الشاعر: «انظر هناك. إنهم يزحفون.
انظر هاهم يمرون من عن يسارنا
وسوف يخبروننا من أين نتسلق السور».

103 اعتادت عيناي أن تتطلعا إلى الأمام،
إلى الشيء الجديد، لأستمتع بالمعرفة،
ولذا مرت برهة وأنا أنظر حين كلمني شاعري.

106 يا قارئي، لا أريدك أن تكون خائفاً
ولا أن تندم عندما تسمع كيف
يكون تسديد الدَيْن لإرادة الله.

109 لاتفكرْ بالعذاب: فكِّر بما سيأتي
بعد العذاب. فكر أنه في أسوأ حال
لن يتخطى الزمنُ يوم القيامة.

https://jadidpdf.com

112 قلت: «سيدي لايبدون لي
بشراً يتقدمون إلينا. إنهم يزوغون
أمام نظري فلا أعرفُ من يكونون».

115 قال: «ظروفهم المؤلمةُ جعلتهم
ينبطحون حتى الأرض: إن عيني تحللان
ماتريان هناك منذ النظرة الأولى.

118 حدِّقْ جيداً وسوف ترى أناساً ينوؤون
تحت الصخور. وأنت تقدر آلامهم
من الضربات التي يكيلونها لصدورهم».

121 أيها المسيحيون المتكبرون، أيتها الأرواحُ
البائسة، الذين أوهمهم عقلُهم الأعجف
إنهم يحسنون، في حين أنهم يسيئون،

124 ألا تعرفون أننا ديدان، كل دودة
تولد لتصبح فراشة ملائكية ـ تطير
إلى يوم القيامة، ولاتملك ماتدافع به عن نفسها؟

127 فأي شيء تجد نفوسكم لتفخر به وتتباهى؟
لستم أكثر من حشراتٍ ناقصة مثل
أيّ يرقة، حتى تغادر جثمانها.

130 أحياناً على السطح يشاهد المرء
شكلاً إنسانياً يقبع في هذه الزاوية أو تلك
وقد انبطح منسحقَ الصدر على ركبتيه.

https://jadidpdf.com

133 إن ما يراه المرء متخيلاً هناك
يجعل عظامه تئنُّ ألماً ـ وهكذا كان
شعوري عندما راقبت تلك الأرواح.

137 حقاً إن أولئك الزاحفين على درب الآلام
كانوا مشوّهين تقريباً، كل واحد انحنى
تحت الحمل الذي على ظهره، فحتى أشدهم

140 تحمّلاً يئنُّ صارخاً: «لاأستطيعُ حمل المزيد».

الرموز والصور:

سوط الكبرياء: اللوحات المحفورة التي رآها دانتي كلها تدل على التواضع. والتواضع في عرفه هو سوط الكبرياء. ويختار من التاريخ الديني بشارة العذراء ورقص أمير الطرب داوود أمام الوعاء المقدس، ويختار من التاريخ الامبراطوري قصة المرأة التي أوقفت الامبراطور، وطالبته بالانتقام لمقتل ابنها. وقد نجح دانتي في الاختيار، وعلى الأخص في اللوحة الثالثة والأخيرة (ولاندري لماذا اختار النسق الثلاثي في الاختيار) التي تظهر عدالة الامبراطور تراجان. كانت سيرة هذا الامبراطور زاهية، حتى أن البابا غريغوري، كما يرى دانتي، استحضر روحه من الجحيم وعمّده، فصعدت إلى السماء، وسوف نجده في الفردوس (20: 43ـ45) والغرض الأساسي للوحة هو أن العدل مفتاح السماء، أو من أعظم مفاتيحها.

الملاحظات:

16 ـ سم الإبرة: الاسم مأخوذ من قول المسيح: «يمكن أن يدخل الجمل في سم الإبرة، ولايدخل غني في ملكوت السموات». وسم الإبرة هنا هو اسم لمعبر ضيق.

33 ـ بوليكليتوس: فنان يوناني كبير أيام فيدياس.

34 ـ الملاك الذي...: هو جبرائيل الذي بشر العذراء.

35 ـ قرار السلام: هو قرار تجسد يسوع عن طريق العذراء لإنقاذ البشرية التي تنتظره من أيام آدم.

56 ـ تابوت العهد: حسب أدبيات الوحدانية اليهودية، هو صندوق صنعه

https://jadidpdf.com

موسى بأمر الله طوله ذراعان ونصف الذراع وعرضه ذراع ونصف الذراع. ومثل ذلك ارتفاعه. مصنوع من خشب السنط ومغطى بصفائح من ذهب. وفي التابوت يوجد الوعاء المقدس وفيه المنّ وعصا هارون ولوحا الوصايا التي كتبها الله بإصبعه.

64 ـ الوعاء المقدس: انظر الملاحظة السابقة.

64 ـ إمام المغنين: الملك داوود.

66 ـ أقل من زوج وأكبر من ملك: كانت زوجة داوود «ميكال» تنظر بامتعاض من الشرفة إلى داوود وهو يرقص فسقط من عينيها ـ أي صار أقل من زوج. لكنه وهو الشاعر والموسيقي، كان يقوم بأرقى مهمة دينية ـ أكبر من ملك ـ فجمع في رقصه بين النقيضين: رأي زوجته فيه ورأيه هو بنفسه.

74 ـ الأمير الروماني: تراجان.

75 ـ غريغوري: هو البابا الذي استحضر روح تراجان من الجحيم وعمدها وبذلك أرسلها إلى السماء.

94 ـ الصانع: يقصد الله.

96 ـ لأنه غير موجود في الأرض: أي الفن، فنحن لانرى في الطبيعة ما نراه في الفن.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي عشر

الكورنيش الأول المتكبرون

الحكاية: المتكبرون التائبون يرتلون صلاة. فرجيل يسأل عن الطريق. يخبره ألدو برانسكو. يسمع دانتي روحاً آخر يناديه، فيعرف أنه الرسام أوديريسي، الذي يتكلم عن تفاهة الشهرة الأرضية ويخبر كيف أن صاحبه سالفاني، استطاع بعمل متواضع واحد أن يمحو الكبرياء، ويدخل المطهر.

1 «أبانا الذي في السموات، لستَ في السماء مقيداً
بل هناك تسكنُ بسبب حبك العظيم للأشياء
الأولى التي خلقتها في أول مملكة أسّستها.

4 ليتقدّس اسمك، وكذلك جبروتك
من كل مخلوق طبيعته تقر بجبروتك
وليمدحْ أنفاسك السريعة من حياته القصيرة.

7 سلام ملكوتك لاتنزعه عنا
فلو لم تنزلهُ علينا لما استطعنا
الحصولَ عليه مهما بذلنا.

10 وكما يركع الملائكةُ لعرشك، يقدمون

https://jadidpdf.com

آيات الولاء مرتلين «أوصنّا»
كذلك يفعل كل بني البشر.

13 أعطنا المنّ كفافَ يومنا، إليك نضرع
فلو لم يأخذه الإنسان، فإنه سيكافح في هذه
الأرض اليباب، يريد الإسراع فيتباطأ.

16 كما نغفر لمن أسأنا إليه،
كذلك اغفرْ لنا ولاتحاسبنا على
ما بدر منا، بل لتنزلْ علينا رحمتك.

19 قوّتنا كقصبة على الأرض تنحني
فلا تُدخِلنا في تجربة مع الشيطان
بل أنقذنا منه. إنه يحيطُ بنا من كل جهة.

22 أيها الرب، هذا الالتماسُ نرفعه
إليك في صلاتنا، ليس من أجلنا
فنحن لانحتاجه، بل من أجل الآتين بعدنا».

25 وهكذا من أجل الإسراع لهم ولنا
ارتفعت الصلاة من تلك النفوس تحت الأحمال
الثقيلة، التي لانجدُ مثيلها إلا في الأحلام،

28 فبآلامٍ مختلفة يزحفون على الكورنيش الأول
ببطء يدورون ويدورون
حتى يتطهّر العالم من أدران التفكير.

31 فإذا كانوا يتحدثون دائماً عن خيرنا فوق

https://jadidpdf.com

فماذا يفعلون بخيرهم هنا تحت، أولئك
الذين إرادتهم مزروعة في حب الله؟

34 علينا أن نساعد هذه الأرواح
فتخلص من وطأة الزمن، فيخفّ
حملُها وتصل إلى مدارها النجومي.

37 «بمقدور العدالة والرحمة إزاحة
الحمل عنك، فتنشر جناحيك
وتنطلق مبتهجاً إلى الحب الإلهي -

40 ساعدنا لنصل من أقصر الطرق إلى السلّم
وسيكون هناك أكثرُ من طريق، فدلّنا
على أقل الطرق صعوبة، أضرع إليك

43 لأن صاحبي الذي مازال مثقلاً
بلحم آدم، يزداد ضعفاً في الصعود
ومع ذلك يطلب المزيد من التسلق».

46 سمعت بعض الكلمات رداً على معلمي
لكن لم أعرف من تكلمها من الأرواح
ولا من تحت أي صخرة. الكلمات هي:

49 «طريقكما على اليمين، مع طريقنا
فإن جئتُما معنا، فستجدان
طريقاً يناسب قوى إنسان حي.

52 لو لم تمنعني الصخرة التي ترهق

https://jadidpdf.com

عنقي القاسي وتجعلني دائماً أخفضُ
رأسي حتى التراب الذي عليه أسير،

55 لنظرت إلى أعلى فعرفت هذا الحي
الذي لا اسم له، معك،
وصليت حتى ترى عيناه الطريق.

58 إيطالي أنا، والدي غوغليلمو
ألدو برانسكو ـ توسكاني واسع الشهرة.
لا أدري إن كنتما تعرفانِ الإسم.

61 عراقة سلالتي، وقسوة أسلافي
في الحرب، دفعتا الغرور إلى رأسي
فغاب عني أننا نشتركُ مع الآخرين

64 بدم الأم حواء، فاحتقرتهم. ومع
ذلك زارني الموت، كما يعرف أبناء سيينا
وكما يعرف أي طفل كمبانتيكو.

67 أنا أمبرتو. أساليبي المتعجرفة
لم تدمرني فقط، بل دمّرت البيت
ودفعت الأقرباء إلى طريق الشر.

70 هنا أحمل هذا الثقل، ولن أرفع رأسي
إلى أن يشاء الله. لأنني لم أفعل
هذا بين الأحياء، افعله بين الأموات».

73 انحنيتُ إلى الأسفل، فذلك أنسب لمعرفته

https://jadidpdf.com

فإذا أحدهم ـ ليس الذي كان يتكلم ـ
ينفتلُ تحت ثقله الساحق،

76 رآني وعرفني فصرخ. وقد ظلت عيناه
عليّ وهو يبذل جهداً عظيماً
وأنا أسير بين الأرواح محنّي الرأس.

79 قلت: «ألستَ أوديريسي الذي
كان مجد أغوبيو، ومجد الفن
الذي يسميه الفرنسيون «التنوير»؟

82 قال: «أيها الأخ. الصفحات المشرقة هي
من عمل فرانكو بولونيري. فالمجد الفعلي
هو له حقاً، وما يخصني هو جزء بسيط.

85 عندما كنت حيّاً عرفت جيداً أني
لا أرضى أبداً أن أحلّهُ في المكانة الأولى
لذلك كان قلبي متشوقاً إلى التفوّق.

88 هنا أدفع ثمن الكبرياء. ولو لم أكن بين
تلك الأرواح، لما ذهبت إلى الله
إذ ما تزال بقايا الخطيئة في نفسي.

91 أيها الموهوبون، عبثٌ هو المجد. فما أقصر
الأيام التي يبقى إكليل الغار أخضر،
إن لم تعقبها أيامٌ عجفاء.

94 اعتقد تشيمابو مرة أنه احتل

https://jadidpdf.com

ميدان الرسم، الآن جيوتو،
وشهرةُ الثاني تذبلُ الآن، وستتلاشى غداً.

97 مجدُ الشعر أخذه غيدو من
غيدو، وربما ولد الآن
من سيأخذ المجد منهما معاً.

100 ليست الشهرة في هذه الأرض سوى
هبّةِ ريح: في هذا الطريق أو ذاك
فإذا نقصَ ريْعُها تغيّر اسمها.

103 ولنفرض إنك بعد عمر طويل غادرت جسدك،
فهل ـ لنقل ـ بعد ألف سنة تحقق شهرة
أكثرَ مما لو سافرت إلى القبر وأنت طفل؟

106 ماذا؟ ألف سنة؟ إنها
لاتساوي أكثر من رفّة جفن في
أبطأ المدارات على الإطلاق.

109 كل توسكاني كان يردد شهرة
هذا الذي يزحف أمامي، والآن
لاأحدَ يهمسُ باسمه همساً،

112 ولاحتى في سيينا، حيث كانت سيطرته
عندما حطّم غضبَ فلورنسا (التي
تحولت من سليطة إلى عاهرة).

115 ما شهرة الإنسان إلا كورقة خضراء:

https://jadidpdf.com

تأتي وتذهب. ذاك الذي ينشئها
ويخرجها نبتةً من الأرض، هو الذي يسحقها».

118 قلت: «هذه الحقائق تحني هامتي
وتدفعني من الكبرياء إلى التواضع الجميل
ولكن منذا الذي ذكرته للتو؟».

121 أجاب: «هو تروفنسان سالفاني،
وها هي الصخرةُ فوق ظهره، لأنه
كان ينوي جعل كل سيينا ملكاً له،

124 لذلك تمادى وظل هكذا حتى موته
بلا توقف. ولابد أن يدفع هنا
ثمن وقاحته على الأرض».

127 قلت: «ولكن إذا لم يستطع هذا الروح
تصحيحَ طرائقه الخاطئة حتى نهاية عمره،
هل يضطر، قبل الصعود، أن ينتظر في الأسفل

130 (في حال لم تسعفه صلوات يرضى بها
الرب ويهب لنجدته) مدةً تعادل حياته؟
إذن بأيّ حق حشر هنا؟».

133 قال الشبح: «في قمة مجد حياته
وقف في ساحة سيينا وقفةً
الكبرياء بقصده وإرادته.

136 وحتى يحرّر صديقهُ هناك من الألم

https://jadidpdf.com

الذي يعانيه في غياهب الملك تشارلز
وقف وقفة مشرفة وإن ارتعد خوفاً.

139 لن أقول المزيد، ومع أنك تظن
أنني أتحدث بالألغاز، فلن يطول
الوقتُ قبل أن تفضح أفعال جيرانك كل

142 ما تريد أن تعرفه من قولي: «إن عمله قلّل تأخيره».

الرموز والصور:

ثمن الكبرياء: نماذج الكبرياء عند دانتي ثلاثة: كبرياء الدم (همبرت ألدو برانسكو) وكبرياء الإنجاز (الفنان أوديريسي) وكبرياء القوة (الطاغية سالفاني) ومثل هذه النماذج هي المسؤولة إلى حد ما عن تشويه كثير من العلاقات الإنسانية. ولانظن أن هناك شاعراً أولى الكبرياء ما أولاها دانتي. كفّارة الكبرياء صخور توضع على الظهور حتى يصيح التائب: رب لم أعد أحتمل. والغرض من الصخور الظهرية إجبار المتكبر على الانحناء حتى الأرض تعويضاً عن شموخ أنفه في الحياة الجسدية. ومن أشد دواعي الكبرياء «الشهرة» فلا عجب إذا انهال عليها دانتي بالنقد والتجريح. وأعتقد أن قطعته الشعرية في هذا النشيد التي خصصها لذم الشهرة تعتبر قطعة رائدة في الشعر العالمي الحديث.

الملاحظات:

1 ـ 4 ـ تحريف لصلاة «أبانا الذي في السموات» الشائعة عند الوحدانية المسيحية.

2 ـ 3 ـ الأشياء الأولى: الملائكة.

6 ـ أنفاسك السريعة: أنفاس الحياة التي وُهبتها.

11 ـ أوصنا: ترتيلة من تراتيل الوحدانية المسيحية. ومعنى أوصنا: المجد لله أو لنفرح ولنتهلل بالله.

28 ـ آلام مختلفة: إذ كل ذنب له ثقل وله ألم.

37 ـ الكلام هنا لفرجيل، كما هو واضح.

53 ـ عنقي القاسي: تعبير ورد في أعمال الرسل (7: 51)

https://jadidpdf.com

73 ـ انحنيت إلى الأسفل: لأنه على إفريز أعلى منهم.

79 ـ 80 ـ أوديرسي: من مدينة أغوبيو.

83 ـ فرانكو بولونيزي: تلميذ أوديرسي. كان حيّاً عام 1300 .

94 ـ تشيمابو: 1240 ـ 1308 كان الفلورنسيون يعتبرونه سيد فن الرسم.

95 ـ جيوتو: صبي راع، تتلمذ على يد تشيمابو وبذّه في الرسم وهو الأب الحقيقي لتقاليد النهضة في الرسم عن الطبيعة.

97 ـ غيدو من غيدو: الأول كافلكانتي (1250 ـ 1300) شاعر وصديق دانتي، الثاني الذي انتزع كافلكانتي هو غينزيلي (توفي 1275).

99 ـ من سيأخذ المجد: هو دانتي على الأرجح.

108 ـ أبطأ المدارات: هي النجوم الثابتة، كل درجة تحتاج مئة سنة فدورتها تقدر بست وثلاثين ألف سنة.

137 ـ الغياهب: المفرد غيهب ونقصد به السجن المظلم الذي لانافذة فيه ولانور. ويكون عادة تحت قلعة أو دير... Dungeon.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني عشر

الكورنيش الأول المتكبرون

لجام الكبرياء

ملاك التواضع

الحكاية: طلب فرجيل من دانتي الذي يمشي منحنياً إلى جانب أوديريسي أن يتحرك. يدله على لجام الكبرياء المنقوش في ثلاث عشرة لوحة في الحجر تحت أقدامهما. والمشاهد تصور الدمار الذي يعقب الكبرياء. يجد الشاعر ملاك التواضع فيرحب بهما. يمسح بجناحيه جبين دانتي فتزول أول خطيئة وهي الكبرياء، وهنا يخف عنه العبء، وتصبح قدماه أخف، ويعبر من ممر ضيق بسهولة أكثر من الممر المسمى «سم الإبرة» لأنه تخفف من إحدى خطاياه السبع. وبعد الممر يصلان إلى الكورنيش الثاني، ويسمعان الطوباوية الأولى «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات» تصدح خلفهما. كان يرتلها ملاك التواضع.

1 كما ينوء الثورُ تحت النير ـ خطى وئيدة ورأس محني ـ
هكذا كنت أسير إلى جانب ذلك الروحِ المثقلِ
بقدر ما سمح لي اللغويُّ الطيب.

4 ولكن عندما قال لي: «دعه ينوء بعبئه:

https://jadidpdf.com

هنا كل واحد يسوق زورقه بأقصى ما يستطيع
فيرفع الشراع ويحث المجذافين بكل قواه».

7 أعددت نفسي ثانية حتى المستوى
الذي يتطلبه السير مني: فنهض جسدي
أما أفكاري فظلت هامدة كما من قبل.

10 خلّفنا وراءنا تلك الأرواحَ
المثقلة فشعرنا أن أقدامنا
خفَّت بشكل واضح. كنت أتبع سيدي.

13 عندما قال من غير أن يدير رأسه:
«انظر تحت. فسوف تتسلى في الطريق
حين تنظر إلى الرصيف الذي عليه تسير».

16 ومن أجل التذكير بأولئك
الذين ماتوا، ينقشون على لوح القبر
ملخص ما فعلوا في حياتهم.

19 وقد يثير وحي ما كتب عابرَ سبيل
فيبكي لما وقع مع الميت ـ والأرجحُ
أن هذا لايحدث إلا مع العاطفيين.

22 هكذا، ولكن بمزيد من العاطفة،
ـ لكون الأمور مُدارة إلهياً ـ غطت أشكال
منقوشة في الأحجار جانب الطريق.

25 رأيتُ على أحد الجوانب صورته هو الذي

https://jadidpdf.com

اتخذ شكلاً أنبل من أي مخلوق آخر.
إنه هابط مثل البرق من قبة السماء.

28 وعلى الجانب الآخر، اضطجع على الأرض
وقد أصابته صاعقةٌ سماوية،
إنه بريياريوس، يرتعد رعدة الموت.

31 وهناك تمبريوس ومارس وبالاس
المسلحون المصطفون بجانب أبيهم ينظرون إلى
أطراف العماليق المزروعة طولاً وعرضاً.

34 انظرْ نمرود عند سفح برجه العظيم
وقد انْبهَتَ وارتبك وحملق في شعبه
الذي شاركه في شنعار بحكمة المجنون في التسلط.

37 نيوبي بدموع الألم السخينة، آه يا نيوبي.
رأيت شبيهتك منقوشة على ذلك الطريق
بين سبعتكِ وسبعة أطفال مذبوحين.

40 شاول، كيف تبدو وأنت تهرب
بسيفك وتموت على قمة جلبوع
الذي لم يعرف بعدها طلاً ولا مطراً.

43 وأنت أيتها المجنونة أراخني رأيتك هناك
وقد انقلبت إلى نصف عنكبوت ـ وما كنت
تنسجين صار مبعث اليأس لك.

46 وأنت يا رحبعام. صورتك في ذلك المكان.

https://jadidpdf.com

لم تعد هناك تهديدات. العربة تحملها
ويسوقها الرعب، مع أنه لا أحد يطاردها.

49 وانظر الآن الكميون، يقف على الرصيف
القاسي فوق أمه عندما عرفت الثمن
الباهظ للزينة القاتلة المقدمة لها.

52 انظر كيف انقض على سنحاريب
أبناؤه وهو يصلي داخل المعبد
وكيف تركوه جثة ملقاة.

55 انظر الآن توميريس وقد انفجر الدم
من الدمار الذي أحدثته، تقول لقورش:
«للدم دائماً تتعطش، فاملأ من دمك جوفك».

58 وانظر كيف انكسر الآشوريون وهربوا
من إسرائيل بعد قتل أليفانا
وظهرت بقية أعضاء جسده الذبيحة.

61 وانظر إلى طروادة في رمادها المذري.
أيا إيليوم كم أُهنتِ، وكم فقدتِ.
وانظر إلى الدرع المجوف في الصخر.

64 أيُّ فرشاة ترسم، أو أي قلم يخطط
مثل هذه الرسوم والظلال؟ أمام هذه المهارة
يقف أعظم العباقرة مندهشاً.

67 الميتُ ميت والحي حي. وشاهد

https://jadidpdf.com

الحادثة ذاتها لايراها أفضلَ مما
أراها: وأنا أنظر إلى ما يشبهها

70 فيا أبناء حواء، انتفخوا كبرياء
وارفعوا شموخاً رؤوسكم، ولاتحْنوها
لتروا الشر مزروعاً في طريقكم.

73 طُفنا، كما تهيّأ لي، حول الجبل
وقد قطعت الشمس شوطاً بعيداً من النهار
أكثر مما حسِبتْهُ نفسي المقيدة،

76 إلى أن قال فرجيل القائد الحذر:
«رأسك أرفعهُ. ليس هذا وقت
الاستغراق في الأفكار الخاصة.

79 تطلع هناك إلى ملاك يسير في طريقه
ليرحب بنا، وانظر الخادمة
السادسة تعود الآن من خدمتها اليومية.

82 ربما يرسلنا بكل امتنان إلى الجبل
لتكن إشاراتك ونظراتك ملأى بالتقديس.
تذكَّر أن الفجر لن يعود هذا اليوم».

85 كنت قد اعتدت تحذيراته فلا أتأخر
أبداً عن تنفيذها. أما هناك فلا يوجد
في كل ما قاله شيء غامض.

88 بحللٍ بيضاءَ، وبوجه هادئ

https://jadidpdf.com

مثل نجم الصباح تقدم نحونا
الكائن المجيد تشع النعمة منه.

91 مد ذراعيه أولاً ثم بسط جناحيه
قال: «هَلُمَّا، باتت النجومُ قريبةً
وبات الطريقُ الآن سهلاً إلى بطن الجبل.

94 قِلَّة قليلة من تلبي هذا النداء
يا بني آدم خلقتم لتحلقوا عالياً
لماذا حفنة ريح تجعلكم تهوون؟».

97 قادنا إلى حيث الصخرة مقطوعة
هناك ضرب بجناحيه على جبيني
وقد وعدنا بأن تكون الرحلة آمنة.

100 عندما يتسلق الإنسان المرتقى الأول نحو القمة
التي عليها شيدت الكنيسة المعلقة على جسر
روباكونتي، المدينة المنسقة،

103 فإن الصعود المتقطع يصبح ناعماً على يمينه
بدرجات محفورة في الصخرة، في أيام أخرى،
قبل أن تخف العصا، وينقص السجلّ.

106 كذلك الأمر هنا، فالضفة تنحدر
من المحيط الأعلى، بحيث غدت سهلة التسلق،
مع أن المنحدرات البرجية تحيطُ بنا من كل جانب.

109 بدأنا نتسلق، ولكن في طريقنا

https://jadidpdf.com

انطلقت ترنيمة: «طوبى للمساكين بالروح»
بنغمة عذبة أكثر من أي كلمة تقال.

112 آه ما أشدَّ الفرق بين هذه الأرتال
وتلك التي في الجحيم: فهنا كل مدخل
امتلأ بأغنية الفرح، وهناك البكاء والعويل.

115 صعدنا الدرجات المقدسة، ومع أن
التسلق كان عبر منحدر شديد، شعرت أنني
أخف مما كنته في الرصيف السفلي.

118 قلت: «أخبرني أيها السيد، أيُّ ثقل
زال عني حتى صرت أتسلق
من غير أن أشعر بتعب».

121 أجاب: «عندما مسح لك الملاك
شارة الخطيئة عن جبينك
وعاد كما كان مثل الأول بلا أثر ـ

124 فإن قدميك دبّت فيهما الرغبةُ الكريمة:
ليس فقط أنهما لن يشعرا بإعياء،
بل إن البهجة كلها هي في أن تتسلق إلى أعلى».

127 عندما يستقر شيء غريب على قبعة المرء
ثم يتدحرج فإنه لايعرف إلا عندما يرى
في أعين الناس دهشة وهم يحدقون فيه:

130 يرفع يديه، ويبحث بهما، ويتقرَّى

https://jadidpdf.com

كل ما يثير الشك، فهذه مناطق بالنسبة
إليه لايستطيع أن يعمل فيها بعينيه ـ

133 وهكذا أنا، وضعت يميني على جبيني
وفتحت أصابعي ووجدت ستّ رسائل من تلك
التي نقشت هنا بالأسفل، كتبها الملاك

136 بمفتاحي النعمة، وعندها أشرقت ابتسامة
على وجه سيدي.

الملاحظات:

3 ـ اللغوي الطيب: فرجيل.

12 ـ أقدامنا خفت: صرنا أسرع.

17 ـ لوح القبر: لوح تنقش عليه معلومات عن الفقيد وله وضع خاص على القبر. وقد اشتهرت إيطاليا بهذا النوع الذي لانعرفه هنا.

25 ـ هو: الشيطان.

30 ـ بريارِيوس: أحد العماليق (الطيطان) هاجم الأولمب وحاول خلع جوبيتر (كما حاول الشيطان خلع الرب). يقوم الآن بحراسة البئر المركزية للجحيم.

32 ـ أبيهم: جوبيتر.

34 ـ نمرود: أول ملك بابلي، بنى البرج في سهل شنعار. سيرته في التوراة (تكوين 11: 8 ـ 9).

37 ـ نيوبي: لها سبعة شباب وسبع بنات. تباهت بهم على لاتونا عشيقة جوبيتر، ولم يكن لها سوى ابن واحد هو أبولو، وابنة واحدة هي ديانا. قتل أبولو أبناءها السبعة وقتلت ديانا بناتها السبع.

40 ـ شاول: أول ملك متكبر في إسرائيل. فر إلى جبل جلعاد وهناك قُتل. وقد رثاه داوود ومنه قوله «يا جبال جلبوع. لايكن طل ولامطر عليكن» (صموئيل الثاني1).

43 ـ أراخني: حائكة بارعة تحدّت منيرفا. خسرت فحولتها منيرفا إلى عنكبوت.

46 ـ رحبعام: ملك متكبر على إسرائيل. لم يخفف الضرائب. فتلوا جابيه ففرّ إلى أورشليم.

https://jadidpdf.com

49 ـ الكميون: ابن امفيارس. أمه ايريفيل. كانت وراء ارسال أبيه في جملة السبعة ضد طيبة فقتل. ثم أرسلت ابنها الكميون فعاد منتصراً. وعلم أن أمه أرسلتهما بعقد ورداء نفيسين قدمهما ابن أوديب بولينكس. قتلها فلحقته ربات الندم والانتقام. فلجأ إلى الملك فيجيوس فزوجه ابنته فأهداها العقد والرداء. طاردته ربات الانتقام فاحتمى برب النهر وزوّجه ابنته على أن يأتيه بالعقد والرداء. ذهب إلى زوجته الأولى واستردهما بالحيلة، لكن أباها طلب من ابنيه قتله ففعلا. والغرض الذي يرمي إليه دانتي هو عبثية هذه الأعمال.

52 ـ سنحاريب: ملك آشور قتله أبناؤه.

55 ـ توميريس، قورش: ملكة اسكيثيا، احتقرها قورش وقتل ابنها. جمعت جيوشها وتغلبت عليه وقتلته. قطعت رأسه ووضعته في وعاء طافح بالدم البشري.

59 ـ أليفانا: قائد آشوري هاجم فلسطين وأطبق الحصار على بيت ألفي وقطع الطعام والماء، ورصد الينابيع والغدران. دخلت عليه يهوديت مدعية أنها ستنام في سريره. قطعت رأسه، وانتصر الإسرائيليون (انظر سفر يهوديت في الأسفار الأبوغريفية).

62 ـ إيليوم: طروادة.

81 ـ الخادمة السادسة: كان المعتقد أن النهار تقوم على خدمته اثنتا عشرة خادمة. فالخادمة السادسة تعني الساعة السادسة.

89 ـ نجم الصباح: الزُهرة.

90 ـ الكائن المجيد: ملاك التواضع.

101 ـ الكنيسة: هي سان فياتو.

105 ـ العصا والسجل: العصا لوزن الملح فكان يزن بعصا ثقيلة في الشراء، وبعصا خفيفة في البيع. وقد سرقت ورقة من السجل فصار يضرب به المثل عن الغش.

110 ـ طوبى للمساكين: (راجع انجيل متى 5: 3).

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث عشر

الكورنيش الثاني الحاسدون

سوط الحسد

الحكاية: في الكورنيش الثاني يجدان صخرة زرقاء غامضة (لون الحسد) غير مزينة بالنقوش. لم يجدوا نفوساً يرشدونهما. سارا فسمع دانتي أصواتاً تصرخ، هي نماذج فضيلة حب الآخرين (CARITAS). يشاهدان الحاسدين يسيرون كالعميان: عيونهم خيطت بأسلاك الحديد، وعليهم ثياب من خيش. دانتي يحادث سابيا السينية، فتخبره قصتها. ويأتي بأمثلة (هي سوط الحسد) كلها تدل على الغيرية والكاريتاس (حب الآخرين).

1 تسلّقنا الدرج ووقفنا على الدرب،
للمرة الثانية، حيث الجبل الذي
يشفي حجاجه يتراجع إلى الخلف.

4 دوائر الإفريز كلّها تسير صعداً
بالطريقة ذاتها للإفريز السابق
سوى أن القنطرة محنيّة حديثاً.

7 لم نجد أرواحاً ولانفوساً هناك.
وجهُ المرتقى عارٍ وكذلك الطريق

https://jadidpdf.com

والصخرة من الوجهين مزْرقَّةٌ قاتمة.

10 قال لي فرجيل: «إذا انتظرنا
عابر سبيل يرشدنا في هذا الطريق،
فإني أخشى أن نتأخر كثيراً».

13 ثم تطلع إلى الشمس محدقاً
واتكأ على يده اليمنى ورفع
يده اليسرى قائلاً:

16 «أيها المصباح المبارك. إننا نواجه طريقنا
واضعين كل إيماننا بك: أرشدنا إلى
الطريق، فنسير في هذا المكان الجديد،

19 أنت تدفئ العالم، وأنت نوره
فإن لم يكن هناك سبب، فليس
غير أشعتك تهدينا الطريق الصحيح».

22 سرنا إلى الأمام بعزيمة، وبعد برهة
وجيزة قطعنا شوطاً بعيداً هناك
يعادل ميلاً على أرضنا،

25 بدأنا نسمع في الهواء فوقنا
أرواحاً غيرَ مرئية قادمة نحونا
تدعونا إلى مأدبة الحب.

28 أول صوت رنّ في السماء ومرّ بنا هو
«لاخمرة عندهم» وبعيداً من خلفنا

https://jadidpdf.com

تلاشى ثم عاد يردّدُ نفسَه.

31 وقبل أن نسمع آخر صرخةٍ لهذا الصوت
آتية من حول المنحدر، رنّ صوت آخر:
«أنا أورست» وقد مرّ هذا الصوت أيضاً.

34 قلت: «أيها الأب الطيب، ما هذه التصرفات؟».
وأثناء سؤالي له، سمعت صوتاً مباركاً
ثالثاً يقول: «أحبوا أعداءكم».

37 عندها قال سيدي: «هذه الدائرة تقوم
بتطهير جريمة الأرواح الحاسدين وأولئك
الذين فشلوا في الحب، فالحبّ هو السوط المعذب.

40 فلا بد أن تكون صرخة الردع عكس الخطيئة.
وسوف تسمعها على ما أظن قبل أن تصل
ممر الغفران الذي يؤدي إلى الأعلى.

43 لكن الآن انظر بدقة في الهواء
فوقنا تماماً، وسوف ترى بعض الناس
يجلسون هنا داخل المنحدر».

46 فتحت عيني وحملقت: وهناك بعيداً
رأيت مجموعة من الأرواح ارتدت عباءات
لونها بلون الصخرة تماماً.

49 وما إن اقتربنا أكثر حتى سمعتهم يصلون:
يا «قديسة مريم، صلّي لأجلنا».

https://jadidpdf.com

وصلّوا لميخائيل وبطرس وبقيةِ القديسين.

52 لا أعتقد أن هناك إنساناً على وجه البسيطة
اليوم، مهما كان جلفاً قاسياً، لايهتز
لما رأيته في ذلك الطريق: درب الرماد.

55 عندما اقتربتُ أكثرَ ورأيت الكفّارة
التي فُرضت على هؤلاء المصلين،
ذرفت الدمع مدراراً من القلب.

58 العباءات صنعت من شعر العنز الخشن
كل روح يسند الآخر، وعلى الكتفين خيشة
وجميعهم على الجرف استندوا

61 كالعميان الفقراء الذي يجلسون صفوفاً
في أعياد الغفران يشحذون الخبز،
ويستندون برؤوسهم على أكتاف بعضهم،

64 حتى يستدرّوا العطف والشفقة
ليس بصرخاتهم، بل أيضاً بنظراتِ
الألم الذابلة، التي تكون أبلغ من الكلام،

67 وكما أن الشمس لاتصل إلى أبصارهم،
كذلك تلك الظلال التي نتحدث عنها
فأنوار الله تأبى أن تهبهم الضياء،

70 لأن أجفان كل واحد منهم قد خيطت
بأسلاكٍ حديدية، مثلما يخيط الرجال للصقور

https://jadidpdf.com

طاقية تغطي عيونها فتمكث بلا حراك.

73 كنت أشعر أحياناً أن من العار
أن أحدق فيهم، بينما هم لايرونني.
التفت إلى فرجيل وبكلّ دبلوماسية

76 عرف ماذا يريد هذا الأبكم أن يقول
فلم ينتظر سؤالي. قال: «تكلّمْ ولكن
حاسب على كلماتك. وانتبه ألا تكون ضليلة».

79 كان فرجيل يسير بجانبي تحت إفريز
الحافة التي يمكن أن يسقط منها
المرء لأنه ليس لها درابزين.

82 ولبثت هذه الأرواح في الجانب الآخر
في مكانها تصلي، بينما الدموع
تبحث عن طريقها وتنهمر على خدودهم

85 التفتُّ إليهم وقلت: «أيتها الأرواح التي
تتحرق شوقاً إلى نور السماء،
وهذا منتهى ما تتمناه قلوبكم.

88 ولربما تسرع النعمة الإلهية وتغسل
أدرانَ ضمائركم، فتتدفق الذاكرة
بهيجة لايعوقها شيء.

91 أخبروني إذا كان بينكم هنا رجل
لاتيني: فإني أرغبُ معرفته. أخباركم

https://jadidpdf.com

عنه قد تساعدني في تحقيق الهدف».

94 «نحن هنا أبناء مدينة واحدة
رفيعة، أيها الأخ، أنت تريد
أن تسأل من عاش في إيطاليا إبان حياته».

97 هذه الكلمات سمعتها من أحدهم.
كان ينتحي بعيداً. اقتربت بغرض
أن أوجه صوتي في ذلك الاتجاه

100 رأيتُ واحدة يبدو أنها احتفظت في ذهنها
بما كنتُ قلته. كيف أخبرك؟ جلستْ
وذقنها مرفوعة، وهي إشارة الانتظار عند العميان.

103 قلت: «أيتها الروح المتواضعة التواقة إلى النعمة
إن كنت أنت التي تكلمت، أرجو أن تعلميني
عن اسمكِ أو عن موطنك».

106 أجابتْ: «أنا من سيينا، على هذا
الرصيف أبكي خطيئتي الأرضيةَ مع الآخرين
بالصلاة له، ذاك الذي يتعطف على نفسه.

109 كنت أُدعى سابيا، مع أني لستُ صائبة
كنت أستمتع كثيراً بمصائب غيري
أكثر مما أستمتع بالخير الذي أناله.

112 إن كنتَ لم تفهم هذا الاعتراف تماماً،
فاسمعْ قصتي، ثم تبيّنْ إذا كنت مجنونة:

https://jadidpdf.com

في انحناء قوس سنوات عمري، أُريقت

115 دماء أبناء بلدتي في معركة
خارج أسوار كولي، وقد صلّيت
للرب ليفعل ما كان قرره من قبل

118 وهكذا اندحرت قوى العدو
واضطروا إلى الفرار، وشعرت وأنا
أراقبهم ببهجة لامثيل لها،

121 حتى أنني رفعت وجهي وقد تبدت فيه الجرأة
وصرخت في وجه الرب كشحرور عندما يشمّس
النهار الماطر ساعة: لم أعد أخافك.

124 وحتى آخر ساعة من حياتي لم
ألتفت إلى الله، متشوقة للسلام.
إن الكفّارة لم تنقص عقوبتي.

127 لو لمْ يتألم من أجل روحي
بطرس بنتايو، ويرفع صلوات
قدسيةً من أجلي في الأعلى.

130 ولكن من أنت يا من جئت تتسقط
الأخبار منا، فمازالت جفونك غيرَ
مخيّطةٍ، كما أظن، وأشعر بنفَسِكَ وأنت تتكلم؟».

133 قلت: «عيناي ستنزعان مني على
هذا الإفريز، ولكن ليس لمدة طويلة:

https://jadidpdf.com

لأنهما لم تقترفا خطيئة الحسد إلا قليلاً.

136 إن خوفاً شديداً يتملك نفسي
من العذاب هنا، فحتى الآن يبدو
أنني أشعر بالعبء الذي يحمله هؤلاء».

139 قالت: «لكن من قادك إلى هذه الدائرة
إن كنت سترجع إلى الأرض ثانية؟».
قلت: «هاهو معي، لكن لاصوت له.

142 وأنا ماأزال حياً: فإذا أردت أن أجرجر
لأجلك قدمي إلى الأرض وأتحدث باسمك فاسألي
ماتريدين أيتها الروح المباركة بحب الرب».

145 أجابت: «إن هذا غريب. إنه
يعني أن الله يحبك كثيراً.
إذن أعنّي بصلاتك من حين إلى حين.

148 وأحلفك بأعظم ما تريد أن تحققه
أنك إن عدت ثانية إلى تربة توسكانيا
أن تعيد ذكر اسمي بين أقربائي.

151 ستجدهم بين الغوغاء الحمقى الذين
يحلمون في تالمون، والذين ضاعوا
هناك أكثر مما ضاعوا في بحثهم عن ديانا

154 وعلى ذلك الساحل سوف يخسر أمراء البحر
معظم ما يملكون».

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

9 ـ مزرقّة قاتمة: اختار هذا اللون للحسد. وقد استخدمه في كل هذه الحلقة من الكورنيش ليدلّ على الحسد.

16 ـ المصباح المبارك: الشمس.

29 ـ لاخمرة عندهم: قالتها أم يسوع في قانا الجليل، لا للشماتة، بل للمحبة. وهذا هو الدرس الأول من سوط الحسد.

33 ـ أنا أورست: هذا هو الدرس الثاني. والقصة هي أن أورست حُكم بالإعدام، فتقدم صديقه بيلاديس وقال لهم «أنا أورست» فسمع أورست وجاء ليقول هو الآخر «أنا أورست».

36 ـ أحبوا أعداءكم: كلمة للمسيح وهي الدرس الثالث.

76 ـ الأبكم: دانتي.

80 ـ الحافة التي يمكن أن يسقط منها المرء: أي وضع العقل البشري (فرجيل) بينه وبين الهاوية، بمعنى أن العقل البشري يصلح مرشداً في الحياة الدنيا.

109 ـ سابيا: امرأة من سيينا. كانت تراقب المعركة من شرفة قصرها، ولما انتصر أنصارها صاحت «أيها الرب هات ما عندك وافعل ما شئت، لأني بعد هذه المعركة سعيدة سوف أعيش وراضية سوف أموت» لايُعرف ميلادها ولا وفاتها. ولقول سابيا: كنت أدعى سابيا مع أنني لست صائبة. والأصل (SAPIA) و (SAPIENT) أي حكيمة وللحفاظ على الجناس قلنا صائبة بدلاً من حكيمة.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع عشر

الكورنيش الثاني الحاسدون

لجام الحسد

الحكاية: يحادث دانتي نبيلين، منهما غيدو ديل دوكا، الذي يتحدث بمرارة عن المدن الواقعة على ضفتي نهر الأرنو. ويصف مدى انحطاط السكان. ثم يسمع دانتي صوتين (لجام الحسد) الأول صوت قائين، طريد البشرية المنبوذ، والثاني صوت امرأة تدعى أغلوروس أكلها الحسد من أختها.

1 «من تظنُّ هذا؟ إنه يطوف رواقنا
قبل أن يمنحه الموتُ جناحين، وتراه
حراً أن يفتح أو يطبق عينيه كما يشاء».

4 «لاأعرف، ولكني أعرف أنه ليس وحده.
سَلْهُ، فأنت الأقرب إليه، ولكن إياك
أن تهينه. هذِّبْ لهجتك».

7 هكذا عن يميني، وقد استند الرأس على الرأس،
يناقش روحان في أمري.
ثم رفعا رأسيهما، وقال الأول:

https://jadidpdf.com

10 «أيها الروح الذي بجسده الآدمي
يشق طريقه إلى السماء كن
حنوناً واستجب لرغبتنا:

13 من أنت وما مدينتك، لأن تسلقك الجبل
يملأنا رعباً عندما نجد هذه النعمة الموهوبة
التي لم يسبق أن رأينا مثلها أبداً».

16 قلت: «في فالِترونا منبع نهر
يجري ويلتفُّ في قلب توسكانيا
وبعد مئة ميل يضيع.

19 من ضفتيه هذا الجسد. أما اسمي
ومن أنا فلا جدوى من ذلك: فأنا حتى
الآن لم أحققْ سوى قليل من الشهرة».

22 قال الأول: «إذا وزنت كلماتك تماماً
بميزانٍ عقلي وإدراكي، فإن النهر
الذي تقصده هو نهر الأرنو».

25 فقال له الآخر: «لماذا هو متكتم إلى درجة
أنه لايذكر اسم النهر؟ إنه يتحدث كالناس
عندما يذكرون أشياء حمقاء أو مخيفة».

28 فردّ عليه ذاك الذي خاطبه: «ذلك
مالا أعرفه، ولكن رحمةً بالناس لو
زالَ اسم هذا الوادي كله.

https://jadidpdf.com

31 فمن منبعه في أعالي المرتفعات
(التي يفصل بيلوروس عن سلسلتها)
وحتى المكان الذي يستقر فيه

34 في استسلام ناعم للشمس التي
تأخذ من أعماقه ماتجعله مطراً
حيث كل جدول ونهر يمكن أن يجري،

37 يهربُ الناس من الفضيلة كما لو كانت
عدواً أو أفعى مميتة. فإما أن الأرض ملعونة
أو أن العادات الفاسدة هي التي جعلتكم هكذا.

40 فاللعنة أو العادة حوَّلت كل الناس
الذين يعيشون هناك: في ذلك الوادي البائس،
لابد أن يظن المرء أنهم يطعمون في زريبة سيرس.

43 يأخذ مجراه الأول الضعيفَ بين الخنازير القبيحة
وهي حيوانات يليق بها طعام ثمار البلّوط
وليس الخبز والنبيذ أبداً.

46 ثم ينحدر مسيلُه إلى أسفل حيث
مجموعةُ كلاب، نباحها أسوأُ من عضّها
فيتنحى بكلّ ازدراء عنهم ويميلَ بخرطومه.

49 أسفلَ فأسفلَ يجري، وكلما قل عدد
الكلاب ازداد الذئابُ على الضفتين
الواسعتين لهذا الخياط اللعينِ الذي نسي الله.

https://jadidpdf.com

52 وفي اندفاعه يدخل ممرات مظلمة، فيجد
الثعالب في مضاجعها، ملأى بالخديعة
ولاتخشى أي مكيدة يكيدها عقل بشري.

55 أنا وإن سمع هذا الرجل ما أقول،
لن أصمت على النبوءة التي تجلَّتْ لي،
فربما تذكّرها هذا الرجل في طريقه.

58 إني أرى حفيدك يمتطي الجواد للطّراد.
سيصيدُ الذئاب التي تعوي على النهر الوحشي.
سيصبح ممثل «الرعب» في ذلك المكان.

61 يبيع اللحم الحي، ثم ـ ياللعار ـ
يذبحها الوحشُ القديم نفسه، من أجل الرياضة.
كثيرون سيموتون، ومعهم تموت سمعته الطيبة.

64 لقد جاء من الغابة الحزينة ملطخاً بالدم
وتركها خربةً مدمّرة، ستمرّ ألف سنة
والغابة لا تستبعدُ أشجارها وجذورها».

67 مثلما يكفهر وجه الإنسان عندما
يسمع أنباء سيئة مريعة، غير
آبه من أي ناحية يطاله الأذى ـ

70 هكذا كان ذاك الظل الذي التفت برأسه
نصف التفاتة ليسمع جيداً، فبدت الصدمة
عليه حين استوعب ما قاله الآخر.

https://jadidpdf.com

73 أثارتني كلمات الأول، وشجاني وجه الآخر
فتُقْتُ إلى معرفة اسميهما. لذا سألت
أن يجيب رجائي، فأكون ممتناً.

76 فأجاب الذي تكلم منهما:
«ها أنت تطلب راجياً
فأقبلُ ما كنت طالبتك به فرفضت،

79 لكن الله أظهر عطفه فأشرق
في سيمائك، لذلك لا أستطيع أن أضنَّ عليك:
كان اسمي على الأرض غيدو ديل دوكا

82 نار الحسد ألهبت دمي
حتى أنني كنت أزرقُ إذا حالف
الحظ غيري وأنعمَ عليه بالرفاهية.

85 هذا الحصاد من ذات البذار. قَشٌ أكوّمه هنا.
يا أيها البشر لماذا تضعون قلوبكم
حيث تمتنع المشاركة؟

88 هذا هو رينير، أشرف سلالته
ومجد بيت كابولي، وحتى
الآن لم يرث مجده أحد.

91 ليس بيته في تلك الأرض التي خربتها الحرب، التي
حدودها البحر والرينو شرقاً وغرباً والبو والابنين
شمالاً وجنوباً، هو البيت الوحيد الذي يعيش

https://jadidpdf.com

94 على تلك المنجزات والمزايا، لأن الأرض
لم تعد لها مجرفة ولامحراث، بل أشواك سامة
ومابقي من سنوات لايُنظف بسرعة الآن.

97 أين ميناردي؟ وهل أضعت بذور
ليزيو؟ ترفرسارو؟ دي كارينا؟
ياأهل رومانيا، لقد صرتم أبناء زنى.

100 متى يضرب فابرو جذوره في بولونيا؟
ومتى يظهر فوسكو جديد في فنزا؟
لقد كانت حلقته الصغيرة نبيلة طيبةً.

103 أيّها التوسماني، هل لي أن أتكلم من
غير دموع عن أوغلينو دازو وغيدو دابرتا
اللذين عاشا معنا على الأرض، ومعهما

106 فيدريكو دي تغنوزو وسلالته؟
بيت ترافرساري وأنستانمي، وكلاهما
لاوريث له الآن؟ أو نفكر في

109 الفرسان والسيدات والبلاط والحفل
الذين أحاطونا بكل لطف وعناية
بينما الآن صارت القلوب متوحشة؟

112 لماذا تأخرتِ يا بربتينورو؟
إن أسيادك والكثيرين قد ولوا هاربين
من إثمكِ، لماذا لاتهربين مثلهم؟

https://jadidpdf.com

115 إن باغناهال تصنع خيراً، فلا وريث لها
وكاستروكارو وأكوينو سيئتان
فما زالتا مرتبكتين في إطعام الكونتات وأتباعهم.

118 ويعمل الباغانيون خيراً، بعد أن انقلع
عنهم شيطانهم، ولكن اسمهم لن
يعود براقاً كالذهب الخالص.

121 يا أوغلين دي فانتولين، اطمئن
على اسمك، طالما ليس لديك ما يحمله،
فيظلُّ منحطاً وبالعار يغرق.

124 لكنْ دعني أيها التوسكاني، إني أريد
أن أترجم ألمي بدموع لابكلمات،
فالكلام قد اعتصر قلبي وعقلي».

127 أظنُّ أن هذه الأرواح سمعتنا ونحن نبتعد.
وصمتهم أكدّ لنا، ونحن نتركهم، أننا
لم نذهب في الطريق الضال.

130 وما كدنا نترك تلك الأرواح لصلواتها،
حتى سمعنا صوتاً مرّ كالبرق
وصدعنا بصرخةٍ شقّت الهواء:

133 «جميعُ الناس تطاردني لتقتلني» ومرّ
كالرعد في السماء بعيداً كما لو أن
غيمة انهمرت مطراً لدى أول انفجار.

https://jadidpdf.com

136 وما كادت آذاننا تستريح من عناء الانفجار
حتى جاءنا الصوت الثاني، لايقل رعده
عن الصوت السابق.

139 «أنا أغلوروس التي تحولت إلى حجر».
وحتى أتأبط ذراع فرجيل
خطوت خطوة إلى اليمين بدلاً من السير إلى الأمام.

142 كان الهواء قد استقر عندما
قال فرجيل: «هذه شكيمة قوية
تجعل الناس تتمسك بوصية الرب.

145 ولكن ما إن تتجرعوا الطعم بسرعة
حتى يعلقكم العدو القديم بسنارته
فلا تجدي معكم شكيمةٌ ولاصرخة.

148 إن السماء تصيح بكم، وحول نفوسكم
يدور مجدها الأبدي ومع ذلك تجعلون
عيونكم مثبتة في الأرض.

151 ولهذا فإن الله يسومكم العذاب».

الملاحظات:

16 ـ فالترونا: إحدى القمم في الابنين التوسكانية.
18 ـ مئة: العدد هنا للدلالة على الضخامة وليس الدقة.
42 ـ زريبة سيرس: كانت هذه الساحرة تحول الرجال إلى خنازير.
46 ـ مجموعة كلاب: الأرينزيون. ومجموعة الحيوانات الأخرى لها رمزيتها.
الخنازير: أهل كازنتيو. الذئاب: الفلورنسيون. الثعالب: أهل بيزا.

https://jadidpdf.com

58 ـ حفيدك: هو فولسيري دا كابولي الذي أصبح في عام 1302 محافظ فلورنسا.

81 ـ غيدو ديل دوكا: عضو بارز في أسرة أونستي في رافنا.

85 ـ البذور ـ القش: البذور: الجسد. القش: العذاب الراهن.

88 ـ رينير دي بولوشي دا كالبولي دي فورلي: قائد من الجولف.

112 ـ بربتينورو: مدينة صغيرة بين فورلي وسيرينا.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس عشر

الكورنيش الثاني — الحاسدون

الصعود — ملاك المبرّة

الكورنيش الثالث — الغاضبون

سوط الغضب

الحكاية: الثالثة بعد الظهر. يحضر ملاك المبرة. يأخذهما إلى الإفريز الأعلى. يسمعان الملاك يرتل الطوباوية الخامسة. يدخلان الكورنيش الثالث. دانتي يرى ثلاث رؤى ترمز إلى «سوط الغضب» وهذه الرؤى تحض البشرية على الوداعة تجاه الأقرباء والأصدقاء وحتى الأعداء. يسير الشاعران فيرى دانتي سحابة دخان أسود.

1 من ذلك المدار المشرق مثل طفل يتّوثب
ويلعب بلا انقطاع، وبقدْر ما بين
نهاية الساعة الثالثة وأول ضوء النهار،

4 كذلك يتبقى للشمس حتى تصل إلى الليل
فعندما تظهر نجوم المساء فوق الجبل
يكون منتصف الليل في إيطاليا، حيثُ أكتب.

7 صفعتنا أشعة الشمس في وجهنا تماماً،

https://jadidpdf.com

لأننا في طوافنا حول الجبل، درنا
بالتدريج وسرنا باتجاه مغيب الشمس.

13 رفعت يديّ وضممتهما في الهواء
فوق حاجبي، لتستظل بهما عيناي
فأستطيع النظر والتحديق.

16 عندما يصطدم شعاع بزجاج أو ماء، فإن
انعكاسه يرتدُّ إلى أعلى من الوجه، بالزاوية
ذاتها، لكن باتجاه مضاد لاتجاه

19 الاصطدام وبمسافة متساوية.
ينتشر بالتساوي من المسقط حتى نقطة الوسط
كما تُثبت النظرية والتجربة معاً.

22 وهكذا خيّل إليّ أن الضوءَ المنعكسَ
قد ضربني من أعلى، بحيث أجبرني
أن أطبق أجفاني لأصونَ بصري.

25 قلت: «أيها الأبُ الفاضل، ما هذا اللهب العظيم
فوق رأسنا، الذي لا أستطيع أن أظلل عيني
منه والذي مايزال يقترب منا؟».

28 أجاب صديقي الطيب: «لاتعجبْ إذا أزمعت
هذه الأسرة الإلهية أن تجلب لك العمى.
لقد جاء يدلنا على طريق الصعود.

31 ومثل هذه المشاهد لن تؤلم إحساسكَ

https://jadidpdf.com

بل تملأك بالبهجة مثل أي مشهد
للطبيعة يلائم خبرتك».

34 وقفنا الآن أمام الملاك المبارك
صاح بصوت كلّه سرور: «ادخلا. الدرجُ
هناك أقل صعوبة من السابقين».

37 ذهبنا معه وكنا نتسلق عندما
ترنَّم خلفنا بـ «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون»
و«تهلَّلوا وافرحوا لأن أجركمْ عظيم في السموات».

40 صعدنا ـ أنا ومرشدي ـ الدرج
وحدنا فقط ـ وفكرت أن أستفيد من
كلماته الحكيمة، إذ كنا نتسلق

43 فسألته هكذا: «ما القصد المستتر من الكلام
الذي قاله الروح الذي من رومانا؟».
تكلم عن «المشاركة» وقال «محظورة».

46 قال: «إنه يعرف الشاطئ الحزين
لخطيئته: فقد راح يسب ويشتم
أملاً أن هذا يجعلك أقل كفارة.

49 بسبب أنك تركز على المكافأة
من الخيرات الأرضية، فتقلّ المشاركة
مما يجعل الحسد يسبب تنهداتكم.

52 ولكن في الحب الحقيقي للمدار الأعلى،

https://jadidpdf.com

إذا اتجه شوقكم إلى أعلى فإن قلوبكم
لن يهلكها مثل هذا الخوف،

55 لأن كل من هناك يقول «لنا» وليس «لي»
وبهذا يكون كل واحد هو الأغنى والأنصعُ
داخل ذلك الرواق الملتهب بالحب الإلهي».

58 قلتُ: «أنا الآن أشدّ جوعاً لذلك الغذاء
وعقلي يشك في هذا الجواب، فكأني
لم أسألْ سؤالاً على الإطلاق.

61 كيف يمكن للواحد من الكثيرين
الذين يقتسمون الخير أن ينال أكثر
مما لو كان واحداً من القلة؟».

64 قال: «بما أنك لصيقٌ بقلب العادات البشرية
فإنك تركز كل اهتمامك في الأشياء الأرضية،
لذلك يظهرُ النور الحقيقي في عقلك كأنه الظلمة.

67 فالنعمة التي لاتحدّ ولاتقدّر، التي في
السماء تهب نفسها للحبّ كخيط من
شعاع يهبُ نفسه للمجموع المشرق.

70 وبقدر ما تجد من الضياء، تمنح أكثر.
وهكذا كلما انتشر لهيب الحب أكثر
ازدادت عظمة المجد الإلهي.

73 كما تعكس المرآة مرآة، كذلك في الأعلى

https://jadidpdf.com

فكلما كان هناك المزيدُ من الأرواح
يزداد الحب كمالاً، ويزدادون هم محبة.

76 وإذا كان هذا الجواب لايُشْبِعُ
جوعك، فإنك سترى بياتريس
وستجد جواباً عن هذا، وعن كل رغائبك.

79 جاهد بقوةٍ فيزول كل أثر من الندوب
الخمسة التي يشفيها الندم الحقيقي -
مثلما عوفي الندبان السابقان من جبينك».

82 كنت على وشك أن أقول «إني مقتنع»
عندما وصلنا إلى الحلقة التالية،
إلا أن شراهة عيني لجمتْ لساني.

85 وهنا فجأة، وفي نشوة عذبة
وجدت نفسي أغوص في رؤيا.
لقد رأيت معبداً مكتظاً، وفي المدخل

88 سيدةٌ وحدها، توهجت عيناها
بنعمة الأم الطيبة، تقول بلطف:
«يا بني، لماذا تعاملنا هكذا؟

91 أنا وأبوك بحثنا عنك ونحن نبكي».
بعد هذا القول صمتتْ، ومثلما جاءت
الرؤيا بسرعة، ذهبتِ المرأة بسرعة.

94 امرأة أخرى تظهر الآن، وجنتاها

https://jadidpdf.com

استحمَّتا في تلك المياه الملتهبة بالألم
في حين أن الألم يبعث الغضب. تقول:

97 «يا بستراتوس، إن كنت سيداً حقاً
لهذه المدينة التي تنازع الآلهة حول اسمها
والتي شعَّتْ بالعلم بعد ذلك،

100 قم وانتقم بنفسك من ذلك الوقح
الذي عانق ابنتنا على الملأ». وسيدها
بستراتوس، بكل صبر وبلهجة صافية

103 ابتسم لها بلطف وأجاب:
«ماذا نفعل بأولئك الذي يبغون لنا الأذى
إن كنا ننتقم من أولئك الذين يحبوننا؟».

106 ثم ظهرت جماعة قاتلة متوحشة من
الناس يرجمون صبياً، وكل واحد
يقول للآخر بغضب: «اقتلْ، اقتلْ».

109 رأيت الصبيَّ يسقط على الأرض، كان
الموتُ قوياً، لكن عينيه مثل بوابات
السماء، ظلتا مفتوحتين بغضب،

112 وحتى في آخرِ أنفاسه كان
يصلّي إلى الله أن يغفر لقاتليه،
متجهاً إلى الرب بنظرته التي تثير الشفقة.

115 وعندما استطاعت نفسي أخيراً أن تشعر وترى

https://jadidpdf.com

الأشياء التي حقاً خارجها، فهمت أن
أخطائي غير الزائفة كانت حلماً، مع أنها حقيقية.

118 مرشدي، الذي راقبني عندما سرت
كالمستيقظ، وآثار النوم عليه، قال:
«أنت بالكاد تضبط خطواتك، ماذا جرى؟

121 سرتُ الآن أكثر من نصف فرسخ
بعينين نصف مطبقتين وساقين متباعدتين،
مثل من نالت منه الخمرة أو أرهقه التعبُ».

124 أجبت: «أيها الأب الطيب، إن رغبت أن
تعرف فاسمع، وسأخبرك ما رأيت،
عندما أخذت ساقاي تضطربان هكذا».

127 قال: «كان عليك أن تضع قناعاً
حتى تخفي وجهكَ، لقد انكشفَ أمامي
حتى أني أقرأُ أدنى خلجةٍ من فكرك.

130 هذه الرؤى تحذر روحك بأنها
ماتزال ترفض مياه السلام
المتدفقة للإنسان من النبع الأزلي.

133 أنا لا أسأل عن خطأ إنسان
يرى بعينيه فقط، وعندما
يموت الجسد لاتعود هناك رؤيا.

136 أنا سألتك أن تقوّي ساقك وقلبك:

https://jadidpdf.com

مثلما يفعل النائم بعد أن يستيقظ
فيتريضُ ليطرد كسل النوم».

139 في آخر ساعات المساء ارتحلنا
ناظِرين إلى الأمام على مد البصر
مواجِهين أشعة شمس المغيب.

142 وهناك أمامنا في مواجهة النور
رأينا دخاناً أسود كالليل
يتجه نحونا متلاطماً بطيئاً ولم يكن لنا

145 ملجأً. فأعمى بصرَنا وكتم أنفاسنا.

الرموز والصور:

سوط الغضب: يتألف سوط الغضب من ثلاث رؤى، يسمعها الأرواح في طريقهم إلى الدخول في سحابة الدخان. الأولى من حياة مريم العذراء (85 ـ 93) وهي من إنجيل لوقا (2: 41 ـ 52) خلاصتها أن يوسف ومريم افتقدا الغلام يسوع فلم يجداه، فبحثا عنه ثلاثة أيام ثم عادا ليبحثا عنه في أورشليم فوجداه في الهيكل فقالا له: لماذا تعاملنا هكذا؟ وهذا تعبير عن الحلم وليس عن الغضب، فالمتوقع من أبوين ظلا ثلاثة أيام يبحثان عنه أن يغضبا، بينما تجد الرقة والحلم والأناة تأتي على شكل عتاب.

الرؤيا الثانية هي من حياة طاغية أثينا بستراتوس (560 ـ 527 ق.م) الذي حكم أثينا بأناة وحلم حتى نسي الأثينيون نقائصه. والقصة أن شاباً أحب ابنة بستراتوس، لكن الوالدين لايقبلان به صهراً، وحتى يحرجهما وتصبح الفتاة له، قبّلها على الملأ، فغضبت الزوجة وطلبت من بستراتوس الانتقام، لكن بستراتوس بجوابه الحليم هدّأ غضبها: «إذا كنا ننتقم من محبينا، فماذا نفعل بمبغضينا؟».

أما الرؤيا الثالثة، فمن استشهاد القديس اسطفان (انظر أعمال الرسل: 58) لكن دانتي جعل الشهيد صبياً.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

34 ـ الملاك المبارك: ملاك المبرة (حب الآخرين)

38 ـ طوبى للرحماء: طوباوية (متى 5: 7)

39 ـ تهللوا وافرحوا: (متى 5: 12)

52 ـ المدار الأعلى: السماء العليا (الأمبريوم)

55 ـ «لنا» ليس «لي»: هذا هو مبدأ دانتي في الثروة. فهو يرى أن «لي» هي المأساة في الثروة. إنها تعبير عن الحسد. أما «لنا» فإنها الخلاص من الفقر لأنها تمثل الغيرية المثمرة والحياة التعاونية لا التنابذية.

84 ـ شراهة عيني لجمت لساني: شاهدت مناظر جديدة مدهشة.

98 ـ تنازع الآلهة: تنازعت أثينا ونبتون حول مدينة، فاتفق أهلها على التصويت لنبتون إله البحر، لكن النساء ناصرن أثينا وصوتن لها ونكثن بالوعد فسميت المدينة أثينا، وغضب نبتون وصار يهددها دائماً بالأمواج العاتية، فحَرّم الأثينيون على النساء حق التصويت، بعد خيانتهن ونكثهن بالعهد.

132 ـ النبع الأزلي: مأخوذ من إرميا (2: 13)

139 ـ آخر ساعات المساء: زهاء السادسة مساء.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس عشر

الكورنيش الثالث — الغاضبون

ماركو لومباردو

الحكاية: يدخل الشاعران الدخان الأعمى حيث يعاني الغاضبون من التطهر، والغضب يعمي الإنسان عن رؤية النور الإلهي. وفي قلب الدخان الأسود، يسمع دانتي ابتهال «يا حمل الله». والحمل رمز «الوداعة» وهي ميزة الحب الإلهي.

ماركو لومباردو يسمع دانتي فيدعوه فيصحب الشاعرين إلى آخر تخم للدخان، وينشب جدال حول الحرية والقدرية وأصل الفساد بين البشر، ويريان جمع البابا بين الدين والدنيا هو أصل الفساد لأنه أقام وحدانية قمعية تسلطية. وعند تخم الدخان يظهر النور فيرجع لومباردو لأن ملاك الرب يظهر، ولايحق للومباردو أن يتابع لأن الحدود المخصصة له ولكل الغاضبين في المطهر تنتهي هنا، فلا يستطيع تخطّيها.

1 لاظلمةُ الوادي الرجيم ولاحلك الليل ولا اربداد
الجلَد الذي لانجوم فيه ولاضياء
ولا الظلماء التي تصنعها الغيوم

4 جعلت لوجهي عتمةً ونقاباً
ولجلد جسمي بُردةً غطت على حسي

https://jadidpdf.com

كما فعل الدخان ولفّنا في هذا المكان.

7 لسعُ الدخان كأنّه وقع المباضع في العيون.
يا سيدي أنت الحكيم هلمّ قربي، لاتدع
كفي عن الكتف الأمين تضيع.

10 وكما أن الأعمى حتى لايضل الطريق
أو يتعثر فيتأذى أو يهلك،
يمشي خلف مرشده عندما يخرج،

13 كذلك سرتُ عبر الهواء القارس الكثيف
أهتدي بصوت صديقي الطيب الذي يكرر:
«انتبه، لاتبتعد عني، انتبه».

16 سمعتُ أصواتاً أخرى. بدت لي
كأنها تصلي طالبة السلم والسماء لحَملِ
الله الذي برحمته يمحو خطايانا.

19 رفعوا ثلاث صلوات، كل واحدة
تبدأ بـ «حملِ الله» وكل
كلمة ولحن يتناغمان في المواضع المحددة.

22 قلت: «سيدي هل أسمع الأرواح
في هذا الطريق؟». أجاب: «لاشك ستسمع
وهُمُ الذين سيحلّون عقدة الغضب».

25 «من أنت حتى تشقّ دخاننا
وتتحدث عنا كما لو كنت ماتزال

https://jadidpdf.com

تعدّ الزمن بالشهور؟». من دون إخْطار.

28 تحدث أحدهم بهذه الكلمات إلي فقال
سيدي: «أجب واسأل باحترام إن
كان من الممكن العثور على طريقٍ في هذا الجانب».

31 قلت: «أيها الروح النقي الحر
يا من ستعود يوماً إلى خالقك تتيه جمالاً ـ
سوف تسمع العجائب إن تبعتني».

34 قال: «اتبعْ بالقدْرِ الذي يُسمح لي به
فإن حال الدخان بين أعيننا والرؤية
فإن آذاننا ستجعلنا نتفاهم».

37 بدأت: «شققْت في الأعلى طريقي
وماأزال في هذه الأربطة التي يحلها الموت.
جئت عبر أحزان الجحيم، وبما أن حبّ الله

40 شملني بنعمته المغدقة، فقد
سمح لي أن أرى بلاطه
بوسائل غير معروفة في الأيام الحديثة،

43 فأرجوك أخبرني من كنتَ قبل موتك
وإن كنت أسير في الطريق الصحيح
الذي يقود إلى الأعلى: فكلماتك ترشدنا».

46 «كنت لومبارديا. اسمي ماركو.
أعرف سبل الدنيا وأحب الخير

https://jadidpdf.com

الذي لم يعد ينشده الناس.

49 أنت على الطريق الصحيح إلى الدرج الذي
يؤدي إلى الأعلى». وأضاف: «أرجوك
صلّ لأجلي عندما تخرج من هنا».

52 قلت: «أقسم بإيماني سأفعل. لكنّ
شكّاً يخامرني، وقد راح يتسع حتى
لأكاد أنفجر إن لم أفصح عنه.

55 كان في البدء شكّاً بسيطاً، لكن الآن
يتضاعفُ ويتأكد كلما قارنت
كلماتك بالكلمات التي قيلت لي في الأرض.

58 العالم كما قلت عارٍ حقاً من أي
أثر للخير: مليءٌ بالشرّ
فالشر يبسط جناحيه في كل مكان.

61 فأين يكمن الخطأ؟ أرجوك أن تعلم
أني أرى الحقيقة وأعلّمها للآخرين.
بعضهم يراها في النجوم. وبعضهم يراها تحت».

64 تنهد بعمق وألم، فخرجتْ منه
«آه» طويلة. ثم قال: «أيها الأخُ.
العالم أعمى وأنت ابنه الحقيقي.

67 البشر يرون في السماء وحدها مصدر
كلّ الأشياء: خيرها وشرها، فهم

https://jadidpdf.com

بالشريعة يريدون تنظيمَ كل الأعمال الدنيوية.

70 فإن كان الأمر على ما يتخيلون، فإن الإرادة
الحرة تنسحق، ولاتعود هناك عدالة في
مباركة الفضيلة ولعن الشر.

73 إن المدارات تمنحكم نبض الحياة.
لا أقول كل المدارات ولكن هب أني قلت كلها
إن نور العقل هو الذي يميز بين الخطأ والصواب.

76 وكذلك الإرادة الحرة، فهي وإن عانت
في معاركها الأولى من السماء، فما تزال
قادرة أن تغزو الجميع إذا بحكمة رُبّيت.

79 أنتم أشياء حرة من طبيعة أشدّ
كثافةً وهبتكم عقلاً حتى
يحرّركم من حكم السماء.

82 فإن أراد الناس اليوم الارتداد عن شريعة الرب
فإن الخطأ في النفوس: ابحثوا تجدوا
وسوف أوضّح هذه القضية:

85 من يد الرب التي منها يشرقُ الحب
حتى قبل الولادة، تنبثق النفس
البسيطة التي، مثل طفل يلهو،

88 تصرخُ وتضحكُ وتجهلُ كلَّ شيء
سوى نبضة الفرح من خالقها،

https://jadidpdf.com

فتسعى بشوق إلى كل ما يمنحها المتعة.

91 تتذوق أولاً بعض المسرات. وتتعلق
بها فتفسد، ولاتبحث عن غيرها، ما لم
يوجّهها أحد، أو يرشدُ حبها إلى الأشياء العليا.

94 لذلك يحتاج البشر إلى كبح القانون، وإلى
ملكٍ عليهم يرى على الأقل أبراجَ
المدينة الحقيقية. والقوانينُ فعلاً

97 موجودة، ولكن من يدفع الأمَ إلى تطبيقها؟
لا أحد. فالراعي الذي يقود البشرية الآن
يمضغ طعامه المجترّ، لكنه يحتاج إلى الظُلفِ المشقوق.

100 فالناس الذين يرون مرشدهم لايفعل
إلا الأشياء الدنيوية التي يهفون إليها،
مثلما يهفو، لايطلبون غيرها.

103 إن الحالة الزرية للعالم الحديث ترجع
ـ كما ترى ـ إلى القيادة السيئة،
وليس إلى فساد الطبيعة فيكم.

106 اعتادت روما أن تشرق بشمسين عندما
جُعِل العالم منعماً، وكل شمس تنير سبيلها:
شمسٌ لهذا العالم، وشمسٌ لله

109 الآن الشمس المتهاوية أطفأت الأخرى
الآن السيف والعصا واحدٌ، وأعظم الشر

https://jadidpdf.com

هو الذي ينبع منهما إذا اجتمعا،

112 فباجتماعهما لاتعود الواحدة تخاف الأخرى.
انظرْ بإمعان إلى السنبلة، إن كنت تشك بكلامي
فبحسب الثمر الذي يخرج يكون النبات.

115 ما إن استوطن الشرف والنبل في
البلاد التي يرويها البو والأديج ـ حتى دخل
فريدريك الثاني في صراع مع أغبياء روما.

118 أيّ إنسان اليوم لديه مسوّغ ليخاف
من صوت الحقيقة، أو من الناس الشرفاء
يستطيع أن يعبر بسلام فلا أحد منهم هناك.

121 ثلاثة شيوخ يجعلون الماضي
يحسّن الحاضر. كم سيمضي من الوقت
حتى يأخذهم الله إلى الحياة السعيدة ـ

124 ابنهم كونراد دابالازو وجيرارد الطيب
وغيدو كاستيل، الذي يفضل أن
يسمى «اللومباردي الشريف» على الطريقة الفرنسية.

127 نستطيع القول إذن فيما لو جمعتِ الكنيسةُ
حكومتين معاً، فإنها ستغرقُ في القذارة
فتدنّسَ سلطتها وكهنوتها».

130 قلت: «يا ماركو، لقد أحسنت التعليل.
الآن عرفت لماذا أبناءُ اللاويين

https://jadidpdf.com

لايرثون الثروة في إسرائيل.

133 لكن من هو جيرارد الذي قلت
إن الماضي يظهر من جديد ليبرهن
إن الغذاء المتخلف السابق هو سبب الانحطاط اليوم».

136 قال: «إنك بسؤالك تختبرني، أو
تخدعني. كيف يمكن أن تتحدث التوسكانية
ولاتعرف ـ كما يبدو ـ شيئاً عن جيرارد؟

139 أنا لا أعرفُ اسمه الأولَ
إلا أنه كان يعرف بـ «أبو جايا».
أعانك الله. هذا آخر ما يُسمحُ لي بالسير فيه.

142 انظر هناك عبر الدخان، النور مثل
أشعة الفجر الأول، سينشر مثل المجد.
الملاك هناك. وليس من المناسب أن يراني».

145 هكذا تكلّم والتفت راجعاً عبر الدخان.

الملاحظات:

1 ـ الوادي الرجيم: الجحيم.
27 ـ تعد الزمن بالشهور: أي تحسب مثلما يحسب أهل الأرض.
28 ـ تحدث أحدهم: هو ماركو لومباردو.
50 ـ إلى الأعلى: إلى السماء.
63 ـ يراها في النجوم: أي يراها في أبراج السماء.
63 ـ يراها تحت: أي يدرسها دراسة واقعية.
66 ـ العالم أعمى وأنت ابنه الحقيقي: أي أعمى مثله.
98 ـ الراعي هو البابا وقد شبهه بخروف.

https://jadidpdf.com

99 ـ مضغ الطعام والظلف المشقوق: بما أنه شبهه بالخروف، فإنه يقول: لافرق بينه وبين الخروف إلا بالظلف، وليس بالاجترار.

116 ـ البلاد التي: لومبارديا.

117 ـ فريدريك الثاني الذي انخرط في صراع مع البابوات.

124 ـ كونراد: نبيل من بريشا. جيرارد شخصية يقدمها دانتي كمثال على النبيل الحقيقي.

125 ـ غيدو كاستيل: نبيل متحرر.

131 ـ اللاويون: كهنة إسرائيل. كان يحظر عليهم وراثة الثروة لأنهم يرثون الله (انظر يشوع 8: 14).

https://jadidpdf.com

النشيد السابع عشر

الكورنيش الرابع الغاضبون

لجام الغضب

الصعود ملاك الوداعة

الحكاية: يخرج الشاعران من الدخان فيرى دانتي ثلاث رؤى هي «لجام الغضب» وكلها تدل على الدمار الذي يعقب الغضب. الأمثلة هي: بروكني وهامان والملكة أماتا. ويتطرق فرجيل إلى موضوع الحب فيميز بين الحب الروحي والحب الطبيعي. انحرافات الحبّ هي التي يُعاقب عليها في المطْهر، لأنها لم ترتفع إلى المستوى اللائق.

1 أيها القارئ إذا كنت قد حوصرت في
جبل ضبابي، فلم يبق لعينيك رؤيةٌ
إلا كما يرى الخلد بجلده،

4 وتفكر كيف يمكن أن يتبخر البخار الكثيف
رويداً رويداً إلى أن يظهر قرص الشمس
قاتماً بالكاد يرى - إذن يمكنك أن

7 تتخيل (دون صعوبة: ودون استعادة
تجربة خاصة) كيف عدت ورأيت الشمس

https://jadidpdf.com

ثانية، وكانت في الغروب تقريباً.

10 وبمتابعة مرشدي الحقيقي
عبرتُ إلى ما بعد الغيمة في تلك
الأشعة التي تتلاشى على الشاطئ.

13 أيها الخيال الذي يدخل فينا فنجمدُ
ولاننتبُه أحياناً، حتى ولو قرعوا
الطبولَ ونفخوا آلاف الأبواق في آذاننا ـ

16 ما الذي يحركك طالما مشاعرنا نائمةٌ كالميت؟
أنورٌ يتشكّل في السماء من تلقاء ذاته،
أم بإرادةِ الله الذي يرسله على شكل أشعةٍ للإنسان؟

19 الرؤيا التي حصلت في داخلي هي
خطأ تلك التي، لظلمها، تحولت إلى
ذلك الطائر الذي يبتهج جداً في تغريده.

22 وكان خيالي قد استغلقَ في
ذاته، بحيث أن ما انكشف
لايمكن أن يكون قد جاء من لاشيء.

25 انهمرَ الشكلُ الثاني كالمطر، إنه هيئةُ
مصلوبٍ حطّ في خاطري، وجهُه
فيه وحشةٌ وازدراءٌ، حتى وهو ميّت.

28 وإلى جانبه وقف أحشويروس،
وزوجته أستير، ومردخاي العادل

https://jadidpdf.com

الذي كانت أقواله صادقةً كأعماله.

31 ومثلما ترتفع فقاقيع الصابون في الهواء
وتبدو كأنها أشياء ملأى، ثم تنفجر
عندما تنثقب القشرةُ، هكذا

34 تلاشى الحلم، وعبر رؤياي ظهرت
صورة فتاة تصرخ: «أيتها الملكة، لم تعودي
ملكة. إن غضبك أودى بتاجك.

37 كل شيء ولافقدان لافينا. أيتها الأم
لقد فقدتها الآن حقاً. أنا هي
وإني لأبكي موتك قبل أن أبكي موتي».

40 عندما يضرب نور قوي عينيْ نائمٍ مغمضتين
فإن نومه ينقطع، ومع أنه ينقطع فإنه
يقوم بانتفاضة قبل أن يتلاشى تماماً.

43 هكذا بالضبط هبطت رؤياي مني.
وفي لحظة انسكاب نور جديد على وجهي
أشرق نور لم يسبق أن عرفه بشر.

46 كيف أنظر حولي، عسى أن أعرف
أين أوجد عندما صاح بي صوت جديد:
«من هنا المصعد» فأزال كل ما في ذهني،

49 وأوقد في الروح ناراً دفعتني إلى
رؤية من تكلّمَ، ولن تُكتب لي

https://jadidpdf.com

الراحةُ، ما لم أقابله وجهاً لوجه.

52 ولكن مثل النظر في الشمس، وهج
أشعتها يمنعنا من رؤية شكلها
هكذا خذلتني القوة في النظر إلى اللهب.

55 «ملاك من السماء يرشدنا إلى العلى:
إنه يرينا المصعد قبل أن نسألَ.
مخفياً نفسه في نوره المقدس.

58 إنه يفعل لنا ما اعتاد الناس في
الدنيا أن يفعلوا لأنفسهم، فمن يرى
الحاجةَ وينتظرُ التوسلَ، فإنه نصف رافض.

61 لتستجب أقدامنا لمثل هذه الدعوة
بالإسراع قدر الإمكان قبل هبوط الليل
وإلا فلن يكون ارتحالٌ إلا في اليوم التالي».

64 هكذا تكلّم مرشدي، وتحركنا معاً
باتجاه المصعد، وحالما صعدت
الدرجة الأولى المحفورة في إفريز الصخر

67 شعرت كأن هناك جانحاً يرف على
وجهي، وسمعت: «مبارك صانعو السلام
الذين لايشعرون بغضب شرير تجاه أي بشري».

70 الشعاع الأخير، الذي بعده يسود الليلُ
ابتعد الآن عنا كثيراً، حتى أن النجوم

https://jadidpdf.com

طفقت تظهر هنا وهناك.

73 قلت: «أيتها القوة، لماذا تتلاشين»
وكرّرت ذلك لنفسي مرات عديدة، إذ
يبدو أن ساقي الآن قد تجمدتا.

76 وصلنا إلى حيث ينتهي الدرج.
وسرعان ما صرنا على الدرجة العليا
مثل سفينة نصفُها غارق في الماء.

79 انتظرت ورأسي يميل جانباً،
أن أسمع أي صوت يكشف لنا طبيعة
الإفريز الجديد. ثم التفتّ إلى مرشدي

82 قلت: «لابدّ أن نمكث هنا
فحدثني أيها الأب المعزّى في هذه الفترة
وقل أي دَنَسٍ يُنَظَّفُ هنا؟ قال:

85 «حبُّ الخير الذي يتراخى في النفوس
في الحياة الدنيا هو الذي يتطهّر هنا.
هنا المتقاعس يزيد من ضربات مجذافه.

88 لكن أراك شغوفاً أن تعرف الطريقة
فاستمعْ جيداً لكلماتي، وبذلك
سوف تجني ثمار الخير من التأخر».

91 وبدأ: «يا بني لا الخالق ولا حتى
المخلوق يكون بلا حب ـ طبيعي أو

https://jadidpdf.com

حب عقلي ـ وأنت تعرف هذا.

94 الحبُّ الطبيعي لايرتكب خطأ.
الحب العقلي الموجَّه يخطئ إما بالهدف
أو بالحماسة الشديدة أو الخفيفة.

97 فعندما يهفو إلى الخير الأبدي
ويحصر رغبته في الخير الثانوي في العقلِ
فإن هذا الحب لايقترف مسرّاتٍ خاطئة.

100 لكن عندما ينقلب إلى شيء، أو يظهر
غيرة شديدة أو خفيفة أكثر مما يطلبه الخير
فإن المخلوق ينقلب ضد خالقه.

103 فافهمْ أن الحب وحده
هو البذرة الحقيقية لكل مناقبك
ولكل الأفعال التي تكفّر عنها.

106 وبما أن الحب لايمكن أن يتخلى
عن نيّة الخير للذات التي تحب، فإن كل الأشياء
تحميها طبيعتها من كراهية الذات.

109 وبما أنه لايوجد كائن يعيش وحيداً
منفصلاً عن «الكينونة الأولى» فإن كل
الكائنات، بطبيعتها، تحتاج إلى قوة لتكره الله.

112 فإذا حلّلتَ حقيقة الأشياء، فإن الشر
الذي يحبه الإنسان إنما يحبه لجاره. ولهذا

https://jadidpdf.com

فللحبّ الشرير في الحياة الدنيا ثلاثةُ مصادر.

115 بعضهم يرى: أن تقدمه إلى الأمام
مرتبط بسقوط جاره، لذلك يتشوق
إلى رؤيته مسحوقاً، بعيداً عن السماء.

118 بعضهم يخشى أن تتأثر قوته ومكانته
وشرفه وشهرته بارتقاء الآخر، فيغار
من غيره ويتمنى خرابه وعاره.

121 وبعضهم يستشيط غضباً، فلا
يستقر في عقله إلّا الانتقام،
فيصبح أذى الجار رغبةً جارفة.

124 هذه الأوجه الثلاثة للحب موجودة
في الأفاريز التي تحتنا حيث تتطهر نفوسهم.
الوجوه الأخرى الخيّرة سوف أوضّحها:

127 فالناس ـ وإن بطريقة مبهمة ـ يفهمون
الخير الذي تستكين نفوسهم إليه، وترغب فيه،
وكل واحد يريد الوصول إلى الهدف الذي اختاره.

130 فإن رحت ترى الخير أو تتابعه، بحب
وخير، ففي هذا الإفريز ـ بعد توبتك ـ
سوف ترثي له أيّما رثاء.

133 هناك خيرٌ آخر يأتي بثمار رديئة:
إنه ليس السعادة، ولا الجوهر الحقيقي

https://jadidpdf.com

للخير الأبدي: لاجذراً ولا ثمراً.

136 الحب الذي يعطي مرير الثمر
سوف تجده يتطهر فوقنا في ثلاثة كورنيشات.
أما الطريقةُ التي يمكن أن يُفهَمَ بها كشيء ثلاثي

139 فلن أشرحها. أنت بنفسكَ سوف تعرفها».

الملاحظات:

3 ـ كما يرى الخلد بجلده: اعتقاد ساد في العصور الوسطى وهو أن غطاء عيني الخلد عبارة عن جلد فيه ذاكرة هي التي تبصر.

9 ـ في الغروب تقريباً: غروب اثنين الباعود، اليوم الثاني على الجبل.

10 ـ بمتابعة: يده على كتف فرجيل في العتم ـ لكن الآن في النهار يستطيع أن يتابع خطوات فرجيل.

19 ـ لجام الغضب: ثلاث رؤى. الأولى من 19 ـ 21 تتحدث عن بروكني التي قتلت ابنها في فورة غضب. والطائر الذي يبتهج جداً في تغريده هو العندليب، وهو الطير الذي تحولت إليه بروكني. ولمعرفة قصتها ارجع إلى النشيد التاسع: 15 ، وإلى الملاحظة المتعلقة بهذا البيت. والرؤيا الثانية هي صلب هامان وزير الملك الفارسي الذي كافح اليهود فكادت له أستير (سفر أستير). والرؤيا الثالثة هي قتل أماتا لنفسها في ساعة غضبها (الأنيادة 12: 595). ولافينا هي ابنة ملك اللايتانيين خطبت لتيرنوس، الملك المجاور. اندلعت الحرب بين تيرنوس وإنياس. تمنت الملكة أماتا، أم لافينا، أن ينتصر تيرنوس. وحين وصلت شائعة تقول إن تيرنوس قُتل شنقت نفسها غضباً.

47 ـ صوت جديد: صوت الوداعة.

60 ـ يرى الحاجة وينتظر التوسل: أي عندما يرى الإنسان حاجة صديقه ولايلبيها، بل ينتظر حتى يطلبها منه صديقه، يكون نصف رافض. والرافض الكلي هو الذي لاينفذ حتى بعد التوسل.

67 ـ جانحاً يرف على وجهي: غفرت خطيئته الثانية بالطريقة التي غفرت بها خطيئته الأولى، لافرق سوى أن الأولى مسحت مسحاً، بينما الثانية غفرت برقّة جناح.

85 ـ التقاعس: SLOTH: أو التراخي هي الخطيئة المركزية لأن فوقها ثلاثاً

https://jadidpdf.com

وتحتها ثلاثاً. والتراخي أو التقاعس من أخطر أمراض القرن العشرين. ويطلق عليها باليونانية أسيديا ACEDIA وهي رؤية الخير من دون القيام به. وعندما نقول «عمل الخير» فإن المقصود أن عائده يكون على الآخر وليس على الذات.

97 ـ الخير الأبدي: الله.

106 ـ بما أن الحب...: هذه النظرية للقديس توما الأكويني.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن عشر

الكورنيش الرابع — المتقاعسون

سوط التقاعس

لجام التقاعس

الحكاية: يتابع فرجيل حديثه عن الحب، موضحاً العلاقة بين الحب والإرادة الحرة ويحذر بأن العقل محدود. أما الجواب الكامل فعند بياتريس. يرى دانتي المتقاعسين وهم الذين يتخلفون عن فعل الخير لغيرهم، وليسوا بالضرورة كسالى. الكسول هو غير النشيط تجاه نفسه وتجاه الآخرين، أما المتقاعس فهو من لايفعل الخير للآخرين وعكسه الغيري. ويختار لسوط التقاعس مثالين، مريم العذراء وقيصر. ويختار للجام التقاعس: الإسرائيليين في الصحراء، ورفاق إنياس المتخلفين في صقلية. ويمتلئ رأس دانتي بالأفكار التي تتحول إلى حلم. وهذه بارقة نفسية تشير إلى دور الأفكار في تكوين الأحلام.

1 بعد أن أنهى معلّمي المحبوبُ
شرحه عن الحب تفحص وجهي
فيما إذا كنتُ مقتنعاً

4 لكن تعطّشي للإطلاع تجدّد
ولم أقلْ شيئاً، فكرتُ: «ربما كان

https://jadidpdf.com

ضجِراً مما طرحته عليه من أسئلة».

7 لكن هذا الأبَ الحقيقي تلمس عطشي
وكذلك خوفي من الإفصاح عنه،
فحثّني على أن أكون المتكلم الأول.

10 قلت: «سيدي صار نظري على ضوء
ما شرحْتَ نظراً جَديداً، فأرى بوضوح
كل ما شرحته وقلته لي.

13 ولكن أيها الأب الكريم، حدثني
أكثر عن ذلك الحب الذي قلت
إنه منبع كل أفعال الخير والشر».

16 قال: «ركّزْ فكرك تماماً على
ما أقول، وسوف يتضح لك
خطأ الأعمى الذي يقود أعمى.

19 النفس، لكونها تخلق الميل إلى الحب،
تندفعُ شرهةً إلى كل ما يمتعها
كما أن المتعة تحرضها على الاندفاع.

22 فمما هو واقعيٌ يكوّن عقلك شكلاً
ينفلش في داخلك. ذلك الشكل
يجذب اهتمام العقل.

25 فإذا غاص العقل نحوه، فإن
تلك القوة التي تدعوه تسمى: الحبُ، وهكذا

https://jadidpdf.com

في داخلك، ضمن المتعة، يتشكل ميل طبيعي جديد.

28 وكما تتشوق النار إلى الارتفاع في الهواء
لكون الطبيعة قد جعلتها تتشكل
في عناصرها على أساس الارتفاع إلى فوق،

31 كذلك الحب، الذي هو حركة روحية،
يملأ النفس الأسيرة، ولايمكن أن
يستكين إلا إذا واصلت النفسُ المحبوبَ.

34 أظنك الآن فهمت كيف أن
هؤلاء الذين يدَّعون أن أيَّ حب
هو خير، غير محقين إلا قليلاً.

37 ومع أن جوهر الحب دائماً يظهر
بأنه خير فليس كلُّ ختمٍ جيداً
وواضحاً، ولو صُنع من أجود الشموع».

40 قلت: «كلماتك وعقلي المتشوق
كشفاً لي تماماً ما هو الحب، ولكن هناك
الآن شكّاً يساور نفسي:

43 فإذا كان الحب ينبثق من خارج دائرة إرادة
النفس التي هُيئت للحب، فما ميزة
حب الخير، وما مذمّة حب الشر؟».

46 قال: «سأجيبك بقدر ما يستطيع
العقل. الباقي اسألْ عنه بياتريس

https://jadidpdf.com

فالجواب يكمن داخل أسرار الإيمان.

49 إن أيَّ شكل جوهري يتميز من المادة
ومع ذلك يتّحد معها بطريقة من الطرق
وله سلطة نوعية عليها. هذه السلطة

52 لاتُدركُ إلا إذا قدّمت
برهاناً على عملها ونتائجها ـ
كما تدلّ الأوراق على النبات.

55 ولذا ليس هناك إنسان يعرف متى
ينبثق نور علمه الأول، ولا
الاندفاع الأولي الذي ينبثق

58 من داخلك، مثلما تنبثق داخل النحلة
غريزة صنع العسل، ومثل هذه الغرائز،
بحد ذاتها، لاتُقدح ولاتُمدح.

61 والآن، كلّ الإرادات المتأخرة، وهذه
النزعة الأولى، يمكن أن تنمو، فالمستشار الداخلي
لعقلك يجب أن يقف حارساً على باب القبول.

64 هذا هو المبدأ الذي يجعل طلباتك
شرعية، وفقاً لحصاد وتذرية
الحب الصالح أو الطالح فيك.

67 ذانِك السيدان اللذان يعلّلان خطة الطبيعة
يحتقران هذه الحرية الداخلية، ولذلك

https://jadidpdf.com

تركوا علم الأخلاق يرشد الإنسان.

70 أو اتّجها هكذا: إن كل حبّ
يشتعل فيك، ينبثق من الضرورة،
ولكن فيك الثورة التي تختبر تأرجحه.

73 هذه القوى النبيلة ستقول عنها
بياتريس «الإرادة الحرة» فاحتفظ
بهذا المصطلح حتى تصعد إلى بياتريس».

76 اقترب منتصف الليل والقمر الذي تأخر
ظهوره، مثل قادوس النحاس الذي نظفته النار،
أخفى النجوم الصغيرة، التي راحت تبهت.

79 إنه يسير على طريقه المحمرّ، بينما الشمس
تلتهب حين ينظر إليها الرومان بين
سردينيا وكورسيكا، آوية إلى مستقرها.

82 إن ذاك الذي جعل بتولا تشرق
فوق كل المدن المنتوية، قد أراحني
من العبء الذي ألقيته عليه في شرح الحب.

85 أما أنا، الذي سررت في العثور
على الإجابات الواضحة الصريحة عن أسئلتي
فرحت أترنح، كأنّ السكْر أصاب عقلي.

88 لكن فجأة استيقظت على مجموعة
من الناس تركض نحونا، غوغاء

https://jadidpdf.com

تدور خلفي حول الجبل:

91 مثلما طافت مرة الحشودُ الوحشية ليلاً
على طول ضفتي أسمينوس وأسوبوس
عندما كان أهل طيبة يستنجدون بقوة باخوس.

94 بمثل هذا الجنون، من بعيد جداً، اندفع
هؤلاء بإرادتهم الطيبة وحبّهم الجارف
منحنين كالمناجل على الكورنيش باتجاهي.

97 وصلوا إلينا بسرعة لأن كل السائرين
كانوا يسرعون، وفي المقدمة
روحان يذرفان الدموع ويصيحان:

100 قال أحدهما: «يا مريمُ اهربي إلى التلال»
والآخر: «يا قيصر اذهب واخضع ليردا.
حاصرْ مرسيليا وانطلق إلى إسبانيا».

103 صاح الذين جاؤوا مؤخراً: «أسرعْ.
إذا أبطأت في الحب ضيَّعتَ الوقت،
كافحْ فقد تزهر النعمة في الأعلى».

106 «أيتها النفوس يا من تدفئكم الغيرة الآن
إلى التحرر من التواني والتأخر اللذين
أحبطا إرادتكما عن الخير في الحياة الدنيا.

109 إن هذا الإنسان حيٌّ ـ فعلاً ـ وحالما
يشرق فجر يوم جديد، سوف يتسلق. أرجوكم

https://jadidpdf.com

أرشدوه كيف يصل إلى المعبر من أقرب طريق».

112 هكذا تكلم سيدي، وكان واحد يركض
فأجاب من دون أن يتمهل خطوة واحدة:
«اتبعنا، وسوف تجد النفق.

115 إن إرادة الحركة تشحننا بالسرعة
فلا نستطيع التوقف، فالعذر منك
إن ظهرنا غير لطفاء.

118 كنت رئيس دير سان زينون في عهد
الطيب الذكر الإمبراطور فريدريك بربا روس
الذي مايزال الميلانيون يتحدثون عنه بألم

121 وآخر وضع الآن قدماً في القبر
سيريق الدموع لذلك الدير
وسيندم على كل مطلبٍ شرّ طلبه

124 لأنه وضع ابنه ـ الأشوة جسماً
والأبله عقلاً، وابن الزنى مولداً ـ
رئيساً فعلياً للأبرشية.

127 وبهذا العمل تركنا جميعاً خلفه،
حتى إنه إذا ما قال المزيد ضاع أكثر:
ولكني كنت مسروراً في الاحتفاظ بهذا».

130 سندي الكبير الذي لايخطئ قال:
«التفتْ هناك، انظرْ حيث اثنان

https://jadidpdf.com

آخران آتيان يرفعان سوط التقاعس».

133 صرخ واحد من آخر الرتل الراكض: «الذين
انشقَّ البحر الأحمر من أجل عبورهم
سوف يموتون قبل أن يروا نهر الأردن».

136 قال آخر: «هؤلاء الذين يجدون مشقة
كبرى في تكملة الطريق مع ابن أنخيس
حذفوا من حياتهم كل ما هو مجيد ورائع».

139 فلما ابتعدت هذه الظلال أمامنا
حتى لم أعد أرى أيّ أثر لهم
طرأت على ذهني فكرة تولدت منها

142 أفكار كثيرةٌ ومختلفة وزاحفة
ظلت تدور وتدور داخلها ذاتها بطرق
عدة، فأغلقتُ عيني، فإذا

145 تلك الفكرةُ تتحول إلى حلم.

الملاحظات:

18 ـ الأعمى الذي يقود أعمى: الأبيقوريون وتلاميذهم.

19 ـ شرح فرجيل للحب تمّ على ثلاث مراحل من 22 ـ 24 ومن 25 ـ 27 ومن 28 ـ 33.

49 ـ شكل جوهري: اصطلاح مدرسي هو «جوهر الشيء».

67 ـ السيدان: هما أرسطو وأفلاطون.

75 ـ إلى بياتريس: ستناقشه بياتريس في الفردوس 5: 19

82 ـ بتولا: قرية قرب مانتوا والأرجح أنها مسقط رأس فرجيل وليس مانتوا، لذلك «تشع على بقية المدن».

https://jadidpdf.com

91 ـ أسمينوس وأسوبوس: نهران من بوتيا.

96 ـ منحنين كالمناجل: بسبب سرعتهم إلى الأمام.

100 ـ سوط التقاعس: الأول ذهاب مريم إلى اليصابات في بلاد اليهودية الوعرة بعد البشارة (لوقا: 39) والثاني غزو قيصر لليردا، فحاصر مرسيليا ووضع القائد بروتس هناك ثم ذهب إلى ليردا. المثال الأول روحي والمثال الثاني دنيوي.

119 ـ فريدريك برباروس: امبراطور من 1152 ـ 1190 يسميه دانتي الطيب الذكر لأنه وقف ضد البابا. استولى على ميلانو 1163 فهدم أسوارها وأحرق المدينة وحرث خرائبها وبذر أرضها.

121 ـ وضع قدماً في القبر: صار في أواخر عمره.

130 ـ لجام التقاعس: مثالان عن الخطاة. الأول من التاريخ الديني، وهو تيه الإسرائيليين في الصحراء لأنهم تقاعسوا ولم يسمعوا كلام موسى، فلم ير أرض الميعاد منهم إلا اثنان (خروج 14: 10 ـ 20)، والمثال الثاني مأخوذ من التاريخ الدنيوي، وهو تقاعس أنصار إنياس عن نصرته، فظلوا في صقلية وفاتهم المجد الذي حققه.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع عشر

الكورنيش الرابع	حلم دانتي عن سيرين
الصعود	ملاك الغيرة
الكورنيش الخامس	الجشعون والمبذرون

الحكاية: قبيل الفجر يحلم دانتي بسيرين (رمز الدنيا) التي تغاوي نفوس الرجال إلى الشهوات الدنيوية. تتخفى في شكلها المخادع وتغوي. تسرع سيدة السماء وتنادي فرجيل وتطلب منه أن يطرد سيرين بجسدها القذر. يستيقظ دانتي فإذا فرجيل يطالبه باستئناف الرحلة. ويدلّهم ملاك الغيرة على الممر، ويصلان إلى الكورنيش الخامس، حيث الجشعون والمبذرون. ويحادث روح البابا أدريان فيتركه الأخير ليتابع تطهره، لكنه يوصيه أن يطلب من ابنة أخته ألاجيا أن تصلي من أجل روحه.

1 في الساعة التي تعجز حرارة النهار أن
تدفئ برودة القمر، لأن برودة
الأرض، أو برودة زحل، أقوى بكثير،

4 حين يتطلع البرّاجون شرقاً ويرون برج
الحظِّ الأكبر يتهادى عالياً في قبّة
السماء حيث تعجز أن تبسطَ سيادتها

https://jadidpdf.com

7 تهادت إلي في المنام امرأة شمطاء متلعثمة
حولاء، معوجة القدمين، مشوهة اليدين،
بشرتها مثل الحجر الأبيض المغسول.

10 حدّقت فيها، ومثلما تبعث الشمس الجديدة
الحياة في أطراف الليل المرتجفة، كذلك نظرتي
بدأت تحرّر لسانها، وعضواً عضواً

13 استقامت كلُّ تشوهاتها، والدفء
شاع في وجهها الميت إلى أن أزهرت
كما يشاء الحب. وحين استرجعت سلامتها

16 انحلّت عقدة لسانها، وطفقت تغني
بصوتٍ آسرٍ، من الصعب جداً
الإشاحة عن سماعِ توسلاتها.

19 راحت تغني: «أنا سيرين. أنا التي
بصوتي المعسَّل وبإغراءاتي الغاوية
أجعلُ البحارة يضيعون في البحر بعيداً.

22 أنا جذبت أوليس من طريق ضياعه
بأغنيتي الساحرة، وما أقلَّ الذين ذاقوا
ما يرغبون، بعضهم يرتحلون، ومعظمهم يبقون».

25 لم تكن قد أغلقت فمها حين ظهرت بجانبي
سيدةٌ قديسةٌ، مندفعةٌ ومتشوقةٌ
لإدخال الاضطراب في كبرياء سيرين.

https://jadidpdf.com

28 صاحت: «فرجيل، يا فرجيل، من هذه..؟».
وشمخت بكرامتها، فجاء فرجيل:
عيناه تعلقتا بتلك النفس المباركة.

31 جذبَ الساحرة وبمزقة واحدة
عرّى صدرها وبطنها وردفَيْها:
فاعتلّني المرض لروائحها الكريهة، استفقت

34 واستدرت، فقال لي فرجيل:
«ناديتك حتى الآن ثلاثاً. هيا انهض
ودعنا نبحث عن المدخل».

37 نهضتُ مضطرباً وانتصبت فإذا نور النهار
يضيء كل دوائر الجبل المقدس. وكانت
الشمس خلف ظهرنا عندما تابعنا طريقنا.

40 سرتُ على خطواته، وقد أحنيت جبيني
كمن راحت الأفكار ترهقه فأحنى
هامتَهُ كنصف قوس الجسر. وإذ سرنا

43 سمعت: «هيا. هنا يجب أن نتسلّق».
وقد جاءتني الكلماتُ بصوت ناعم عذب
لم أسمع مثلهُ في حياتنا الدنيوية،

46 وبجناحين مبسوطين كجناحي بجعة، دعانا
ذاك الذي تحدّث، إلى الصعود بين أسوار الصخور.
وبجناحيه المشرقين صفَّق فمَرْوَحَ

https://jadidpdf.com

49 الهواء علينا، وقال مؤكّداً:
«طوبى للحزانى، لأنهم
في السماء يُعزّون».

52 قال مرشدي: «ما الذي يؤلمك؟
ما الذي أزهقك حتى تحملق في الأرض؟»
(كنا قطعنا النقطة التي وقف عندها الملاك)

55 قلت: «إن شبحاً يسيطر على نفسي
رؤيا من حلم غريب مرعب لا أستطيع
وقف التفكير فيه».

58 قال: «أرأيت تلك الساحرة
التي تسبب بكاء هؤلاء الذين فوق؟
وهل عرفتَ كيف يتخلص منها الرجال؟

61 اضرب الأرض بقدميك احتقاراً وانظر
إلى المتعة التي يقدمها (الملك الأبدي)
لكل مداراته في السموات».

64 وكما تنظر الصقورُ إلى أقدامها إلى أن تسمع
صيحةَ الانطلاق فتقفز باسطةً أجنحتها
شوقاً للّحم الذي ينتظرها هناك،

67 هكذا فعلت: ركضت وأنا ممتلئ رغبة
فيما تبقى من طول الممر الصخري
حتى النقطة التي تبدأ منها الحلقة الكبرى.

https://jadidpdf.com

70 عندما وقفت في الإفريز الخامس ونظرت حولي
رأيت الباكين في كل مكان
متمددين ووجوههم منغمسة في الأرض.

73 «لَصِقَتْ بالتراب نفسي» هكذا سمعت كل
واحد منهم يصيح، عندما وقفت بينهم
وكل كلمة كانت تتبعها تنهيدةٌ.

76 «أيها المختارون، أيتها الأرواح التي
جعلت الطقوس الحزينة والأمل والعدالة
شيئاً يمكن احتماله، دلّونا على ممر الأعالي».

79 «إذا كنتما غير محكومين بالاضطجاع في
هذا التراب المرير، وتبحثان عن أقرب طريق
فسيرا على اليمين، ثم إلى الأمام».

82 هكذا سأل الشاعر، وهكذا جاء الجواب
من الأرض أمامنا. وقد عرفت من
طريقة الكلام ذاك المختبئ وراء الألفاظ.

85 وجَّهتُ طرفي نحو فرجيل فأعطاني
إشارةً سعيدة وسمح أن
أفعل ما طلبته عيناي. فصرْت حرّاً

88 في أن أفعل حسب مقاصدي،
فتعدّلتُ ووقفت فوق
الذي تحدث وجذب حديثه اهتمامي،

https://jadidpdf.com

91 قائلاً: «أيها الروح، يا من تذرف دموعاً
من دونها لايمكن لنفس أن تصل إلى السماء،
توقف لحظة، وإني لأرجو أن تهتم بي

94 وتخبرني من كنت في الدنيا؟ ولماذا تضطجع؟
وماإذا كان هناك سبيلٌ أخدمك به
في العالم الذي تركته بلحمي وعظمي».

97 قال: «لماذا جعلتنا السماء نديرُ ظهورنا؟
سأخبركَ. ولكن أولاً وقبل كل
شيء، اعلم أنني خليفة بطرس.

100 بين سيستري وشيافيري ينساب
هناك في أرض جميلة، نهرٌ عذبٌ
من اسمهِ اتخذنا اسمنا.

103 شهرٌ أو أكثر قليلاً، عرفتُ أي
ثقل في بردة البابوية، وكم
ترهقُ ذاك الذي يصونها من المستنقع.

106 للأسف لم يتغير قلبي إلا أخيراً.
ولكن عندما وقفت في قمة الطموح
راعياً لروما، عرفتُ رخصَ الحياة الدنيا.

109 هناك قلبي لم يعرف راحةً، ومن الكفاح لم أسترح
ولايمكن لروح يمسكها الجسد أن ترتفع إلى الذروة
ولهذا صرت أحب الحياة الآخرة.

https://jadidpdf.com

112 كانتْ روحي بعيدةً عن الله حتى تلك اللحظة
فكنت أحتجن كل ما يصل إليّ
تلك هي خطيئتي التي أعاقَبُ عليها الآن.

115 إن طبيعة الجشع تنفضح هناك في طبيعة
العقاب، فلا يوجد في كل هذا الجبل
عقاب أشد من عقاب هذه الخطيئة.

118 لن نرفع أعيننا إلى المدارات المشرقة،
بل نوجهها إلى الأشياء الدنيوية: فالعدل
يوجههم إلى الأرض، مكان الدموع.

121 لقد قضى الجشع على كل مسرّة نفوسِنا
فلم تعد أعمالنا تهدف إلى الخير،
وهكذا هنا فعلتْ بنا قبضة العدالة،

124 فأوثقت أيدينا وأقدامنا، واضطجعنا
ممددين بلا حراك، وسنمكث هنا
حسب مزاج أبينا الذي في السموات».

127 ركعت أمامه، وتحدثت
وقد شعر بصدق كلامي
وأدرك احترامي. قال:«لماذا تجثو

130 على ركبتيك في هذا التراب؟».
فقلت: «ضميري يعذبني لوقوفي
في حضرة سيادتك، في حضرة كرامتك».

https://jadidpdf.com

133 قال: «على ساقيك انتصبْ، ومن
خطاياك انهض أيها الأخ، أنا مثلك
ومثل الآخرين، خادمٌ مخلصٌ للامبراطور

136 لقد جاء في الأسفار المقدسة: لايزوجون.
فإن فهمت ذاك النص المقدس
فسيكون سببُ حديثي معك واضحاً.

139 والآن سرْ في دربك: أريد أن أكون وحيداً.
وجودك هنا يقلل سفح دموعي التي تطهرني.
أما رداً على سؤالكَ الأخير فأقول:

142 ألاجيا، ابنةُ أختي ماتزال في الأرض.
قل لها أن تتجنب القدوة السيئة في
أسرتنا، إن بساطة خُلُقِها ستقودها إلى

145 طريق النعمة. ولم يبق لي غيرها في الدنيا».

الرموز والصور:

الكورنيش الخامس: ترددنا في تسمية سكان هذا الكورنيش بسبب إشكالات لغوية. فالكلمة الإيطالية لها مترادفات كثيرة في الانكليزية، فبعض الترجمات يجعلهم AVARICES وبعضها يجعلهم HOARDERS وبعضها يجعلهمCOVETOUS وكلها مترادفات تدل على البخل والحرص والطمع... الخ فاخترنا اسم «الجشعون» أي الذين يريدون الاستيلاء على ما في يد الآخرين، سواء يفيدهم أو لا يفيدهم، وبعد أن يصبح معهم يكتنزونه ولايستخدمونه. هذا ما قصدناه من معنى «الجشع» ونظن أن هذا ما أراده دانتي بدلالة حلمه.

حلم دانتي: هو الحلم الثاني والأصعب في الكوميديا. وقد اختلف المفسرون والمؤولون فيه. لن نعرض خلافاتهم، سنكتفي برأينا الخاص.

نرى أن سيرين الساحرة الغاوية القديمة ترمز إلى الدنيا. والدليل أنه رآها

https://jadidpdf.com

أول الأمر قبيحة، لكن الجشع الذي يكمن داخل دانتي (الإنسان) يجعل أقذر الأشياء يبدو جميلاً. ولما صارت سيرين جميلة نزلت سيدة من السماء، بياتريس (الأخلاق المثالية) وطلبت من فرجيل (العقل) أن يفضح هذا الجمال الزائف، فانبعثت الروائح الكريهة من سيرين، أجمل الساحرات. لماذا اختار سيرين؟ لأنها الأقدم والأجمل. وكذلك الدنيا، فمنذ القديم والإنسان يحول قباحتها بجشعه إلى جمال، ثم يسعى وراءها.

أدريان: صورة مخيفة قدمها دانتي. بابا يرى متاهات البابوية فيتخلى عنها، وكان متلافاً يبذر كل ما تصل إليه يده. وقد عوقب لأنه تخلى ولأنه بذّر. وتضعنا هذه الشخصية في حيرة: كيف يتصرف الإنسان؟ أليس مداناً مهما كان تصرفه؟ ليس هذا وحسب، بل إن الأخرويات لاقانون لها، ففي المطهر لاتعرف قانون عقوبات خطيئتك. فأدريان يقول لدانتي: ... سنمكث هنا حسب مزاج أبينا الذي في السموات.

الملاحظات:

1 ـ في الساعة التي: الفجر.

3 ـ برودة الأرض: اعتقاد ساد في العصور الوسطى أن القمر يستمد نوره من الأرض.

5 ـ الحظ الأكبر: برج يتكون من نجوم آخر برج الدلو وأول برج الحوت.

22 ـ أنا جذبت أوليس: أولاً: ليس اسم الساحرة سيرين ولاسيرينا، لكن دانتي هو الذي ابتكر هذا الاسم. والسيرينات سكان جزيرة يجذبن البحارة بصوتهن. ثانياً: مرّ أوليس قرب جزيرة السيرينات فصب الشمع في آذان بحارته، وربط نفسه إلى السارية، فلم تجذبه سيرين ولاسيرينا.

47 ـ ذاك الذي تحدث: ملاك الغيرة.

49 ـ عندما يرف الملاك بجناحيه يعني أن هناك خطيئة قد غفرت. وهذه هي الخطيئة الرابعة.

50 ـ طوبى للحزانى: طوباوية (متى 5: 5)

73 ـ لصقت بالتراب نفسي: مزمور 119 .

99 ـ خليفة بطرس: البابا أدريان الخامس.

100 ـ بين سيستري وشيافيري: اسم مدينتين.

100 ـ ينساب: المقصود نهر لافانا.

136 ـ لايزوجون: كلمة للمسيح عندما سئل: من سيتزوج الأرملة في السماء؟ فقال: هناك لايزوجون ولايتزوجون (متى 12: 30).

https://jadidpdf.com

النشيد العشرون

الكورنيش الخامس الجشعون والمبذرون

سوط الجشع

لجام الجشع

الحكاية: أذعن دانتي للبابا أدريان في إكمال تطهره، وكان يود متابعة الحديث. وأخيراً عثر الشاعران على الإفريز وقد غص بالجشعين. ويسمع دانتي روحاً تصدح بابتهال وتسابيح لمريم وفابريشوس والقديس نقولا (سوط الجشع) فيعرف الخاطئ بنفسه: إنه هوغ كابيت. يتحدث عن انحطاط أسرته. ولجام الجشع عبارة عن سبعة أمثلة عن انحطاط الجشعين. وقبل مغادرة كابيت يشعر أن الجبل أصيب بزلزال أرضي، ويسمع التائبين الراكضين يرتلون أنشودة «المجد لله في العلى». يسير الشاعران بأقصى سرعة، لكن دانتي يظل مشغول البال حول الظواهر الجديدة.

1 لابد للإرادة من أن تخضع لإرادة أخرى
وهكذا فعلت، فحتى أرضيه تركت الرضى
وسحبتُ من الماء إسفنجتي وهي غيرُ مشبعة.

4 سرتُ وكذلك سار مرشدي حيث
يسمح لنا المكان الفارغ، في محاذاة

https://jadidpdf.com

الصخرة، كمن يحاذي الدرابزين وهو على السور،

7 لأن الذين يذرفون الدمعَ من عيونهم
قطرةً قطرة تكفيراً عن خطيئة التهمت
العالم، اضطجعوا على الجانب الخارجي قرب الحافة.

10 عليكِ اللعنة أيتها الذئبة النهمة
ضحاياك أكثر من كل فرائس الوحوش
فلا قاع لرغائبك الشّرهة.

13 وأنت أيتها السمواتُ، يا من تهيمنين ـ كما
يقول بعضهم ـ على حظوظ كل العالم الأرضي،
متى يأتي ذاك الذي يطاردها ويطردها بعيداً.

16 تقدمنا بخطوات موزونةٍ وبطيئةٍ
لكن كل أفكاري تركزت في تلك الظلال
فقد أشجَتني مراثيهم ودمع مآقيهم.

19 كنا نمشي فسمعت صرخة من الأرض
أمامنا: «مباركةٌ أنت يا مريم» مع
عويلٍ كعويل المرأة عند المخاض.

22 قال الصوتُ متابعاً: «إن كل الناس
يعرفون كم كنت فقيرةً عندما وضعتِ
في المزود طفلك المقدس».

25 ثم «يا فابريشوس الطيب. مرتين
رفضت ثروةً عظيمة كانت تلوّثُ شرفكَ

https://jadidpdf.com

واخترت أن تعيشَ في فقرٍ بلا خطيئة».

28 سررْت لهذه الكلمات فاقتربت
من المكان الذي ظننتها صدرتْ منه
متشوقاً لمعرفة الروح التي اضطجعتْ هناك.

31 كان الصوت يتحدث عن سخاء القديس
نقولا الذي بذله للعذارى الثلاث
ليرشدهُنّ إلى حياة الفضيلة.

34 قلت: «أيها الروح الذي كلماته تدعو إلى الخير
أرجو أن تخبرني من كنت في الدنيا، ولماذا
لايشاركك أحد في مدائح التسبيح الرفيعة.

37 إذا عدت لإكمال السُبات القصير المتبقي
لي في تلك الحياة التي سريعاً ما تنتهي
فإن كلماتك لن تمرّ بلا مكافأة».

40 قال: «إني أجيبك لا لمكافأةٍ من
العالم، بل لأن نور النعمة
يشع منك في حياتك:

43 كنت جذر شجرة خبيثة
مدت ظلها على دنيا المسيحية ولم تعد
الأرض تعطي ثماراً طيبة إلا نادراً.

46 ولكن إذا استعاد دويه وليل وبريجس
وغينت قوتهم، فإن انتقامهم سيكون عاصفاً.

https://jadidpdf.com

وذلك ما أصلي من أجله لملك الدينونة.

49 كنتُ هوغ كابيت في حالتي الدنيوية
ومني انحدر كل «فيليب» وكل «لويس»
الذين استولوا مؤخراً على عرش فرنسا.

52 في باريس ولدت وأبي كان جزاراً. وعندما
انتهت السلالة القديمة للملوك إلى الوارث
الأخير، الذي يلبس بزة راهبٍ رماديةً،

55 وجدت أني أمسك تماماً في يدي
زمام الدولة، وأن ثروتي الجديدة
منحتني السلطة، وحلفاء تحت أمرتي

58 حتى أن رأس ابني بكل افتخارٍ
وقدسية تطاول إلى تاج فرنسا المترمِّلِ
ومنه انحدرتْ هذه السلالة.

61 وبما أن الدوطة الكبيرة لبروفنس
ضاعفتْ سلالتي ففقدت الإحساس بالعار
فإنها تُلام قليلاً وليس كثيراً.

64 فقد ساروا في طريق السرقة بالقوة
والخديعة، ثم استولوا على نورماندي
وبونتيوس وغاسكون، لإجراء تعديلات.

67 جاء شارل آخر إلى إيطاليا، ولإجراء تعديلات
ذبح كونرادين، ثم رحّل سان توماس

https://jadidpdf.com

إلى السماء، لا لشيء وإنما لإجراء تعديلات.

70 إني أرى زمناً، ليس بعيداً، سوف يأتي
شارل آخر من فرنسا. وسوف ينكشف
للكثيرين كم يساوي هو وكل ما يملك.

73 وحيداً يقبل، لا سلاح بيده إلا رمح
يهوذا، الذي يطعن به غير راحمٍ
بطن فلورنسا فيبقره بضربة.

76 لن يكسب أرضاً، سيكسب خطيئة وعاراً
والأسوأ أنه يقترف مثل هذه
الجرائم ثم يتخفف من العار الذي لحق به.

79 شارل ثالث، حالما أُسر من سفينته على الأمواج
راح يبيع ابنته، ويدلل عليها
مثل أي قرصان يبيع امرأةً أَمَةً.

82 أيها الجشع، ماذا بقي عندك من أذى؟
لقد جعلت كل أحفادي يبيعون
لك لحمهم ودمهم. باعوك أبناءهم.

85 ومهما قلّلْنا من وقع الجرائم، ما وقع وما سيقع،
فإني أرى «زنبقة» فرنسا تقتحم سياج ألانا
والمسيح يصبح سجيناً في سجنٍ كاهنه،

88 أراهُ تعرّض للسخرية والصلب مرة ثانية،
وجرعوه الخلّ والزيت مرة أخرى.

https://jadidpdf.com

لقد مات ثانية بين لِصّين حيّين.

91 وأرى بيلاطس آخر مليئاً بالقسوة،
وبالقسوة لم يقنع، بل أدخل راياته
الجشعة إلى المعبد بلا حقّ ولا شرعية.

94 أيها السيد، متى تبتهج روحي
برؤية عقابك ـ المتواري في إرادتك
الخفية ـ يلطّفُ من غضبك؟

97 إن ما سمعته مني في عروس
الروح القدس ـ الصيحةُ
التي جعلتك تطلب إيضاحاً ـ

100 ليست سوى ابتهالٍ نضيفه إلى كل صلاة
طالما هناك نهار. لكن عندما تغيب الشمس
نطلقُ صيحةً مضادةً في هواء الليل.

103 ثم نتفجّع عندما نذكر بجماليون القديم
وكيف دفعه انجرافه المريض إلى الذهب
كي يصبح خائناً ولصاً قاتلاً.

106 وكيف عانى ميداس عندما استجيبت
صلاته البائسةُ وأصبح بعد الأسطورة
مثال اليائس المضحك إلى الأبد.

109 ثم عرفنا كيف سرق عخّان
الجشع من الغنائم، فاستشاط

https://jadidpdf.com

غضب يشوع وعاقبه ـ هكذا بدا لنا.

112 نصرخُ عندما نسمع بعار سفيرة وزوجها
ونمتدح الحوافر التي رفست هليودورس
وحول الإفريز يدور اسم بوليمنستر،

115 ملطخاً دائماً بدم بوليدوروس.
ثم رتلنا صائحين بابتهال: كراسوس
أنت خبرْتَ الذهب، فهل مذاقه طيّب؟

118 إننا نقول أو نهمسُ في ندامتنا الطويلة
حسبَ الدافع الداخلي الذي يحثّنا أحياناً
بقوة عظيمة، وأحياناً بضعف.

121 فلست الوحيد الذي يمدح الخير
الذي نعرفه في النهار،
ولكني الوحيد الذي يرفع صوته».

124 كنا قد تركناه لصلواته
لنأخذَ طريقنا عبر الصخور
مسرعين لنقطعَ بقية المسافة،

127 عندما شعرتُ فجأة بالجبل يزلزلُ
كما لو أنه يتهادى. وقد تملكني شعور الرعب
كشعور من يمشي إلى خازوق المحرقة.

130 إن هذه الهزّة المريعة
لم تعرفها حتى ديلوس قبل أن

https://jadidpdf.com

تلد لاتونا من رحمها عيني السماء.

133 وارتفعت صيحة عاليةٌ من كل جانب
حتى أن معلمي الطيّب تنحى
جانباً وقال: «لاتخف مازلتُ مرشدك».

136 وانطلقت ترنيمة «المجد لله في العلى»
من كل حنجرة ـ كما فهمت من أولئك
القريبين، الذين التقطتُ كلماتهم.

139 وقفنا هناك بغير حراك، بنفسٍ شَكوك
ـ مثل الرعاة الذين سمعوا الترنيمة لأول مرة.
إلى أن استقرّت الأرض وانتهت الترنيمة.

142 ثم استأنفنا السير على طريقنا المقدس
نتفحص الأرواحَ الساجدة التي عادت
إلى استئناف نواحها ومراثيها كالسابق.

145 لم أشعرْ بنفسي محاصرة ـ إن لم
تخني الذاكرة ـ كما شعرت في
الصراع بين جهلي ومعرفتي:

148 لم أسأل بسبب سرعتنا عن
تفسير الهزة والصراخ
ولم أستطعْ أن أنظر حولي لأرى

151 مفتاحَ ما استغلق علي، فسرت
جزع الفؤاد مهموماً.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

1 ـ أرضيه: أي أرض أدريان.

10 ـ الذئبة: انظر الجحيم 1: 33 .

20 ـ سوط الجشع: يقدم دانتي ثلاثة أمثلة ضد الجشع. والسوط على شكل صراخ في النهار. أما لجام الجشع ففي الليل. وبذلك تتم العملية التطهرية. ابتهالهم مأخوذ من المزمور 119 (راجع النشيد 19: 73) «لصقت بالتراب نفسي». فعملية التطهر تستمر ليلاً نهاراً. المثال الأول لسوط الجشع هو مديح فقر مريم العذراء التي ولدت المسيح في مزود، فتحققت لها النعمة رغم هذا الفقر الشديد.

25 ـ 27: المثال الثاني هو فابريشوس القنصل الروماني 282 ق.م فقد رفض هبات تقدم عادة لمنصبه ومات فقيراً، حتى إن الدولة قامت بدفنه على نفقتها، ودفعت دوطة ابنته.

31 ـ 33 ـ المثال الثالث هو القديس نقولا مطران ميرا في ليشا، وقد ولد غنياً لكنه وزع مايملك على الفقراء. وقد وصل الأمر بأحد النبلاء المحبين الذين أصابهم فقر شديد، وله ثلاث بنات، أنه لم يعد قادراً على القيام بأودهن، وكاد يدفعهن إلى الخطيئة، فلما سمع القديس نقولا رمى ثلاثة أكياس ملأى ذهباً من النافذة في ثلاث ليالٍ متتالية، ليدفع الأب الدوطات لبناته.

34 ـ هوغ كابيت: هنا يخلط دانتي بين دوق الفرنجة (توفي 956) وابنه (ملك فرنسا 986 ـ 996) ويجعلهما شخصاً واحداً.

50 ـ كل فيليب ولويس: كان كل ملوك فرنسا من 1060 ـ 1300 إما فيليب أو لويس.

52 ـ لأب جزار: يأخذ دانتي بأسطورة شعبية خاطئة وهي: إن صناعة اللحوم كانت شؤماً في القرن العاشر.

53 ـ السلالة القديمة للملوك: هي السلالة الكارولنجية.

58 ـ رأس ابني: ابنه كان روبرت الأول لكن دانتي يجعل الملك هوغ يتكلم كأنه الدوق هوغ.

60 ـ هذه السلالة: سلالة آل كابيت.

61 ـ الدوطة الكبيرة: بعد موت كونت بروفنس واسمه رموند بيرنفار تزوج لويس التاسع عشر من أكبر بناته واعتبر البروفنس دوطة.

65 ـ شارل آخر: شقيق فيليب الجميل.

79 ـ شارل ثالث: شارل الثاني (شارل الأعرج) ملك نابولي وأبوليا (1243 ـ 1309)

80 ـ يبيع ابنته: في 1305 وبعقد زواج زف ابنته الصغيرة جداً لآزو الثامن وعمره 42 سنة، فقدّم الزوج هدايا نفيسة لحميه، لكنه لم يقدم مهراً.

https://jadidpdf.com

86 ـ زنبقة فرنسا: أي ملك فرنسا، لأن ملوكها اتخذوا الزنبقة شعاراً. والحادثة هي أن فيليب الجميل تحدى البابا بونيفانسي واتهمه بالهرطقة، فأعلن البابا قرار حرمانه، فدخلت قوات فيليب ألانا ونهبت كنز الكاتدرائية وأهانت البابا (عمره 86 سنة) لكن سكان ألانا أطلقوا سراحه بعد بضعة أيام. وقد تأثر بالحادث فمات بعد ذلك. ومع أن دانتي يعتبر هذا البابا عدوه الأكبر، إلا أنه وقف ضد اعتقاله وتكبيله بالسلاسل واعتبرها أكبر جريمة. لذلك يصف الجريمة في حق البابا كأنها جريمة بحق المسيح باعتبار البابا نائبه، فيعيد المشهد كأنه المسيح: منْ صلبٍ وسخرية وخلٍ وزيت وبيلاطس... الخ.

90 ـ مات ثانية بين لصين حيين: مات المسيح بين لصين ميتين، أما البابا فمات بين لصين حيين هما دي توغاريت وكولونا.

91 ـ بيلاطس آخر: فيليب الجميل.

93 ـ أدخل راياته إلى المعبد: اقتحام فيليب للمعبد.

97 ـ لجام الجشع: يتألف من سبعة أمثلة: آ ـ بجماليون شقيق ديدو قتل الملك سخيوس في المعبد وسرق ذهبه ونفي ديدو. ب ـ ميداس: أمنيته أن يتحول كل ما يلمسه إلى ذهب، فتحول طعامه وشرابه إلى ذهب فندم. جـ ـ عخّان: استولى على كنوز المعبد فأمر يشوع برجمه (يشوع 7: 1 ـ 26) د ـ سفيرة وزوجها: أخذا شيئاً من ملكية الرسل فلما باعاها أعادا قسماً من الثمن. ولما كاشفهما بطرس سقطا ميتين (أعمال 5: 1 ـ 11) هـ ـ هيلودورس: أرسله ملك سورية لسرقة الكنز من الهيكل. ظهر له شبح حصان ورفسه (مكابيون الثاني 3 ـ 25) وبوليمنستر: ملك تراقيا وصديق بريام ملك طروادة. أرسل بريام ابنه الأصغر بوليدورس مع كنز نفيس إلى تراقيا، فما أن سقطت طروادة حتى قتله واستولى على الكنز. أمه هيكوبي انتقمت لابنها وقتلت بوليمنستر. ز ـ كراسوس: كان شريكاً في الحكم الثلاثي لروما مع قيصر وبومبي. اشتهر بقبوله للرشوة، بعد اندحاره في المعركة أخذوا رأسه إلى الملك هيرودس فصب الذهب، وسكبه في فمه، فكانت وجبته الأخيرة.

130 ـ ديلوس: هي الجزيرة التي ارتفعت عقب زلزال أو هزّة أرضية أحدثها جوبيتر لتحتمي بها لاتونا عشيقته التي كانت جونو زوجته تطاردها، لأنه بنى منها.

133 ـ تلد عيني السماء: أبولو (الشمس) وديانا (القمر) وهما ابنا لاتونا من جوبيتر.

140 ـ الرعاة الذين: هم رعاة بيت لحم. سمعوا الترنيمة لأول مرة عندما ولد المسيح فخافوا.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي والعشرون

الكورنيش الخامس الجشعون والمبذرون

ستاتيوس

الحكاية: يسرع دانتي خلف فرجيل، وفي نفسه أن يعرف سبب الهزة والصرخة. يواجهان شخصاً، يسلم عليهما ويعجب لوجودهما هنا مع أنه لايمكنهما دخول السموات. يشرح له فرجيل الأمور ويسأله تفسيراً للزلزال، فيقول: إن هذا لايحدث إلا عندما تدخل روحٌ ملكوت السموات. يكشف الشخص عن نفسه فإذا هو ستاتيوس. يسرد تاريخه على الأرض، ويختم ذلك بالقول إنه يحب مؤلفات فرجيل ويتبين أنه هو الروح التي ستذهب إلى السماء بعد انصرام خمسمئة عام في المطهر بين الجشعين. وعندما يعرف دانتي إعجابه بفرجيل، وفرجيل واقف أمامه، يبتسم فيفهم ستاتيوس ويكاد يركع لولا أن فرجيل منعه، وأقنعه أن لامكان هنا لمثل هذه السخافات الأرضية.

1 العطشُ الطبيعي الذي لايرويه شيء
إلا ماءُ المرأة السامرية الذي
طلبتهُ من معلمنا، كما يعلن يوحنا،

4 حرّقني، والسرعةُ دفعتني في الطريق الشاق
خلف مرشدي، ممتلئاً حزناً
على ما تدفعه الأرواحُ ثمناً لآثمها،

https://jadidpdf.com

7 وفجأة ـ كما يخبرنا لوقا أن
المسيح الذي قام من القبر، ظهر
على الطريق لعابري السبيل ـ وحالما

10 سرنا هناك برأسين محنيَيْن حتى لا
نطأ على روح، ظهر خلفنا ظلّ
ولم نشعر بحضوره حتى قال لنا:

13 «أيها الأخوان سلام الله عليكما» فالتفتُّ
أنا ومرشدي بسرعة نحو صوته، وبإشارة
من سيّدي كان الجواب قد وصله عن كلماته.

16 بدأ فرجيل: «أتمنى أن المحكمة الحقيقية
التي أرسلتني إلى المنفى الأبدي
تَهَبكَ السلامَ بين المباركين».

19 قال: «ولكن إذا كنتما روحين ترفضان بركة
الله، كيف تسلقتما هذه الدرجات؟».
وكنا نسيرُ بينما هو يتكلم.

22 ثم قال معلمي: «لايفوتك أن ترى،
إذا وقفت، علامات الملاك عليه،
إنه مخولٌ أن يدخل مملكة العدالة.

25 ولكن بما أن التي لايقف مِغزلُها ليلاً
نهاراً لم تغزل بعد كامل الخيط الذي
تجدله كلوتو على كبّتها له ولغيره،

https://jadidpdf.com

28 وبما أن روحه، شقيقةُ روحك
وروحي، لايمكن أن ترى كما نرى، فإنها
لاتتسلق بنفسها، ولذلك فالإرادةُ المقدسة

31 دفعتني من حنجرة الحزن في الجحيم إلى
إرشاده في طريقه، وسوف أقودُه
في رحلته قدرَ معرفتي.

34 ولكن أخبرني إن استطعت: ما هذه الزلزلة
التي شعرنا بها الآن؟ ولماذا كلُّ الجبل صرخ
بصوت واحد من أسفلَ حتى صخرة الندى؟».

37 لقد عبر عن رغبتي تماماً
بسؤاله، فانطفأت حدة
عطشي، بالأمل وحده فقط.

40 بدأ الظل: «القواعد المقدسة التي تحكم
الجبل كله لاتسمح بحدوث أي شيء
يؤدي إلى فوضى أو إلى غير المألوف،

43 أو إلى أي تغيير. إن ما ترسمه السماء
من نفسها أولاً، وإلى نفسها ثانياً ـ
ذلك ولاشيء آخر ـ هو السبب.

46 لذلك ليس هناك مطرٌ ولاثلجٌ
ولا بردٌ ولاندى ولا جليدٌ يمكن
أن يتجاوز الدرجات الثلاث السفلى.

https://jadidpdf.com

49 لا الغيوم الكثيفة ولا أطباق الضباب
ولا الضوء المبهر، ولاابنة توماس الوضاءة
التي تتجول من مكان إلى مكان هناك،

52 ولايستطيع البخار الجافُ أن يرفع حرارته
فوق قمة تلك الدرجات الثلاث التي
عليها يضع نائب بطرس قدميه.

55 ربما تحدث هزات تحت، شديدةٌ
أو خفيفةٌ، لكن الرجفاتِ التي تسببها الريح
في الأرض ـ ولا أعرف كيف ـ لاتصل إلى هذه الذروة.

58 هنا لاتزلزل زلزالها إلا إذا
تعافَتْ نفسٌ وانتهت من التطهير
أو راحت تصعد، وعندها تنطلق الترنيمة.

61 فالنفس تصبح حرة تماماً في
تغيير رواقها، فتتحرك حسب إرادتها
التي هي برهان النقاء الصافي.

64 قبل التطهُّر ترغب في التسلّق
لكن إرادة العدالة المقدسة تقف ضدها
وتدفعها إلى الألم طالما أنها كانت تريد الجريمة.

67 أما أنا الذي ذقت العذاب مضطجعاً هنا
خمسمئة سنة وأكثر، الآن فقط
تسعى إرادتي الحرة للبحث عن مدارٍ أفضل.

https://jadidpdf.com

70 ولهذا السبب شعرت بزلزال الجبل
وسمعتُ الأرواحَ النقيةَ تمتدحُ الله ـ
ربما يدعوهم للإسراع إلى الأعلى».

73 وهذه هي كلمات الروح لنا، ولاأستطيع
تصوير مدى ما أثلجت هذه الكلمات صدري،
فكلما كان العطش شديداً صارت الخمرة أطيب.

76 قال قائدي الحكيم: «الآن عرفتُ ماذا جاء
بك، وكيف صرتَ حراً، ولماذا اهتزَّ الجبل
ولماذا فرحتكَ تملأ الهواء.

79 الآن أكون مسروراً جداً إذا تفضلت
وأعلمتني اسمك وأسمعتني بكلماتك
لماذا بقيتَ منبطحاً طيلة هذه القرون».

82 أجاب: «في زمن تيتوسَ الطيب، بمعونة
الملك الجبار، المنتقم للدماء التي
أريقت بسبب خيانة الأسخريوطي،

85 عشت مشهوراً هناك، اسمٌ
لامعٌ وحياةٌ مشرفةٌ، ولكن
من دون إيمان يوحّدنا جميعاً.

88 أشعاري بأنفاس الأنغام الرائعة
راحتْ تطوف تولوز، وروما ادَّعتني
لنفسها وهناك نلت إكليل الغار.

https://jadidpdf.com

91 اسمي ستاتيوس، ومازال يعيش هناك.
غنّيت طيبة وأخيل العظيم، لكني
وجدتُ الثاني أثقلَ من أن يُحمل.

94 إن الشرارات التي زرعَتْ في نفسي لهيب
العاطفة هي النار الإلهية التي ألهمت
أكثر من ألف شاعر، أقصد شعلة

97 الإنيادة، الأمُّ التي قدمت حليب
الرضاعة لأناشيدي. ومن دونها
ما كنت لأساوي مليماً واحداً.

100 ولو أني عدْت خلفاً، وعشت في زمن فرجيل
لقبلتُ أن تمرّ سنة أخرى أقضيها في
العقوبة ذاتها التي أخلص منها الآن».

103 عند هذه الكلمات رمى إلي فرجيل نظرة
تقول بصمت: «إياك والكلامَ» لكن
إرادة الإنسان لاتسيطر في كل الظروف.

106 لأن الدموع أو الضحك تعقب مباشرة
العواطف التي تنشأ منها، فلا تنصاع
إلا قليلاً لإرادة أعظم العقول سمّواً.

112 قال: «ليكنْ دربكما إلى النعمة. ولكن
ما معنى الابتسامة التي رأيتها الآن
تبرق على محيّاكَ واضحة؟».

https://jadidpdf.com

115 الآن الآن وقعتُ بين الحدَّين:
واحدٌ يوصيني بالصمت، وآخرُ يرجوني الكلام.
وتنهدت تنهيدة حيرى، ففهم مرشدي

118 الطيّبُ كل مغناها، فقال لي: «لاتخف
انطقْ، وليعرفْ هذا الشبح
ما كان يتوق إلى معرفته».

121 هنا قلت: «ربما ابتسامتي على
هذا النحو جعلتك تعجب أيها الروحُ العتيق.
ولكن اسمع الآن ما هو عجيبٌ حقاً.

124 هذا الذي تقع عليه عيناك هو
نفسه فرجيل الذي منه استمد شعرُكَ
القوة لوصف أفعال الناسِ والآلهة.

127 إن الباعث الوحيد لابتسامتي يكمن
في كلماتك. فإن كنت تفكر في باعث
آخرَ غيرِ هذا، فنحِّ هذه الفكرة جانباً».

130 انحنى ليعانق ركبة معلمي لكن
فرجيل قال: «لا أيها الأخ. أنت
ظل وأنا ظل فلا تركع لي».

133 نهض ستاتيوس وقال: «هكذا أنت
تلمس مدى الحب الحار الذي أكنُّه لك
فليس في عقلي ما يشعله غيره. لقد نسيت

https://jadidpdf.com

136 أننا ظلالٌ فارغة، فرحتُ أعامل الفراغ معاملة الامتلاء».

الرموز والصور:

ستاتيوس: بوبليوس بابينوس ستاتيوس (45 ـ 96 ب.م) مؤلف «طيبة» (ملحمة حول تاريخ أتيوكل وبولينكس) ومؤلف «أخيل» الذي لم يكمله (وجده أثقل مما يحمل) وهو شخصية مركزية في المطهر.

جدال كبير أثير حول شخصية ستاتيوس وغرضها الفني والرموز التي ترمي إليها. وباختصار استخدم ستاتيوس للأغراض التالية: آ ـ لإظهار عملية التطهير على أنها عملية مخيفة، فالانبطاح والبكاء والترانيم ليلاً نهاراً أكثر من خمسمئة عام (المدة 1209 سنة) شيء مخيف. ب ـ لاتوجد مدة محددة للتطهير، وليس هناك قانون. جـ ـ الزلزال والترنيمة فرحة جديدة بعد كل هذا الألم العتيق. د ـ اختار دانتي شاعراً مسيحياً لم يكتب إلا عن الوثنية (طيبة ـ أخيل) ولهذا دلالته. ليس هذا فحسب، بل إنه مثل دانتي يتتلمذ على يد فرجيل الوثني.

الملاحظات:

1 ـ العطش الطبيعي: الرغبة في المعرفة التي لاترتوي (الكلام لأرسطو واستخدمه دانتي).

2 ـ ماء المرأة السامرية: عند بئر يعقوب يطلب المسيح من السامرية ماء فتعجب كيف يطلب من سامرية، فيجيبها لو أنها عرفت الحقيقة لطلبت هي منه الماء، لأنه ماء الحياة، فطلبته. ولو دقق القارئ لوجد أنه إذا كان العطش الطبيعي (حب المعرفة) لايرتوي، فإن ماء السامرية الذي وعدها به المسيح يطفئ أوار العطش ولايعود ثمة عطش (معرفة). راجع القصة في يوحنا (4: 6 ـ 15).

7 ـ انظر لوقا 14: 13 ـ 15.

25 ـ التي...: هي ربة القدر «لاخيس» التي تغزل الخيط. أما كلوتو فهي التي تلفه، حتى إذا ما انتهت وقطعته يكون عمر الإنسان قد انتهى.

31 ـ حنجرة الحزن: الليمبو لأنه في بداية الجحيم.

50 ـ لبنة توماس: هي أيريس (قوس قزح) ابنة القنطور توماس والكترا. أخواتها الهربيات، وهي تعمل مثلهن فتقوم بالمراسلة بين الآلهة والبشر عن طريق قوس قزح.

https://jadidpdf.com

52 ـ البخار الجاف: راجع الجحيم 14 لمعرفة نظرية دانتي في البخار والعواصف الناجمة عن الرطوبة والجفاف.

82 ـ تيتوس الطيب: امبراطور روماني (79 ـ 81) ذبح اليهود (70 ق.م) انتقاماً لقتل المسيح.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني والعشرون

الصعود

الكورنيش السادس — الشَّرهون

الشجرة

سوط الشَّراهة

الحكاية: وصل الشعراء إلى الملاك الذي يحرس المصعد فمحا خطيئة أخرى من جبين دانتي فشالت قدماه وصار أسرع. ويشرح ستاتيوس وضعه بأنه كان في الكورنيش الخامس بسبب التبذير أكثر مما كان بسبب الجشع. وقد تعمد بالسر خوفاً من الملاحقة، لكن عمادته كانت فاترة مما جعله يدفع ثمناً لذلك أربعمئة سنة في الكورنيش الرابع. يسمي الشعراء القدامى الذين يفضلهم ويسأل عنهم فيقول فرجيل إنهم معه في الليمبو. ويصل الشعراء بعد ذلك إلى الكورنيش السادس ويجدون شجرة ضخمة مثقلة بالثمار، من أوراقها صوت يصيح بأمثلة التقشّف (سوط الشراهة).

1 خلّفنا الآن وراءنا الملاكُ
الذي يرشد إلى الحلقة السادسة
وقد مسح خَتماً من على جبيني،

4 وقال إن العطاشَ إلى الاستقامة
مباركون، ولكنه لم يقلْ «الجياع»

https://jadidpdf.com

عندما استشهد بالطوبية.

7 صرت الآن أسرعَ مما كنت من قبل
ألحقُ حتى الأرواحَ السريعة، ولم
أجد صعوبة أن أوازيَ خطواتي بخطواتهم.

10 بدأ فرجيل: «عندما تشعل الفضيلة فينا الحب،
لابد عندما تظهر شعلته
أن يشعل حباً متبادلاً معه.

13 وهكذا حالما صار جوفينال
واحداً من مجموعتنا في الليمبو
وأخبرني باحترامكَ الكبيرِ لي

16 كانت إرادتي الخيِّرة نحوك نوعاً
لم أشعر به إزاء أي شخص لم أَرَهُ،
مما جعل التسلق إلى الأعلى قصيراً.

19 ولكن أخبرني ـ وسامحني إن أنا
أطلقتُ العنانَ في هذا الصدد ـ
وأجبني كما يجيبُ الصديقُ صديقه:

22 بين هذه الحكمة التي تمتلكها وتمتلئ بها
ـ والتي نلتها لكدك واجتهادك ـ كيف
يجد الجشع متسعاً له في صدرك؟».

25 هذه الكلمات جعلت ابتسامة خفيفة
تلوح على شفتي ستاتيوس وتتلاشى.

https://jadidpdf.com

قال: «صوت الحب سمعته من كل كلمة قلتها.

28 كثيراً ما تثير المظاهر فينا شكوكاً
لا أساس لها، ونتائج زائفة
تخفي عن أبصارنا السبب الحقيقيَ الخفي.

31 بما أنك رأيتني أنهضُ من الإفريز
فقد استنتجت أن خطيئتي هي الجشع،
وهو استنتاج يدل عليه سؤالك نفسه.

34 فاعلم إذن أن خطيئتي الخاصة
أبعد ما تكون عن الجشع: لقد بكيت
آلاف الأشهر لشدة تبذيري.

37 ولو لم أرعوِ عن التبذير بعد
إن تأملت أبيات شعرك التي تصرخ
فيها، وكأنك غاضبٌ على البشرية

40 «يا أيها الذهب الغاوي، لماذا لم
تطرد شهوة الإنسان» لكنت الآن في
المبارزات الضارية في ليل الجحيم.

43 لقد عرفت أن أيدينا يمكن أن
تبسط أجنحتها في الإنفاق، وندمتُ
على ذلك، وعلى كل خطاياي ندماً شديداً.

46 كم من الناس الصلعِ سيُبعثون يوم القيامة
لأنهم لم يستطيعوا تجنب هذه الخطيئة

https://jadidpdf.com

في حياتهم، أو لأن عمرهم انقصف فجأة.

49 إذ عندما يكون نقيضُ الخطيئة هنا
يعاقبُ مثل الخطيئة ويحاسب حسابها،
فإن الاثنين ـ الخطيئة ونقيضها ـ يذبلان هنا.

52 فإن كنت، عندئذ، قد وُضعت
بين الجشعين الذين ينوحون
فحتى أتطهر من الإفراط المقابل».

55 قال منشدُ «أغاني الرعاة» الطيّب:
«ولكن حين رحت تنشد الحرب الضارية
بين الحزنينِ اللذين نزلا بجوكاستا

58 مما قلته وقالتهُ معك كليو
لم يكن يبدو أنكَ وجدت الإيمان الذي
بدونه كل أعمالك الخيّرةِ تذهب هباء.

61 فإن كان هكذا، فأي شمس أو منارة
أشرقت بين الضباب حتى أبحرت وراء
صيّاد السمك؟» والذي مكث طويلاً قال:

64 «كنت أنت المصباح الذي أخرجني من الليل.
أنت جعلتني أشربُ المياه البرناسيةِ
وعلى طريق الربّ أوقدت لي نوراً.

67 عندما أعلنت «ستكون هناك ولادةٌ جديدة،
العدل سيعود، ومعه العصر الأول للإنسان،

https://jadidpdf.com

ومن السماء ستهبط ذريةٌ جديدة»

70 كنتَ واحداً ممن يسيرون في درب ليليّ
يضيء لمن يسيرون خلفه ـ كان نورك
ساطعاً للآتين، أما أنت فبه لم تستضئ.

73 على يديك شدوتُ، ودخلت الإيمان.
أنت تعرف كل شيء، ولكن دعْ يدي تمتدُّ
لترسم بالتفصيل ما كنتُ أوجزته.

76 كان العالم وقتها متخماً بولادة
الإيمان الحقيقي، الذي بذره الرسل،
الذين أرسلتهم المملكة الأبدية.

79 الكلمات التي اقتبستها منك، بما
أنها تنسجم مع الواعظين الجدد،
جعلتني أروح إلى اجتماعاتهم لتفسير العقيدة.

82 ومع الأيام كبروا في عيني حتى
أني عندما أعدموا دوميتيان
ذرفتُ سخيَّ الدمع حين ندبوه.

85 وطيلة مكوثي في الشواطئ المتلاطمة
لتلك الحياة، ساعدتهم، وعلموني بطرقهم
الصارمة، أن أحتقر كل الطوائف الأخرى.

88 وقبل قصيدتي عن الإغريق، وكيف اندحروا
قرب أنهارٍ طيبة، بالماء عمّدوني

https://jadidpdf.com

وأخفيتُ عن الناس إيماني، تجنباً للخوف،

91 مدعياً أنني وثنيٌ كما كنت من قبل،
وبسبب هذا التقاعس قضيت في
إفريز المتقاعسين أربعمئة سنة أخرى.

94 ولكن قل لي من فضلك ـ يا من هتكت
النقاب الذي أخفاني عن عمل الخير الذي امتدحته
طالما أن أمامنا وقتاً كافياً للصعود:

97 أين شاعرنا القديم تيرنس الآن؟ وأين
كاميلوس وفارو وبلوتوس؟ هل حوكموا؟
فإن حوكموا فأي عذاب يعانون؟».

100 «كل من ذكرت يقبعون هناك مع برسيوس والبقية،
وأنا نفسي منهم، وهم يحيطون بذاك اليوناني
الذي أرضع كل الناس من صدر ربات الفنون.

103 كلهم في الحلقة الأولى من الجحيم المظلم
ونحن نتحدث عادة عن الجبل المجيد
الذي مازال فيه التسع اللواتي أرضعننا.

106 فمعنا يوربيدس وأنتيغون
وأغاثون الأثيني وسيمونيدس
وكثيرون ممن بالغار توجوا.

109 وممن يوجد منهم هناك
ياسمينُ الحزينة، كما كانت من قبل.

https://jadidpdf.com

وديفيلي وأرجيا وأنتيغوني،

112 وهبسبيلي التي خاضت مياه لانجيا
وثيطس وديداميا مع أخواتها
وهناك أيضاً ابنةُ ترسياس».

115 خرجنا من المدرجات بين الجدران إلى أرض مستوية
وكان كل من الشاعرين ساهياً عن
إلقاء نظرة حوله.

118 أربعُ خادماتٍ كن قد انتهين من النهار
وتقفُ الخامسة الآن تقود العجلة
مشيرة بسطوعها إلى تقدمه،

121 حين قال فرجيل: «أظن أن علينا
الانعطاف من اليمين إلى الطرف الخارجي
المحيط بالمنحدر كما فعلنا في الأسفل».

124 وقد اعتدنا على إرشاده، فذهبنا
حيثُ قال، وقد تأكدنا أن
الاتجاهَ صحيحٌ من صمت ستاتيوس.

127 سارا قُدُماً وسرت خلفهما
متسقّطاً حديثهما، الذي دار عن الشعر،
وكل كلمة كانت ثروة لعقلي.

130 لكن فجأة في منتصف الطريق ظهرت شجرة
مثقلة بأجمل الثمار وأطيبها.

https://jadidpdf.com

وعند ذلك توقف حديثهما.

133 وكما تستدقّ شجرة الصنوبر من طرف لطرف كلما ارتفعت
كذلك استدقّت هذه الشجرة ولكن من أسفل،
لا أظن أنها صنعت هكذا حتى لايتسلقها أحد.

136 من الجانب الذي فيه يسد الجرف طريقنا
يسقط شلال من صخرة برجية عالية
ويقع على الأوراق العليا ويتناثر.

139 تقدم الشاعران أقربَ فأقرب متهيبين
وصامتين، ومن وسط الشجرة البرجية
صاح صوتٌ: «لن تأكلوا من ثمارها»

142 ثم قال: «إن مريم فكرت كثيراً بما يُدخل
البهجة والشرف على احتفال العرس أكثر مما
فكرت في فمها الذي مايزال يصلي لكما.

145 وقديماً وجدت أمهات روما ذوات الدم النبيل
البهجة في الماء. وقد حلّت الحكمة على
دانيال المقدس في رفضه للطعام.

148 عصر البشرية الأول كان كالذهب الخالص إشراقاً:
فبالجوع جعل ثمار البلوط شهية
وبالعطش جعل كل جدول عذباً.

151 في البرية لم يكن لحم ولاخمرةٌ.
عسل وجراد ـ فقط ولاشيء

https://jadidpdf.com

يطعمُ المعمداني في قداسته إلاهما.

154 وعليهما أقام مجده، كما يخبرك الإنجيل».

الملاحظات:

13 ـ جوفينال: شاعر هجائي (47 ـ 130)
18 ـ جعل التسلق قصيراً: السبب هو الصحبة الثقافية السعيدة.
40 ـ أيها الذهب: من الأنيادة أخذها دانتي.
42 ـ المبارزات الضارية: مبارزات اشتهرت في القرون الوسطى، فيقف فارسان، كل على حصانه ممسكاً رمحاً، ويهجمان، فمن أسقط الآخر كان المنتصر (انظر الجحيم 7).
46 ـ الناس الصلع: راجع الجحيم 7: 56 ـ 57 .

يوم القيامة ينهضون: فريق بأيد مضمومة
والآخر من الشعر خوت رؤوسهم.

55 ـ بين الحزنين اللذين نزلا بجوكاستا: مقتل ابنيها: أتيوكل وبولينكس في صراعهما على السلطة وكانا سبب الحملة ضد طيبة.
55 ـ منشد أغاني الرعاة: فرجيل.
58 ـ كليو: ربة التاريخ. كان ستاتيوس قد ناشدها المعونة في بداية كتابه.
61 ـ شمس أو منارة: الشمس: الله. المنارة: العقل.
63 ـ صياد السمك: بطرس.
64 ـ أنت المصباح: أنت العقل.
95 ـ الخير الذي امتدحته: الإيمان.
101 ـ بذاك اليوناني: هوميروس.
104 ـ الجبل المجيد: جبل البرناس.
105 ـ التسع: ربّات الفنون. يرضعون الشعراء لبن الإلهام.
140 ـ سوط الشراهة: هو ما يصدر عن الشجرة العجيبة المستدقة من الأسفل حتى لايتسلقها أحد. والأمثلة التي يأتي بها كلها تدل على فضيلة التعفف والتقشف.

آ ـ مريم في عرس قانا الجليل.
ب ـ عقيلات روما القديمة: ما كن يشربن الخمر في الاحتفالات.
جـ ـ دانيال (دانيال 1: 8 ـ 17) حرم نفسه من لحم الملك وخمرته.
د ـ العصر الذهبي للبشرية.
هـ ـ يوحنا المعمدان.

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث والعشرون

الكورنيش السادس — الشَّرهون

الحكاية: دانتي دهش من الشجرة الناطقة. فرجيل يستحثه. يسير الشعراء. ينطلق مزمور من خلفهم. فجأة يشاهدون مجموعة من الشرهين، بلغ الهزال بهم أن المرء يقرأ في عيونهم الغائرة وخطوط وجناتهم وأنفهم كلمة OMO. دانتي يتعرف على فوريسي الذي توفي قبل خمس سنوات، لكن صلاة زوجته ساعدته. فوريسي يهجو نساء فلورنسا غير المحتشمات. وبعد أن ينهي كلامه يأتي دور دانتي فيشرح له كيف جاء إلى هذه الديار، ومن الذي كان مرشده.

1 أملي كبير أن أرى منذا الذي من قلبها يتكلمُ،
قاربتها ونظرت في أغصانها الخضراء خلسةً،
كالذي أبلى الحياة تسكعاً خلف الطيور.

4 قال الذي هو أكثر من أب: «يا بني
هلمَّ الآن، إذ علينا أن نستغلَّ بحكمة
الوقتَ المخصّصَ لنا». قال هذا ثمّ سار.

7 نظرت تحت، والتفتّ لأنضم إلى ذينك الحكيمين
في اللحظة ذاتها. وكان حديثهما طليّاً حتى
كأني أُكافأُ على كل خطوة بضعفِ أجرتها.

https://jadidpdf.com

10 فجأة ومن خلفي سمعت المزمور:
«ياربُّ افتحْ شفتي فيخبرَ فمي بتسبيحكَ».
فكانَ أشبهَ بترنيمةٍ، وبصرخةِ ألم.

13 قلت: «أيها الأب ما هذا الصوت». قال:
«أرواح يدورون يا بني حتى ينصرم
الدَّينُ الزمني المدينون به للأبدية».

16 وكالحجّاج الملتفّين في طواف مقدس
عندما يواجهون الغرباء في الطريق
ينظرون، لكنهم لايتوقفون ولايتحدثون،

19 كذلك التفتوا من خلفنا نصف التفاتةٍ
وحدقوا بنا وهم يعبرون، عصبةً
من الأرواح، بصمتٍ جاؤوا وبصمتٍ عبروا.

22 محاجر العيون أشبه بفتحات الكهوف
وعلى وجوههم شحوب الموت، وجلدهم تالف
ولاشيء في أجسادهم سوى الجلد والعظم.

25 لا أظن جلد أرختون، حتى حين
يكون أشد رعباً، وهو في حالة الجوع،
التصق بالعظم أو صار رقيقاً كجلودهم.

28 فكرتُ ولم أتكلم أبداً... «انظر: إنه
وجهُ أولئك الذين فقدوا أورشليم
عندما التهمتْ مريم ابنها».

https://jadidpdf.com

31 عيونهم صفر تبدو كخواتم من غير جواهر
ومن يقرأ OMO في وجه الإنسان
يميّزُ هذه الـ M بسهولة.

34 مَنْ يتخيّل، دون أن يعرف كيف
أن الرغبة يمكن أن تتلف النفوس لمجرد
رائحة ماء أو ثمرة على غصن؟

37 كنت أُعجبُ كيف بلغ الضعفُ بهم
هذا الهزال وتلك النحافة (طالما
لم يتضح سبب مجاعتهم) عندما

40 لفت أحدهم عينه من كهفٍ عميقٍ في الجمجمة
وحدق بي، ثم صاح بصوت عال:
«ترى أي نعمة مُنحت لي؟»

43 لم أعرفه ولم أميز وجهه أبداً،
ولكني في صوته وجدت ما جعل
معالمه كلها تتآكل بلا أثر.

46 وفي رعب توقّدت ذاكرتي
فقد عرفت أن تحت هذه المعالم المسحوقة
فوريسي الذي رأيته بنفسي.

49 قال متضرعاً: «لاتحدّق في معالمي،
التي غدت أشبه بأبرص من هذه القشور
الملتهبة، ولاتحدق في العظام المعروقة تحت الجلد

https://jadidpdf.com

52 وإنما أخبرني عن نفسك، ومن
هذان الروحان اللذان في صحبتك
أخبرني بسرعة أرجوك».

55 قال: «بكيتُ حين رأيتُ وجهكَ الميتَ
والآن أبكي بمرارة أشد لرؤية
الألم وقد أتلف كل معالمك،

58 فباسم الربّ أخبرني كيف؟ لاتطلب
مني الحديث وأنا مأخوذ، فما أسوأ
من يتكلم حين يكون عقله مشوّشاً».

61 قال: «من الحكمة الأبدية تخرج قوى
من الماء والشجرة التي مررنا
بها للتو، تعمل على هزالنا.

64 كل الذين يغنون وهم ينوحون في
ألمهم أحبوا معدتهم حباً مفرطاً.
فالجوعُ والعطش ينظفانهم بالهزال.

67 الجوع والعطش اللذان لايلطفهما شيء
ينموان فينا من ثمار الشجرة ومن
الرذاذ المتطاير على الأوراق.

70 وفي كل مرة ندور حول هذا المكان
لايهدأ فينا ألمنا المتجدّدُ، ولو مرة واحدة.
هل قلت «ألم»؟ يجب أن أقول «النعمةُ الإلهية».

https://jadidpdf.com

73 لأن الإرادة نفسها التي تدفعنا إلى الشجرة
هي التي دفعت المسيح إلى أن يصيح بفرح
«إيلي - إيلي» عندما قدّم دمه لتحريرنا».

76 قلت له: «يا فوريسي، من اليوم الذي
غيّرت فيه عالمك إلى العالم الأفضل
لم ينصرم إلا أقلُّ من خمس سنوات.

79 إذا كانت قدرتك على الخطيئة تلاشت
قبل الساعة التي يجمعنا فيها العذاب الجميل
مع الله، بين بقية مباركيه،

82 فكيف وصلت هذه القمة في تسلقك الكبير؟
كنت أعتقد أنك ماتزال تحت مع هؤلاء
الذين يجلسون منتظرين أن تمرّ عليهم الأزمان».

85 أجابني: «فيضُ الدمع من عيني زوجتي نيلا
جعلني أندفع إلى الأعلى بسرعة مكّنتني
من شربِ العلقم المبارك لألمي.

88 فتنهداتها وصلواتها حيث نُبِذَ الحب
لذلك ارتفعت من المنحدر حيث كنت أنتظر
وتجاوزت كل الحلقات الأخرى.

91 إن أعزّ الأعزاز في نظر الله
هو الأرملةُ المسكينة التي تحبّني، فقد
كانت الوحيدة التي تسير في الطريق الصحيح.

https://jadidpdf.com

94 لأن برباجيا سردينيا تنجب نساء
عفيفات بالقياس إلى برباجيا
التي تركتْها لثياب حداد أرملتها.

97 أيها الأخ العزيز، ماذا هناك أقوله؟
في رؤيا تبدت لي، رأيت زمناً ـ
ولسنا عنه بعيدين جداً ـ

100 يُصدر فيه منبر الكنيسة وثيقة ضد
الساقطات اللواتي يسميهن أهل فلورنسا سيدات،
واللواتي يَخرجْنَ حاسرات الصدْر حتى النهد.

103 أيُّ امرأة تركية أو بربرية طالبت
بنظام ديني أو غير ديني
قبل أن ترتدي لباساً محتشماً؟

106 لكن لو أن الساقطاتِ عرفنَ مسبقاً
عقاب السماء السريع لكنَّ فتحن
أفواههن للندب والنواح.

109 إن ما نتنبأُ به هنا لايكذب،
سوف يحزنّ قبل أن يطر شعر الأبناء
الذين يهدهدْنَ لهم في المهد الآن.

112 والآن أيها الأخ أجبْ بدورك
فأنت ترى ظلك هنا، وكيف تحملق
النفوسُ الأخرى في الظل معي».

https://jadidpdf.com

115 قلت: «إن كنت تنوي الآن أن
تذكرني بحياتي السالفة في صحبتك
فإن هذا حملٌ ثقيل لايحتمله عقلي.

118 لقد أنقذني من تلك الطرق الماضية
ذاك الذي يقودني هنا ـ اليوم، وفي اليوم
الآخر عندما تكتمل أخته (مشيراً إلى الشمس).

121 ومن خلال الليل القاتم للموت
قادني وأنا بهذا الجسد الذي
يتبعني ليعثر على الحق الأبدي.

124 من هناك، وبتشجيع منه
قادني إلى أعلى، وطاف بي الجبل
الذي قوّم فيك ما اعوجّ في الدنيا.

127 وقد وطّد نفسه أن يظل في رفقتي
إلى أن أمثل بين يدي بياتريس في السماء.
وعندئذ أسعى من دون صحبته.

130 إن الذي نذر نفسه لهذه المهمّة
(وأشرت وأنا أتكلم إلى حيث يقف) هو
فرجيل. والآخر هو الظل الذي نهض للبركة

133 للتوّ حين اهتز الجبل وأطلقَ سراحه».

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

21 ـ بصمتٍ جاؤوا وبصمتٍ عبروا: هذا الكلام يناقض تلاوتهم الصاخبة للصلوات والتراتيل. ويبدو أنهم يصمتون حتى يصلوا إلى الشجرة، وهناك يقلع صوتهم عالياً.

25 ـ أرختون: سخر من الربة سيريس بأن أوقع بلوطة على أيكتها المقدسة فرمته بالجوع، فظل يأكل حتى أكل جسده.

29 ـ فقدوا أورشليم...ابنها: هم اليهود الذين حاصرهم تيطس فماتوا جوعاً، فما كان من مريم العازارية إلا أن طبخت ابنها وأكلت نصف بدنه.

32 ـ OMO: معنى اللفظة «الإنسان» والغرض منها إظهار معالم الهزال على الوجه.

48 ـ فوريسي: توفي 28 حزيران 1296 ، وكانت جيما دوناتي، زوجة دانتي قريبته. أخوه رئيس الجولف. كان صديقاً لدانتي.

75 ـ إيلي ـ إيلي: قبيل أن يسلم المسيح الروح نظر إلى السماء وقال «إلهي ـ إلهي لماذا تركتني».

85 ـ نيلا: زوجة فوريسي.

90 ـ تجاوزت كل الحلقات: يبدو أن صلاة زوجته كانت مستجابة، حتى أنه لم يسمح له بالدخول فقط، بل قفز فوق درجات المطهر.

94 ـ برباجيا: منطقة متوحشة في جبتا سردينيا، تخرج نساؤها عراة، أو نصف عراة.

121 ـ الليل القاتم للموت: الجحيم.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع والعشرون

الكورنيش السادس الشّرهون

شجرة المعرفة

لجام الشّراهة

الحكاية: يتابع فوريسي، فيعرّف بالكثيرين من النهمين ومنهم بونا جيونتا لوكا، الذي يدلي بنبوءة لدانتي، ويسأله عن «الأسلوب الجديد»، ثم يغادره ويتركه مع ستاتيوس وفرجيل، بعد أن يتنبأ بموت أخيه كورسو دوناتي، قائد الجولف. يصل الشعراء إلى شجرة المعرفة، فتصدر منها صيحات «لجام الشراهة» عن حواء والقنطورات وجيش جيريون. يقابل دانتي ملاك العفة الذي يزيل خطيئة الشراهة، وهو ملاك يجمع بين صفات الشدة وصفات المرونة. والملاحظ أن الملاك يكون بعكس الخطيئة ليمحوها، لذلك يقابلون هناك ملاك العفة.

1 لا الكلام أبطأ خطواتنا، ولاخطواتنا
أبطأت الكلام، فسيرٌ ومحادثة أشبه
بأشرعة البحر والريحُ اللدنة تدفعها.

4 الظلال التي تبدو كأنها ماتت مرتين
كانت تتملى من عيونها الكهفية ألوان
الرعب وهم يرونني كأني وُلدت حديثاً.

https://jadidpdf.com

7 وأنا أتابع ما كنت بدأته قلتُ:
«صعوده، كما أظن، كان أبطأ
مما يمكن أن يسيّره الظل الآخر.

10 ولكن أين الآن بيكاردا؟ هل تعرف؟
وهل هناك أيّ ملاحظة خاصة
لدى هؤلاء الذين يحملقون بي؟».

13 قال: «أختي الصالحةُ بقدر ما هي جميلة
والجميلة بقدر ما هي صالحةٌ، تتربع على
عرش الأولمب تبتهج بالنصر الأبدي هناك».

16 ثم تابع: «إن من المسموح به هنا أن
تنادي أيَّ واحد باسمه لأن
التقشف محا معالمنا وسحننا.

19 هذا (وأشار إليه) أخ عزيز
كان على الأرض بونا جيونتا لوكا. ذاك
الذي خلفه، وجهه هزيلٌ أكثرُ من الجميع،

22 ترأس مرّة الكنيسةَ المقدسة. سلالته من نور
وهنا بالصوم الطويل طهّر كل
أسماك بحيرة بولسينا وخمور فرناشيا».

25 ثم سمى الكثيرين، الواحدَ بعد الآخر
ولم أجد واحداً منهم قطّب جبينه،
بل كانوا مسرورين لاشتهار اسمهم

https://jadidpdf.com

28 أبالدينو ديلا بيلا جاع هناك
وبونيفانسي رعى كل تلك البطون -
جميعهم جوعى، فكانت أسنانُهم تأكل الهواء.

31 رأيت سيدي مارشيز. قبل أن يموت
شرب مع من هو أقل عطشاً في فورلي
ومع ذلك لم يره أحد يرتوي.

34 كما يميز المرء وجهاً معيَّناً
بين حشد، كذلك ميّزت هذا الذي من لوكا
الذي بدا شغوفاً للتحدث معي.

37 تمتم بعض الأشياء: وخُيل إلي أني سمعت
كلمة «جنتوكا» تصدر من الجرح الذي
يعتقد أن العدالة الإلهية أوقعته فيه.

40 قلت: «أيها الروح، يبدو أنك
تود التحدث معي، تكلمْ بصوت مسموع
فبذلك نفهم كلانا».

43 أجاب: «مع أن الناس تسخر من مدينتي
فإن التي تعلمك كيف تقدرها،
ولدتْ هناك، وإن لم تبق عروساً

46 ستأخذ هذا البشير معك من هنا،
وإن كنت قد أخطأت فهم ما همست به
فإن الوقائعَ نفسَها ستوضحه مع الزمن.

https://jadidpdf.com

49 ولكن هل أنا فعلاً أمام مبدع قوافي
قصيدةٍ كانزوني التي تبدأ بالمطلع:
أيّتها النساء اللواتي تعرفن الحب؟».

52 قلت: «عندما يلهمني الحبُ البهجة أو
الألم أو الشوق، فإني أنتبه إليه تماماً
فإذا أملى عليّ، فإني أكتبُ».

55 قال: «أيها الأخ أرى الآن أني
وجيتوني والقاضي بعيدين عن
الأسلوبِ العذب الجديد للأغنية الصافية.

58 وإني أرى أن أقلامكم استحوذت على
هذه القوى باتباع ما يملي الحب تماماً
وهذا ما لاأستطيع قوله على أقلامنا.

61 فإذا اختبر المرء الأسلوبين جنباً إلى جنب
فسوف يجد ذلك الفارق الوحيد بينهما».
ويبدو أنه مقتنع بما يقول.

64 ومثل اللقالق التي تشتو على النيل
تطير في تجمع كثيف، ثم تنتظم
وتشق الهواء في صف واحد،

67 هكذا فعل المتجمعون حولنا فقد انتظموا
في صف ونفروا خفافاً لهزالهم وإرادتهم
فسارعوا خطواتهم، ومن أمامنا عبروا.

https://jadidpdf.com

70 ومثل السابق الذي يلتقط شيئاً من الراحة
تاركاً أصحابه خلفه، فيسير سيراً
هادئاً إلى أن يستريح صدره المتعب،

73 هكذا فعل فوريسي، فترك الرتل المبارك
بعيداً عنه، ووجَّهَ خطواته نحوي
وقال: «متى نلتقي ثانية؟»

76 قلت: «لا أعلم كم يطول بي العمر
لكني لا أستطيع العودة سريعاً، سوى
أن رغبتي ستصل الشاطئ قبلي

79 لأن المدينة التي أعيش فيها
يتلاشى الخير منها يوماً إثر يوم
وسوف تحلّ بها ضربة دموية تدمرها».

82 قال: «تشجَّعْ. هاأنذا أرى مَنْ
جريمتُه تفوق كلّ الجرائم، يجر ذيلَ دابةٍ
إلى واد مظلم لاتغفر فيه خطيئة.

85 في كل خطوة تسرع الدابة أكثر فأكثر
إلى أن ترفسه الحوافر وترميه
محطّماً بعد أن كان سيدها.

88 تلك المدارات (ونظر إلى السماء هنا)
لن تدور بعيداً قبل أن يتضح
ما قلتُه، من دون حاجة إلى إضافة.

https://jadidpdf.com

91 لابد أن أتركك الآن خلفي.
فخُطوتك تجعلني أتأخر كثيراً،
والوقت ثمين في هذه الديار».

94 وكما من فصيلة الخيّالة المسرعة
يتقدم أحياناً فارس ليكسب
شرف الصدام الأول.

97 كذلك خطواته الطوال تركتنا خلفه
فسرت بصحبة هذين الإثنين
اللذين كانا مرشدين كبيرين للبشرية.

100 وعندما انطلقَ في مثل هذه السرعة
بعيداً بحيث بالكاد أتابع بالعين خطواته
مثلما أتابع بالفكر كلماته التي قالها،

103 انعطفنا إلى زاوية. وهناك رأينا
غير بعيد أمامنا، شجرة ثانية، أغصانها
مثقلة ثمراً وأوراقها تشعشع وتبرق.

106 وكما يفعل الأطفال الشرهون، يتوسلون
ويصرخون للحصول على ما ليس معهم، فيصرخ
أحدهم عندما يرى الشيء ولايحصل عليه،

109 لإرضاء شهيته، هكذا حول الشجرة
بأيدٍ مرفوعة إلى الأغصان، راحت
تتوسل مجموعة من النفوس ولاتحصل على شيء.

https://jadidpdf.com

112 أخيراً يئسوا وساروا ساخطين
فاقتربنا بدورنا من تلك النبتة
التي لاترقُّ لدمع ولاتستجيبُ لتوسّل.

115 «اعبروا ولاتقتربوا. الشجرة التي قطفت
حواء ثمراتها وأكلتها تنمو بعيداً على المنحدر
وهذه النبتة أفرعت من جذورها الشريرة».

118 هكذا من الأغصان راحَ يخاطبنا صوتٌ مجهول
فأخذْنا حذرنا أنا وفرجيل وستاتيوس
واقتربنا من بعضنا وحاذينا الجرف وأسرعنا.

121 تابع الصوت: «تذكروا الوحوش اللعينة التي
من السحابة ولدت. وعندما تجرّعوا الخمرة اضطر
تسيوس إلى ذبح الوحوش المزدوجة الصدر.

124 تذكّروا أولئك اليهود الذين أظهروا لجدعون
كيف ينسون كل شيء في عطشهم، وعندها
طردهم من جيشه حين هبط تلال الميانيين».

127 وهكذا أسرعنا على طول الطريق الجوّاني
والصوت يلعلع بخطايا الشراهة التي
تحذر من دفع هذه الجزية، كما رأينا،

130 ثم اتضح الطريق، وانفسح أكثر للسير
فانتشرنا وسرنا ألف خطوة نتأمل
من دون أن نفكر بالحديث،

https://jadidpdf.com

133 فإذا صوت صارخ، هزني
كما لو كنت مهراً جفولاً،
«بماذا تفكرون أنتم الثلاثة؟».

136 نظرت لأرى من كان يتحدث:
إن المرء لايشاهد في أي فرن معدناً
أو زجاجاً توهج احمراراً كهذا.

139 سمعت أحدهم يقول: «إن رغبتم في الصعود
فهذا هو المكان الذي عليكم أن تذهبوا فيه.
أيها الباحثون عن السلام ـ هو ذا طريقكم».

142 مجدُ الله أعماني. تلمَّستُ الطريق فأمسكت
بظهر معلمي وتبعت خطواته
كالعميان الذين يستهدون بالصوت.

145 شعرتُ بريح الشمال على جبيني تعبر
ناعمةً كهواء أيار الذي يرسل الفجر
مع الأنفاس المعطرة للأزهار والأعشاب،

148 وشعرت بمسٍّ رقيق لجناح
ناعم يداعب أحاسيسي
بشذى عطر ناعم.

151 وسمعت صوت الملاك ناعماً يتلو:
«طوبى لأولئك الذين أضاءت نعمة
الله قلوبهم، فحبّ الطعام لايثير شهوتهم

https://jadidpdf.com

154 بل يُسرُّون بكل جوع عادل».

الرموز والصور:

الشجرة والماء: عندما أراد الآلهة أن يعذبوا تنتالوس، لأنه جربهم، اختاروا له أقبح وأدنأ أنواع العذاب... يقف في بركة ماء وفوقه شجرة مثمرة، إذا هم بالشرب غاض الماء وإن هم بالقطف علا الثمر، فلا هو يسكت الجوع ولا من الماء يرتوي. ويبلغ العذاب في المطهر إلى الدرجة التي يقضقض المعذّب أسنانه ويأكل الهواء وهماً. إن المطهر الذي يقدمه لنا دانتي أشد قتامة من الجحيم.

الملاحظات:

6 ـ ولدت حديثاً: ولدت بلحم حياتي الأولى.

8 ـ صعوده: يتابع حديثه عن فوريسي في النشيد السابق.

10 ـ بيكاردا: أخت فوريسي، صارت راهبة، لكن شقيقها الآخر كورسو أجبرها على زواج سياسي، وسوف يقابلها دانتي في المدار الأدنى من الفردوس.

15 ـ عرش الأولمب: السماء. هنا يستخدم الشيفرة الوثنية بدلاً من الشيفرة المسيحية.

20 ـ بونا جيونتا ديغلي أو فرادي: شاعر وخطيب اشتهر في لوكا، لكن دانتي انتقد لغته في أحد كتبه. اشتهر بالشراهة توفي 1297 .

20 ـ الذي خلفه: هو سيمون دي بري. بابا من 1281 ـ 1285 باسم مارتن الرابع. اشتهر بشراهته.

24 ـ أسماك بولسينا وخمور فرناشيا: اشتهرت أسماك بحيرة بولسينا، وهي نوع من الحنكليس، وكذلك خمور فرناشيا. وكانت الأسماك توضع حيّة في الخمر، وبعد أن تموت تطهى. وقد أكل البابا من هذا الطعام فمات.

28 ـ أبالدينو ديلا بيلا: فارس، شقيق الكاردينال أبالديني الذي يُطبخ في الجحيم مع فاريناتا (الجحيم 10) اشتهر بشراهته.

29 ـ بونيفانسي: رئيس أساقفة رافينا. اهتم بالشؤون السياسية أكثر من الأمور الروحية. كان راعياً للبطون لا للنفوس.

31 ـ مارشيز: هو ميسير مارشيز الفورلي، يسأل ما رأى الشعب بي فقيل إنهم لايتحدثون إلا عن شربه الذي لايتوقف، فأجاب: إذن عليهم أن يتذكروا أنه دائماً يظل عطشان.

35 ـ الذي من لوكا: هو بونا جيونتا (ملاحظة رقم 20).

https://jadidpdf.com

38 ـ جنتوكا: الأرجح إنها امرأة قابلها دانتي عندما ذهب إلى لوكا الذي يعيش عند أحد أصدقائه 1315 .

38 ـ الجرح الذي: هو الفم لأنه سبب بلاء الشراهة.

44 ـ التي: هي جنتوكا التي عاشت في لوكا فتاة غير متزوجة.

82 ـ مَنْ جريمته: هو كورسو دوناتي شقيق فوريسي. وهو الذي أقنع بونيفانسي الثامن بإرسال شارل مالوس إلى فلورنسا في العام 1300. فجرائم شارل هي بصورة غير مباشرة جرائم كورسو الذي كان رئيس الجولف السود. اكتشف السود مؤامرته فحكموا عليه بالموت. فرّ منهم فطاردوه إلى أن قُتل. ويرى دانتي أنه قُتل بذيل فرسه الذي جرّه حتى مات.

84 ـ واد مظلم: الجحيم.

104 ـ الشجرة الثانية هي التي تستمد جذورها من شجرة المعرفة. والأرجح أنها شجرة الموت. فقبل تفاحة شجرة المعرفة كان الإنسان خالداً، ولكنه صار موتاً يموت بعد التفاحة. والمثال الأول هذا يشير إلى شراهة حواء.

121 ـ الوحوش اللعينة: هم القنطورات، وقد دعوا إلى احتفال، فسكروا، وراح تيسيوس يقتّل فيهم. ولدوا من السحابة لأن جوبيتر حول عشيقته إلى سحابه فولدت له القنطورات على شكل حصان وإنسان، فكان الصدر مزدوجاً بين الحصان والإنسان. وهذا هو المثال الثاني في لجام الشراهة.

124 ـ اليهود (المثال الثالث) هم الذين نسوا كل شيء عندما رأوا الماء فراحوا يشربون فعزلهم جدعون من جيشه (راجع سفر القضاة 7: 5 ـ 6).

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس والعشرون

مغادرة الكورنيش السادس الصعود

خطاب ستاتيوس

الحكاية: في الثانية بعد الظهر يصعد الشعراء إلى الكورنيش السابع. دانتي يتشوق ليسأل كيف يظهر الشرهون بهذا الهزال وهم أجساد هوائية لاتحتاج إلى طعام، ويسأل فرجيل، فيرى فرجيل من اللياقة أن يحيل السؤال إلى ستاتيوس. فيشتمل خطاب ستاتيوس على طبيعة مبدأ التوالد، وولادة الروح الإنسانية، وطبيعة الأجساد الهوائية. ويصل الشعراء إلى الكورنيش السابع حيث الشهوانيون يصدحون بترنيمة رب الرحمة الفائقة ويسبحون العفة الإلهية. أما سوط الشهوة فمأخوذ من مريم (العفة المقدسة) وديانا (العفة الطبيعية).

1 حلّت ساعة الرحيل فلا تريّث في التسلق،
فقد صار خط زوال الشمس في برج الثور
واستلم برجُ العقرب دائرة الليل.

4 وكما يندفع المرء مسرعاً
لسبب ضروري، غير آبه بما يظهر
له في الطريق يغريه بالتوقف ـ

7 هكذا سِرنا منفردين ودخلنا في الفجوة.

https://jadidpdf.com

وبدأنا نصعد الدرجات التي ضيقُها
يفرّق كل من يصعدون فيها.

10 وكما يتشوقُ اللقلق الصغير إلى الطيران
لكنه يخاف مفارقةَ العشّ، فيرفع جناحاً
ويخفضه ثانية ـ هكذا كنت أنا.

13 فالرغبة عارمةٌ في نفسي حيناً باردةٌ أحياناً
أتشوق للسؤال الذي يصل إلى
التراقي، ثم لا أتكلم ولا أنطق.

16 سريعةً كانت الخطى، ومعلمي لم
يبطئ بل قال: «أرى أن السهم
الذي أردتَ إطلاقه قد لجّمْته. أطلقْهُ».

19 زالت شكوكي فلم أتردّد في
استخدام فمي فقلتُ: «كيف يهزل
من لايحتاجون إلى طعام في حالتهم الجديدة؟».

22 قال: «تذكّرْ مليجر الذي مات حين
تلاشت الحطبةُ في النار وسوف تجد
المسألة غير عسيرةٍ على الفهم.

25 أو فكّرْ بأن أقل حركة أمام المرآة
هي ردٌّ على صورتك، وما يبدو لك صعباً
سيبدو أسهل مما تظن.

28 ولكنَّ هذه الرغبةَ تشتعل فيك فتطفئ

https://jadidpdf.com

لهيبها. سأرجو ستاتيوس الآن أن
يكون شافياً جراحَ الشكِّ فيك».

31 رد ستاتيوس: «إذا كنت في حضرتك
أوضح أشياء أبديةً، فعذري
أنني لا أرفض لك رغبة».

34 ثم قال لي: «يابني، فلتكنْ مهمتك
الاستماع والاهتمام بكلماتي التي ستضيء
لك «كيف» التي سألتها.

37 إن الدم الكامل ـ الدم النقي الذي يتبقى
مثلما يتبقى الطعام على المائدة، فلا
يذهبُ لإرواء الشرايين العطشى ـ

40 يكتسب، داخل القلب، قوةً تكوينية
لكل الأعضاء الإنسانية، كتلك التي
تتدفقُ في الشرايين وتُشكّلُ الأعضاء.

43 وحالما يتغيرُ في القلب يتدفقُ إلى ذلك
المكان الذي يحسُن ألّا نسمّيه. لذلك
يتسرب نقطاً إلى دمٍ آخر في الوعاء الطبيعي.

46 وهناك يختلط الدمان، فيكون الدم الأول
سلبياً والدم الثاني إيجابياً، بفضل
المكان الكامل الذي منه يتدفق.

49 وباجتماعهما تتخثر القوة الإيجابية داخلَ الآخرِ

https://jadidpdf.com

ثم تقوي ما كان الدم السابق كوّنه،
ليكونَ بذلك مادةَ العمل.

52 فالقدرة الفعالة تصبح الآن نفْساً
كنفس النبتة، مع فارق هو أن هذه
تبدأ حيث تكون تلك قد حقَّقت هدفها.

55 ومثل كائن يجري، نصفه عشبيٌّ ونصفه حيوانيٌّ،
تتحرك وتشعر. ثم تأخذ في تشكيل
قوى الإحساس التي تعتبر البذرة الأولى.

58 والآن يا بني تمتدُّ القوة التكوينية وتمكث
طويلاً في الداخل، حتى يأخذ كل عضو
شكلاً ومكاناً حسب مخططات الطبيعة.

61 أما كيف ينتقل هذا الكائن الحيواني إلى كائن
إنساني، فلم أشرحه لك، وهذه الناحية
قد أضلّت من هو أكثر منك حكمة،

64 إذ يُعتقد أن القوةَ المفكرة (بما أنها
لاعضو لها) تنفصل عن النفس النباتية
ـ وبهذه النظرية يُكرز.

67 افتخ قلبك للحقيقة التي سأبسطها
واعلمْ أنه حالما يتم التمفصل النوراني
ويكتمل في الدماغ الجنيني،

70 فإن المحركَ الأول حالاً يتجه إليه.

https://jadidpdf.com

وهناك، مبتهجاً بهذا الفن في الطبيعة،
ينفثُ فيه روحاً جديدة قوية.

73 كل ما هو إيجابي تدفعه هذه
النفسُ إلى ذاتها، فتشكل نفساً مفردة
تعيشُ وتشعر وتدير شأنها بنفسها.

76 (إن كانت كلماتي غريبةً جداً على
عقلك، فانظرْ كيف تنضم حرارة
الشمس إلى نسغ الكرمة فتحوله إلى نبيذ).

79 وعندما يتحدّد خيط لاخسيس،
تحررُ النفس ذاتها من الجسد، ولكن تأخذ معها
جوهر ألوهيتها ومواهبها البشرية ـ

82 وقواها الدنيا تصبح سلبيةً وصماءَ
لكن العقل والذاكرة والإرادة
تصبح أشدّ فعاليةً مما كانت.

85 ثم بشكل عجائبي، وبإرادتها الخاصة
تهبط دفعةً واحدة إلى هذا الشاطئ أو ذاك
وفيه تتعلم طريقها، خيراً أو شراً.

88 وحالما تلتصقُ بذاك المدار الجديد
تنطلق أشعة القوة التكوينية، وتكونُ
أولاً في شكل أعضاء البدن التي خلّفها وراءه.

91 عندئذ، ومثلما الهواءُ في أعقاب المطر

https://jadidpdf.com

يبرق ويعكس الأشعة الخارجية
فيكسبُها أروع الألوان ـ هكذا

94 عندما تتوقف النفس في زمنها الجديد
فيأخذ صورتها الهواء الذي يحيط بها.
وتلك الميزة هي التي نسميها القوة التكوينية.

97 بعد ذلك، وكما يرى المرءُ اللهبَ
الذي يتبع النارَ حيث تذهب،
فإن الشكلَ الجديد يتبع النفس إلى الأبد.

100 فالنفسُ تأخذ في الهواء مرئيتها.
ولهذا تسمى ظلاً. ومن الهواء تتشكّل
أعضاء النظر والكلام وكلّ الأحاسيس.

103 وبهذا نستطيع أن نتكلم وأن نضحك
وكذلك نذرفُ الدموع ونتنفس التنهدات
التي رأيتَ وسمعت عندما مررت بنا.

106 أما الرغبة والمشاعر الأخرى التي تحركنا،
فإن ظلالنا تغيّرُ سيماها. وذاك
هو سبب الحَيْرة التي ظهرت عليك وأنت في الأسفل».

109 كنّا وصلنا وقتها إلى آخر منعطفِ الدرج
حيث إلى اليمين انعطفنا عبرَ الكورنيش،
بينما عقولنا كانت مشغولةً باهتماماتٍ أخرى.

112 هنا، من السور الداخلي، تهب النارُ على الإفريز،

https://jadidpdf.com

بينما من الأرض يهب الهواء فيثنيها،
فلا يبقى على الجرف ممرّ ضيّق.

115 اضطررنا إلى اتخاذ هذا الممر باذلين
جهداً لنكون في نسق واحد. وهناك كنت،
النار عن شمالي والهاويةُ عن يميني.

118 قال قائدي: «في هذا المكان، علينا
كما هو واضح، أن نفتح أعيننا جيداً.
فما أسهل أن تُزلَّ القدمُ هنا».

121 وانطلقت داخل الأتون ترنيمةُ
«يا ربَّ الرحمة الفائقة» وعلى الرغم من
وعورة الطريق، لم أستطعْ إلا أن أنظر إلى النار.

124 هناك رأيت الأرواح تسير في اللّهب
فكنتُ ألقي عليها نظرة وعلى أقدامي أخرى،
فكأن القسمةَ كانت بالتساوي.

127 وعندما انتهت الترنيمةُ، انطلقت
النفوس المتألمة بكامل صوتها تنشد
«لا أعرف رجلاً» ثم تُعاد الترنيمةُ بهدوء.

130 فإذا انتهوا صاحوا: «في الغابة تقيم
ديانا وتطردُ منها هيليسي حين تشعر
هذه الحورية بسمّ فينوسَ في دمها»

133 وترتفع الترنيمةُ ثانيةً من الكورس،
وبعدها راحوا يسبحون الأزواج والزوجات

https://jadidpdf.com

الذين نذروا أنفسهم للعفة والزواج.

136 شاهدتهم في هذا الطريق ينشدون الصلواتِ
ويرفعون التسابيحَ، وهم يقبعون
داخلَ النار المقدسة التي تحرقهم هناك.

139 بمثل هذا الغذاء الجسدي يمكن أن
يلتئمَ جُرحُ خطيئتهم.

الرموز والصور:

خطاب ستاتيوس: خطاب يناقش القضايا الروحية وعلاقتها بالمادة والجسد. ويمكن أن ينقسم هذا الخطاب إلى ثلاثة أقسام: 1 ـ طبيعة مبدأ التوالد 2 ـ ولادة الروح البشرية 3 ـ طبيعة الأجساد الهوائية.

سوط الشهوة: اعتمد على مثالين: الأول من حياة مريم العذراء (العفة الروحية) حيث قالت: «لم أعرف رجلاً» لجبريل عندما أخبرها بأنها ستحبل وتلد ولداً. والثاني من حياة ديانا (العفة الطبيعية) التي عاشت في الغابات حفاظاً على عفتها.

الملاحظات:

1 ـ حلت ساعة الرحيل: الوقت بعد الظهر، لذلك لايوجد وقت للهدر.

22 ـ مليجر: ابن إينيوس، ملك كالدونيا. ربات القدر رمت قرمة حطب في النار، وعندما تترمد يموت مليجر، فخطفتها أمه وأخفتها، ولكن عندما تضامن مليجر مع أطلنطا وقتل خاليه، بعد صيد الخنزير البري، وكان الخلاف حول الهدايا ولمن تقدم، أخرجت أمه قرمة الحطب وأوقدتها، فلما انتهت انتهى.

130 ـ ديانا: حتى تحتفظ بعذريتها عاشت في الغابة وصارت صيّادة. إحدى حورياتها هيليسي شعرت بالشهوة (سمّ فينوس) تدبّ فيها وسلمت نفسها لجوبيتر. بعد أن طردتها ديانا، وهربا من زوجة جوبيتر واسمها جونو، حولها جوبيتر إلى كوكبة الدب الأكبر.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس والعشرون

الكورنيش السابع الشهوانيون

لجام الشهوة

الحكاية: يسقط ظل دانتي على النار، فيعجب لذلك الشهوانيون ويهرعون لمساءلته. ويرى السادوميين (الشهوانيين غير الطبيعيين) يسيرون عكس الشهوانيين الطبيعيين. ويتبادل الفريقان عناقاً سريعاً عابراً، ثم يصرخون بلجام الشهوة وهم يتحركون. ومن بين هذه الفئة الأولى يتحادث دانتي مع غيدو غوينزلي عن الأسلوب العذب الجديد، ويطلب منه الأرنو دانيل أن يصلي من أجله، ثم يختفي في النار المطهِرة.

1 سرنا هناك: الواحدُ بعد الآخر،
عبر الإفريز، مرشدي الطيب يكرر:
«سِرْ حيث تراني أسير. انتبهْ».

4 كانت الشمس قد غيّرت سماء الغروب
من الأزرق إلى الأبيض، وحطّت على كتفي
أشعتُها، وكلها تقريباً من الناحية اليمنى،

7 وقد جعل ظلّي ألسنةَ اللهب حمراءَ داكنةً
وهذه الظاهرة الخفيفة جعلت الكثير

https://jadidpdf.com

من الظلال التي تسير هناك تنظر إليها.

10 وعندما رأوا ظلي، بدأوا
يتحدثون عني، الواحد بعد الآخر:
«يبدو أنّه ليس ظلاً بل إنسان حيّ».

13 اقترب بعضهم مني بقدر
ما تمكنوا، لأنهم كانوا حريصين
على البقاء داخل النار التي تحرقهم.

16 «هيه. أنت يا من تتقاطر خلف الآخرين
تقاطرَ اللامبالي، ولانيّة لك في التسكع،
تحدّثْ إلي أنا المثقل بالعطش والنار.

19 لستُ وحدي الذي يحتاج إلى ما تخبر به شفتاك
كل هؤلاء عطاشٌ له أكثر من عطش
الأثيوبيين أو الهنودِ إلى جرعةٍ من بئر باردة:

22 كيف مازلتَ قادراً على إلقاء ظلِّكَ
فتقومَ سداً أمام الشمس، كما لو
كان الموت لم يلقِ شباكهُ عليك؟».

25 هكذا قال لي أحدهم. وكنت سأفسّر لهم
ذلك، لكن عيني في تلك الآونة
وقعتْ على منظرٍ مدهشٍ تماماً:

28 فمن الأسفل، من مركز ذلك الطريق الناري
جاءت أرواحٌ جديدة من الاتجاه المعاكس،

https://jadidpdf.com

فنسيت ما همَمْتُ أنْ أشرحه.

31 شاهدتهم يسرعون في كل جانب
وكل ظلٍّ يقبّل الآخرَ من دون توقف
وكل واحد يقنعُ بهذه التحية المختصَرَة.

34 النمل في صفوفه الكثيفة يتقابل
بهذه الطريقة، فكل نملة تمسح أنفها بالأخرى، ربما
بهذا تسأل عما لاقوه من حظ، أو بأي طريق يذهبون.

37 وحالما انتهوا من هذه التحيّة الودّية،
وقبل أن يتابعوا مسيرهم خطوةً واحدة،
كان كل ظل يصرخ بالآخرين في ذلك اللقاء.

40 تصيحُ الأنفسُ الجديدةُ «سادوم وعامورة»
ويصيح الآخرون: «باسيفي تدخل البقرة
لتغوي العجل الجميل بفرجها المشرع».

43 وكما تنقسم اللقالق إلى سِربين، واحد
يطير إلى الجبال الرينينية، وآخرُ إلى الرمال،
هذا من الجليد يهرب، وذاك من القيظ يفرّ ـ

46 هكذا انقسمت تلك الظلال في طريقين متعاكسين
وكلُّ فريق يعود بدمع سخين إلى أغنيته الأولى،
وكل واحد يصيح بما يناسب من تسابيح.

49 ثم تجمّعَ هؤلاء الذين جاؤوا من طريقي
وكذلك أولئك الذين جاؤوا من أمامي.

https://jadidpdf.com

وبدا أنهم متشوقون لسماع كلامي.

52 ولقد أجبتُ من دون تأخير من
لبّيت رغبتهم مرتين: «أيها
الأرواح الرانية إلى الفردوس،

55 أنا لم أتركْ ساقي في الأرض
لا من مدة قصيرة ولا من مدة طويلة،
بل إنها معي بلحمها ودمها ومفاصلها

58 أنا ذاهبٌ في طريقي حتى لا أكون أعمى
هناك في الأعالي سيدة تَهبُ النعمةَ
وأنا ـ الحي ـ أعبر عالمكم يقودني حبّها.

61 لكن أيها الرانون والمتشوقون إلى
دخول سماء الحب التي تظلّل الجميع
أتوسل إليكم أن تخبروني،

64 من أنتم؟ وهؤلاء الآخرون الذين
يسيرون خلفكم من هم؟ وقد أسجل
ما تقولون لكل من يقرأ».

67 وكما يفعل الجَبَليّون، في أول مرة ينزلون البلد،
نصف متوحشين، وشُعَثاءَ الشعر، يحدّقون بالشوارع
ويحملقون في معالم المدينة التي تثيرهم ـ

70 مثل هذه النظرة شاهدْتُ على وجوه تلك الظلال،
ولكن عندما استفاقوا من غيبوبتهم،

https://jadidpdf.com

(التي سرعان ما تتلاشى من القلوب المخلصة)

73 تحدّث الظلُّ الأول ثانية: «طوبى لك
يا من تخزن في روحك من أجل حياة أفضل
تجربة هذه الممالك التي تطوف مسالكها.

76 الأرواح الذين تراهم ذاهبين في الطريق الآخر
تفعل ما فعله الجمهور بقيصر المنتصر
حيث راحوا يدعونه «الملكة».

79 لذلك فإن مجموعتهم، عندما تنفصل عنا
تصرخُ «سادوم» ـ كما سمعت ـ فبعارِهِمْ
هذا يؤججون النار التي تنقّيهم.

82 أما نحن فكنّا عشّاقَ الجسد الآخر في خطيئتنا
ولكن بما أننا لم نحترمْ شرائعَ البشر، وكنا
نتواقع كالحيوانات، بأحاسيسنا الشهوانية،

85 فإننا عندما نترك المجموعة الأخرى، نندم
ونصيح لتقريع عارنا باسم من اندسّتْ
في جوف البقرة الخشبية من أجل شهوةٍ حيوانية.

88 أنت الآن تعرف أفعالنا وجرائمنا.
ولكن إن كنتَ ترغبُ في أسمائنا، فإننا
كثُر ولا أعرفهم كلّهم، ولا وقتَ لتعدادهم.

91 سأحقّق شوقك إلى معرفتي:
أنا غيدو غوينزلي، جئت من عهد قريب،

https://jadidpdf.com

لأني تبت تماماً قبل أن أموت».

94 في أحلك الساعات التي قضى بها ليكورجوس على هيبسبيلي
اكتشفها ولداها وهُرِعا إلى عناقها: وكان بي
الشوقُ كما كان بهما (لكن لا أستطيع فعل ما فعلاه)

97 عندما سمعت اسمه، لأنه كان في الشعر
أباً لي ولمن يفوقني ويفضلني، فقد أبدع
بأسلوب عذب في إيقاعِ الحبّ والعشق.

100 بهجتي عقدَتْ لساني وصمَّت أذني
فلم أنطق ولم أسمعْ، وإنما حملقتُ فيه عندما
سرنا، واللهبُ يحولُ دون اقترابي منه أكثر.

103 وعندما شبعت عيناي تكلمتُ من جديد
وبكلام يبعث الثقة، قلت له
بأنني رهنُ خدمته بكل ما أستطيع.

106 عندها قال لي: «ما قلته ترك
انطباعاً عميقاً في ذهني
فحتى نهرُ ليثي لايستطيع محوه أو تخفيفه.

109 ولكن إن كانت كلماتُ قَسَمِكَ حقيقيةً
لماذا يبدو هذا الحب، بالنظرة
والكلمة، في محيّاك؟».

112 قلت له: «أغانيك العذبة والواضحة
الدائمة مادامت لغتنا الحديثة،

https://jadidpdf.com

ستجعل حتى الحبْر الذي كتبها عزيزاً علينا».

115 قال: «ذاك الأخ الذي يسير بعيداً
هناك (وأشار إليه بيده) كان في الحياة
أعظم أديب في لغتنا الأم.

118 إنه في أغاني الحبّ وفي قصص النثر
لايُجارى ـ وما أغبى أولئك الذين
يدعون أن ليموجوس أنتجَ أفضلَ، فهناك

121 دائماً من يقيسون الرفيع بالوضيعِ
متجاهلين مبادئ الفن والعقل،
فيبنون أحكامهم على اسم المؤلفِ.

124 وهكذا أطرى كبارُ القدماء أسلوبَ غويتون فقط
فتناقله أعقابهم: الواحد بعد الآخر،
مع أن هذه الحقيقة تنطبق على كثيرين.

127 والآن، إذا كنت مسروراً بهذا الامتياز
وهو أنك حرّ في الذهاب إلى الأعلى
إلى الرواق الذي يسكن بداخله المسيحُ

130 فاتلُ «أبانا الذي» من أجلي
فقد تفيدنا الصلاة في هذا العالم
الذي فقدنا فيه كل قدرةٍ على الخطيئة.

133 وبهذا أو ربما لأنه أخلى المكان
لآخر غيرَه، تلاشى في النار،

https://jadidpdf.com

كسمكةٍ تغوص في أعماق البحر السحيقة.

136 سِرت إلى الأمام، إلى أن اقتربت من ذاك
الظل الذي أشار إليه، وقال إن له
في قلبي مكانةً عظيمةً يحلّ بها اسمه.

139 فأجاب فجأة وبتصميم واضح:
«الفرح الكبير بلطفك جعلني
لا أستطيع أن أخبّئ وجهي منك

142 أنا أرنو، أعملُ وأستعدُّ من أجل رحيلي.
مؤلمة هي أيامي الماضيات
وأبتهج للأيام التي أعدّ لها نفسي.

145 أحلّفك بتلك الميزة التي أهنئك
عليها، والتي تقودك إلى الأعلى
أن تذكرني هناك وأن تذكر ألمي».

148 وغاب في النار التي تهيء الأرواح إلى الأعلى.

الملاحظات:

4 ـ غيّرت سماء الغروب: الرابعة بعد الظهر.

20 ـ كل هؤلاء: كل الأرواح الأخرى.

29 ـ جاءت أرواح جديدة: أي جاء السادوميون.

31 ـ شاهدتهم: أي شاهدت الفريقين.

32 ـ كل ظل يقبّل الآخر: حسب النصائح الرسولية «سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة» (رومية 16: 16) فالقبلات ليست تذكيراً لهم بقبلات الدعارة فقط، بل إنها تساعدهم على التطهر أيضاً.

37 ـ 42 ـ لجام الشهوة: المثال الأول عن الشهوة غير الطبيعية، والثاني عن

https://jadidpdf.com

الشهوة الطبيعية. فأهل سادوم وعمورة دمرتهم نار السماء بسبب اللواط وهو الشهوة غير الطبيعية. وباسيفي هي زوجة مينوس. أرسل بوسيدون، إله البحر، ثوراً جميلاً ليضحي به مينوس، فوضعه بين قطيعه. وانتقاماً منه جعل إله البحر زوجته باسيفي تقع في حب الثور. فصنع لها ديدالوس بقرة خشبية جوفاء دخلت فيها وأشرعت فرجها فواقعها الثور، فحبلت وولدت المينوتور (نصف ثور ونصفه إنسان) وبهذه المواقعة ولد الوحش وليس الإنسان السوي (انظر الجحيم 12: 12 ـ 18).

78 ـ قيصر الملكة: إشارة إلى العلاقة بين قيصر ونيقوميدس الملك الذي غزا بيثينا، ولهذا كان قيصر يدعى ملكة بيثينا.

87 ـ اندست في جوف البقرة: هي باسيفي (انظر 37 ـ 42).

92 ـ غيدو غوينزلي: شاعر باللغة الأم في منتصف القرن الثالث عشر. يعتبر مؤسس الأسلوب العذب الجديد.

94 ـ ليكورجوس: هيبسبيلي زوجة جيسون، كان لها ولدان منه، انفصلت عنهما. عملت مربية عند ليكورجوس، لكنها أهملت ابنه فلدغته أفعى فحكم بموتها، وفي طريقها إلى التنفيذ تعرف عليها ابناها وعانقاها فعفا عنها الملك.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع والعشرون

الكورنيش السابع ملاك العفة

سور النار

الفردوس الأرضي الملاك الحارس

الحكاية: قبيل غروب الشمس من اليوم الثالث في الجبل، وصل الشعراء إلى تخم الكورنيش السابع فحيّاهم ملاك العفة، وأخبرهم أن عليهم أن يعبروا سور النار، فيخاف دانتي. فرجيل يشجعه باسم بياتريس التي ستلقاه بعد أن يجتاز النار. وينجح دانتي. وينطلق نشيد من الجانب الآخر، ويمحو الملاك الحارس للفردوس الأرضي آخر خطايا دانتي. ويحثهم الملاك على الصعود، لكن الليل يخيم فينام كل شاعر على درجة. وفي النهار ينهض دانتي ويصل الشعراء الثلاثة إلى الفردوس الأرضي، وهنا يدلي فرجيل بآخر حديث له، إذ ينتهي تخم العقل البشري، ويصبح دانتي حرّ الإرادة، مبرّأً من كل خطيئة.

1 مثلما يشرقُ فجر النهار عندما تبدأ الشمس تلقي أشعتها
على الديار التي عليها أُريقَ دم صانعها
وبرج الميزان ارتقى نهر الإبرو،

4 بينما مياه الغانج تتبخر في الظهيرة ـ
هكذا كان النورُ آخذاً في التلاشي،

https://jadidpdf.com

عندما قابلنا ملاك المسرّة الواقف هناك،

7 على الجرف الصخري أبعدُ من ألسنة النار
وهو ينشد «طوبى لأنقياء القلب»
بصوت لايمكن لأي إنسان أن يأتي بمثله.

10 ثم: «أيها المباركون، إن لم تتطهّر النفسُ
بالنار لايمكن أن تمرّ من هنا. فادخلوا
النار وانشدوا الغناء في الجهة الأخرى».

13 هذه كلماتُهُ لنا عندما اقتربنا
كثيراً. وإذ سمعتها وقفتُ جامداً
بلا حَراك كالجثمان في عتمة القبر.

16 اتكأت على يديّ المتشبثتين وحملقْتُ
في النار، مفكراً في الأجساد البشرية
التي رأيتها من قبل، وخاصة التي رأيتها تحترق.

19 لاحظَ مرشدي كيف أُمسكُ أنفاسي
وأتلفّت، فقال فرجيل: «داخل
النار يوجد ألم ولكن لايوجد موت.

22 فكّرْ جيداً يابني في الطرق الوعرة التي
سرناها، فقد أرشدتك على جيريون بلا أذى:
فهل أتواني عن إرشادك الآن ونحن أقرب إلى الله؟

25 فكّر بما أقول وسيتلاشى كل شك: فلو بقيتَ
داخل النار آلاف السنوات فلن

https://jadidpdf.com

تسقط شعرةٌ واحدة من رأسك.

28 فإن بقيت تشك في إخلاصي،
فقرّب طرف ثوبك من اللهب
وستلمس بيديك وترى بعينيك صدقي.

31 بني، يا بني، هيا تقدّمْ بكل ثقة ودعْ
خوفك جانباً وادخل إلى الطمأنينة».
فوقفت مسمّراً أتصارع مع ضميري.

34 لما رآني مازلتُ عنيداً مسمّراً
قال بشيء من الاضطراب: «فكّر يا بني
أنك سوف ترى بياتريس عندما تعبر النار».

37 وكما تنفّسَ من حضن الموت بيراموس
وفتح عينيه عندما سمع اسم تيسبي
ونظر إليها، عندما صارت أكباشُ التوت حمراء ـ

40 هكذا تماماً انزاح عني عنادي
والتفتُّ إلى قائدي لدى سماعي الاسم
الذي يسكن ذاكرتي إلى الأبد.

43 وعندها هزّ رأسه، كمن يسترضي
طفلاً بتفاحة، ثم قال:
«حسناً ماذا تنتظر؟» وابتسم

46 ثم استدار ودخل في النار سباقاً
وطلب من ستاتيوس، الذي كان

https://jadidpdf.com

يتمشى بيننا، أن يكون آخر من يأتي.

49 وحالما صرت في اللهب، تمنيت حقاً
لو ألقيت جسدي في زجاج مغلي لأبرّده
من هذه الحرارة الشديدة المندلعة.

52 والدي اللطيفُ الشفوقُ والحكيمُ دائماً،
شَدَّ أزري في رعبي، بالحديث عن بياتريس
قائلاً: «يتراءى لي أني أرى عينيها».

55 ولإرشادنا ارتفعت تسبيحة الشكر من الجانب
الآخر، فتحركنا نحو الصوت، وأنا مسلوب العقل،
ووصلنا أخيراً إلى حيث يبدأ الصعود.

58 وهناك أبصرت ضوءاً متوهجاً حتى
أني أشحت بوجهي، ومنه انطلقت تسبيحة
«تعالوا يا مباركي أبي»

61 ثم «الليلُ يهبطُ والشمس تأوي إلى مستقرها
فلا تتأخروا، بل أسرعوا إلى القمة
بينما النور الأخير يتلاشى في الغرب».

64 الطريق استقام صُعُداً على السور الصخري
وعلى هذا الطريق الذي سرت فيه
واجه جسدي آخرَ خيوط الشمس الغاربة.

67 صَعدنا درجاتٍ قليلةً عندما
رأيت، أنا والحكيمان، ظلي

https://jadidpdf.com

يتلاشى، فعرفنا أن الشمس غربَتْ.

70 وقبل أن يصطبغ حَدُّ الأفق بلون
واحد، وقبل أن يشملَ الليلُ كل
الهواء، ويمدَّ سلطانه عليه،

73 اختار كل واحد منا الدرجةَ التي
كان يقف عليها سريراً له لأن طبيعةَ
الجبل قضت على كل رتابة في التسلّق.

76 كما ترقصُ العنزاتُ وتقفز على التلال الصخرية
نشيطة قوية، إلى أن تجد العشب،
فتصبحَ أنيسةً هادئة مثل الخراف

79 التي تستظلُّ عندما تكون الشمس محرقة
فيقف الراعي متكئاً على عصاه،
وبعينيه يطوف على القطيع كله ـ

82 وكما يفترش الأرضَ راعي البقر
ويمضي ليلُه يراقب قطيعه
حتى لايفرّقه ذئبٌ أو وحشٌ،

85 هكذا هناك نمنا، كل واحدٍ على صخرة
أنا العنزة وهما الحارسان وقد
أطبقت الجدران الصخرية من كل جانب،

88 الرؤيةُ ضعيفة إلى الأمام، فالصخرة تسد الطريق.
ولكن من خلال هذه الرؤية رأيت النجوم تلمع أكثر

https://jadidpdf.com

سطوعاً مما يراها أيّ بشري. وحالما

91 استلقيتُ محدّقاً ومستغرقاً في التفكير، فخطفني
النوم الذي غالباً ما يقدّم الحقيقة قبل
أن تحدث، إنه نوم النبوءة.

94 أظن أنه في الساعة التي ترجع فيها
الزُّهرة من الشرق متلألئةً على الجبل ـ
وقد شعَّ منها الحبُّ المتقد ـ

97 حلمت أني رأيت عذراءً بريئةً
وجميلةً تسير في حقلٍ مشمس
تجمع الأزهار وتغني وهي تمشي:

100 «قل لمن يسأل عني... إني ليئة
يداي الناصعتان تجدلان الغار إكليلاً
أسرُّ بهِ نفسي عندما أقفُ أمام

103 مرآتي الصافية، ولهذا فإن أصابعي
تقطف البراعمَ. لكن أختي الطيبةَ راحيلَ
تجلس إلى مرآتها طيلة النهار بلا حراك.

106 كلُّ متعتها أن تتطلع في المرآة
بعينيها، مثلما أن متعتي في زينتي
فهي تنظر وأنا أعمل. وهكذا نحيا ببهجة».

109 مالت الآن أشعةُ قبة السماء إلى الشرق
(وهو أحب ما يكون للمتنزهين الذين

https://jadidpdf.com

يرجعون من كل موطئٍ ليلي قريبٍ من البيت)

112 وامتدت الظلال من كل جانب، فنهضت
من نومي، وقفزت على قدمي،
وقد سبقني المرشدان إلى الاستيقاظ.

115 «هذا هو اليومُ الذي فيه تتغذى
روحك الجائعة من التفاح الذهبي
الذي يبحث عنه الناس بين مختلف الأغصان»

118 هذه هي الكلماتُ التي فاتحني بها
فرجيل. والحقيقة أنني لم أحظ بهدايا
أعزُّ على قلبي من هذه الكلمات.

121 موجاتُ الشوق إلى وصول القمة
غمرتْ نفسي فكنتُ في كل خطوة
أشعر بالريش ينبت أجنحة لتطير بي.

124 عندما تسلقنا درج الطريق وصولاً
إلى الدرجة العليا، التفتَ إليّ
الأب الحبيب فرجيل وثبّتَ عينيه فيَّ.

127 قال: «يا بني لقد رأيت الآن عذاب
النار الآنية، وعذاب الأبدية،
فهنا الحدودُ التي يقف عندها عقلي.

130 إلى هنا أرشدتُك بفضل العقل والفن،
فحبُّ الخير فيك الآن سيكون مرشدك.

https://jadidpdf.com

لقد عبرتَ الطريق الوعر، واجتزت القسم الضيّق.

133 فهناك تسطع الشمس على جبينك
والعشب والأزهار والكرمة الطيبة
كلها تنمو من دون بذار أو حراثة.

136 وإلى أن تأتي العينان الوديعتان اللتان
بحزن دفعتاني لأدلك على الطريق،
اجلسْ هنا أو تجوّل في السهل.

139 لاتتوقّعْ مني شيئاً، لا قولاً ولا فعلاً:
هنا صارتْ لك إرادةٌ حرةٌ وكاملة
وستخطئ إن لم تعمل بإرشادها.

142 لذلك أرسمك سيداً، وعلى نفسك أتوّجُكَ».

الرموز والصور:

حلم دانتي: يحلم بليئة وراحيل. قدم صورة لليئة كلها فرح وبهجة بينما نجد بالمقابل صورة راحيل هادئة أقرب إلى الحزن، وهذا ما جعله يدفع بها إلى السموات لتمثل «حياة التأمل»، وإذا عدنا إلى قصة هاتين الفتاتين في الكتاب المقدس عرفنا أن راحيل جميلة جداً لكنها عاقر، أما ليئة فقبيحة لكنها ولود. ومن هنا نتبين أن العقم ارتبط عند دانتي بالتأمل والطهارة، بينما ارتبط الخصب بالفرح. والتأمل حياة سلبية من الطبيعي أن تكون بلا خطيئة، أما الخصب فإنه فعل، ولكل فعل خطيئة. إن دانتي يرمي إلى أشياء دقيقة في الصور التي يقدمها. إنه لايختارها عبثاً.

سور النار: الشهوة فعل والفعل خطيئة. وسور النار الذي أقامه دانتي يطهّر العابرين من الشهوة، وهو السور الذي يجعلهم بشراً جوفاً، لابركان في صدورهم. إن عملية التطهير هي عملية سلخ وتجريد... عملية تجريف لكل العواطف، فيدخل الإنسان مجرداً من كل ما يقوده إلى الخطيئة...

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

6 ـ ملاك المسرة: ملاك العفة الذي يقف في ممر صخري ضيق خارج سور النار.

23 ـ جيريون: وحش الخديعة.

37 ـ بيراموس... تيسبي: في بابل عشق بيراموس تيسبي، فمنعهما الأهل. تواعدا في الساحة تحت شجرة التوت التي كانت أكباشها بيضاء، فوصلَتْ قبله. رأت لبوة فهربت وسقط رداؤها. وصل بيراموس فرأى الرداء وشاهد اللبوة فقتل نفسه. عادت تيسبي فرأته مضرجاً بدمه فقتلت نفسها، وتحولت أكباش التوت من بيضاء إلى حمراء. وقد اعتمد على هذه الحبكة شكسبير في «روميو وجولييت».

58 ـ ضوءاً متوهجاً: الملاك الحارس.

68 ـ ظلي: ظل دانتي لأن زميليه لاظل لهما.

97 ـ 106 ـ ليئة وراحيل: أحب يعقوب راحيل فعمل عند أبيها لابان سبع سنوات، ثم دخل عليها فإذا هي ليئة، فلما كاشف حميه قال له: لايجوز أن تتزوج الصغيرة قبل الكبيرة. أكمل أسبوعها واعمل سبع سنوات وخذ أختها. وهكذا كان. وكانت راحيل جميلة وعاقراً. وكانت ليئة قبيحة، ولقبحها فتح الله رحمها (تكوين 29: 15 ـ 33).

142 ـ أرسمك سيداً، وعلى نفسك أتوجك: هذا تتويج روحي وجسدي. أرسمك سيداً (أي كاهناً) أي جعله عالماً بأمور الروح. وعلى نفسك أتوجك: أي صرت ملكاً تأمر وتنهي، طالما ملكت الإرادة الحرة.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن والعشرون

الفردوس الأرضي ليثي

الحكاية: صباح الأربعاء بعد الفصح، وهو اليوم الرابع على الجبل. وبعد أن توَّجَهُ فرجيل سيداً على نفسه صار قائد نفسه للمرة الأولى، في الغابة المقدسة للفردوس الأرضي، حيث ظل يتجول إلى أن اعترضته مياه ليثي. تظهر ماتيلدا (رمز الحياة الفاعلة) تقطف الأزهار، وترد على أسئلة دانتي عن الظواهر الطبيعية للفردوس الأرضي: الرياح ومياه ليثي وأيونو وتجيبه عن أخطاء الشعراء القدامى عن الفردوس الأرضي، وكيف كان تصورهم له خاطئاً.

1 الشوق يدفعني لاكتشاف ما في داخل
الغابة المقدسة المخضرّة، وما يحيطها
من جوّ بهيجٍ ونور لطيفٍ فانطلقتُ

4 بلا تأخير، من الدرجة التي كنت فيها
ورحتُ أتجول في السهل، في أرض
تشعُّ العبيرَ وتعطّر الهواء

7 العذب، الذي داعب وجهي في ذلك المكان
فلا هو يتقلب ولا هو يشتد أكثرَ من
ريحٍ ندية، هفهافة ناعمة.

https://jadidpdf.com

10 وبلمسة من الهواء تترنح الأغصان متمايلةً
وكلها تنحني نحو ذلك القسم الذي
يلقي عليه الجبلُ المقدس ظله،

13 لكن في كل جزء من أجزاء الغابة
الجميلة تعتلي الطيورُ الصغيرة فَنَنَ
الأشجار وتمارس كل أنواع فنونها،

16 وحشودُ الطيور المغردة داخل
خيامها الخضراء، ترحّبُ بالحفيف
الجديد الذي يضيف عذوبةً إلى أغانيها،

19 كالحفيف الذي يسمعه المرء من غصن إلى غصن
في غابة صنوبر شاطئ شياسي
عندما يسمح إيلوس للرياح سيروكو أن تهب.

22 رحت أطوف بأرجاءَ جذلى.
بجمال الغاب القدسي انجذبتْ قدمي
حتى أني لم أعرف أين أنا،

25 لكن جدولاً اعترض طريقي
يجري عن يساري ومويجاته أحنت
قليلاً أعشابَ ضفتيه كأنها تداعبها.

28 أنقى مياه يعرفها إنسان لابد أن تبدو
مشوبةً ببعض الرواسب في داخلها إذا
قورنتْ بهذه المياه، مع أن الجدول المقدّسَ

https://jadidpdf.com

31 يجري واكفاً هناك: فإن صفحته
الظليلة دائماً لاتعرف أيّ نورٍ من شمس
أو من قمر، ولايمكن لشيء أن يختبئ فيها.

34 توقفَتْ قدماي عن السير، لكن عيني تابعتا
طريقهما عبر الجدول، تتجولان بفرح
في كل أزاهير أيار المتنوعة.

37 فجأة ـ كما تفعل المناظر الجديدة حيث
تطرد من ذهن المتجول
كل الأفكار الأخرى ـ وقع نظري

40 على سيدةٍ تتجولُ هناك وحدها
تغني وتلتقط الأزاهيرُ من
الرياحين التي تملأ كل طريقها.

43 قلت: «أيتها السيدة الجميلة ـ إن كانت النظرات
والمعالم تحمل إلى القلب شاهداً حقيقياً ـ
فإنك ولاشك تتشمسين بأشعّة الحب،

46 فأرجوك أن تقاربي ما استطعت
ضفّة هذا النهر العذب، فأنا شغوفٌ
أن أفهم الأغنية التي بها تصدحين.

49 جعلتني أرى بعين الحلم والخيال
برسيفوني التي ظهرتْ في ذلك اليوم الذي
فقدَتْ أمُّها ابنتَها، وفقدت هي الربيع.

https://jadidpdf.com

52 ومثلُ راقصة تتشبث بالأرض قدماها
وتجمعهما معاً، فلا تكاد قدمٌ
تسبق الأخرى، لتستدير كلها -

55 هكذا التفتَتْ إلى فوق، إلى
الأزاهير الحمراء والصفراء، عذراء
متواضعة، أسبلت عينيها وأحنت رأسها.

58 وفعلتْ كل ما طلبْتُ، فتقدمت بحيث
لم أسمعْ فقط النغم الذي
تشدو به، بل سمعتُ كل كلمة تغنيها.

61 وعندما وقفت حيث العشبُ اليانع
ينحني ويستحمُّ في أمواج النهر الصافي،
رفعت عينيها وتعطفت على نفسي بابتسامة.

64 لاأعتقدُ أن شعاعاً متألقاً كهذا
أطلقَتْهُ عينا فينوس يومَ جَرحها
ابنها وهو يلهو معها.

67 باسمةً هناك على الضفة الأخرى وقفت
وضمَّتْ بين ذراعيها كلَّ الأزهار
التي تنبت بلا بذور في تلك الغابة.

70 الجدولُ الذي يفصلنا كان بعرض ثلاثِ خطواتٍ
لكن الدردنيل، حيث عَبَرَ أكسيروكس الفارسي
ضارباً مثالاً ساطعاً لكل المتكبرين،

https://jadidpdf.com

73 في هياجه بين سيتوس وأبيدوس،
لم يكرهه ليندر أقلّ مما كرهت الجدول
لأن مياهه لم تغضْ لتمكنني من العبور.

76 قالت: «وافدون جُدد. ولأني أبتسم
في المكان الذي اختير
عشّاً للجنس البشري، فربما

79 ساوركم شك جعلكم تعجبون بهذا المشهد.
وحتى ينقشعَ ضبابُ أفكاركم، فإن
مزمور «بأعمالِ يديك ابتهجْ» ينيرُ عقولكم.

82 وأنت، متقدِّمهم، الذي كنت أول من رآني،
أسأل إن كنت تريد معرفة المزيد. فأنا
مستعدة كي أجيبَ عن كل ماتسأل».

85 قلت: «الطريقةُ التي تترنمُ بها الغابةُ
وتتدفق المياه تنافي التصورات التي
كنْتُ تخيلتها مما سمعت قبل قليل».

88 أجابت: «سوف أشرح لك ماالذي يسبب
الأشياء التي شوّشت لك ذهنك،
فيزول عنك كل ضبابٍ وغموض.

91 إن الخير الأسمى الذي لايبهج إلا نفسهُ
خلق الإنسان خيّراً، ويعمل للخير، لذلك
قدم له هذا المكان ليحرصَ على السلام الأبدي.

https://jadidpdf.com

94 لكن الإنسان أخطأ فكانت إقامته قصيرةً جداً.
وبخطيئته استبدل فرحه العذب
وبهجته البريئة بالدموع والكدح.

97 وعندما تتلاقى أبخرة الأرضِ والمياهِ
فإن عاصفةً في الأرض تثور. الآن
هذه الأبخرة تتصاعد إلى أعلى نحو الحرارة.

100 ولحماية الإنسان من مثل هذه العناصر الخطيرة
ارتفعَ هذا الجبلُ عالياً بحيث لايمكن لأبخرة
الأرض أن ترتفع فوق بوابة التوبة.

103 وبما أن الهواء يتقلب في اتجاه موحَّدٍ
وبدائرة تامة مع «الحركة الأولى»
إلا إذا قُطِعَتْ في نقطة ما،

106 فإنه هنا، عند هذا الارتفاع، حيث يدور
في حالته النقية، يضرب الأوراق الكثيفة
فيصدر هذا الصوت من حفيفها.

109 والأشجار الكثيفة تلقّح الهواء النقي
بقواها الخاصة، التي تتحركُ بدائرة
كبيرة جداً، وتتفرقُ في كل مكان،

112 والأرض الأخرى، حسب قوى
التربة والطقس في أقاليمها المختلفة
تتلقّح وتحمل ثمارها وأزهارها.

https://jadidpdf.com

115 وبما أن هذا مفهومٌ هناك، فلا حاجة
إلى الدهشة عندما تتجذر وتنبت
من الأرض من دون بذور.

118 واعلمْ أن التربةَ المقدسة التي تقف عليها
تنبتُ الأنواعَ من كل لون
وتحمل ثماراً لم تقطفْ مثلها يد إنسان.

121 والماء الذي تراه هنا لامصدَرَ له
ولايحتاج أن يستمدَّ غزارته من الغيوم
مثل الجداول التي تتدفق وتسقط:

124 وبالقوة الأبدية ينقسم الينبوعُ قسمين
حسب إرادة الله، وكل نقطة تنقسم
إلى جدولين، تجري عبرَ هذا السهل.

127 في الجهة الثانية تُمحى كل ذاكرة
للخطيئة، وتتقوى كل ذاكرة
لكلِّ عملِ خيرٍ تحقق.

130 اسمُ النهر هنا: ليثي. وهناك: أيونو
ويجب أن يشرَب المرءُ من هذا أولاً ثم من ذاكَ
ليشعر بقواه. ولايمكن لنكهة أن

133 تقارَن بنكهةِ هذه المياه، ومع أنك
قادرٌ، ومن دون تعليمات، أن
تسقي نفسك من النهر الأبدي،

https://jadidpdf.com

136 فسأقول لك شيئاً من أجل خيرك.
ومع أني أزيد من وعودي، فلا أعتقد
أن ما أضيفه الآن لايرضيك.

139 إن القدامى الذين نظموا الأناشيد احتفاءً
بعصر الإنسان الذهبي، وهو جنّةُ
حالته النقية الأولى، كانوا يعيشون في البرناس.

142 لقد عاش الناس حياتهم البريئة الأولى
هنا في الربيع الدائم والثمر الأبدي
هذا هو النكتارُ الذي يمدحه الشعراء».

145 توقفتُ، فاستدرتُ لأواجه سيديَّ،
الشاعرين اللذين قدما الأغاني القديمةَ المشرفةَ،
ولأرى كيف تلقيا كلماتها الأخيرة بابتسامة،

148 ثم استدرت خلفاً إلى سيدة النِعم البهيجة.

الرموز والصور:

الفردوس الأرضي: يميل معظم النقاد إلى أن هذا الفردوس مأخوذ من غابة الصنوبر في شياسي قرب رافينا على الأدرياتيك، فهناك كتب دانتي الأناشيد الأخيرة للمطهر. وهذا هو الفردوس الأرضي الذي يقابل الغابة المظلمة التي انطلق منها في بداية الجحيم. ومهما قيل في الفردوس الأرضي الدانتوي، فإنه لايخرج عن التصورات الإنسانية القديمة حول «حالة البراءة» والمصالحة مع الطبيعة، أو بالأحرى التماهي مع المظاهر الطبيعية غير العدائية.

ماتيلدا: مسألة ماتيلدا محيرة أيضاً. لكن أقرب الأمور هو ربطها بحلم دانتي الذي رأى فيه ليئة تقطف الأزهار. ولذلك يمكن الزعم أن ماتيلدا تمثل «الحياة الفاعلة».

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

11 ـ القسم الذي: الغرب.

20 ـ غابة الصنوبر: غابة في شياسي (الآن كلاسي) كانت ميناء رافينا في العام 1300.

21 ـ إيلوس: إله الريح في الأساطير القديمة. يدفع الريح من كهفه. سيروكو: رياح جنوبية. وهي بالنسبة إلى إيطاليا ريح تأتي من أفريقيا.

36 ـ أزاهير أيار: الربيع الدائم.

40 ـ سيدة تتجول: ماتيلدا، وهي صورة عن ليئة.

45 ـ تتشمسين: أشعة الشمس هنا في أشعة الحب، أشعة الله.

50 ـ برسيفوني: ربة الإنبات. تقضي نصف عمرها في هاديس، فتقحل الأرض، ثم تعود من جديد فتنبت.

51 ـ فقدت هي الربيع: عندما اختُطفت برسيفوني سقطت الأزهار من بين ذراعيها.

65 ـ فينوس وابنها: كان كيوبيد يلهو مع أمه فينوس وجعبة السهام معه فجرح سهم صدر أمه، فابتسمت بغبطة.

70 ـ ثلاث خطوات: رمز للندم (الندم ـ الاعتراف ـ الغفران).

70 ـ الدردنيل: قطع أكسيروكس (ابن داريوس) عام 485 ق.م الدردنيل على جسر من السفن ليغزو اليونان، فنُحر في سلاميس وتحطمت كبرياؤه.

72 ـ سيتوس وأبيدوس: مدينتان في الدردنيل. وليندر شاب من أبيدوس أحب هيرو كاهنة أفروديت في سيتوس. عارض الأهل فسبح إليها فغرق، فرمت نفسها في البحر.

78 ـ عشاً للجنس البشري: جنة عدن.

81 ـ بأعمال يديك ابتهج: مزمور 92 .

87 ـ سمعت قبل قليل: كان ستاتيوس قد أخبر دانتي (نشيد 21) بأنه لن يرى مطراً ولاثلجاً ولاتقلبات طقس.

98 ـ فإن عاصفة: هذه نظرية دانتي في حدوث العواصف.

130 ـ في الميثولوجيا: نهر في هاديس (نهر النسيان) يشرب منه الموتى فينسون وجودهم. لكن دانتي استخدمه استخداماً جديداً في مطهره وجعله نهر نسيان الشر فقط.

144 ـ النكتار: طعام الآلهة.

146 ـ الشاعرين: فرجيل وستاتيوس.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع والعشرون

الفردوس الأرضي ضفاف ليثي

الموكب السماوي

الحكاية: تسير ماتيلدا بعكس اتجاه الجدول على ضفة ليثي، يتبعها دانتي على الضفة الأخرى. تبرق أنوار وترتفع أناشيد، وخلف الأنوار يظهر الموكب السماوي فيغضب دانتي على حواء التي حرمته من الفردوس الأرضي بسبب خطيئتها الرعناء. يقود الموكب «القناديل الذهبية» السبعة، التي ترسم قوس قزح بألوانه السبعة، ثم يظهر الكبار الأربعة والعشرون (عدد أسفار العهد القديم) ثم الوحوش الأربعة (عدد الأناجيل) يقودها غريفون (المسيح) والغريفون هو أسد بجناحي نسر. وعند العجلة اليمنى للعربة ترقص ثلاث عذارى (الفضائل الدينية الثلاث) وعند العجلة اليسرى أربع حوريات (الفضائل الأساسية الأربع). يتبع ذلك ظهور شيخين (لوقا مؤلف الأعمال وبولس مؤلف الرسائل) وأربعة شيوخ (يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا الذين كتبوا الرسائل الكاثوليكية)، ثم يظهر الشيخ الكبير (يوحنا مؤلف سفر الرؤيا).

1 ما إن أكملت كلامها حتى شدَتْ مرة أخرى:

«طوبى لمن آثامه غُفِرت وخطاياه سُتِرتْ»

كمن فتنها الحب، حين يكون الحبُ بلا ألم.

4 وكما تتجول الحورياتُ العتاقُ وحيداتٍ

https://jadidpdf.com

عبر الغابات الظليلة، بعضهن عن الشمس
باحثات، وبعضهن من أشعتها هاربات،

7 هكذا انطلقْتُ عبر ضفة النهر،
أما على ضفتي فقد تبعت خطاها
جاعلاً خطواتي بقياس خطواتها الصغيرة.

10 كل واحد خطا أكثرَ من خمسين خطوة،
ثم انعطَفَتْ ضفتا النهر، وعندها
رأيتني أتّجهُ إلى مهد النهار.

13 بعد المنعطف لم نسرْ طويلاً
حين التفتت إلي وقالت: «أيها
الأخ العزيز انظر واسمعْ» ونظَرت ـ

19 كان البرق يلمع ويخبو أما النور الذي
رأيتُ فلم يبقَ فقط، بل اشتدَّ وشعَّ وتعاظم
فتساءلت والرعب يدب فيّ: «ماهذا؟»

22 نغمٌ عذب ملأ الهواءَ المشعشَعَ ـ
عذبٌ حتى أنني رحْتُ ألوم جدّتنا
حواءَ على خطيئتها. كيف تجرأت واقترفتها؟

25 امرأةٌ واحدة، منذ أن خُلقتْ رفضَت
الحجاب الذي فرضه عليها كلّيُ القدرة
في حين أن السماء والأرض لأمره تخضعان.

28 ولو أنها تحت الحجاب بقيتْ كقندلفتِ الله

https://jadidpdf.com

لعرفتْ من قبل، ولزمن طويل
تلك المباهج التي لاحدّ لها.

31 كلما سرت عبر الثمار الأولى
للّذّة الأبدية تاقَتْ نفسي أكثر
لمباهجَ أكثر وأكثر، بلا حدود.

34 وتحت الأغصان الخضراء المترنحة أمامنا
اندلع اللهيب في الهواء، والصوت العذب
الذي سمعناه تعاظم وصار كورساً.

37 أيتها العذارى المقدساتُ، إن كنت
قد تحملت لأجلكن سهر الليالي والبرد والجو
فإني أدعوكن الآن لنجدتي حتى أكمل واجبي.

40 فلتتدفقْ كل مياه هيلكون، فهذا وقتها
أسعفيني يا أورانيا بكل جوقتك لأنظُمَ
في قافيتي أشياء ما أصعب فهمها.

43 ثم رأيتُ من بعد، ما ظننته
سبع شجراتٍ ذهبية (من هذه المسافة
وهذا النور تخطئ العين وتنخدع)

46 ولكن في لحظة، عندما اقتربت من
التجمعات التي شوّهتها المسافةُ
لم تعدِ الصورُ مزيفةً،

49 إن ملكةَ العقلِ رأت أنها

https://jadidpdf.com

قناديلُ وهّاجة. ومن النشيد الذي
يغنونه سمعت كلمة «أوصِنا»

52 وفوق الموكب الذهبي توهّجتْ سبعَ مراتٍ
سبعة قناديل أشدُّ سطوعاً من قمر
منتصف الشهر في ليلة صافية هادئة.

55 تطلّعت حولي منذهلاً مما رأيت
ونظرت في فرجيل الطيّب، فرد علي بنظرة
وصمت، وبذهول بدا في وجهه.

58 التفتُّ بعد ذلك إلى هذه الروائع
التي كانت تقترب ببطء، حتى
يمكن لمواكب الفرسان أن تجتازها بسهولة.

61 صاحتِ السيدةُ: «لماذا تحصر عقلك
وتثبته في هذه الأنوار الحيّة
فلا تلاحظ ما سوف يأتي بعدها؟».

64 ثم رأيتُ جماعة من الناس الأتباع
خلف أسيادهم، يرتدون ثياباً بيضاء
لم يعرف ثلجُ الأرض نقاءً كهذا البياض.

67 وعلى يساري يتلألأ النهرُ الصافي
مثل صفحة مرآة، وعندما نظرت فيه
رأيت جانبي الأيسر، وقد رُسم بدقة.

70 وعندها سرتُ واقتربتُ حتى المسافة

https://jadidpdf.com

التي لم يعدْ يفصلني عن الموكب سوى النهرِ
وأوقفت خطواتي البطيئة لأتمتع بالمنظر.

73 رأيتُ اللهبَ يتقدم، وقد رسمت آثاره
على الهواء خلفه، كما لو كانت ضرباتٌ
كبيرة من أقلام مضيئة تتقاطر هناك،

76 فكل السموات المتقاطرة كانت تتوهج
بهذه العصائب السبع من نورٍ بلون
واحد مثل زنّار ديليا أو قوس أبولو.

79 وامتدّتْ هذه العصائبُ المشعشعة نحو الوراء
فتخطّت النظر، والمسافةُ التي تفصل الجانب عن الجانب
كانت تقارب عشر خطوات، كما قدّرتها.

82 وهناك تقدّم الأربعةُ والعشرون الكبارُ
اثنين اثنين تحت السماء الملونة بسبعة ألوان،
كل واحد منهم متوّج بإكليل الزنبق.

85 وجميعهم يغنّون بصوت واحد، وبسعادة:
«مباركةٌ أنت من بين بنات آدم
ومباركٌ جمالك إلى الأبد».

88 وعندما تركَتْ هذه النفوس المختارة
خلفها ـ كما في المنام ـ الأزهار
والأعشاب الندية، عبرت الجدول

91 كما النجمةُ تتبع النجمة في ذروة

https://jadidpdf.com

السماء الهادئة، جاء في أعقابهم
أربعة وحوش، وقد تُوّجت بأكاليل خضراء.

94 كلُّ واحد بثلاثة أزواج من الأجنحة
وكل زوج مليء بالأعين. ولو كان
أرغوس حياً لكانت عيونه كالتي رأيت.

97 لن أبثَّ القوافي حرة أيها
القارئ في استكمال وصفهم
فهناك أشياء أخرى تلحّ علي.

100 ولكن اقرأْ حزقيال حيث وصف
كيف يظهرون له في عاصفةٍ عظيمة
من الريحِ والسحابِ والنارِ في أقصى الشمال،

103 فقد وصف هناك ما رأيته هنا
باستثناء عدد أجنحتهم،
فيوحنا يخالفه ويتفق معي.

106 وفي المكان الذي يحرسونه ويحيطونه
ظهرت عربة بعجلتين، كأنها موكب النصر
وقد ربطت في عنق غريفونٍ ضخمٍ،

109 ارتفع جناحاه حتى وصلا عصائب النور
وغطّيا كل المسافة الوسطى، ولكن من
غير ازعاج للجانبين: الشمال واليمين.

112 جناحاه حلّقتا فوق مطال النظر.

https://jadidpdf.com

أجزاؤه الطيورية كأنها من ذهب، والبقية
بيضاء، مع علاماتٍ حمراءَ كالدم. فيمكن

115 القول إن روما لم تشهدْ مثل هذه الزركشة،
لافي مواكب أفريكانوس ولا أوغسطس،
بل إن عربة الشمس تبدو رثّةً أمامها.

118 نعم حتى عربة الشمس، التي انْحرفتْ
والتي بالنار حطّمتها عدالة جوبيتر المبهمةُ
في يومٍ جزعت فيه الأرض على مصيرها.

121 إلى جانب العجلة اليمنى ظهرت ثلاث عذارى
يرقصن بفرح وطرب. الأولى كانت
حمراء حتى لاتكاد تُرى في قلب النار.

124 الثانية بدت كما لو أن لحمها وعظمها
من الزمرّدِ الصقيل. والثالثة
بدت كالثلج الجديد تنفحه ريحٌ ناعمةٌ.

127 البيضاء تقود الرقصَ حيناً،
والحمراء حيناً آخر، وحسب الأغنية التي تغني
كانت الاثنتان توقّعان: بسرعة أو ببطء.

130 إلى جانب العجلة اليسرى أربع حورياتٍ
يرقصْنَ في شعلةٍ أرجوانية، تقودهن
تلك التي لها في رأسها ثلاثُ أعينٍ.

133 إلى جانب سبع العذارى هؤلاء،

https://jadidpdf.com

ظهر شيخان جنباً إلى جنب
اختلفا لباساً واتّفقا مهابةً

136 أحدهما يبدو أنه من أتباع فن
أبقراطَ العظيم الذي جعلته الطبيعة
يشفي المخلوقات الأعز على قلبها.

139 والآخرُ الذي يقابله، يحمل سيفاً
حاداً يبرق كلما نظرت فيه، حتى
عَبرَ الجدولَ، فكنت خائفاً.

142 ثم رأيت أربعة يسيرون بسيماءٍ متواضعةٍ.
وأخيراً بعد الجميع، سار شيخ بنشوة،
كأنه نائم، لكن وجهه حازم.

145 لباسُ السبعة مثل لباس الأربعة والعشرين
أروابٌ بيضاء، هفهافةٌ، لكن التيجان
لم تكن أكاليل زنبق، بل أكاليل

148 من ورود معظمها حمراء دائمة الإزهار.
ويمكن أن يُقسم المرءُ الذي يراهم عن بعد
أنهم يضعون على رأسهم أكاليل لهب.

151 وعندما وصلت العربةُ إلى المكان الذي
يقابلني، سمعتُ قصف رعد بدا
كأنه علامةٌ لهذه الأرواح، إذْ هناك

154 في وقت واحد وإيقاعٍ منسجم توقف الموكب.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

12 ـ مهد النهار: الشرق.

25 ـ امرأة واحدة: حواء. هنا نجد أنفسنا أمام التمرد الثاني على الله. التمرد الأول قام به ملاك مع أنصاره فطردوا من السماء. التمرد الثاني قامت به حواء، فقد رفضت الحجاب الذي فُرض عليها، أي رفضت الانصياع للأمر الذي فرضه الله وهو الثمرة المحرمة (الاتصال الجنسي)، ولو انصاعت لكانت «قندلفت» الله، أي خادمةً تنفذ أوامره. ودانتي يضع كل مباهج الدنيا في جهة، وحرية الإرادة في جهة ثانية. وقد قفزت حواء إلى الجهة الثانية وتمردت. ويبدو إعجاب دانتي بحواء في 25 ـ 27 .

33 ـ مباهج: مسرات السماء.

37 ـ دعوة ربات الفنون: يمهد لوصف الموكب السماوي، موكب بياتريس، باستدعاء ربات الفنون السبع من جبل هيلكون، ومنهن أورانيا ربة النجوم والفلك. بهذه الميثولوجيا الوثنية يمهد لوصف موكب مسيحي، مؤكداً مصدر الهامه الذي لاينضب.

50 ـ قناديل وهاجة: إذا أردنا العودة إلى الأصل فإن دانتي يأخذ هذه الصورة من سفر الخروج 25: 31 ـ 35 والقناديل هي المنارات: وتصنع منارات من ذهب نقي. عمل الخراطة تصنع المنارة قاعدتها وساقها. تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها. وست شعب خارجة من جانبيها. من جانبها الواحد ثلاث شعب منارة. ومن جانبها الثاني ثلاث شعب منارة. في الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجرة وزهر، وفي الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية وزهر. وهكذا إلى الست شعب الخارجة من المنارة. لكنا ترجمنا المنارات، التي يقال لها في أيامنا شمعدانات بالقناديل، لأنها أسرع إلى ذهن القارئ وأوضح.

78 ـ زنار ديليا أو قوس أبولو: ديليا هي ديانا ربة القمر، وكان زنارها زاهي الألوان. وقوس أبولو هو قوس قزح.

96 ـ أرغوس: هو الكلب الذي له مئة عين، والذي جعلته جونو حارساً على ضرتها ومنافستها في حب جوبيتر، أيو. لكن ميركوري (هرمس) قتله بإيعاز من جوبيتر، فجعلت جونو عيونه في ذيل الطاووس جميلة براقة.

107 ـ العربة: رمز الكنيسة، ومكانها بين الوحوش الأربعة، أي بين الأناجيل الأربعة. والعجلتان اليمنى واليسرى رمز للعهدين القديم والجديد.

108 ـ الغريفون: رمز للمسيح. والغريفون جمع بين الصفتين في صورته، فرأسه وجناحاه تشخيص للألوهية، وقد جعلهما دانتي بألوان زاهية، والجناحان يمتدان إلى السحاب، دلالة على القدرة، وأما باقي الجسم، فتشخيص للناحية الإنسانية في المسيح.

https://jadidpdf.com

113 ـ أجزاؤه الطيورية: رأسه وجناحاه.

118 ـ عربة الشمس التي انحرفت: هي عربة أبولو. استعارها، بعد إلحاح، ابنه فيثون، فلم يحسن قيادتها وكادت تدمر الأرض لولا تدخل جوبيتر حيث رماها بصاعقة.

121 ـ ثلاث عذارى: الفضائل الدينية: الإيمان والرجاء والمحبة.

130 ـ أربع حوريات: رمز للفضائل الطبيعية التي شاعت قبل المسيحية: وهي الحكمة والعدالة والشجاعة والعفة.

134 ـ شيخان: لوقا وبولس.

137 ـ من أتباع فن أبقراط: هو لوقا الذي كان طبيباً للنفس كما كان أبقراط طبيباً للأجساد. لكن لوقا كان أيضاً طبيباً للجسم.

139 ـ الآخر: هو بولس.

https://jadidpdf.com

النشيد الثلاثون

الفردوس الأرضي بياتريس

اختفاء فرجيل

الحكاية: الموكب يتوقف ويلتفت الأنبياء إلى العربة ويغنون: «هلمي معي من لبنان يا عروس» وكانوا يدعون بياتريس إلى الدخول، فتظهر على يسار العربة شبه مخفية بسبب زخات البراعم التي ينثرها الملائكة المئة. يستنجد دانتي بفرجيل، لكن فرجيل اختفى، فيبكي دانتي فتلومه بياتريس، وينشد كورس الملائكة مزمور الرحمة، لكن بياتريس تستمر في تعداد خطايا دانتي وكيف أنه أحب غيرها عندما انتقلت إلى السماء، وقالت إن على دانتي أن يتخلى عن أي إحساس بالخطيئة، ولا يتم ذلك ما لم يشرب من مياه ليثي، وإن لم يفعل، فإن الشرائع المقدسة تنتفض.

1 حين توقف الدبّ الأكبر للسماء الأولى
الذي لايعرف شروقاً ولا غروباً، ولا
يحجبه عن النظر الضباب، بل الخطيئةُ،

4 والذي يجعل كل نفس في ذلك البلاط الرفيع
تعرف مسارها الحقيقيّ (كما يفعل الدب
الأصغر فيرشد السفن إلى الميناء البرّي)

https://jadidpdf.com

7 التفت الأنبياء المقدسون الذين
كانوا وقتئذ يسيرون بين الغريفون والأنوار
إلى العربة مثل النفوس التي تقول «آمين»،

10 واحد منهم، ويبدو أنه أُرسلَ من السماء
أنشد: «هلمي معي من لبنان يا عروس»
ثلاث مرات، فانضم إليه البقية.

13 وكما عندما ينفخ في الأبواق ينهض كلُّ
قديس من القبر بجسد جديد وهو يرتل
نشيد هليلويا للسموات،

16 كذلك، فوق العربة، ولدى سماع
صوت الشيخ، هبَّ مئةُ ملاكٍ
من كبار ملائكة الفرح الأبدي

19 يهتفون بصوت واحد «مبارك الآتي باسم الرب»
ثم يرمون الأزاهيرَ على كل جانب
«بملء الأيدي انثروا الزنبقَ».

22 مرة بعد مرة عند الفجر كنت أرى
السماءَ الشرقية تلمع بلون ورديّ
بينما بقية أديم السماء يبقى رائقاً ساكناً،

25 ورأيتُ وجهَ الشمس ينهض من مهده
تحجبُه الأبخرة حتى أن العين
تستطيع أن تتحمَّله لدقائق.

https://jadidpdf.com

28 وهكذا تماماً داخل سحابة من أزهار
تدفقتِ الينابيعُ من أيدي الملائكة
وهطلتْ على العربة في زخّاتٍ متتالية.

31 ظهرت في مرأى البصر سيدةٌ
بغصن زيتون ضفّر نقابها الشفافَ.
عباءةٌ خضراء، وألوانٌ نارية تزين ثوبها.

34 والآن ـ بعد آخر مرة رأيت تلك
السيدة، ووقفت مرتعشاً في حضرتها
تجمدني قوةِ الخوف المقدس ـ

37 وبسبب ذلك الإشعاع والخدر القوي
منها، ومن دون وضوح رؤيةٍ، شعرت
بذلك الحب القديم يطبِقُ علي بإحكام.

40 فوراً هيمنتْ على تلك القوة
التي كانت قد استولت على نفسي
قبل أن تعبر أيّامَ الصبا،

43 والتفتُّ يساراً بذلك الإيمان المؤكد
الذي يجعل الطفل يُهرعُ إلى ذراعي أمه
عندما يشعر بالخوف، أو يغمره الحزن،

46 لأقول لفرجيل: «لم تبقَ في عروقي
نقطة دمٍ لم ترتعد. إني أعرف
دلائل لهيب الحب القديم»

https://jadidpdf.com

49 لكنه كان قد سحب نوره وذهب.
فرجيل ارتحل. فرجيل الأب اللطيف
الذي وهبته روحي ليعتقها.

52 كل مشهدٍ هو جنة عدنٍ المفقودة التي
خسرتها أمنا الأولى، لايستطيع إمساك الدمع
الذي غمر وجنتي اللتين كانتا غسلتا بالندى.

55 «دانتي يجب ألا تبكي وإن غاب فرجيل.
لاتبك فأمامك جرحٌ آخر،
سيفجر الدمع من عينيك أحرّ من هذا».

58 وكالأميرال الذي يقف في مكانه
أو ينحني ليراقبَ حركةَ سفنه الأخرى
ويوجّهَ الأيدي لتفعل أفضل ما يمكن ـ

61 كذلك الآن، على الجانب الأيسر للعربة، رأيتها
حين التفتُّ إلى الصوت الذي نادى باسمي
(والذي سبق ودونته أعلاه)

64 كانت نصف محتجبة بسبب
الأزهار التي كانت تداعبها بها الملائكة.
ثبتتْ عينيها عليَّ عبر النهر، فنفذَتْ نظرتها فيّ.

67 ومع أن الحجاب الذي مايزال عليها، والذي
تدلّى بأزهار مضفرةٍ من أوراق منيرفا الحكيمة،
سمح لي بأن اختطف لمحاتٍ من وجهها،

https://jadidpdf.com

70 فإن تحديقها بي جعلني أخشى
كلماتها القادمة، لأنها تكلّمت
كمن يبقي أثقل الكلمات حتى النهاية.

73 «انظرْ فيّ جيداً. أنا هي. أنا بياتريس.
كيف جروْت وجعلت طريقك في هذا الجبل؟
ألا تعرف أن الإنسان هنا يعيش مباركاً؟».

76 خفضتُ رأسي ونظرت إلى الجدول،
ولكن عندما شاهدت شخصي معكوساً هناك
ثبّت عينيَّ في العشب خجلاً.

79 انكمشْت كما ينكمش الطفل المشاغب
من قسوة أمه، لأن مذاق
الحبّ المشوب بالغضب هو المرارة.

82 توقَّفتُ. وحالاً انشدتِ الجوقة الملائكية
المزمور المبارك «عليك يا ربُّ توكلت»
وحتى «رجلي» وانطلقت الأصوات عالياً.

85 ومثلما على جبال إيطاليا يصبح الثلج
جليداً بين الأرماث الحيةِ في الشتاء
عندما تهب العواصف الشرقية الشمالية

88 ثم يذوب بقدر ما تتوالى الأنفاس
من أرض الظهيرة التي لاظلال لها، فيتدفق
من خلال ذاته مثل الشمع يذوب حول الشعلة ـ

https://jadidpdf.com

91 هكذا تجمدتُ فابترئتُ جداً من التنهدات
أو الدموع إلى أن سمعت الجوقة تتجه
بمعزوفتها إلى موسيقى المدارات الأبدية.

94 ولكن عندما سمعتُ صوت رحمتهم
ترجو من أجلي أكثر مما لو قالوا:
«أيتها السيدة، لماذا تعاملينه بهذه الطريقة؟»

97 تحوّل الجليد الذي كان يضغط قلبي
إلى بخارٍ وماء، وخرج من صدري
عبر عيني وحنجرتي.

100 لبثَتْ واقفةً إلى يسار العربة
التفتت إلى الجواهر الرحيمة
الذين حركوا عواطفها وأجابت:

103 «احتفظوا بالسهر لليوم الأبدي
حيث لا ليلٌ ولانومٌ يخفي عنكم
أي خطوةٍ يخطوها على هذا الطريق،

106 لكن عليَّ أن أتكلم باهتمام كبير. إن
من يبكي على تلك الضفة النائية يمكن أن
يفهم ويشعر بالحزن لما فرطت يداه،

109 ليس فقط بعمل المدارات التي تأتي بكل
بذرةٍ إلى الخاتمة الملائمة حسب النجوم
السيارة في الأعالي، ولكن بعطايا

https://jadidpdf.com

112 تخصّصها النعمة الإلهية المعطاة
التي تعود أبخرة أمطارها إلى مصدرها
الذي لاتستطيع أبصارنا أن تصعدَ إلى مكانه،

115 لقد كان هذا الإنسان موهوباً
منذ صباه المبكِّر بحيث تتدفق الوفرةُ
من كل عمل خيرٍ قام بزرعه.

118 لكن أغنى تربةٍ سرعان ما تصبح بُوراً
ببذور فاسدة ومهملة. لقد قدمتُ له
حيناً نظرات خاطفة من وجهي،

121 ولقد وجّهتُ عيني الوداعتين الفتيتين إلى نفسه
فجعلته يرى توهجها، وقدته في
الطريق القويم، ووجهه إلى الهدف الصحيح.

124 وحالما تركته وغادرت إلى
حياتي الثانية، وأنهيتُ وغيرت
حياتي الأولى تركني ولحِقَ الأخريات.

127 وحين نهضتُ من الجسد إلى الروح،
إلى الجمال الأعظم والفضيلة العظمى، لم يعد
يرى فيَّ إلا متعةً قليلةً وميزة ضئيلة.

130 فحادَ بخطواته عن الطريق الصحيح
ولاحقَ الصورَ المزيفةَ للخير
التي تَعِدُ بما لاتستطيع أن تفيَ.

https://jadidpdf.com

133 كلُّ الإلهام الذي حققته بالصلاة
وقدّمته له في الأحلام والتأملات
لم يُعدْه إلى الطريق، فلم يأبَهْ به.

136 لذلك هوى من رجاء البركة،
حيث فشلَتْ كل الوسائل لإنقاذه
إلا وسيلة اطلاعه على حياة الملعونين.

139 لذلك زرتُ مداخل الموتى وبكيتُ
وصليت لتلك الروح التي قادتْ
خطواته إلى الأعلى، إلى حيث هو الآن.

142 إن شريعة الربّ القدير الموضوعةَ
لحلقاتِ خلقِهِ سوف تُخرقُ إن
لم يأتِ إلى ليثي ويتذوق ماءه الذي يمحو

145 سنوات الإثم من غير أن يدفعَ ضريبةً من دمع الندم».

الرموز والصور:

موكب بياتريس: الموكب الذي تفنن دانتي في وصفه (النشيد 29) كان تمهيداً لظهور بياتريس ترافقها جوقة الملائكة التي تنثر الأزهار عليها (النشيد 30)، وهذا الموكب يثير عدة تساؤلات: لماذا جعل دانتي المسيح نفسه مع الرسل والأنبياء، والملائكة والفضائل الطبيعية (الحوريات) والمسيحية (العذارى) في موكب احتفالي لظهور بياتريس؟ لدى كل الشعوب وفي كل الأعراف يكون السابق أفضل من اللاحق إلا في الموكب، حيث نجد أن جمعاً غفيراً يقوم بطقوس معينة تمهيداً لقدوم الامبراطور أو الزعيم أو القديس... وهنا في موكب بياتريس نجد أن التالي خير من الأول واللاحق أفضل من السابق. ماذا قصد دانتي؟ هل أراد أن يقول أن كل قيم الوحدانية اليهودية والوحدانية المسيحية ليست أكثر من ماهدة للحب الإنساني المقدس (بياتريس)؟ إن المسيح نفسه ليس أكثر من غريفون (أسد برأس نسر وجناحيه) يجر عربة

https://jadidpdf.com

بعجلتين (العهدين القديم والجديد) والأسفار والأنبياء والرسل ليسوا أكثر من عناصر في الموكب، حتى إذا أشرقت بياتريس لم يعد للموكب أي أهمية، أي إذا أشرق الحب المقدس، فإنه أسمى من الجميع. إن دانتي لم يفسر غرضه بدقة، فترك فسحة كبيرة لتساؤلات كثيرة.

العذارى والحوريات: اختار دانتي ثلاث عذارى لتمثيل الفضائل التي جاءت بها الوحدانية المسيحية وهي الإيمان والرجاء والمحبة. واختار أربع حوريات لتمثيل الفضائل الوثنية الطبيعية: الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة. والفرق كبير جداً بين الفضائل الوثنية والفضائل المسيحية. فالثانية مجردة، فلا يمكن ـ مثلاً ـ أن تفرق بين مؤمن حقيقي ومنافق. كما أنك لاتستطيع أن تلمس الرجاء أو تثبت المحبة فالمجالات فيها رحبة للتزييف والمخادعة والنفاق. أما الفضائل الطبيعية، فلا يمكن التزييف فيها، فظلم البريء يُعرف فوراً والحماقة تزغرد لتدلك على نفسها، والشهوانية سرعان ما تظهر والتهافت يبدو منذ التصرفات الأولى، ونقيضها يعرّف بها، فالحكمة والعدالة والعفة والشجاعة مناقب عملية لها مقاييس ملموسة، أو على الأقل لها عرف يحدّدها، وليست متسيبة في عالم المجردات كقيم الوحدانية المسيحية: الإيمان والرجاء والمحبة، إذ لامقياس ملموساً لها.

الملاحظات:

2 ـ شروقاً ولاغروباً: نجوم القطب لاتتغير.
7 ـ الأنبياء المقدسون: هم 24 شيخاً يمثلون أسفار التوراة.
10 ـ واحد منهم: هو سليمان الحكيم صاحب نشيد الإنشاد، الذي منه أخذ «هلمي معي من لبنان يا عروس».
11 ـ هلمي: من نشيد الإنشاد (4: 8).
19 ـ مبارك الآتي: انظر انجيل متى (21: 9).
21 ـ بملء الأيدي انثروا الزنبق: من الأنياذة.
31 ـ سيدة: بياتريس.
34 ـ آخر مرة: توفيت بياتريس عام 1290 .
54 ـ غسلتا بالندى: راجع النشيد الأول 124 فقد غسلهما له فرجيل.
68 ـ أوراق منيرفا: تاج الزيتون.
83 ـ عليك يارب: مزمور (31: 1 ـ 8).
84 ـ حتى «رجلي»: أي حتى كلمة «رجلي» من المزمور السابق، وإنّا لنعجب لماذا اختار هذه الكلمة بالذات يتوقف عندها.
101 ـ الجواهر: الملائكة.
109 ـ عمل المدارات: تأثير النجوم.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي والثلاثون

الفردوس الأرضي ليثي

بياتريس ـ ماتيلدا

الحكاية: تتابع بياتريس لومها، وتجبر دانتي على الاعتراف بذنوبه وتعاتبه بأنه ما كان يجب أن ينظر إلى غيرها بعد أن رأى أعضاءها الجميلة. وبعد أن غابت عنه، كان عليه ألا يسقط في الخطيئة. هنا دانتي لايحتمل فيغشى عليه. يفيق فيرى نفسه في ليثي، وتقوده ماتيلدا إلى الضفة الأخرى، وتمسح عنه ذاكرة الخطيئة، وتوصله إلى الفضائل الأربع اللواتي يوصلنه إلى الغريفون (المسيح) الذي يظهر في عيني بياتريس، مرة على شكل أسد، ومرة على شكل نسر (كناية عن الطبيعتين)، وتأخذه الفضائل الثلاث (العذارى) إلى بياتريس بعد تطهره، فتبتسم له، ويذوق طعم الحب المقدس وقد صار مهيأ له.

1 قالت دون أن تتوقفَ في كلامها:

«أنت يا من تقفُ على الضفة الأخرى»

(التفتُّ فأشارت إليّ، ظانة

4 أن لهجةَ كلامها كانت حادة)

«تكلمْ، تكلمْ، أليس صحيحاً؟ شاقةٌ

هي المهمة المطلوبة من اعترافك، فتكلّمْ».

https://jadidpdf.com

7 ويلاه، تلاشتْ من رأسي فطنتي
لما أثاره فيَّ صوتها، تحرك عضو الكلام
لكن صوتي مات في حنجرتي، وكلمةٌ واحدة لم تخرج.

10 توقفتْ قليلاً، ثم صاحت بنفاد صبر:
«بماذا تفكر؟ تكلم، فالمياه لم
تطهّر بعدُ خطيئتك من الذاكرة».

13 الاضطرابُ انضمَّ إلى الرعب فخرجت
«نعم» من حنجرتي ضعيفة حتى أن
الذي يقرأ شفتيّ فقط يعرف أني تكلمتُ.

16 كما تتزعزع العرادةُ إذا ما شدّ النبّال
القوسَ والوتر معاً، فتنطلق الإصابة
إلى هدفها ضعيفة هزيلة،

19 كذلك رحتُ أرتجف، وخارت قواي
وانسحقتْ تحت اتهامها، فانهمر الدمع
ومات الصوت وهو في طريقه إلى لساني.

22 قالت: «كنت مفعماً بالرغبة،
فعلّمتكَ الخيرَ الذي لايمكن لشيء
في الأرض أن يضاهيه في الإلهام،

25 فما الذي وجدتَ؟ ما الذي وقع في طرقكَ؟
أي سلاسل كبلتك؟ حتى طرحت عنك
كل أمل في متابعة رحلتك؟

https://jadidpdf.com

28 ما الذي أغراك حتى نظرتَ
في جبين الأخريات، ورحت تمشي أمامهن
كعاشق يمشي تحت نافذة محبوبته؟».

31 خرجَتْ أنفاسي في تنهيدة مرة
ولم أجد صوتاً أجيب به،
وتلعثمت شفتاي في رد الجواب.

34 قلت والدمع منهمر: «أشياء دنيوية
ومتع ومسرات ومغريات زائفة، ثنت
خطواتي، حالما توقفْتِ عن إنارة طريقي».

37 قالت: «سواء صمتَّ أم رفضتَ
الاعتراف، فإن إثمك يعرفه ذاك
الذي لايخفى عنه إثم.

40 ولكن هنا، أمام محكمتنا، عندما
يعترف السجناء بإثمهم وهم نادمون
فعلاً، فإن المسِنَّ يتجه إلى الشفرة.

43 في أي حال تتعرفُ على جريمتك
حقاً، وبندم حقيقي، ستكون أقوى
في المرات القادمةِ على مواجهة أغنية سيرين.

46 فكفكفْ دمعكَ واستمغ بروحك
لتعلم كيف أن رحيلي من جسدي
كان يجب أن يدفعك إلى هدف أسمى.

https://jadidpdf.com

49 لاشيءَ في الفن أو الطبيعة يستطيع أن
يقدّمَ لك متعةً كرؤية جسدي الجميل
الذي كنت أرتديه، وقد خلعته الآن في الأرض.

52 وإذا كان موتي قد حوّل تلك المتعة
تراباً، فأيُّ مسرة بقيت لك هناك
في الأشياء الأرضية حتى تسعى إليها؟

55 لدى أول صدمة تلقيتَها في تلك الأشياء
التافهة، كان يجب أن تفكر بأن عليك أن تنهض
وتحلّقَ معي فوق الفساد. لا أن تجعل

58 أيّ مسرة أرضية تثقل جناحيك ـ
كحب فتاة أو أي شيء عابر
أو تافه ـ وتجعلك تتلقى الصدمة الثانية،

61 فزغبُ الطيور تنتظر رمية ثانية وثالثة
ولكن عبثاً تلقي الشباك أو تقذفَ السهامَ مرتين
على مرأى ومسمع الطيور الخبيرة».

64 وكما يقف الطفل مرتبط اللسان خجلاً
ويعترفُ بخطيئته، ويبكي بسببها
حاني الرأس لأيّ حاكم عادل،

67 كذلك وقفتُ. فقالت: «إن كان الاستماع
إليّ يؤلمك فارفعْ لحيتك، ودعْ عينيك
تبديان لك سبباً أعظمَ للبؤس».

https://jadidpdf.com

70 العصفة التي تهبّ من رمال ليبيا الحارة
أو العاصفةُ الألبيةُ، تقتلع الأشجار الطافية الجذور
التي تبدي مقاومة أكثر مما أبديته.

73 أمام أمْرِها بأن أرفعَ وجهي،
إذ عندما كنّتْ عنه باسم «لحية»
شعرت بمدى الاشمئزاز الذي في كلامها.

76 حين رفعتُ عيني بهذا الألم الشديد
رأيتُ الكائنات الأولى، وقد استراحت
من نثر البراعم والأزاهير حولها،

79 وبدمعي المسفوح ورؤيتي القلقة
شاهدتها تلتفت لتواجه ذلك الوحش
الذي جمع في شخصه طبيعتين غير منفصلتين.

82 وعلى الرغم من أنها وارث وجهها بعيداً عني عبر النهر
فإنه وجهٌ يفوق ذاتها الأولى مثلما
ذاتها الأولى تفوق كل من مرّ من نساء الأرض.

85 وخزتني أشواك الندم، حتى بدا
لي أن كل ما أحببته أو مِلْتُ إليه
في الأرض، إنما هو أعظمُ أعدائي.

88 ولقد مزّق قلبي هذا الإثم الذي شعرت به
فاعتصرني الألم وأغمي علي، وما حدث
عقب ذلك تعرفه تلك التي سببت ألمي.

https://jadidpdf.com

91 حين عاد إليّ الوعي أخيراً
وجدتُ السيدة التي كانت وحيدة تمشي
تنحني فوقي. قالت: «امسك بي بسرعة».

94 غمرتني في مياه الجدول حتى رقبتي
ورفعتني وراءها، وانطلقت
فوق الماء، خفيفة مثل الزورق.

97 وقرب الضفة المقدسة سمعتها تقول
بنغمة عذبة لم أعدْ قادراً على استرجاعها
وكل ما أقوله: «إنها تنضحني بالزوفا فأُطهّر»

100 ثم أخذت السيدةُ الجميلة رأسي بين
ذراعيها المبسطوتين، وعانقتني وغمرتْ
رأسي في الماء فشربتُ منه لينقّيني.

103 ثم رفعتني في صفائي الجديد
وقادتني إلى الرقص مع الحوريات الأربع
وكل واحدة رفعت ذراعيها مع البقية فوقي.

106 «هنا نحنُ حوريات، نحن نجومٌ في السماء،
وقبل أن تهبط بياتريس إلى الأرض كنا
وصيفاتها. وسوف نقودك إلى عينيها.

109 ولكن نظركَ قد يرى ذلك النورَ البهيج
الذي يشرق من الثلاث هناك، فنظرهن
حديدٌ وسوف يجعلن بصرك البشري قوياً».

https://jadidpdf.com

112 هكذا غنين ثم قدمنني إلى الغريفون.
خلفه كانت بياتريس تنتظر. وعندما وقفتُ
عند صدر الغريفون، قلن بنغم واحد:

115 «انظرْ عميقاً، انظرْ جيداً، مهما آلمتكَ عيناك.
هانحن نضعك أمام زمّردتين،
رشَقَتا سهام الحب في قلبك».

118 آلافُ العواطف الملتهبة، كل واحدة
أشدُّ حرارة من اللهب، جذبت عيني
إلى عينيها اللتين ثبتتهما في الغريفون.

121 ومثلُ شعاع الشمس في المرآة ظهر المخلوق
ذو الطبيعتين مشرقاً من الانعكاس العميق لعينيها
مرة بهذه الطبيعة، ومرة بتلك.

124 فاحكمْ أيها القارئ، كيف وجدتُ من
الغرابة أن أرى شيئاً لايتغير في ذاته
بينما لاتكفُّ صورته عن التغير.

127 وإذ اعترى نفسي العجب، وتملكتني
المسرَّة لهذا الغذاء الذي يُسكِتُ
الجوع ويثير الشهية، في وقت واحد،

130 تقدَّمتِ الثلاث الأخريات، اللواتي
يدلُّ مظهرهن أنهن من طبقة راقية،
نحوي راقصاتٍ على إيقاع أنغام الملائكة.

https://jadidpdf.com

133 «هيا يا بياتريس، تطلّعي بعيني النعمة»
وكانت هذه اللازمةُ، «في هذا المخلّص
الذي جاء من بعيد ليلقي على وجهكِ نظرة.

136 أعطنا هذه الدفقةَ من نعمتك:
اكشفي ثغرك له، ودعي عينيه
تتمليان الجمالَ الثاني، الذي تخفيه حُجُبكِ»

139 يا دفقةَ النور الحيّ الأبدي،
مَنْ سَكِر من مياه البرناس
أو غدا شاحباً في ظل ذروته

142 ولم يشعر أن عبقريته أعجزُ
من أن تصفَ، بأي لسان كان،
كيف طلعت، بعد أن رميت حجابك

145 في الهواء بين السماء والأرض اللتين من
إشراقكِ منسجمتان ومتناغمتان».

الملاحظات:

2 ـ من الضفة الأخرى: من ليثي.

11 ـ المياه: مياه ليثي.

16 ـ العرادة: رمية شبيهة بالسهم. والصورة أن النبّال إذا أفرط في شد الوتر والقوس فإن يده سترتجف وتنطلق الرمية ضعيفة. وهذا في رأينا غلط من دانتي، إذ أن هذا العمل يجعل الرمية لاتخطئ الهدف، ولاتذهب ضعيفة.

62 ـ تلقي الشباك: قد تستخدم الشباك لصيد الطيور.

80 ـ الوحش: الغريفون الذي هو المسيح.

83 ـ ذاتها الأولى: أي حياتها الأولى عندما كانت في جسدها.

92 ـ وحيدة تمشي: ماتيلدا.

https://jadidpdf.com

97 ـ الضفة المقدسة: الضفة الأخرى.

98 ـ تنضحني بالزوفا: المزمور (51) وننصح بقراءته لفهم النص.

104 ـ الحوريات الأربع: الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة.

110 ـ الثلاث: الإيمان والرجاء والمحبة.

116 ـ زمردتين: عينا بياتريس.

129 ـ يسكت الجوع ويثير الشهية: المعنى مأخوذ من سفر يشوع بن سيراخ 24: 21 «الذين يأكلونني لا يزالون يجوعون، والذين يشربونني لايزالون يعطشون» والغذاء رمز للحب. ومن حيث المجاز يمكن أن يكون دانتي قد رمز إلى المسيح.

138 ـ الجمال الثاني: الجمال الأول هو ابتسامة بياتريس وقد قادت دانتي إلى هذا الجمال الحوريات الأربع. والجمال الثاني هو الحب المقدس وقد قادته إليه العذراى الثلاث.

140 ـ مياه البرناس: دفقة العبقرية.

141 ـ غدا شاحباً: أي اجتهد لتحقيق العبقرية.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني والثلاثون

الفردوس الأرضي بياتريس حاسرة

رحيل الموكب السماوي

انتقال العربة

الحكاية: تسفر بياتريس، لأول مرة بعد عشر سنوات. ينظر إليها دانتي. ينسحب الموكب السماوي نحو الشرق، ويتبع دانتي وستاتيوس العربة حتى شجرة معرفة الخير والشر، التي لاثمر فيها ولا ورق. يربط الغريفون العربة بالشجرة فتثمر وتورق. ويحيي الموكب السماوي هذه الأعجوبة بترنيمة لم يسمعها بشري، وتسيطر هذه الأغنية على دانتي فينام. ويستيقظ ليجد نفسه مع ماتيلدا. لاوجود للموكب. بياتريس تحرس العربة والحوريات السبع يخدمنها. بياتريس تجلس عند جذع الشجرة وتحت ظلها. يرى دانتي ثلاثة رموز لإفساد الكنيسة: الريش (الثروة) والنسر (رمز الامبراطورية الرومانية) والثعلب (الهرطقة) النسر يغطي العربة (الكنيسة) بريشه. فوراً يظهر التنين (الشيطان) وينقض على أساس العربة. العربة غطت نفسها بالريش (الثروة) فتحولت إلى وحش مخيف تمتطيه مومس (البابوية) يخدمها عملاق (الملكية الفرنسية) ويقوم العملاق بضرب المومس ويطرد الوحش إلى الغابة، إلى أن يقفو عن النظر.

1 بشغف تشبّثت عيناي بها

لتُطفِئا ظمأ عشر سنواتٍ

https://jadidpdf.com

فتلاشت فيَّ المشاعر إلا النظرُ.

4 خدّرتني ابتسامتها المقدسةُ التي دفعتني
إلى الشّباك القديمة، فنسيتُ كل شيء -
غامَ كلّ شيء ولم آبه إلا بها.

7 لكن نظرتي انحرفت عنها
وتحوّلتْ يساراً إلى الآلهات
سمعت منهن: «إنه يثبّتُ نظره فيها»

10 ومثل رجل يعميه النور
حين ينظرُ في الشمس مباشرة
كذلك وجدتُ نفسي، حين فقدت نظري.

13 حين استطعتُ النظر على الأقل (أقصد
أقلَّ الأشياء حساسية) بالقياس إلى
الأعظم الذي ارتد بصري عنه مكرهاً،

16 رأيت فيلقَ تلك الأرواح ينعطف
إلى يمين العربة، ويسير خلفاً
فكانت الشمسُ والمشاعل السبعة في وجهه.

19 وكما تلتفت الفصائل الأمامية تحت تروسها
لدى إصدار أوامرِ التراجع، فتكون
صفوفها في مواجهة الفيلقِ الذي استداروا إليه -

22 كذلك طليعة الموكب السماوي، فقد
مرّتْ أمام العربة، وجرّتْ

https://jadidpdf.com

محور العربة إلى الطريق الجديد.

25 ثم عادت السيدات معاً إلى العجلتين
وراح الغريفون يجر العربة المقدسة
فلم تسقط ريشة واحدة من رياشه.

28 وعبر الحديقة سرتُ أنا وستاتيوس
مع السيدة التي قادتني عبر المخاضة
خلف العجلة التي لفَّت القوس الأصغر.

31 سرنا عبر الغابة المقدسة التي طُردتْ
منها تلك التي وَثقتْ بذات اللسان المتشعب،
موقّعين خطواتنا على الأنغام الملائكية.

34 سرنا، على ما أظن، زهاء
رمية سهم ثلاث مرات، من النهاية إلى النهاية،
عندما نزلتْ بياتريس من العربة.

37 سمعتُ الجميع يهمسون «آدم» بلهجة استهجان.
ثم شكّلوا معاً حلقة حول الشجرة،
التي لاثمرَ ولاورقَ على أي غصن منها.

40 عاليةً ارتفعت، حتى لو شاهدها المرء
في الغابات الهندية لاعتراه العجب،
وكلما ارتفعت في الفضاء ازداد تاجها انتشاراً.

43 «طوبى لكَ أيها الغريفون، يا من
منقارك لم يأبهْ بالأكل من هذه الشجرة

https://jadidpdf.com

لأنها تجلب له وجعاً أليماً في البطن»

46 هكذا صاح الجميع وهم وقوفُ
حول الشجرة، فقال الكائن ذو الطبيعتين
«إن هذا يحفظ بذارَ كل ما هو صالحٌ»

49 ثم جرّ أمامه الساريةَ التي لاشريكَ لها،
محورَ العربة، وما تدلى من الشجرة
أعاده، وربط الساقين بسرعة.

52 وكما يحصل في ربيع الأرض، عندما يختلط
النورُ العظيم بأشعة النجوم الجميلة
التي تتبعُ برج الحوت في قبة السماء،

55 بدأت الأشجار تتضخم وتغيّر لونها،
كل واحدة بشارتها، قبل أن تلجم
الشمس فريقَها تحت برج الثور،

58 كذلك الأغصانُ التي كانت عارية
قبل أن تتلوّنَ، فقد انقلبتْ إلى لون
أقلّ من الوردي وأكثر من البنفسجي كلما أزهرت.

61 الترنيمةُ التي سمعتها من النفوس المباركة
لم تنشدْ في الأرض، ولم أفهم منها شيئاً
ولم أستطع احتمالَ العزف الموسيقي حتى النهاية.

64 إذا استطعت رسم عيون أرغوس هنا
وقد هدهَدَتْها عيناً عيناً حكايا سيرنيكس المنوّمةُ

https://jadidpdf.com

مما كلّف تلك العيونَ القاسيةَ ثمناً غالياً،

67 أكون قد حاولتُ ـ كما يرسم الفنان
نموذجَهُ ـ أن أبينَ كيف خطفني النوم
ولكن من يستطيع وصف النعاس؟ أنا... لا أستطيع

70 لذلك سأنتقلُ إلى يقظتي وأعلن
أن إشعاعاً مزّق حجاب النوم، وصوتاً
صرخ: «انهضْ. ماذا تفعل هناك؟»

73 عندما رأى كلٌّ من بطرس ويوحنا ويعقوب
تبرعُمَ تلك الشجرة التي تجعل
الملائكةَ يجوعون لثمارها، ويقيمون

76 وليمةً في المساء الأبدية
غطُّوا في النوم إلى أن أيقظَتْهم
من نومهم الكلمة التي لها وقع عظيم.

79 وقد رأوا أن مجموعتهم تتناقص
فقد غاب عنهم كل من موسى وإلياس
ورأوا أيْضاً أن ثوب المعلم تغير.

82 هكذا تماماً صحوتُ من حلمي
لأجد السيدةَ الحنونة التي
قادتني عبر الجدول قد انحنت فوقي.

85 صرختُ خائفاً: «بياتريس، أين هي بياتريس؟»
فقالت السيدة: «إنها جالسةٌ عند جذع

https://jadidpdf.com

الشجرة التي أورقت من جديد، كما ترى،

88 تحيطها النِّعمُ السبعُ المشرقة.
أما الآخرون فقد صعدوا إلى السماء خلف
الغريفون وهم يرتّلون التسابيح الصادقة».

91 لو أنها زادت على ذلك كلاماً لضاعت كلماتها
مني لأن عيني الآن، شخصتا إلى بياتريس،
ومشاعري كلها تخشى ألا تكون هي بياتريس.

94 جلستْ على الأرض المكشوفة وحدها،
لتحرس العربة التي ربطها الوحشُ المزدوجُ
الطبيعة، إلى الشجرة بكل عناية واهتمام.

97 رواقٌ حيّ يحيط بها، إنهن
الحوريات السبع، وقفن رافعاتٍ بأيديهن
تلك القناديل التي لاتطفئ شعلتها ريحٌ.

100 «في هذه الغابة سوف تقطن
وإلى الأبد ستكون رومانياً معي،
مثلما كان المسيحُ رومانياً. كذلك

103 انظرْ جيداً في العربة العظيمة هناك
فقد تكون أنتَ نوراً للعالم المظلم، وعندما
ترجع، سجّلْ تماماً ما شاهدتَه هنا».

106 هكذا قالت بياتريس، وبكل تقدير
ركعتُ حسب أوامرها، وركّزت عقلي

https://jadidpdf.com

وعيني حسب رغائبها، بكل طاعة.

109 لم يفعلِ البرقُ في الغيوم الكثيفة عندما
يهطل المطر من أقاصي أطراف السماء
وينطلقُ هابطاً أسرع من الصوت

112 كما فعل نسرُ جوبيتر الذي رأيته ينقضُّ
على الشجرة، فيمزق الأزهار والأوراق
ويصل حتى اللحاء بمنقاره ومخالبه الوحشية.

115 ضرب العربة ضربةً عنيفة فترنّحتْ
كسفينة بين العواصف، تارة
تتجه إلى الميناء، وتارة عرض البحر متمايلة.

118 ثم جاء ثعلب جائع، يبدو
أنه لايعرف الطعام المناسب
فراح يأكل ما في داخل عربة النصر.

121 لكن سيدتي هددته بكل خطاياه
القذرة ففرّ مسرعاً من هناك
بقدر ما تسعفه عظامه.

124 ومن قلب الشجرة، كما تراءى لي،
هبط طائر إلى داخل العربة ونشر ريشه
وغطاها بالذهب من أقصاها إلى أقصاها.

127 وصرخَ صوتٌ من السماء، كما لو أن
قلباً أفرغَ في الصوت كل آلامه:

https://jadidpdf.com

«أي حملٍ ثقيل تحملين يا سفينتي الصغيرة»

130 وتراءى لي كأن صَدْعاً شقَّ
الأرض بين العجلتين، وخرج
تنينٌ إلى العربة، وأدخل ذنبه فيها.

133 ومثلَ زنبور غاضب يسحب عاقصتَهُ،
سحب التنين ذيله ممزقاً قاع العربة
وراح يتجوّل كأنه يقوم بمشوار.

136 وكالتربة الفنية التي تُتْركُ للأعشاب السامة
تركت العربة تُغطّى بالريش، الذي
أُهيلُ عليها بنية طيبة، لاخبث فيها.

139 وقد انطمرت العجلتان والمحور
وكلُّ العربة حتى آخرِ جزءٍ فيها، بأسرع
من انفراج الشفتين عن نأمة تأفف.

142 وبعد أن تغيرتِ العربةُ المقدسة على هذا النحو
خرجت من كل أقسامها رؤوس: ثلاثة من
المحور وواحدٌ من كل زاوية. سبعة رؤوس.

145 الثلاثة كانوا بقرونٍ كقرون الثور، لكن
الأربعة كانوا مسلحين بقرنٍ شيطانٍ خبيث.
إن أحداً لم ير شبيهاً لهذا الوحش من قبل.

148 مومسٌ محلولةُ الحزام، امتطَتْ مطمئنةً
ظهرَ الوحش، كقلعةٍ على رأس جبل،

https://jadidpdf.com

وبالجشع تقطر عيناها. وإلى جانبها

151 عملاقٌ مستعد للمخاطرة من أجل الاحتفاظ
بها، راح يطوف معها، وكلما مرا
يتبادلان القبلَ من وقت إلى آخر.

154 ولكن عندما رمتني بعينيها الجائعتين
انفجر الغضب في عشيقها وراح
يسوطها بلا رحمة من الرأس حتى القدم.

157 ودفعهُ الحسدُ أن يفكَّ قيدَ
الوحش من الشجرة، ويدفعه إلى
الغابة، إلى أن صارتِ الأشجار حاجزاً

160 بيني وبين المومسِ التي على ظهر الوحش العجيب.

الملاحظات:

20 ـ تحت تروسها: صورة من الحروب، فعندما تصدر أوامر التراجع تنكفئ الصفوف فتصبح في مواجهة الفيلق الذي خلفها. «تحت تروسها» أي أن المحاربين يضعون التروس على رؤوسهم حماية من رشقات الأعداء.

22 ـ طليعة الموكب السماوي: الشيوخ الأربعة والعشرون.

30 ـ لفَّت القوس الأصغر: يعني أن العربة دارت إلى اليمين.

36 ـ نزلت بياتريس من العربة: دخول بياتريس العربة يعني أنها دخلت الكنيسة المنتصرة. ونزولها منها يعني أنها لم تعد كنيسة منتصرة. والشجرة تمثل السلطة المدنية.

37 ـ آدم: يهمسون آدم بلهجة استهجان لأنه انصاع لأوامر حواء وخالف الله. واختلف النقاد في رمز الشجرة، فبعضهم يراها الإمبراطورية الرومانية، وبعضهم «الإمبراطورية المسيحية» وعدم أكل الغريفون منها حتى لايؤلمه بطنه يعني أن المسيح لم يقرب السلطة المدنية (أعطوا ما لقيصر لقيصر).

64 ـ أرغوس ـ سيرنيكس: أرغوس كلب جونو زوجة جوبيتر، وقد جعلته

https://jadidpdf.com

بمئة عين ليراقب أيو، ضرتها في حب زوجها. أرسل جوبيتر ميركوري (هرمس) ليقتل الكلب، فاستخدم السيرنيكس (القصبة) وجعل أرغوس ينام، ثم قطع رأسه.

74 ـ تلك الشجرة: المسيح.

83 ـ السيدة الحنونة: ماتيلدا.

85 ـ صرخت خائفاً: الخوف لأنه وجد ماتيلدا وحدها فظن أن بياتريس ارتحلت.

86 ـ جالسة عند جذع: كما لبس المسيح جسده المادي بعد قيامته، كذلك فعلت بياتريس.

112 ـ نسر جوبيتر: نسر الله (انظر مثال النسر والأرزة في حزقيال 17).

118 ـ الثعلب: الهراطقة.

124 ـ هِبة النسر: النسر هو الإمبراطورية الرومانية، وهِبته هي الثروة التي حرفتها عن مسارها الصحيح (انظر الجحيم 19: 109).

132 ـ التنين: الشيطان.

135 ـ راح يتجول: بعد تحطيم قاع العربة (أساس الكنيسة) صار يتنزه غير خائف.

142 ـ تحول العربة إلى وحش: سبعة الرؤوس وعشرة القرون صورة مأخوذة من رؤيا يوحنا (3:17). وقد اختلفوا في شرح الرؤوس. نرجح أن تكون رمز الخطايا السبع: الكبرياء والغضب والجشع وهي الخطايا الأخطر، ثم التقاعس والحسد والشراهة والشهوة. ومن هنا جاءت الفضائل السبع كنقائض لها.

148 ـ المومس: رمز البابوية كما يمثلها البابا بونيفانسي الثامن وكليمنت الخامس (الجحيم 19).

151 ـ العملاق: الملكية الفرنسية، وعلى الأخص فيليب الجميل.

154 ـ رمتني بعينيها الجائعتين: اختلفوا في هذا الرمز. الأرجح أحد احتمالين: 1 ـ رمز لإيطاليا فتكون نظرة المومس (البابوية) نظرة من يريد حيازة إيطاليا، مما جعل العملاق (فيليب الجميل) يقف ضد هذا المشروع. 2 ـ وإما رمز للمسيحية الحقيقية فتكون النظرة نظرة حنين إلى المسيحية الصحيحة، مما جعل ملوك فرنسا يقفون ضد ذلك، أي ضد عودة الكنيسة إلى الإيمان المسيحي.

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث والثلاثون

الفردوس الأرضي أيونو

دانتي يكمل تطهّره

الحكاية: بترنيمة حزن يفتتح دانتي هذا النشيد. فالحوريات السبع ينحْن على ما عانته الكنيسة. تتحدث بياتريس عن قيامة المسيح. تؤكد عودة الصلاح إلى الكنيسة. وآخر نقد توجهه إلى دانتي هو أنه لايرى الحقيقة تماماً. وعندما تنتهي تكون وصلت هي ودانتي وستاتيوس والبقية إلى النبع الكبير حيث يخرج ليثي وأيونو. وبأمر من بياتريس تقود الحوريات السبع دانتي إلى مياه أيونو التي تعيد ذاكرة الخير، بعد أن محا ليثي ذاكرة الإثم والخطيئة، وبذلك يتم تطهر دانتي ويصبح صالحاً للصعود إلى النجوم، نقياً صافياً.

1 «اللّهم إن الأمم دخلوا ميراثك...» رتّلتِ المقدّساتُ
السبعُ في كورس متناوب، وعبر الدموع المنهمرة،
ثلاث أولاً ثم أربع وارتفع النشيد إلى السماء.

4 عندما سمعتهنَّ بياتريس حزينات جداً
تنهدت بحزن وألم تنهيدةً عميقة، مثلَ
مريم العذراء عندما فعلت ذلك عند قدمي الصليب.

7 ولكن عندما توقّفتْ الحوريات، وتوقفت

https://jadidpdf.com

الجوقة لإتاحة الجواب لبياتريس، نهضت
بحمية مقدسة، فقالت كأنها لهبة متّقدة:

10 «أخواتي العزيزات: بعد قليل
لن تبصرنني، وبعد قليل
سوف تبصرنني»

13 وجعلت أمامها الحوريات السبع، وتقدمت
مع إشارة لي وللسيدة والحكيم
الذي ظل معي، لنتبعها حيث تقودنا.

16 سارت، ولا أظنها تقدمت بعد
عشر خطوات على المرج عندما استدارت
ووقعت عيناها على عيني وقالت

19 بلهجة هادئة: «اقترب مني
بقدْرِ ما تستطيع، ليكون مكانك
أفضلَ فتستمعَ إليّ إذا حدثتك ونحن نسير».

22 وعندما كنت، ويجب أن أكون، بجانبها
قالت: «أيها الأخ العزيز، لِمَ لاتسألني
ونحن نسير؟»... لقد ارتبط لساني

25 مثل من يعرف أن مركزه أدنى بكثير
من الحضرات الذين يقف أمامهم،
فلا يَخْرجُ من بين أسنانه صوت،

28 وكذلك أنا، فبصوت مخنوق اندفعتُ

https://jadidpdf.com

لأقول: «سيدتي إن كلّ ما أحتاجه
وكل ما هو خير لي، تعرفينه أنت».

31 فقالت: «بودي أن تكسرَ هيمنةَ
الخوف والخجلِ، ومن الآن فصاعداً
يجب ألا تتحدث وكأنك نصفُ مستيقظٍ.

34 فالعربةُ التي حطّمها التنين كانت موجودة، ولم تعد موجودة
الآن. وليثِقْ ذاك الذي أخطأ، أن
غضبَ الله لاتسكته الرشوة مهما كانت ضخمة.

37 والنسر الذي رأيته ينثر الريش هناك
ليجعل العربة وحشاً وفريسة
لن يبقى إلى الأبد بلا وريث.

40 وبقدر ما كلماتي مؤكدةٌ، كذلك ما أتنبأ به
سيكون وشيك الحدوث، فالنجوم المتحركة
التي تحدّد الزمنَ الذي فيه بإرادة الله

43 تكون الخمسمئةُ والعشرةُ والخمسةُ علامةً
على قدوم ذاك الذي سيطاردُ ويحطّمُ
الماردَ وخليلتهُ اللّصة.

46 إن نبوءتي غامضةٌ، كنبوّات
تيمس وسفينكس، ربما لاتثيرك،
طالما أن هذه الكلمات تخفي ما سيحدث.

https://jadidpdf.com

49 ولكن سريعاً في هذه الأيام، مثل الولادة الثانية
لأوديب، ستحلُّ الأحداث الأحجيةَ المجهولةَ
من دون خسارة في القطيع أو في القمح.

52 انتبهْ لكلماتي جيداً، وعندما ترويها
كرّرها كما قلتها لك، للأحياء الذين
ليست حياتهم سوى تسابقٍ إلى الموت.

55 وعندما تكتبها وتدوّنها، أوضحْ
ما رأيته من الشجرة، التي أُتلفت
مرتين منذ أن نصبَها اللهُ الخالقُ هنا.

58 إن كل من يسرق أو يكسر هذه الأغصان
يقترف تجديفاً بالفعل والعمل ضد الله
الذي خلقها لتقديس سرّه الكبير،

61 إذ بقضمة واحدة هدَرَ الروحُ الأول
خمسة آلاف سنة وأكثرَ، متشوقاً ينتظر
ذاك الذي تألم بجسده من أجل تلك الخطيئة.

64 ستكون فطنتكَ نائمةً إن لم تعرف
أن هناك سبباً، يجب أن تعرفه، جعل
ارتفاعها عظيماً، وجعل تاجها على هذا الشكل.

67 إن لم تكن أفكارك الكسلى في رأسك
كالماء الإلْزي، وإن لم يكن فرحك بها
كفرح بيراموس باصطباغ أكباش التوت

https://jadidpdf.com

70 لجعلتْكَ هاتان الحادثتان ترى القصدَ من
عدالة الله التي صيغت بشكل أخلاقي
على هيئة هذه الشجرة.

73 ولأني أرى عقلك انقلب إلى
حجرٍ، ومثلَ حجر بات مغتماً،
حتى أن ضوءاً مما أخبرك به يعميك ـ

76 أرغبُ إليك أن تحمل معك، إن لم يكن بالكتابة
فبالاختصار والإيجاز ما أقوله، مثلما يكلِّلُ الحُجّاجُ
عصيَّهُم بسعف النخيل ليعرفَ الناسُ أين كانوا».

79 قلت لها: «مثلما ينقشُ الشمعُ المضغوط
كل علائم الخَتْمِ، كذلك ختمُكِ
انحفرَ في دماغي وذاكرتي.

82 ولكن لماذا تحلقين بكلماتك بعيداً
فوق قدرتي على متابعة مضمونها
فما أقلَّ ما أراه وما أقلَّ ما أحاوله؟».

85 قالت: «إن أفكاري تحلِّق بعيداً بحيث
تعرف أيَّ مدرسة تتبعها، وكم تبعد
مبادئُها عن الحقيقة التي أتحدث عنها.

88 وأفهم أن طرائق الإنسان، حتى أفضلها
بعيدةٌ عن الله بُعد الأرض عن السماء
التي تدور عجلتُها أسرعَ من بقية السموات»،

https://jadidpdf.com

91 أجبتُ: «ولكن أنا لا أذكر أبداً
أنني كنت غريباً عنك. وضميري
لايوجّهُ إلي في ذلك أدنى ملامة».

94 فقالت مبتسمةً: «إذا كانت قد
تخلّتْ عنك هذه الذاكرة، فتذكّر
أنك شربت من مياه ليثي هذا اليوم.

97 وبما أنه لادخان بلا نار،
فإن نسيانك أنك انحرفت
يفضح خطيئة تلك الرغبة.

100 ولكني أؤكد لك أنني سأختار
أبسطَ الكلمات التي تحتاجها من الآن فصاعداً
لأجعلَ الأشياء أوضحَ لذهنك».

103 كانت الشمسُ بشعلتها الساطعة وخطواتها
البطيئة وصلت أعلى نقطة في برجها،
الذي يختلف في العالم من منطقة إلى منطقة

106 حين فجأةً ـ ومثل مَن يقود
صفاً من المسافرين ككشافٍ لهم، يقفُ
فجأة لرؤية منظر غريب أو إشارة مجهولة ـ

109 توقفت الحوريات السبعُ عند حرف الظل
الشاحب، مثل ظل تلقيه قمةٌ باردة
على جدول بارد عميقاً في فتحة ألْبيّة.

https://jadidpdf.com

112 وهناك في المقدّمة، وبدفعة واحدة
يبدو كأن دجلة والفرات يفترقان
كصديقين ويتريّثان عند الوداع.

115 صحتُ: «أيها النور، يا مجدَ البشرية
يا هذا الطوفان الذي ينبثق من نبع واحد
ثم ينفصل من تلقاء نفسه إلى فرعين؟».

118 ورداً على هذا التضرع سمعت اسم
«ماتيلدا» ثم «اسألها». ومن تكلمت عندئذ
كانت كمن تريدُ أن تهرب من الملامة:

121 «لقد شرحت لك هذا وأكثر منه
هذا اليوم، ولاشك أن ليثي
لن يستطيع أن يغسل تلك الذاكرة».

124 قالت بياتريس: «ربما العناية الزائدة،
كما يحصل عادة، قد أظلمت ذاكرته
وقوة عقله. ولكن انظري مياه أيونو

127 هناك خذيه، كما هي عادتك، إلى ضفة ذاك
السلسبيل العذب، وبمياهِهِ المقدسةِ
أنعشي القوى التي تُحتضرُ وتموتُ فيه».

130 ومثلُ روحٍ رقيقة تجعل إرادتها تتشكل
وفق إرادة الآخرين، من دون معارضة،
حالما تدركُ أي إشارة من الإشارات،

https://jadidpdf.com

133 هكذا العذراءُ الطيّبةُ أخذتني من يدي
وصاحت بصوت متواضع «ستاتيوس
تعالَ أنت معه» فانصاعَ لأمرها.

136 أيها القارئ، لو أن معي الوقتَ لأكتبَ،
لكنت كتبتُ، ولو بإيجاز، تسبيحةً
لهذا المنهلِ العذبِ، الذي لم أرتوِ منه.

139 لكنّي حبّرتُ كل الصفحات المخصصة
للجزء الثاني هذا، لهذه الأغنية،
ولجامُ الفن يمنعني من المتابعة.

142 عدتُ من تلك المياه المقدسة متجدداً
معافى مولوداً ثانية مثلَ شجرةٍ تتغيرُ في
الفصولِ فتورقُ مع الندى معافاةً من خدوش الشتاء.

145 فصرتُ كاملاً نقياً جاهزاً للصعود إلى النجوم.

الملاحظات:

1 ـ المزمور 79

3 ـ الثلاث أولاً ثم الأربع: الفضائل الدينية الثلاث والفضائل الطبيعية الأربع.

5 ـ ليس في هذه المقارنة غلو. فحزن بياتريس على صلب الكنيسة يشبه حزن مريم على صلب يسوع. يسوع والكنيسة شيء واحد.

10 ـ انظر يوحنا 16: 16 .

14 ـ السيدة: ماتيلدا. الحكيم: ستاتيوس. أما الحكيم الآخر فذهب وهو فرجيل.

17 ـ عشر خطوات: ربما كان رمزاً للوصايا العشر.

33 ـ نصف مستيقظ: تطهّر بمياه ليثي فنسي الخطيئة، لكن لم يتطهر بمياه أيونو التي تقوّي ذاكرة الخير، كذلك كان كنصف مستيقظ.

37 ـ النسر... وريث: النسر هو الإمبراطورية الرومانية. والوريث الحقيقي

https://jadidpdf.com

للقياصرة الذي سيعيد النظام سوف يظهر. كان دانتي يفكر بفريدريك الثاني باعتباره آخر وريث القياصرة.

43 ـ الخمسمئة والعشرة والخمسة: لايعرف ماذا قصد دانتي بهذه الأعداد التي وضعها.

47 ـ تيمس: ابنة غايا (الأرض) وأورانوس (السماء) والزوجة الثانية لزيوس. كانت نبوءاتها غامضة.

47 ـ سفينكس: أبو الهول وكان يلقي أحجية على المسافرين.

50 ـ أوديب: ملك طيبة التعيس الذي حل اللغز وتزوج أمه وقتل أباه. ودانتي لم يستخدم كلمة «أوديب» في نصه بل استخدم «النيادات» مجارياً أوفيد في خطئه، حيث استخدمها بدلاً من «الليادات» وهم أبناء لايوس ومنهم أوديب. وقد فضلنا ترجمة النيادات بأوديب.

51 ـ دون خسارة في القطيع أو القمح: حتى تثبت تيمس نبوءتها أرسلت الوحوش إلى قطعان طيبة تفترسها.

57 ـ مرتين: الأولى عندما أكلت حواء التفاحة والثانية عندما فسدت الكنيسة.

62 ـ خمسة آلاف سنة وأكثر: حسب تقديرات سفر التكوين (5:5) التي استنتجها دانتي وحسبها أنها تاريخ البشرية منذ آدم حتى المسيح.

63 ـ تألم بجسده: المسيح.

68 ـ الماء الإلْزي: إلزا: نهر في توسكانيا.

69 ـ بيراموس (انظر النشيد 17: 37).

86 ـ أي مدرسة: المقصود أي مدرسة فلسفية.

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

القسم الثالث

الفردوس

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

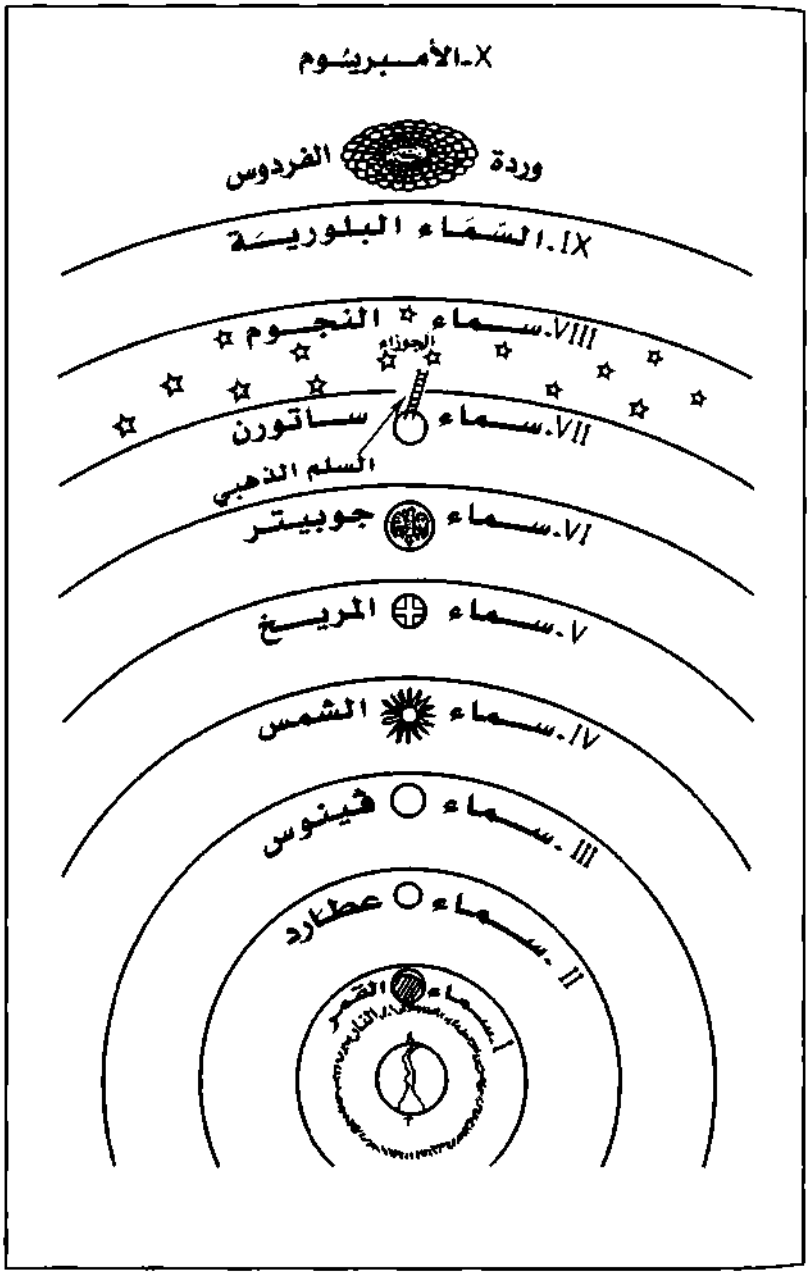

المنظر العام للفردوس

https://jadidpdf.com

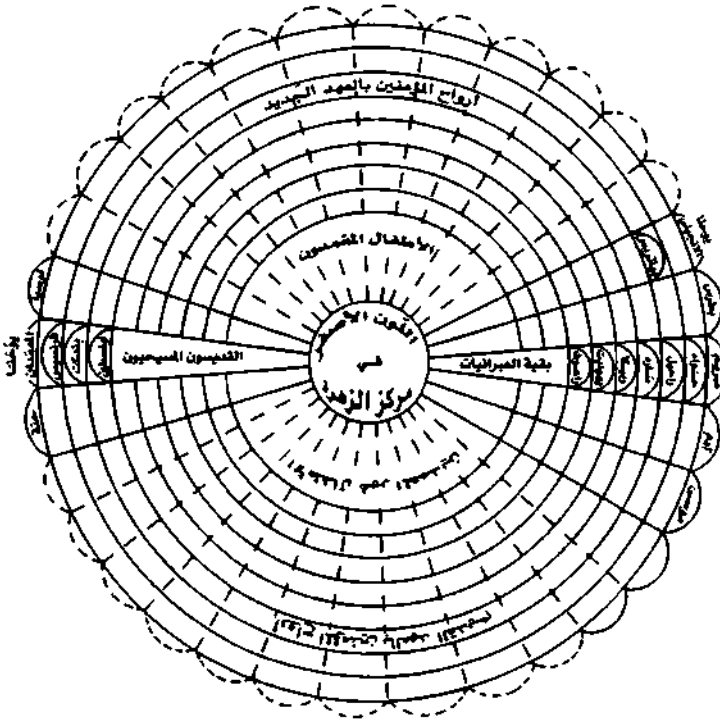

الـــوردة الســـماوية

https://jadidpdf.com

النشيد الأول

الفردوس الأرضي — الابتهال

الصعود إلى السماء — مدار النار وموسيقى المدارات

الحكاية: دانتي يبتهل إلى أبولو حتى يسعفه في نظم قصيدته. دانتي وبياتريس في الفردوس الأرضي، والشمس في الاعتدال الربيعي، فيكون وقت الظهر في المطهر ومنتصف الليل في أورشليم. بياتريس تحدق في الشمس، وهو يحدق في عينيها فتتحول روحه البشرية إلى روح إلهية. ويرى أن هذه الظواهر فوق إدراكه، فتشرحها له بياتريس، ثم يرتفع إلى السماء مع بياتريس بسرعة لاتوصف، من دون أن يبذل أي مجهود. ويمران في مدار النار، ويسمع دانتي لأول مرة موسيقى المدارات. بياتريس تشرح له قانون الجاذبية الكونية ومدى اختلافه عن الجاذبية المعروفة.

1 مجدُ الرب، محرّكُ كل الأشياء،
ينفذ في الكون، فينعكس من
كل شيء نور حسب قيمته وجدارته.

4 كنت في تلك السماء التي تحظى بأعظم أنواره
وقد رأيتُ أشياءَ تهبط من الأعالي،
يحتاج الإنسان إلى المعرفة والجرأة ليكتب عنها.

https://jadidpdf.com

7 إذ كلما اقترب عقلنا من هدفه أكثرَ
يشق أمامه طرقاً عميقة بحيث
لاتستطيع الذاكرة أن تلاحقه.

10 لكن الآن كل ما في تلك المملكة المباركة
الموجود هنا في عقلي مكتنز، ويجب
أن يكون موضوع شعري.

13 فيا أبولو الطيب، هذه آخر مهماتي،
أبتهلُ إليك أن تجعلني وعاء لقدراتك
مادمت تعتقد أني أهل لأن أتوّج بالغار.

16 كانت قمة واحدة من البرناس تكفي
حاجتي، لكني الآن بحاجة إلى قِمّتين
حتى أدخل حلبة المنافسة مرة أخرى.

19 فتغلغلْ، إليك أبتهل، بين جوانحي
وفجّرْ فيّ الموسيقى، كموسيقاك يوم
انتزعت مارسياس من جلده.

22 أيها القوة المقدسة أعِرْني أعظم نغمة
لأستطيع وصف حتى تلك
المملكةِ الرفيعة كما انطبع في عقلي.

25 وسوف تراني أقترب من دوحة غارك العزيزة
لأتوج نفسي بتلك الأوراق التي، أنت
وموضوعي الرفيع ستجعلاني جديراً بها.

https://jadidpdf.com

28 فقلما تُجمَعُ الأوراق أيها السيد المقدس
لتتويج انتصار إمبراطور أو تفوّقِ شاعر
(وإرادتنا البشرية تسمح بهذه الخطيئة وهذا العار)

31 ذلك أن ربّ دلفي لابدّ واجدٌ مزيداً
من البهجة في الغصن البنياني
عندما يتوق إليه أيّ إنسان.

34 اللهيبُ العظيم والهائل يخرج من شرارة صغيرة.
رُبَّ صوتٍ أفضلَ جاء من بعدي،
يرفع هذه الصلوات إلى سيرا فتستجيب.

37 يتلألأُ مصباح العالم على مرأى الفانين
من شتى الجهات، فكُنْ تلك الجهة التي تجمع
الدوائر الأربع مع الصلبان الثلاثة ترتفع

40 ويربطها بنجوم سعيدة، لتسير
في مجراه السعيد، فيذيب ويختم
شمع هذا العالم، ليسير حسب طبيعته ووظيفته.

43 إن الترابطَ السعيد جعل المساء هنا
والصباح هناك، والجنوب مشرقاً
بينما يكون النصف الشمالي معتماً.

46 حين رأيتُ بياتريس تستدير يساراً لترفعَ
عينيها إلى الشمس، لم يحدّقْ نسرٌ
أبداً في بهاء الشمس بمثل هذه النظرة الثابتة.

https://jadidpdf.com

49 وكما يفسحُ شعاعٌ هابط من السماء
لشعاع آخر يرتفع، فيتسلقَ
ثانية، كالحاج يتشوّق إلى بيته، كذلك

52 كان تأثيرها في عيني، مثل شعاع في فكري
فحرّض بقية أفكاري: حدّقتُ في الشمس
بشدة وصبر حتى كادت تعميني،

55 لكن ما يُباحُ لمشاعرنا هناك
في تلك الجنة التي خُصّصت للإنسان،
لايباح لنا عندما نكون هنا.

58 تحمّلتُ النور برهة، لكني رأيته
يتلألأ في كل سبيل مثل
الحديد الخارج من الفرن بتوهّجٍ أبيض.

61 وفجأة كما ظهر لي
كأنه يوم موصول بيوم، كما لو
أن الله قد أضاف شمساً جديدة لمجد السماء

64 حدّقت بياتريس في المدارات الأبدية
متخدرةً لاتتحرك، وملْتُ بعيني
من الشمس العالية وثبتهما في عينيها.

67 وما إن نظَرتُ، حتى شعرتُ في داخلي
ما شعر غلوكوس بعد أن أكل العشب
الذي جعله ربّاً من أرباب البحار.

https://jadidpdf.com

70 بشري يتحول ـ واقعة تسخر من الكلام البشري ـ
لذلك دعِ المثالَ يتكلم إلى أن تسمح النعمة
الإلهية للروح النقية أن تجرّب.

73 فإذا نهضتُ فقط بآخر جزء مخلوق
من كينونتي، فإنك تعرف أيها الحب
بمصباح مَنْ أنا تحولت.

76 وعندما استرعتْ انتباهي العجلةُ العظمى
التي تدور إلى الأبد بذلك
الانسجام الذي تعزفه أنت وتسمعه،

79 رأيتُ لهيباً مع الشمس يمتدّ من طرف إلى
طرف ويصل عنان السماء: إن كل الأمطار
والأنهار في كل الأزمان لاتصنع بحراً بهذا الاتساع.

82 ذلك الإشعاع، وذلك النغم الجديد
أشعلا بي نارَ الشوق لمعرفة السبب،
وهذا ما لم أشعرْ به من قبل.

85 وتلك التي رأت كل أفكاري كما أراها أنا،
رأت أيضاً حيرتي، وقبل أن أسأل
سؤالي باشرت فوراً بالجواب.

88 بدأتْ: «لقد بلّدت مفاهيمك
بتصوراتٍ زائفة، فلا تستوعب ما يجب
أن يكون واضحاً، كما لو تخلّصتَ منها.

https://jadidpdf.com

91 فأنت لست على الأرض كما تظن.
فالنور لاينتشر من مكانه الطبيعي إلى الأسفل،
بالسرعة نفسِها التي كنت تظنها هناك».

94 لقد استوعبتُ كلماتها الموجزة، وخلصتني
من حيرتي الأولى، لكني وجدت نفسي
مضطرباً في حيرة أخرى، فقلت:

97 «لقد استفاقَ ذهني من مفاجأة
المعجزة التي شرحَتْها لي الآن
لكنه يفاجأُ الآن بمعجزة أخرى: كيف

100 أحملُ بدني عبر هذه المادة الهوائية؟».
فتنهدتْ مشفقةً والتفَتتْ كما تلتفت أمٌّ
إلى طفلها الذي يهذي. قالت:

103 «عناصر كل الأشياء، مهما كانت طرائقها
تتبع نظاماً داخلياً. هذا هو الشكل
الذي فيه الكونُ يشابه الربّ.

106 فالمخلوقات العليا في هذا المجال ترى
آثار الحضرة الأبدية، وهي الهدفُ
الأساسي الذي وُضِعَ لها.

109 فكل كائن داخل هذا النظام، بموجب
قوانين طبيعته الخاصة يندفع ليجد
موقعَهُ الخاصَّ حول سببه الأوّلي.

https://jadidpdf.com

112 وكل طبيعة تتحرك عبر امتداد
البحر العظيم للكائن إلى مينائها الخاص،
مسترشدة بالغريزة الموجودة فيها.

115 فالغريزة تدفع النارَ حول القمر
إنها محرك القلب البشري.
إنها تدفع الأرض لتتماسك وتكون واحدة.

118 وليس فقط الكائنات غير العاقلة،
بل تلك التي تملك عقلاً وحباً تدفعها
الغريزة إلى هدفها كالقوس يطلقُ سهامه.

121 فالعناية الإلهية التي تجعل كل الأشياء جوعى
تقوم بإشباعها هنا من نورها
وتمسكُ السماء التي تدور فيها أسرع المدارات.

124 وإليها الآن، إلى المكان الذي أخبرتك به
نحلّقُ نحن الاثنين يدفعنا ذلك القوس
الذي يجد كل سهمٍ هدفاً من ذهب.

127 صحيح أن شكلَ الشيء، غالباً
لايستجيب لمضمون الفنّ،
فالمادةُ صماء لاتستجيب،

130 وهكذا فالكائنُ أحياناً يسافر بعيداً
في مجراهُ الحقيقي، فحتى عندما يندفع
هكذا، يظل يحتفظ بقوّة الانحراف.

https://jadidpdf.com

133 (تماماً كما نرى نار السماء تغمرها
سحابة) وربما دفعه الحافِزُ الأول
برغبة زائفة إلى أن يختلط بالأرض.

136 أظن أنك لن تعجب بعد هذا
من صعودك أكثر من تعجبك من سقوطِ
نهرٍ من جبل عال إلى قاع وادٍ عميق.

139 فإذا كنت ـ وقد تحرّرت من كل الأدران،
قد استوطنت، وبقيت في الأسفل،
فإن ذلك عجيبٌ، مثل بقاء شعلة في

142 السهل الأرضي». وهنا التفتت بعينيها ثانية إلى السماء.

الملاحظات:

1 ـ الرب محرّك كل الأشياء: المحرك الذي لايتحرك. كل متحرك يتدنى وينقص كماله. أما الرب فلا يتحرك حتى لاينقص.

3 ـ من كل شيء نور حسب قيمته: الأشياء تعكس نور الله، فكلما اقتربت من الكمال ازداد النور الذي تعكسه.

4 ـ تلك السماء: الأمبريوم، مجلس الله.

16 ـ قمة واحدة من البرناس: للبرناس قمتان: نيسا التي كانت ربات الفنون تقدسها، وسيرا التي يقدسها أبولو. من قبل كان دانتي يناشد ربات الفنون، فكانت نيسا تكفيه. أما الآن فهو يحتاج القمتين معاً لجلال الموضوع.

21 ـ مارسياس: شاعر هجائي تحدى أبولو في مباراة إنشاد فهُزم فعاقبه أبولو بأن انتزعه من جلده.

32 ـ الغصن البنياني: هو غصن الغار. دُعي هكذا نسبة إلى دافني ابنة رب النهر بنيوس. وحتى ينتقم كيوبيد من سخرية حلت به، وجه سهماً إلى أبولو وآخر إلى دافني. وحتى تتخلص دافني من أبولو تضرعت لأبيها أن يحولها إلى شجرة غار.

36 ـ إلى سيرا فتستجيب: إن لم يستجب أبولو لدانتي الآن فقد يأتي شاعر بعده ويضرع إلى سيرا وهي رمز أبولو، فتستجيب له.

https://jadidpdf.com

39 ـ الدوائر الأربع والصلبان الثلاثة: الدوائر الأربع ترسمها الشمس في الانقلاب الربيعي. والصلبان الثلاثة هي التي تحدث من التقاطعات بين الدوائر:

43 ـ المساء هنا والصباح هناك: عندما يكون الوقت ظهراً يكون نصف الكرة الجنوبي مضيئاً والشمالي معتماً.

47 ـ لم يحدق نسر: الاعتقاد السائد في العصور الوسطى أن النسر قادر على التحديق في الشمس مباشرة.

62 ـ يوم موصول بيوم: أي كأن الله أضاف شمساً ثانية إلى السماء.

68 ـ غلوكوس: صياد سمك. لاحظ أسماكه تقفز إلى البحر بعد أن يلقيها على العشب. أكل من العشب فتحوّل إلى إله بحر وعاد إلى الماء.

73 ـ آخر جزء مخلوق من كينونتي: آخر جزء مخلوق هو النفس (راجع المطهر 15: 37) والحب الذي يحكم السماء هو الله.

76 ـ العجلة العظمى: الترجمة الحرفية هي: العجلة التي صنعتها لأنك رغبتها. أخذنا المعنى العام وجعلناها العجلة العظمى لترمز إلى المحرك الأول. أما الانسجام فهو انسجام الأفلاك والمدارات.

92 ـ مكانه الطبيعي: مدار النار.

93 ـ هناك: مدار النار.

104 ـ نظاماً داخلياً: العلاقة بين الواحد والآخر، وكل واحد مع المجموع.

106 ـ المخلوقات العليا: الكائنات العاقلة للخلق وهم الملائكة والأرواح السماوية والناس.

123 ـ السماء: الأمبريوم.

123 ـ أسرع المدارات: المحرك الأول. فالأمبريوم لاتتحرك وهي خلف الزمان.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني

الصعود إلى القمر — تحذير إلى القارئ

المدار الأول: القمر — بياتريس تشرح معالم القمر

الحكاية: يرتفع دانتي مع بياتريس إلى مدار القمر بسرعة تقارب سرعة الضوء. دانتي يحذّر القارئ السطحي. فقط أولئك الذين يأكلون من معرفة الله يكملون الرحلة. وطريقة صعودهما تكون بتحديق بياتريس في الشمس وتحديق دانتي في عيني بياتريس. ويدخل هو وبياتريس السماء الأولى، سماء القمر، مثلما ينفذ النور في الماء. وتشرح بياتريس لدانتي معالم القمر كما تظهر من الأرض، مثل قائين والعليقة وتقول إن هذه الأنوار مستمدة من تباين درجات القوى في الكائنات الملائكية التي تحرك السموات التسع. وبما أن القمر هو الأبعد عن الأمبريوم، فإنه يتلقى أقل من الكواكب الأخرى. كما أن كل نجم أو كوكب يعكس النور بحسب طبيعته. وبما أن القمر هو الأبعد فإنه المتلقي الأقل.

1 أنتم يا من تريدون أن تسمعوا هذه الأشياء
وبزورقكم الصغير توغلون بعيداً وتتبعون
سفينتي العظيمة التي تقلع وتغني،

4 ارجعوا واجعلوا طريقكم إلى شاطئكم الخاص
لاتورِّطوا أنفسكم في الإبحار في عمق المحيطات،

https://jadidpdf.com

لأنكم عني تضلّون، وربما كل شيء تفقدون.

7 طريقي يمشي في بحر لم يخضْهُ أحدٌ
منيرفا ترفع شراعي. أبولو يدير الدفة
وربّات الفنون التسع يهديننني إلى الدب الأكبر،

10 أنتم أيها القلّة، يا من اندفعتم لأكل خبز
الملائكة، الذي نقتاتُ به على الأرض،
لكن أحداً منكم لم يأخذ منه الكفاية.

13 بإمكانكم أن تدفعوا زورقكم في الطريق المالح
وأن تتبعوا آثاري على صفحة المياه
قبل أن تعودَ وتنطمسَ.

16 إن الأبطال الذين إلى كالخيسَ أبحروا
ليروا جاسون المجيد يتحول إلى فلاح
لم يكونوا أشدَّ دهشةً وعجباً منكم.

19 إن العطشَ الدائم المتأصل فينا، التوّاقَ
إلى المملكة الإلهية، يدفعنا إلى الإسراع
بقدر ما يرتفع البصر لرؤية عجلة السموات.

22 نحو السماء كانت بياريس ترنو وأنا أرنو إليها
وفي زمن تستغرقه قذيفةٌ تنطلق
من قوسها وتصيبُ الهدف ـ

25 وجدتُ نفسي في مكان حيث لَفت
انتباهي بشكل عجيب، ولم أستطع

https://jadidpdf.com

أن أخفي عنها دهشتي وتشوّقَ عقلي

28 للمعرفة، فالتفتتْ وبفرح وغبطة قالتْ:
«وجّهْ أفكاركَ بكل بهجة وامتنان
إلى الله الذي رفعنا الآن إلى السماء الأولى».

31 لقد بدا لي كأن غيمةً مشعشعةً
وكثيفة ومتلألئة كالجوهرة وقد
سقط عليها شعاع الشمس، قد غطّتنا.

34 لقد تلقتنا لؤلؤةُ الأبدية
أنا وبياتريس، كما يتلقى الماء
شعاعَ الضوء دون أن يتغيرَ جوهره.

37 لو كنتُ جسداً (ولا حاجة في هذه الحالة
أن ندرك كيف أن مكان الواحد يمكن أن يحمل
الآخر، بحيث يحتل الجسدان حيزاً واحداً)

40 لكانت رغبتي أشدَّ حرارة من الشمس
لمعرفة الجوهر الذي يمكن أن يرى فيه المرء
الطبيعةَ الإنسانيةَ وقد اندمجتْ في الجوهر الإلهي.

43 هناك نشاهدُ بأعيننا ما كان مستقراً في إيماننا.
العقلُ لايخبر به، وإنما برهانه منه وفيه،
فنفهمه كما يفهم البشر البديهيات على الأرض.

46 أجبتُ: «سيدتي، بأي الطرق تبدّت
كينونتي، فإني أتقدم بشكري إلى

https://jadidpdf.com

الله الذي رفعني من عالم الطين.

49 ولكن أخبريني: ما هذه الأوتارُ القاتمة
في كتلة هذا الجرم البرّاق التي تظهر على الأرض
وتجعل الناس يروون الخرافات عن قائين؟».

52 ابتسَمتْ لحظة ثم ردت علي قائلة:
«إن عجزت معرفة الفانين أن تفكَّ
القفلَ الذي لامفتاح له في حواسك

55 فما كان لسهام الدهشة أن تنفذ فيك:
حتى عندما أجنحةُ العقل تسترشد
بما تقدّمه الحواسُ، فإنها لاتحلّق فعلاً.

58 فماذا تظن السبب الكامن وراء ذلك؟».
قلت: «أظن أن تلك التغيرات التي نراها
سببها الأجسادُ ذات الكثافاتِ المختلفة».

61 قالت: «لاشك أنك تعرف تماماً أن رأيكَ
لايصيب شيئاً من حقيقة. إن أصغيتَ جيداً
إلى الآراء المناقضة، فسأقولها لك.

64 المدارُ الثامن تنيره مصابيحُ كثيرة،
ويمكن أن نلاحظ هذه المصابيح من
تباين ضوئها كيفاً وكمّاً.

67 فإذا كانت الشفافيةُ أو الكثافة سببَ
هذه التباينات، فإن قوّةً واحدة

https://jadidpdf.com

تكمن وراء ذلك، سواء المتساوي أو المتباين.

70 فتباين القوى يمكن أن ينبثق من
المبادئ الشكلية، وكلُّ هذه القوى
سوف يستثنيها عقلك إلا قوةً واحدة.

73 فإذا كانت الشفافيةُ تنتج المعالمَ التي أشرت
فإن مادة هذا النجم لابد أن تكون شفافة
في نقاط معينة، طبقاً للشفافية وتباينها.

76 أو يكونَ ثمة ترتيبٌ كترتيب الشحم
واللحم في الجسم مثل كتاب
بصفحات متناوبة. ولكن يمكن

79 في الخسوف أن نرى الفرضَ الأول ليس صحيحاً
لأن نورَ الشمس عندئذ سوف ينفذ
كما في المادة الشفافة من أي نوع.

82 وبما أنه لاينفذ، فإننا نصل إلى الحالة
الثانية، فإن أثبتُّ بطلانها، فسوف
أُظهر لك أن كل تفكيرك مغلوطٌ.

85 فإذا كانت المادة الشفافة لاتنتشر عبر
كتلة الكوكب، فلا بد من وجود حدّ
ترتد عنده أشعةُ الشمس عن المادة الكثيفة،

88 التي نظراً لعدم سماحها بالنفاذ، تنعكس
مثلما ينعكس النور واللون

https://jadidpdf.com

ويرتدّان في المرآة الصافية.

91 يمكنك الآن أن تنحو منحى ابن سينا وتماري
بأن الشعاع يبدو معتماً في مكان أكثر من
الأمكنة الأخرى مادام يرتدُّ منعكساً من غيره.

94 من هذا المثال (إنْ كانت لديك شجاعة التجريب)
يمكن أن تتحرى بالتجربة، وهي الينبوع
الذي منه تنطلق كل العلوم.

97 خذْ ثلاث مرايا. اجعل اثنتين منها
تبعدان عنك مسافة متساوية، وضع
الثالثة بينهما، ولكن إلى الخلف. الآن ارجغ

100 حتى تواجه المرايا واطلبْ من أحدهم أن
يُسقِط ضوءاً خلفك بحيث يسقط على
المرايا الثلاث وينعكس فيها إلى نظرك.

103 مع أن الصورةَ التي من المسافة الكبرى
أصغرُ من البقية، فإن عليك أن تلاحظ
أن كل المرايا تعكس الضوءَ بتألق متساوٍ.

106 وكما أن قوّةَ أشعة الشمس ستجرد
الأرض الشتوية الملأى بالثلج
من البرودة والبياض،

109 كذلك أنتَ بعقلكَ النقي، سوف أنيرك
بإشعاعِ الحقيقة الحيّة، التي

https://jadidpdf.com

ستقفز لتظهر أمام نظرك.

112 داخلَ سماء السلام الواقعة خلف الجَلَد
تدور هناك كتلة تسبب قوتها
كينونةَ كل الأشياء في داخلها.

115 المدار الثاني المشعشع بالأنوار،
يوزّع هذه القوة إلى كثير من الجواهر
المتميزة بذاتها، ومع ذلك تحتويها كلها.

118 المداراتُ الأخرى، بدرجات مختلفة
توزع القوة الخاصة التي بداخلها
إلى أسبابها ونتائجها الخاصة.

121 كل تلك الأعضاء الكونية العظمى، كما تعلم
الآن، تنتقلُ من درجة إلى درجة، كلٌّ وفق
نظامه، فيأخذ القوة من الأعلى ويستخدمها في الأسفل.

124 الآن، لاحظْ بدقة كيف أتحرك أنا
عبر هذا الممرّ إلى الحقيقة التي تبحث عنها
فبهذا سوف تتعلم كيف تعبر المخاضة وحدك.

127 فالحركة وقوة الالتفافات المقدسة ـ
مثل فن الطرْق عند الحداد ـ لابد أن تصدر
عن المحركين المباركين. فقوّتهم هي التي تلهم

130 وهكذا تتزين السماء في عجلتها
بكثير من المصابيح، من العقلِ العميقِ

https://jadidpdf.com

الذي يديرها، وتتخذُ صورته وخاتَمَهُ.

133 ومثلما في جسدكم الترابي تنتشر النفس
في شتى الأعضاء، وكل عضو يتشكل
حسب وظيفته، كذلك بالطريقة

136 ذاتها ينشر العقل الملائكي خيره
ويوزعه على كثير من النجوم
في حين يتحرك ويدور في تفرّده.

139 هذه القوة المتغيّرة منصهرةٌ
في الكتلة الكريمة التي تسرّعها،
تماماً مثلما تنصهر الحياة فيك.

142 وبسبب الطبيعة البهيجة التي منها تخرج
فإن هذه القوة المتعدّدة الوجوه تتألف من
تلك الكتلة مثلما تتألق الروحُ الحيّةُ في العين الحية.

145 من هذا الينبوع فقط، وليس من الشفافية والكثافة
يحصل التباين بين ضوءٍ وآخر
وهذا هو المبدأ الشكلي الذي بمواجهته

148 أهدافه الخاصة، يُظهر هذه المعالم
التي تراها من عتمة وإشراق».

الرموز والصور:

القمر: ساد الاعتقاد في العصور الوسطى بأن عاصفة هبت بعد أن قتل قائين أخاه، فدفعت به إلى القمر ليعيش بين الأشواك. فالبقع القمرية هي العليقة

https://jadidpdf.com

الضخمة التي يعيش فيها قاتل أخيه: قائين. لكن دانتي عن طريق أمثلة المرايا والانعكاسات يثبت أن الأجرام السماوية، أو السموات لها معين تستمد منه النور، فيمتص كل جزء بحسب طبيعته. وهذا هو سبب البقع القمرية.

الملاحظات:

10 ـ خبز الملائكة: معرفة الله.

16 ـ الأبطال: بحارة الأرغو بقيادة جاسون الذي عمل فلاحاً ليحرث على الثورين اللذين ينفثان ناراً، ويزرع الحقل بأسنان التنين، كما هو معروف في الأساطير.

30 ـ السماء الأولى: القمر. أول مدار في النظام البطليموسي.

31 ـ وصف القمر بأنه كالجوهر أملس كثيف متلألئ، هو ماكان شائعاً لأن التلسكوب وقتها كان أعجز من أن يكشف التضاريس القمرية.

34 ـ لؤلؤة الأبدية: القمر.

37 ـ وحدة الله والإنسان: إن كل الأبيات التالية تبين كيف اندمج الله في الإنسان.

44 ـ العقل لايخبر به: لأن العقل حسب مفهوم العصور الوسطى لايخبر إلا إذا أمره الإيمان.

51 ـ الخرافات عن قائين: التي تقول إنه يعيش في القمر ضمن علبقة شوك.

64 ـ المدار الثامن: مدار النجوم الثابتة.

64 ـ نجوم.

68 ـ قوة واحدة: تأثير النجوم على الأرض وعلى حياة الناس.

112 ـ سماء هي الكلمة التي جعلناها مقابل HEAVEN والجَلَدَ (بفتح اللام) جعلناها مقابل SKY.

123 ـ القوة من الأعلى: من الله.

129 ـ المحركون المباركون: الملائكة، القوى، المبادئ، المعارف التي تؤثر في كل مدار.

130 ـ السماء في عجلتها: هي مدار النجوم الثابتة.

131 ـ العقل العميق: الله.

135 ـ كل عضو يتشكل حسب وظيفته: الرؤية للعين والسمع للأذن والشم للأنف وهكذا...

140 ـ الكتلة الكريمة: من مدار النجوم الثابتة.

142 ـ الطبيعة البهيجة: الله.

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث

المدار الأول: القمر النكوص

بيكاردا ـ كونستانسي

الحكاية: يرى دانتي وهو يهم بمحادثة بياتريس، وجوهاً بشرية فيظن أنها ليست أكثر من انعكاسات (متأثراً بما كانت تشرحه بياتريس). وتبين له بياتريس أنها ليست انعكاسات، بل وجوه حقيقية لنفوس في السماء. من تلك الوجوه تتقدم بيكاردا دوناتي وتعرّف بنفسها، ثم يلتقي بالإمبراطورة كونستانسي، وهي والدة الإمبراطور فريدريك الثاني، وكلتاهما دخلتا سلك الرهبانية، ثم أجبرتا على الزواج. والأرواح التي معهما كلها فشلت في سلك الرهبانية. وتشرح بيكاردا أن الجميع هنا فرحون بإرادة الله ولايرغبون في مكان أرقى، لأنهم لو رغبوا في هذا لكان في ذلك مخالفة لإرادة الله. وانسجاماً مع النعمة فإن كل مكان في السماء هو فردوس.

1 الشمس التي نفحَتْ في صباي نار الحب
كشفَتْ لي خطوة خطوة، وبالصحيح
والخاطئ، الوجه الجميل للحقيقة.

4 رفعتُ عيني ناظراً في عينيها لأعلن
أني تخلصت من الخطأ، بكل تأكيد،
وكنت على وشك أن أتكلم، ولكن قبل أن

https://jadidpdf.com

7 أنطق بكلمة ظهر أمامي مشهد، استحوذ
على اهتمامي وجذبني إليه حتى نسيتُ
أن أتقدمَ إليها باعترافي وشكري.

10 كما في الزجاج الصافي، عندما يكون برّاقاً
أو في بركةٍ هادئة صافية ليست عميقة
المياه بحيث يضيع قاعها عن النظر،

13 فترتدّ صورة الوجه إلينا ضعيفةً
فلؤلؤةٌ على جبين ناصع تثير
حماسةَ الرؤية، ليس بأبطأ مما تثيره الصورة،

16 هكذا رأيت وجوهاً كثيرة متشوقة إلى الحديث
فوقعتُ في خطأ يخالف خطأ
اليوناني المتيّم الذي شَغَفَهُ حبُّ البحيرة.

19 اعتقدتُ أن الآثار الشاحبة التي رأيتها
إنما هي انعكاسات صورٍ، فالتفتّ لأرى
المصدرَ ـ لكن في الفراغ تاه نظري.

22 التفتّ كضالّ، مرة أخرى
أستلهمُ الحقيقةَ من مرشدتي الجميلة
متألقة العينين، فابتسمت وقالت:

25 «هل علتْكَ الدهشة بأني ابتسمتُ لعملك
الطفولي في التعليل؟ فحتى الآن مازلت
لاتجرؤ على الثقة بإحساسك الحقيقي.

https://jadidpdf.com

28 بل كما هي عادتك تلفتَ في الفراغ.
إن ما تراه أمامك هم جواهر حقيقية
نكصوا عن النذر لله فحشروا هنا.

31 قمْ حيّهم، واستمع إلى ما يقولون
وآمنْ بما يقولون، لأن النور الحقيقي
الذي أفعمهم لايتركهم يخرجون عن شعاعه».

34 فلما حرّضتني تكلمتُ مع تلك الأرواح الشاحبة
ملتفتاً إلى تلك الروح التي بدا لي أنها متشوقةٌ
للحديث، مثل من يمسح الشوقُ ذاكرتَهُ.

37 «أيتها الروح المخلوقة باتقان، يا من
بشمس الحياة الأبدية تشرب بالعذوبة
التي تتخطى إدراكاتنا ومفاهيمنا،

40 يكون فرحي كبيراً إذا وثقتِ وتكرمتِ
بإرضاء مشوقٍ لمعرفة اسمك الأرضي وأخبارك».
وبعينين باسمتين، أجابت تلك الروح:

43 «الحبُ الذي يفعمنا لايسمح
بالامتناع عن هذه الرغبة، أكثر مما يسمح
«الحب» بأن يكون كل ما في بلاطه مماثلاً له.

46 كنت أختاً عذراء في الأرض،
وإذا فَتشتَ ذاكرتَك باهتمام
فستعرف، على الرغم من جمالي،

https://jadidpdf.com

49 أنني بيكاردا، وقد أتيت هنا
بين تلك الأرواح المباركة حتى
أجد بَرَكتي في أبطأ المدارات السماوية.

52 رغائبنا لم تعد ترغب في رغبة
إلا في مسرة الروح القدس الذي
يبهجه أن نكون حسب أوامره.

55 وقد مُنحنا هذا المركز المنخفض
لأننا كسرنا، وإن مرغمين،
النذر الذي نذرناه للسماء».

58 فقلت: «إن شيئاً من القداسة المعدومة
التعبير في وجهك، قد غيّرتْ من معالمك
بحيث لاتنطبق على الصورة التي في ذهني:

61 لذلك وجدتُ من الصعب تذكّرها
ولكن الآن، وبمساعدة كلماتكِ
يسهل على ذاكرتي التعرف عليك.

64 أخبريني من فضلك: أنت السعيدةُ بإقامتك
هنا، ألا ترغبين في الارتقاء إلى وضع أعلى
حتى تشاهدي أكثرَ، أو لتكون نفسك عزيزةً أكثر؟».

67 ابتسمتْ، وابتسمتِ النفوسُ التي بجانبها،
والتفتت إلي بفرح كبير، بدا كأنه
يشتعل بنار الحب الأول، وأجابت:

https://jadidpdf.com

70 «أيها الأخ، قوة الحب الأول، التي هي بركتنا
تهدئ رغائبنا. إن ما نرغب فيه نملكه،
فليس في صدرنا شيءٌ آخر إليه نتعطش.

73 وإذا كانت لدينا رغبة في أي مدار أعلى من مدارنا
فإن رغائبنا لن تكون منسجمةً مع
الإرادة العليا لله، فهو يريدنا هنا.

76 لا. فجوهر هذه الحالة المباركة من الوجود
هو أن تنسجمَ كل إرادتنا مع إرادته
بحيث نتماهى معاً بصوت واحد.

79 ففي كل أرجاء هذه المملكة
من أقصاها إلى أقصاها، نحن
نفعل ما يسرُّ، جاعلين إرادتنا من إرادته.

82 ففي إرادته سلامُنا. إنه البحرُ الذي
إليه يأتي الجميع، كلُّ ما يخلقه
وكل ما تحمله الطبيعة طيلة الأبدية».

85 عندئذ اتضح لي أنّ أي مكان
في السماء هو فردوس، لكن النعمة الكاملة
لاتهبط بالتساوي على كل الأرواح هناك.

88 ولكن بما أننا مع الزمن نشبع
من الطعام الواحد، ونجوعُ إلى الآخر
فإننا ننحّي هذا مع الامتنان، ومانزال

https://jadidpdf.com

91 نطالب بذاك ـ هذا ما أردتُ أن أعرفه
بالكلمة والإشارة: لماذا لم تكمل
الذي كرّست نفسها له.

94 قالت: «كمالها وحياتها وجدارتها
تلك السيدةُ التي في الأعلى، والتي بها
تقتدي العذارى عندكم في الأرض

97 اللواتي حتى وفاتهن يعشْنَ نائماتٍ
قائمات مع العريس الجميل الذي يقبل
حبَّ كل الناذرين مما يجعله يزداد ابتهاجاً.

100 كنت فتاة، وبها اقتديتُ فهربتُ من العالم
إلى الطريق الذي فيه سارت، والتزمتُ بعاداتها
ولازمتُ أخوّتها الرهبانية حتى آخر أيامي.

103 ثم جاء الرجال، الرجال الذين اعتادوا الكراهية
أكثر من الحب، فانتزعوني من صومعتي الجميلة.
أما بقية حياتي فباتت، كما أظن، معروفة.

106 هذه البهيّة التي جعلتْ نفسها تظهر هنا
إلى يميني لتسعدكَ، تتألقُ بكل
بركةٍ، تنير هذا المدار،

109 تفهم عني في قرارتها كل ما أقوله.
فقد كانت راهبة أيضاً. لقد خلعوا عن رأسها
مثلما خلعوا عن رأسي ظلَّ حجابِ الرهبانية.

https://jadidpdf.com

112 وعلى الرغم من إرادتها أُجبرتْ
على العودة إلى العالم. ولكن حتى
هناك بقي قلبها في ظل حجاب القداسة.

115 إنها نور الإمبراطورة كونستانسي
التي حَمَلتْ من ثاني عواهل سوابيا
وولدت ثالث عواهلها وأقواهم».

118 أنهتْ كلامها، وعلى الفور، طفِقَتْ تغني
«يا قديسة مريم» وغابت عني وهي تغني
مثل صخرة في مياه عميقة، فتلاشت

121 من أمام ناظري الذي تابعها قَدَرَ المستطاع
ثم ضاعت عنه، فارتدّ مباشرة
إلى هدف رغبته الأسمى موجّهاً

124 نفسه كلها إلى الابتهاج
بالمرأى الجميل لبياتريس. لكنها
تألقت فوق نظري، فأعمتني

127 أول الأمر، لذلك تلكأتُ في سؤالها عما
أريد أن أعرف.

الرموز والصور:

بيكاردا: أول شخصية يقدمها لنا دانتي عن سكان السموات. وهي في مدار القمر، أو سماء القمر، أبطأ المدارات لأن دائرتها أصغر الدوائر. لبيكاردا سيرورتان: أرضية وسماوية. يختصر الأرضية بكلمات قليلة: راهبة تُكره على الزواج. «أما بقية حياتي فمعروفة» أي إنجاب فتربية فموت. أما السيرورة السماوية فهي التي تبسّط بها دانتي، وهي المقصودة. والحياة التي

https://jadidpdf.com

تحياها بيكاردا شيء مخيف، فلا طموح ولارغائب، بل صلوات لإرضاء الروح القدس. وإذا أردنا تلخيص السيرورة السماوية لوجدناها في هذه الصورة الموجزة المرعبة:

رغائبنا لم تعد ترغب في رغبة
إلا في مسرة الروح القدس الذي
يبهجه أن نكون حسب أوامره.

ولاينسى دانتي أن يربط التغير في السيرورة بالتغير في معالم الشخصية فيقول لها «إن شيئاً من القداسة المعدومة التعبير في وجهك قد غيرت معالمك بحيث لاتنطبق على الصورة التي في ذهني»، ومن الطبيعي أن تكون هذه الحياة التي لارغائب فيها باهتة جداً «قداسة معدومة التعبير» فتمسح معالمها مسحاً، لذلك شك دانتي أول الأمر في أن تكون هذه السِحن شخصيات حقيقية. ظنها انعكاسات، ولو كان ثمة مندوحة هنا، لقارنّا بين حياة بيكاردا في مدار القمر وحياة كابانيوس المفعم بالرغائب والإرادة وهو في قلب الجحيم.

الملاحظات:

1 ـ الشمس: بياتريس.

2 ـ الصحيح والخاطئ: رأي بياتريس (الصحيح) ورأي دانتي (الخطأ).

9 ـ باعترافي: باعتراف دانتي بأخطائه.

16 ـ وجوها كثيرة: الوجوه كثيرة والتعبير معدوم. وكل مدار القمر يتفق سكانه في «النكوص»، والأصح كلهن، فقد دخلن الرهبنة ثم نكصن عنها وإن بالإكراه.

18 ـ خطأ يخالف خطأ اليوناني المتيّم: اليوناني هو نرسيس والخطأ الذي ارتكبه هو اعتقاده أن الصورة التي في صفحة الماء هي صورة حقيقية فإذا هي زائفة، فهو على الضد من خطأ دانتي الذي اعتقد أن الصورة زائفة فإذا هي حقيقية.

32 ـ النور الحقيقي: الله.

43 ـ الحب: الله.

46 ـ أختاً عذراء: راهبة.

49 ـ بيكاردا دوناتي: ابنة سيمون دوناتي (الجحيم 15: 32) وأخت فوريسي (المطهر 13: 48) وأخت القائد العسكري كورسو (المطهر 14: 82) وفوريسي هو صديق دانتي. كانت راهبة فأكرهها كورسو لغاية سياسية على الزواج من روزلينو ديلاتوسا. فمرضت بيكاردا ثم ماتت.

66 ـ عزيزة أكثر...: عزيزة على الله أكثر.

https://jadidpdf.com

95 ـ تلك السيدة: القديسة كلارا الأسيسية (1194 ـ 1253) تلميذة القديس فرنسيس. والتي في الأعلى: يعني التي في السموات العليا.

98 ـ العريس: المسيح.

106 ـ البهية: الإمبراطورة كونستانسي (1154 ـ 1198) تزوجت الإمبراطور هنري السادس، وصارت أم فريدريك الثاني. ولكن ليس هناك أي شيء يثبت أنها كانت راهبة كما يذهب دانتي.

116 ـ عواهل سوابيا: سوابيا (ألمانيا) عرفت الكثير من الأباطرة الكبار لكن دانتي يعد ثلاثة من أعظمهم: الأول فردريك بربا روس والثاني ابنه هنري السادس. والثالث فريدريك الثاني.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع

المدار الأول: القمر — خطابات بياتريس

المجلس الحقيقي للمباركين

خطأ أفلاطون

حرية الإرادة

جزاء النكوص عن النذر

الحكاية: بعد حديث بيكاردا يفكر دانتي في أشياء كثيرة، يخشى أن تقوده إلى الهرطقة. فهل كان أفلاطون على حق في القول إن النفوس تأتي من النجوم المختلفة جاهزة مجهزة، ثم ترجع إليها بعد الموت؟ إن كان هكذا فما حرية الإرادة؟ وإذا كانت السماء عادلة فلماذا تعد هذه النفوس خاطئة وقد أُرغمت على الخطيئة إرغاماً؟ وإذا كانت السماء هي الحقيقة فما الفرق بين بيكاردا وبياتريس؟... تزيل بياتريس شكوكه، فيسأل إذا كان بإمكان النفوس تقديم كفارة أخرى عن النكوص بالنذر.

1 إنسان حر الاختيار، سيموت جوعاً
بين صحني طعام، متساويين نوعاً، ويبعدان
مسافة واحدة عنه، قبل أن يذوق شيئاً.

4 والحمل الذي يأتيه الخوف من مصدرين

https://jadidpdf.com

سيرتجف بين الذئبين ويتجمد.
وكذلك كلب الصيد الذي يقف بين غزالين.

7 فلا أستطيع لوم نفسي لوقوفي جامداً
ولا أستطيع مديحها، لأني فعلت ذلك،
فقد احترتُ بين شكين كلاهما حادٌ وقوي.

10 لم أتكلم، لكن على وجهي ارتسمت
فوراً كل أسئلتي ونزوعاتي
فكان ذلك أبلغَ من أن أتلفظ بها.

13 وقد فعلت بياتريس ما فعله دانيال مرة
عندما أزال عن نبوخذ نصّر الغضبَ
الذي جعله يقترف المظالم في بابل.

16 قالت: «أرى تماماً كيف أن الرغبة
والشكَّ يمزقانك بطريقين مختلفين
حتى أن حماستك تشوّشتْ فلم تَظهر.

19 إنك تعلّل: «إذا كانت الإرادةُ المنذورة حقيقيةً
كيف يمكن لعنف الآخرين أن ينتزعها
من المقياس الكامل للبَرَكة، الذي هو شأني؟»

22 وإني لأرى شكاً ثانياً يربك فكركَ
لأن الأرواح التي تراها تبدو لك أنها تعود
إلى النجوم التي منها أتت، حسب تعاليم أفلاطون.

25 تلك هي الأسئلة التي تمسك إرادتك

https://jadidpdf.com

بقوة متساوية. لذلك سوف أتناول
أولاً المسألة التي لسمّها قوةً فتاكة.

28 خذْ مثلاً السيرافيم، الأكثر شبهاً بالله
خذ موسى أو صموئيل، أو خذ حتى يوحنا
أو مريم، فلا أحد منهم أقرب إليه

31 ولايملك عرشاً فوق مدارات المباركين
في أي سماء، إلا تلك التي تسكنها هذه الأرواح
وليس لهم وجودٌ يزيد أو يقلّ سنواتٍ عنهم.

34 كلهم يضيفون جمالهم إلى العجلة العليا
ويشاركون في الحياة الجميلة، ويختلفون
فقط في النسمة الأبدية التي يشعرون بها.

37 لقد ظهروا هناك، لا لأن هذا المركز
مخصّصٌ لهم، بل ليرمزَ إلى أنهم في
درجة أقل في الحشد السماوي.

40 وهذا يجرّنا إلى النقص البشري
الذي لايُفهم إلا ضمن ما هو محسوسٌ
مهما كان ملائماً للفهم الذهني.

43 وتنزلُ الأسفارُ بطريقة حسّية مشابهة،
فتصف الله بأن له يدين وقدمين،
وما ذلك إلا مراعاةً لمستوى فهم البشر.

46 والكنيسةُ المقدسةُ تريك في رسوم بشرية

https://jadidpdf.com

صورَ جبرائيل وميخائيل والآخر الذي
أعاد إلى طوبيتَ نعمةَ البصر.

49 فإذا كان طيماوس ـ كما يبدو واضحاً ـ
تكلّم بدقة، فإن ما يقوله عن الأرواح
لايشبه الحقيقة التي نراها هنا.

52 يقول إن النفس تجد نجمها ثانية
ويتصور أن الطبيعة تختار منه
ما يمنحُ شكلاً للجسد ويعيش مع الناس.

55 ولكن ربما تكون لكلماته الخبيئةِ
معنى ثانياً: إذا ما فهمناه،
يكشف لنا مبدأً لايمكن أن يستخِفَّ به الإنسان.

58 فإذا كان يعني أن العار أو الشرف
يرجع إلى تأثير كل مدار فيه فإن
سهمه أصاب كبدَ الحقيقة تقريباً.

61 هذا المبدأُ وقد أُسيء فهمه، جعل
تقريباً كل العالم يطلق على الكواكب
أسماء أمثال مارس وميركوري وجوبيتر.

64 الشكُّ الآخر الذي يثير عقلك أقل
سما من الأول، لأنه رغم كل خبثه لم يستطع
أن ينتزعك من جانبي لتضل كالأعمى.

67 احتجاجُ الناس الفانين، بأنهم

https://jadidpdf.com

يرون ظلماً في عدالتنا، هو في حدّ
ذاته دليلُ إيمان، لا هرطقةٌ سامة.

70 وبما أن حقيقة هذا تقع ضمن
مطال قواك العقلية، فسأشرحها لك
كما تريد ـ فلنبدأ إذن.

73 إذا وقع العنف، وأولئك الذين يعانون
منه لايفعلون شيئاً مع القوى التي أوقعته،
فإن تلك الأرواحَ لاعذر لها فيما تدّعيه من أعذار.

76 لأنه إذا كانت الإرادةُ لاترغب في العمل فلا شيء
يجبرها، فتكون كالنار تعمل وفق طبيعتها، فهيهات
لآلاف الرياح العنيفة أن تقضي عليها.

79 ولكن إذعاننا يقيم حلفاً
مع العنف، وكذلك هذه الأرواح ـ إذ تنقصها
الإرادة، لا القوة حتى تستعيد منزلها المقدس.

82 فإذا اجتمعَتْ إرادتهم مع رغبتهم ـ
كما دفعتْ القديس لورانس إلى المقلاة
ودفعتْ موكيوس إلى وضع يده في النار،

85 فإنها تجبرهم على العودة إلى
طريقهم الحقيقي حالما يكونون أحراراً.
لكن اعلمْ أن هذه الإرادة الخالصة نادرةٌ جداً.

88 كلماتي هذه، إذا جمعتها وأمعنت فيها،

https://jadidpdf.com

سوف تحررك من الشك الذي
يتلفُ عقلك المرة بعد الأخرى.

91 الآن هناك طريق آخر أمامك
إنه مستقيمٌ ومؤلم ومن دون مساعدتي
سوف يضنيكَ الطريق، ولن تكسب شيئاً.

94 لقد جعلتك تفهم، خلف أي شك،
أن هذه الأرواح لاتستطيع أن تكذب،
لأنها موجودة في الحقيقة الأولى ولاتخرج منها.

97 لقد سمعت أخيراً بيكاردا تقول إن
التي وقفتْ إلى جانبها هي حبيبتها بالحجاب
ويبدو لك أن ماقالته يناقض ماقلتُه

100 أحياناً، أيها الأخ، يهرب الناس
من الخطر إلى طريق ليس من اختيارهم
فيفعلون فيه ما يجب أن يفعلوا.

103 وهكذا استجاب لتوسل أبيه، ذاك
الذي قضى على حياة أمه. أقصدُ الكميون
الذي بحث عن الرحمة في القسوة.

106 والآن زِنْ بعقلك كيف
تتداخل الإرادةُ والعنف، فيجتمعان
بحيث لاعذر يمحو جريمة.

109 الإرادة المطلقة لاتقبل أي خطيئة

https://jadidpdf.com

ومع ذلك فإنها تقبل نوعاً ما
بالخطيئة تجنباً لخطيئة أكبر.

112 إن الإرادة المطلقة هي التي كانت تسير إليها
بيكاردا، وأنا أيضاً تحدَّثتُ عن الحرية الأخرى
فكلتانا تحدّث عما هو حقيقي فقط».

115 ذلك ما خاض به ذلك الجدول المبارك
الذي ينبثق من ينبوع الحقيقة الكاملة.
تلك هي القوة التي جعلت شكوكي تزول.

118 فقلت: «يا محبوبة الحب الأول، أيتها النفس المقدسة
يا من غمرتني كلماتك الحارة
وبدفئها انتعشتُ وتماسكتُ.

121 ليس لي من الحب أعمقُ مما أقدمه
لكِ جزاء ما فعلت، ولكن الواحد
الذي يرى ويفعل يكافئك عني في الأعلى.

124 ما أعرفه هو أن عقل الإنسان لايستطيع
النفاذ في الضباب ما لم يستنر بتلك
الحقيقة التي لاحقيقة بعدها.

127 وحالما ينفذ، يستريح كما يستريح
الوحش في عرينه، والوُصُول ممكنٌ
وإلّا فكلّ الأشواق عبثٌ، وعبثاً تكون التجربة.

130 ومثلما يبرعم الشوق من إرادة الإنسان

https://jadidpdf.com

ينبثق الشكُّ مع جذر الحقيقة. وذلك
ما يدفعنا إلى الذروة، من هضبة إلى هضبة.

133 بهذا أتشجّع يا سيدتي بكل
احترام وأتقدّمُ طالباً مشورتك
عن حقيقةٍ ماتزال خافيةً:

136 هؤلاء الذين أخلّوا بما عاهدوا
ثم قاموا بأعمال كريمة خيّرةٍ
هل يجدون اعتباراً في ميزانكم لهذه الأعمال؟».

139 إليّ نظرتْ بياتريس، وعيناها المشرقتان
بقداستها، وجّهت إلى قلبي
شرارات الحب التي لجمتْ كل مواهبي

142 فوقفتُ مطرقاً، تكاد حواسي تتلاشى.

الملاحظات:

2 ـ بين صحني طعام: من المسائل المطروحة في العصور الوسطى. وقد طرح هذه المسألة الفيلسوف الفرنسي بوريدان (1295 ـ 1356) وعرفت باسم «حمار بوريدان».

13 ـ دانيال: فسر حلم نبوخذ نصّر (دانيال 2: 1 ـ 45).

24 ـ تعاليم أفلاطون: إشارة إلى تعاليمه في محاورته «طيماوس» وقد عالج هذا الموضوع فيما بعد وردزورث في «نشيد حول ذكريات الأبدية» فذهب إلى أن النفوس تأتي من النجوم وإليها تعود بعد الموت.

36 ـ النسمة الأبدية: تعبير مأخوذ من سفر التكوين حيث نفخ الله في الطين فدبت الحياة.

47 ـ الآخر: هو رفائيل، الرئيس الثالث للملائكة (انظر طوبيت 11: 2 ـ 17).

61 ـ هذا المبدأ: هو المبدأ الذي يقول بهبوط النفس من النجوم والعودة إليها.

83 ـ لورانس: هو القديس الذي أبى تسليم كنز الكنيسة فشوي في النار، فلما

https://jadidpdf.com

نضج جنبه قال لمعذبه «أيها الطاغية، أنضجت جانباً فاقلبني إلى الآخر، وابدأ وجبتك».

84 ـ موكيوس: شاب في روما القديمة، نذر نفسه لقتل بورسينا فاعتقله، وقال له سأحرقك، فمد يده فوق النار فأُعجب به وصفح عنه وفك حصار المدينة، بعد أن قال له إن كل رفاقي بهذا الاندفاع.

96 ـ الحقيقة الأولى: الله.

98 ـ وقفت إلى جانبها: إلى جانب كونستانسي.

105 ـ بحث في القسوة: تجاه أمه. عن الرحمة: تجاه أبيه. انظر المطهر 12: 49 ـ 51.

116 ـ ينبوع الحقيقة الكاملة: الله.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس

خطابات بياتريس

الصعود إلى المدار الثاني — الساعون إلى الشرف

المدار الثاني: ميركوري (عطارد) — الإمبراطور جوستنيان

الحكاية: تشرح بياتريس قداسة النُّذر وعلاقتها بحرية الإرادة، والمجال الضيق الذي يمكن فيه تغيير النُّذر، وأخطار النذر الشيطانية. وعندما تنتهي خطاباتها ترتفع مع دانتي إلى المدار الثاني، وفيه حشد من الأرواح المتألقة تجتمع في حلقة رقص حول بياتريس ودانتي. وهؤلاء الأرواح هم الساعون إلى الشرف. فقد كانوا فعالين في تحقيق الخير تدفعهم رغبة تحقيق الشرف الشخصي، وهو دافع خير، لكنه أقل الدوافع. ويتعرف دانتي على روح من هذه الأرواح، وفي النشيد التالي نعرف أن هذه الروح هي روح جوستنيان.

1 «إن كنتُ قد أظهرتُ، في نار الحب،
لهيباً فوق ما يستطيع البشرُ احتمالَهُ
وأقوى مما تتحمله عيناك، فلا تعجب.

4 هذه هي تألّقات
الرؤية الكاملة التي ترى الخير
وخطوةً خطوةً تقترب مما تراه.

https://jadidpdf.com

7 حسنٌ أن أرى كيف الأشعة الأبدية
التي حالما رأيتها، تشعل الحب الأبدي
الذي أشرق فيك من قبل.

10 فإن كان في طريقك شيء آخر يضلّل حبك
أيها الأخ فإنه ليس سوى أثرٍ أسأت فهمه
وقد رأيته أنت من خلال الآخرين.

13 أنت تسأل إن كان ثمة أي تعويض
يمكن أن تقدمه النفس لقاء عدم وفائها بالنذور
بحيث تحصّن ذاتها ضد أي مقاضاة».

16 هكذا بدأت بياتريس، متألقةً من
المصدر السماوي، هذا النشيدَ، وقد تابعتْ
من دون توقف خطابها السماوي:

19 «إن أعظم هِبَةٍ قدّمها الله، عندما
خلق البشرية، وأثمنها عنده
وأشبَهَها به، وأنفعها للإنسان

22 هي الحرية التي وهبها للإرادة.
وكل هذه المخلوقات العاقلة، وحدَها
وهِبَت، وماتزال توهبُ حرية الإرادة.

25 ومن هنا لابد أن تتضح لك
قيمة النذور، لأنها تجمع بين
رضى الله ورضاك أنت.

https://jadidpdf.com

28 لذلك عندما يقوم ميثاقٌ بين الله والإنسان
فإن الإنسان يكرّس نفسه لذلك الكنز الثمين
الذي قطعه بإرادته الحرّة.

31 فما الذي تقدمه أنت تعويضاً عن ذلك؟
كيف يمكنك استخدام ما يخص الله استخداماً خيّراً؟
هل يُستخدم الابتزاز من أجل غايات نبيلة؟

34 هذا ما سيجعل النقطةَ الرئيسية واضحة لك.
ولكن بما أن الكنيسةَ تقبل التعويضات في هذا بحيث
قد يبدو ما أقوله لك غيرَ صحيح،

37 فإن عليك البقاء على المائدة مدة أطول
طالما أنك تناولتَ طعاماً قاسياً. ومن دون
مساعدةٍ لن يتحول الهضم إلى ما يفيدك،

40 فافتح عقلك لما سأشرحه لك
ثم اغلقه عليه، إذ حتى تفهم
ليس عليك أن تعرف، بل أن تحفظ.

43 يكمن جوهر هذا الميثاق في التضحيةِ
بشيئين: الأول في ما يعمله المرءُ والثاني
في مادة الميثاق وطريقته.

46 هذا الجزء الثاني لايمكن أن ننحيه جانباً
إلا بتنفيذه تماماً، وهذا ما كنت
أقصده من خلال كلامي السابق.

https://jadidpdf.com

49 لاحظِ اليهودَ كيف يلتزمون
بالتضحية وإن اختلفت التقدمةُ نفسها،
أو كان استبدالها كافياً.

52 أما الآخر ـ وأقصدُ به مادةَ الميثاق ـ فيمكن
أن يكون من النوع الذي لايترتب
على استبداله أي تقدمة.

55 ولكن يجب على الإنسان ألا يُلزمَ نفسه،
معتمداً على منطقه ورغبته بذلك العبء
مالمْ يعملْ من أجله المفتاحان: الذهبي والفضي،

58 وكل تبديلٍ من العبث التفكير فيه
مالم تقدّر قيمة النذور بالنسبة
إلى البديل بأربعة إلى ستة.

61 لكن هناك أشياءُ وزنها وقيمتها
ترجح كفة أي ميزان. فهذه الأشياء
لايمكن استبدالها بأي شيء في الأرض.

64 لايحق للإنسان أن يعامل النذور باستخفاف.
حافظْ على عهدك ولكن ليس باختيار غبي
كما فَعَلَ يفتاح في أولى تقدماته.

67 كان الأفضل لو قال: لقد «أخطأت»
من أن يفعل الأسوأ ويبرُ بما وعَدَ ونذر.
وفي حالة مماثلة تجد القائد الحربي اليوناني العظيم

https://jadidpdf.com

70 جعل ابنته أفجينيا تبكي حزناً وألماً،
وجعل الناس أعلاهم وأدناهم، يشاركونها
البكاء بعد أن سمعوا بهذه الطقوس المميتة.

73 فيا أيها المسيحيون، كونوا متمهلين هادئين
فيما تعملون، ولاتكونوا مثل ريشة في مهب الريح،
ولاتظنوا أن كل ماءٍ يصلحُ لتنظيف الجسد.

76 إنكم تملكون العهدين، القديم والجديد
وراعي الكنيسة الذي يرشدكم ويوجهكم
وهذا كل ما يلزمكم للسير سيراً صحيحاً.

79 فإن شعرتُمْ بشهوة مخادعة تعدكم بالغفران
فتصرّفوا كالرجال الأذكياء، لا كخرافٍ معتوهة
وإلا أشار إليكم اليهودي الذي بينكم بإصبع السخرية.

82 لاتكونوا كالحَمَل الذي يضل الطريق
عن حليب أمه، الحمل البسيط المتقلب
الذي يخوض المعارك مع نفسه بلهو سخيف».

85 هكذا قالت لي بياتريس وأنا أكتبُ.
ثم استدارت، ملأى بالشوق إلى ذلك
الجزء من العالم الذي يستضيء بالنور الحقيقي.

88 صمتها ووجهها المتغير المتألق
جلبا لي الهدوء مع أن عقلي متحفز
يواجه مسائلَ جديدةً يريد أن يطرحها.

https://jadidpdf.com

91 وكالسهم يندفع بقوة فيصيب
العلامة قبل أن يستقر الوتر. هكذا
ارتفعنا أنا وبياتريس إلى المملكة الثانية.

94 تألّقتْ سيدتي بجوهر مشرق
من ذلك النور في السماء الجديدة وأشرقَ
الكوكب لحضورها بسطوع شديد،

97 فإذا كان النجم قد تغيّر وتهلّل
فماذا أفعل، أنا الذي من لحم ودم
أتأثر وأتغير لكل طارئ؟

100 وكالأسماك في بركةٍ صافية راكدة
تُهرعُ الأسماك نحو كل ما يلقى إليها من
الخارج ظناً منها أنه طعام دسِمٌ،

103 كذلك رأيت ألفاً من الأنوار مقبلةً
نحونا، ومن كل واحدة سمعتُ:
«ها قد أقبلتْ من تزيد حبنا بهاءً»

106 كلما اقترب منا هؤلاء الظلال
كان كلُّ ظل يتبدى ملموساً يشعّ أمامه
البهجة التي ملأت الأرجاء.

109 فتخيل أيها القارئ أنني بدأت القصة
من هنا فما بعد ـ فكّر أي جوع مريع
سيثير شهيتك لتعرف ماذا سيحصل.

https://jadidpdf.com

112 وهكذا تعرف أنت بنفسك كم كنت
متشوقاً لمعرفة طبيعة هذه الظلال
وأسمائها حالما ظهرَتْ أمامي.

115 «أيتها النفس الكريمة المولد التي سمحتْ لك
النعمة الإلهية برؤية عروش النصر الأبدي
في حين ماتزال في جسدك الفاني،

118 برؤية النور الذي يغمر كل المدارات
وينيرنا، فإن أردت النور
من أي طَرَفٍ وجِهَةٍ فسيكون لك».

121 وهكذا تحدثت إحدى النفوسِ المجيدة
وعلى الفور قالت بياتريس: «اسألْ،
لاتخفْ واطمئن وعاملهم كأنهم أرباب».

124 «أرى إنكِ جعلتِ عشكِ في النور
الخاص بك، وتطلقينه عبر عينيك
حين تبتسمين أيتها الروح المباركة.

127 ولكن لا أعرف من تكونين ولا لماذا
خُصّص لك هذا المدار الذي يخبّئ
نفسه عن أعين الناس بأشعةِ نجمٍ آخر».

130 تلك كانت كلماتي، والتفتُّ إلى
النور الذي تكلم، فرأيته يزداد
تألقاً كلما ابتعد عن النظر،

https://jadidpdf.com

133 وكالشمس وقد انكسرت أشعتها في
ستار البخار الكثيف، فراحت
تخفي نفسها بمزيد من النور،

136 هكذا تلك الروحُ المقدسة في
بهجتها العارمة، خبأتْ نفسها عني في
شعاعها الخاص فاختَفتْ في هالتها

139 وحدثتني بأشياء كثيرةٍ، موعِدُها النشيدُ التالي.

الرموز والصور:

النذور: عرفت البشرية منذ القديم نذوراً لآلهة مختلفة. فالإله الذي قدم له آغاممنون ابنته أفجينيا يختلف في نظر الوحدانيين عن الإله الذي قدم له يفتاح ابنته. لكن الإلهين يتمتعان بقدسية واحدة، وبعلاقة العابد والمعبود، التي تقوم على الخوف والرهبة. والشروط التي وضعها دانتي:

آ ـ أن يكون النذر صادراً عن إرادة حرة تماماً.

ب ـ أن يكون النذر، الذي هو ميثاق بين العابد والمعبود، محترماً بحيث يوفى من دون إلحاق الضرر بأحد.

ج ـ أن يعتمد المؤمنون على العقل فيما يتصرفون، لا أن يتصرفوا تصرف الحملان الغبية.

د ـ أن تكون النذور ضمن طاقة الناذر، فإذا تغيرت الظروف وفاقت طاقته، فليعترف بعجزه.

هـ ـ يمكن استبدال النذور، إذا كان في وفائها ضرر كبير يتعدى الطاقة، فحرمة النذور المقدسة لها حدودها.

الملاحظات:

23 ـ كل هذه المخلوقات العاقلة: الملائكة والبشر.

61 ـ أشياء وزنها وقيمتها ترجح... كالمبرة مثلاً وحب الآخرين والعذرية... ولنفرض أن إنساناً نذر أن يدفع مالاً كل عام، كنذر للمبرة، ثم نفد المال، ماذا يصنع؟ يحق له استبدال المال بأي عمل نافع، أو بالصلاة.

https://jadidpdf.com

66 ـ يفتاح: ملك إسرائيل، حارب العمونيين وأقسم أنه إن انتصر سيقدم أول من يقابله محرقة للرب، فكانت ابنته أول من قابله بعد الحرب (انظر البقية في قضاة 11).

69 ـ اليوناني العظيم: آغاممنون الذي نذر ابنته أفجينيا للبحر إذا سكنت رياحه لتبحر السفن إلى طروادة لتدميرها واسترداد هيلين.

81 ـ اليهودي: سيسخر من النذور التي على هذه الشاكلة، لأن شريعته لاتقر بمثل هذه النذور الشاذة.

97 ـ النجم: ميركوري (عطارد) ودانتي يعامل النجوم والكواكب معاملة واحدة. ونفوس هذا النجم هي التي عاشت على الأرض سعياً وراء المجد والشرف.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس

المدار الثاني: عطارد (ميركوري) الساعون إلى الشرف

جوستنيان

تاريخ النَّسر الروماني

الحكاية: كشفت الروح عن نفسها لدانتي فإذا هي الإمبراطور الشهيد جوستنيان. كان مؤمناً في البدء بالطبيعة الإلهية للمسيح، وليس بالطبيعة البشرية. ثم ارتد إلى الإيمان الحقيقي على يد المطران آغابيتوس. وقام بعده بعدة حملات عسكرية، وأوكل مهمتها إلى قائده بيلز آريوس، ونذر نفسه لكتابة القانون الروماني. وراح يسرد تاريخ النسر الروماني منذ البدايات الأولى، فسقوط أورشليم وحتى شارلمان. أما أرواح المدار، فإنها أرواح قامت في حياتها الأرضية بأعمال خيرة ومبرة، من أجل المجد والشهرة الشخصية. ومن بين هذه الأرواح روميو، وزير الكونت ريموند بيرنفار. وننبه القارئ سلفاً، أن ضمير الغائب في هذا النشيد يرجع إلى «النسر الروماني».

1 «حين وجّه قسطنطين جنح النَّسر ضد

دورة السماء وجعله يتبع خطى

الإبن الجديد لملك اللاتيانيين،

4 مرت مئتا سنة وأكثر، كما يعرف البشر،

https://jadidpdf.com

وطير الرب واقفٌ في أقصى أطراف أوروبا
قرب الجبال التي فيها تعلّم التحليق.

7 هناك بسط جناحيه على البر والبحر
وحكَمَ العالم، ومرّ من يد إلى يد،
وعبْرَ الكثير من التغيرات وصل إليّ.

10 كنت قيصراً، أنا المدعو جوستنيان،
بإرادة الحب الأول، الذي أشعر به الآن،
نظّفتُ القانون من الأوساخ والمبالغات والرياء.

13 قبل أن يستحوذ عملي على كل اهتمامي
آمنتُ بالمسيح ذي الطبيعة الواحدة، وليس
الطبيعتين. وكنت بإيماني هذا راضياً.

16 لكن آغابيتوس، الذي باركه الربُّ،
الراعيَ الحريصَ الصافيَ الإيمان،
دلني على الطريق الصحيح بكلماته المقدسة.

19 به آمنتُ، وفي معتقدي الراهن
رأيتُ الحقيقةَ واضحة، مثلما ترى أنت
التناقض بين الصدق والكذب.

22 وحالما سرتُ في طريق الإيمان الحقيقي
ألهمتني نعمة الرب أن أقوم بمهمتي
المجيدة، ونذرتُ نفسي لها بلا تأخير.

25 سلّمتُ رمحي لبلزاريوس وكل سلاحي.

https://jadidpdf.com

ومن حسن حظي أن يد الله اليمنى
كانت في عونه مما جعلني أستريح من الحرب.

28 من السؤالين اللذين طرحتهما من قبل
أرى أن أجيبَ عن السؤال الأول.
ورغم ما قلته يبقى هناك المزيد لأقول.

31 فأنت ترى كيف أن المؤمنين يقفون
ضد التعاليم المقدسة سواء كانوا
يطيعونها أو يتمردون عليها.

34 فانظر كم من الأبطال مجّدوه وانظر
كم من المآثر صُنعت ابتداء من اليوم
الذي مات فيه بالاس ليورثه العرش.

37 وأنت تعرف أنه لأكثر من قرنين
كان منزله «آلبا» إلى أن تَحارب
الثلاثة ضد الثلاثة، فانتقل إلى روما.

40 كما أنك تعرف ماذا فعل: من اغتصاب السابينات
حتى اغتصابِ لوكريسا الطيبة،
في ظل الملوك السبعة الذين سطوا على الجوار،

43 وكيف قاد الرومان المختارين ضد
قوات برينوس، وبيروس والدول
المنافسة وقوّاد الحروب.

46 ثم شهرة تراكواتوس، وكونتيوس الأجعد

https://jadidpdf.com

الشعر وديتش وفابي. وكيف
أنني مسرور لأني بالمرّ أحفظ مجدهم.

49 والقوات العربية التي قطعت خلف هانيبال
جبالَ الألب الوعرةَ، عندما أنت أيها
البوُ المتدفق مرَّغت بالرغام كبرياءهم،

52 ثم تكلل بالنصر سيبيون، وكذلك الفتى
الصغير بومبي. ووقف ضد هذا الجبل
الذي يشرف على مدينتك أنت.

55 وحين أشرق العصر الذي صمّمت فيه
السماء أن يكون العالم منسجماً، ظهر قيصر
وبإرادة روما، أمسكه بيده.

58 ما فعل من إلفار إلى الرين معروفٌ
لدى أسيري وسيني وكل وادٍ منه
تتدفق مياه الرون.

61 وما فعل عندما انطلق من
رافينا وعبر الروبيكون،
لايوفيه لسان، ولايجاريه قلم

64 ثم قاد كتائبه في إسبانيا
ثم الديراكيوم وضرب الفرساليين
ضربة قاسية شعر بوقعها النيل الحار.

67 وانتاندروس وسميوس، حيث رأى النور

https://jadidpdf.com

أوّل مرة رآه ثانية، ورأى قبر هكتور، ثم
ـ والويل لبطليموس ـ انطلق ثانية للرحيل.

70 ومثل الصاعقة انقضّ على جوبا
ثم التفت واكتسح بلادك الغربية
ووصل أسماعه البوقُ البومبي المغتاظ.

73 وبسبب ما فعله القائد العظيم التالي
فإن بروتس وكاسيوس صارا في هوة الجحيم،
وعمّ الحزن في مودينا وبيروجيا.

76 وبسبب ذلك مازال يشرق بالدمع
طيف كليوباترا، التي فرت منه
واستعارت من الصّلِّ موتَها الأسودَ السريع.

79 معه سافر بعيداً إلى البحر الأحمر
ومعه صار للعالم سلامه حتى أن
بوابات معبد جانوس أُغلقت وأُقفلت.

82 لكن ما فعلته هذه الشارة التي تنير
موضوعي الراهنَ كان لابدَّ من أن
يحدث في المملكة الدنيوية التي اكتسحَتْها.

85 ولابد من أن تبدو ظلالُ الأشياء
البائسة قاتمةً، إذا نظرنا إليها بعين صافية
وقلب شريف، كما تجلت في يد القيصر الثالث،

88 لأن العدالة الحيّة التي أتنسّمها هنا

https://jadidpdf.com

منحته المجد، بينما في اليد ذاتها
انتقمَ لغضب الرب من خطيئة آدم.

91 ولنتأمل الآن بالمعجزة المزدوجة:
فيما بعد، وتحت ظل تيتوس انتقم.
والانتقامُ كان بسبب الخطيئة القديمة.

94 وعندما عض ناب لومبارد الحساد
الكنيسة المقدسة، أسرع شارلمان
تحت جناحيه نفسهما وحررها.

97 والآن هل تستطيع أن تحاكم أولئك
الذين اتهمتهم أعلاه، وذكرت أخطاءهم
التي سببت كل آلامِكم الراهنة؟

100 واحدٌ يرفع الزنابقَ الذهبية ضد
الشعار العام، وواحد يستغله
للصالح الخاص: فمن يعرف أيهما أسوأ؟

103 فليخطط الجيبليون وليتآمروا وليتحركوا
تحت شعار آخر، لأن كل من استخدم
هذا الطائرَ سوف يجدُ سبباً للألم.

106 ولاتدعْ شارل الجديد يظن أن جولفه
سبب خلعه، ولكن لينتبه إلى المخالب
التي انتزعت اللبدة عن أسود أشدَ ضراوةً منه.

109 ما أكثر خطايا الآباء التي تؤدي

https://jadidpdf.com

بالأبناء: لاتدعْهُ يظن أن زنابقه
ستحل محلّ طير الله على درعه.

112 هذه النجمة الصغيرة التي تزركش تاجه
بضياء الأرواح الطيبة التي كانت غيورة
لتحقيق الشرف والشهرة،

115 وعندما اتجهتِ الرغبةُ إلى هذه الأشياء
التي تدنّتْ عن الخير الحقيقي، ارتدّت أشعةُ
الحب الحقيقي صاعدة بقوة أقل،

118 ولكن ميزان مكافآتنا واستحقاقنا
جزءٌ من بهجتنا، لأننا لانرى
أي فرق بين الإثنين.

121 بهذه الوسائل يجعل القاضي الحقيقي
إرادتنا طيبةً، فَتُحرِّكنا بحيث لاشيء
في الأبدية يمكن أن يجعل كينونتنا مريضةً.

124 أصوات متباينة تُصدر ألحاناً عذبة في الأسفل
وهكذا، في حياتنا، تُصدر هذه المحطات المتباينة
هارمونيا عذبة من مدار إلى مدار.

127 بهذه اللؤلؤة يتألق ويشعُّ روميو
أيضاً، الذي قوبلت أعماله الخيّرةُ
والجميلة بالنكران وبالحظ السيء.

130 لكن البروفنساليين الذين عملوا على الإطاحة به

https://jadidpdf.com

لن يعرفوا الضحك الدائم: ولن يمشي في طريق الشر
إلا من يرى في خير الآخرين خسارةً له.

133 أربعُ بنات للكونت ريموند، كل واحدة
زوجةٌ لملك مسيحي، والفضل لروميو،
الإنسان المتواضع، الذي كان متبتلاً في حياته.

136 لكن الحسدَ والافتراء أثارا ريموند
فأمر بمحاسبة هذه الروح العادلة
فدفع الاثنتي عشرة بدل العشرة.

139 وهذا ما جعله يطوف العالم شيخاً
فقيراً، ولو أن العالم يعرف أي قلبٍ حمل
في حياته، وهو يسير من باب إلى باب،

142 لامتُدح في الأرض أكثر مما أمتدحه هنا».

الملاحظات:

1 ـ وجّه قسطنطين جنح النسر: النسر الإمبراطوري شعار روما. وقد نقل قسطنطين العاصمة إلى بيزنطة فوجه جنح النسر ضد دورة السماء التي تدور من الشرق إلى الغرب «فنقلها من الغرب إلى الشرق». وكان دانتي يعتقد أن الله جعل «روما» كرسي كنيسة، والإمبراطورية الرومانية سلاحها الأرضي.

4 ـ مئتا سنة: بيزنطة صارت عاصمة في 330 وجوستنيان صار إمبراطوراً في 527 فيكون النسر قد بقي في أطراف أوروبا أكثر من 197 سنة قبل أن يصل جوستنيان.

6 ـ الجبال: التروجانية.

21 ـ التناقض: مبدأ منطقي وهو إذا كانت آ صادقة فإن ب كاذبة.

25 ـ بيلزاريوس: أشهر قواد جوستنيان ولد 505 وتوفي 565 ويبدو أن دانتي لم يعرف، أو لم يذكر، أن جوستنيان جَرّد في العام 562 قائده من منصبه واعتقله.

https://jadidpdf.com

36 ـ بالاس: ابن إيفاندر. يوناني أسس مملكة في موقع روما الحالي. وانضم إلى إنياس في حربه ضد تورنوس ملك الروتوليانيين.

37 ـ تاريخ النسر الروماني: بعد انتصار إنياس على تورنوس، أسس مكانه في لافينيوم. فبقي النسر هناك حتى القرن السابع قبل الميلاد. والكورياتي (أبطال آلبا الثلاثة) انهزموا أمام الهوراتي (أبطال روما الثلاثة).

40 ـ رومولوس أسّس روما على البالاتين. وشكل عصابة هجمت على السابينات للحصول على زوجات. وآخر الملوك اغتصب لوكريسا. وعندما ماتت ثار الشعب وأطاحوا بالملك وأسسوا الجمهورية 510 ق.م.

43 ـ في عهد الجمهورية تنقل النسر من نصر إلى نصر على أيدي كبار الرومان، وخلال ثلاثة قرون حكمت تسع سلالات.

46 ـ من الانتصارات الجمهورية نشأت شهرة توكاتوس (تيتوس ماتليوس توكاتوس) الذي دحر الغال. وآخر الانتصارات هو اندحار اليونان بقيادة بيروس. وفي 218 انتصر كوينتوس فابيوس ماكسيموس المشهور بفابي على هانيبال. والمرّ الذي ورد على لسان جوستنيان يستخدم للاحتفاظ بالجثمان. وقد كان من المواد المستخدمة في التحنيط.

49 ـ النسر يهزم هانيبال.

52 ـ هنا يقفز جوستنيان من 218 ق.م حتى 86 ق.م. في 218 سيبيون أفريكانوس، وكان في السابعة عشرة، أنقذ حياة والده في معركة ضد هانيبال. وفي الثالثة والثلاثين نجح في غزو أفريقيا وتدمير قرطاجة. وأبرز انتصارات بومبي (على ماريوس 81 ق.م) حدثت عندما كان في الخامسة والعشرين.

55 ـ ظهور يوليوس قيصر والحرب الغالية. وحسب رأى دانتي فإن قيصر كان يخدم عندما أسس الإمبراطورية.

58 ـ يصف هول الحرب الغالية.

61 ـ ينبع الروبيكون بين رافينا وريميني. وعندما عبره قيصر ترك مقاطعته دون إذن مجلس الشيوخ، وبهذا اندلعت الحرب الأهلية.

64 ـ حصار قيصر لايليردا في إسبانيا وانهزام ضباط بومبي. وفي العام التالي حاصر بومبي في ديراكيوم (وهي دوريس الحديثة في ألبانيا) ثم فك الحصار، ثم اشتبك مع بومبي في فرساليا، وهذه المرة حقق النصر. وقوله «حتى النيل سمع...» إشارة إلى فرار بومبي إلى مصر حيث قُتل هناك على يد بطليموس.

67 ـ انتاندروس مدينة ساحلية قرب طروادة. وسميوس نهر قريب منها. وقد أبحر إنياس من انتاندروس عندما أحضر النسر إلى إيطاليا. بعد موت بومبي زار قيصر طروادة. وهكذا رأى النسر وطنه الأم ثانية. ومن طروادة ذهب قيصر إلى مصر وهزم بطليموس وسلّم مصر لكليوباترا.

https://jadidpdf.com

70 ـ تغلب النسر بقيادة قيصر على جوبا ملك نوميديا (46 ق.م).

73 ـ أوغسطس (ابن أخ قيصر) هو القائد العظيم التالي بعد أن قام كاسيوس وبروتوس بقتل قيصر. وقد هزم مارك أنطونيو في مودينا 43 ق.م ثم تحالف معه.

79 ـ معه: مع أوغسطس سافر النسر إلى البحر الأحمر.

85 ـ تبريوس هو القيصر الثالث.

91 ـ في حكم تيتوس، رابع القياصرة، دُمرت أورشليم، وهو الانتقام العادل الذي يشير إليه دانتي. ومحو خطيئة آدم لايكون إلا بإرسال الله ابنه الوحيد. واعتداء اليهود على المسيح هو اعتداء على الله، لذلك يقول إنه انتقام عادل.

94 ـ يقفز سبعة قرون، وفي القرن الثامن يقف ملك اللومبارد ضد الكنيسة، فيطيح به شارلمان 774م وشارلمان هو إمبراطور الإمبراطورية المقدسة.

98 ـ الذين اتهمتهم أعلاه: هو الجولف والجيبليون.

100 ـ يصف الصراع بين الجولف والجيبليين.

106 ـ شارل الجديد: هو شارل الثاني (الأعرج) وهو والد شارل مارتل.

112 ـ هنا يجيب جوستنيان عن السؤال الأول لدانتي. ويعرّف هذا المدار كرد على السؤال الثاني (لماذا هو هنا) بأنه مخصص للطامحين الشخصيين.

124 ـ في الأسفل: في الأرض.

128 ـ روميو: وزير ريموند بيرنغر، كان أميناً عندما عمل عنده بعد عودته من الحج. وزوّج له بناته الأربع، فكاد له الأمراء، وبعد المحاسبة خرج فقيراً كما دخل.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع

المدار الثاني: ميركوري (عطارد) الساعون إلى الشرف: جوستنيان

الصعود إلى المدار الثالث خطابات بياتريس

الحكاية: جوستنيان وزملاؤه ينطلقون في ترنيمة إلى رب المعارك ويرقصون ويختفون بعيداً. دانتي وقد مزّقه الشك، يتشوّق إلى معرفة كيف يكون تنفيذ الانتقام العادل، لكنه لايجرؤ على السؤال، إلا أن بياتريس تدرك ما يخبئه فتشرح له الطبيعة المزدوجة للصلب ولماذا اليهود، وإن لم يلاموا في صلب الإنسان، يلامون في ارتكاب الدناسة ضد الله. ثم تشرح له لماذا يختار الله هذه الوسائل في الانعتاق ولماذا هذا الاختيار هو القانون الأعظم لكل الأبدية. وتشرح له الفرق بين الخلق المباشر والخلق غير المباشَر، وتستنتج أن القيامة بالجسد مؤكدة. وكما هي العادة نلاحظ أن دانتي ينصاع لكل خطابات بياتريس من دون مناقشة.

1 «المجدُ لك يا ربُّ الجنود المقدس
تنير من عليائك ببهائك
النيران المباركة لتلك الممالك».

4 هكذا راح جوستنيان يغني، فرأيتُ الجوهر الصافي

https://jadidpdf.com

ببهائه المزدوج، وقد انضم النوران في نور واحد
وتغيرا بتغير الموسيقى التي يصدح بها.

7 وجذبت الموسيقى الأرواحَ فانضمت إليه في رقص مقدس
وكما تتلاشى الشرارات التي تنقذف بسرعة،
كذلك المسافة التي تتباعد أخفَتْهم عن نظري.

10 وقفت تمزقني شكوكي، فقلت في نفسي
«تحدث إليها، تحدث إليها واسأل السيدة المقدسة
التي تروي عطشك دائماً بكأس معسّلة».

13 لكن الرعب الذي يمسكني عندما أنطق بأي
مقطع من اسمها «بيا» أو «تريس» يجعل رأسي
ينحني، كما ينحني رأس من داهمه النعاس.

16 ولكنها سرعان ما هدّأت خوفي وأزالت شكوكي
فقد قالت والبسمة تجري على شفتيها مما
يجلب البهجةَ حتى لمن رُبطَ إلى المحرقة:

19 «اعرف ببصيرتي التي لاتخونني
أنك لاتفهم كيف يمكن للانتقام العادل
أن يتحقق بعدل. وحتى تحلّ اللغز

22 سأحلّ المثيرات المتناقضة في عقلك.
فاسمغ وافهمْ، لأن مذهباً
عظيماً سوف يترتب على كلامي.

25 إن الرجل الذي لم يولد ولادة، لعن

https://jadidpdf.com

نفسه، ولعن البشرية بسبب نفسه
لأنه لم يتحمل القيد الذي وضع على إرادته.

28 ولهذا غرقت البشرية قروناً في
خطيئتها القاتلة، إلى أن اختارت
كلمة الله أن تتجسد بالطين الفاني.

31 وهناك دفعه حبه الأبدي وحده
إلى أن يجمع إلى شخصه طبيعة أخرى
كانت ضالّةً عن صانعها وتائهة في الأسفل.

34 والآن انتبه لما سوف أعلّله لك: الطبيعة
التي انضمت إلى سببها الأول (وكانت
كما خلقها) خيّرةً لاتلوّثها خطيئة.

37 ولكن بعملها الخاص، عندما أشاحت بوجهها
عن طريق الحقيقة الذي كان طريقها في
الحياة طُردت من الجنّة التي أنعم الله عليها بها.

40 فإذا كانت الآلام على الصليب
عقاباً لطبيعة كهذه الطبيعة
فلا عدل يقارب هذا العدل،

43 ولكن لاجريمة تقارب هذه الجريمة
إذا اعتبرنا «الشخص» الذي يتحمل الآلام
تتحد طبيعةٌ أخرى بطبيعته.

46 وهكذا من حادثة واحدة تظهر نتائج مختلفة:

https://jadidpdf.com

فالله واليهود اشتركوا في الموت الذي
بسببه زلزلت الأرض وانشقت السموات.

49 ولن تجد من الصعب عليك أن ترى
ما أعنيه بقولي إن الانتقام العادل المتخذ
جرى تنفيذه بقانون عادل.

52 أرى عقلك الآن يضيع من فكرة
إلى فكرة، ويتشوق كثيراً
لرؤية العقدة تُحلُّ وتتضح.

55 إنك تفكر: «فهمت حقيقة ما سمعت،
ولكن لماذا اختار الله هذه الوسائل لإعتاقنا
ـ هذه الوسائل وليس غيرها ـ هذا ما لا أفهمه».

58 لايستطيع أحد أن يدرك المعنى الكامن
في هذا القرار، أيها الأخ، ما لم تحترق
حواسه الموروثة بنار الحب المطهرة.

61 وبما أن الناس ينظرون حيارى إلى
هذه المسألة التي ليس من السهل فهمها
فسأوضح لك الآن لماذا هذه الوسائل صحيحة.

64 فالله الذي ينبذ من ذاته كل أثر
للحسد، يقذف من ذاته شراراتٍ
تتجلى بالنعمة الأبدية المستمرة.

67 فما يصدر عنه مباشرة، إنما يصدر

https://jadidpdf.com

بلا نهاية، وحالما يضع ختمه،
لاشيء قادرٌ على محوه.

70 فما يتدفق منه مباشرة يكون
حراً، ولايمكن أن يخضع
لقوة أي شيء ثانوي آخر.

73 فالنار المقدسة التي تنفذ أشعتها في
الخليقة كلها تلتهب بفرح عظيم في كل مايشبهه،
وكلما ازداد الشبهُ ازداد الفرح.

76 بكل هذه الميزات تتمتع طبيعة
البشر، فإذا نقصت ميزةٌ
نقصت الحالة النبيلة للطبيعة،

79 والخطيئة هي القوة الوحيدة التي تنقل
حريتها ومثيلتها إلى
الخير الحقيقي، فيقل إشراق شعاعها.

82 وإذا فقدت قيمتها الفطرية لاتستعاد
إلا إذا جرى التعويض عما خلفته الخطيئة
فتتحملُ الألم لقاء الملذاتِ الآثمة.

85 فطبيعتك، عندما تكون الخطيئة في بذورها
فإنها خاطئة بكليتها. إنها تفقد قيمتها الفطرية
وبالخطيئة ذاتها تفقدُ الفردوس.

88 ولايمكن استعادة القيمة أو الفردوس

https://jadidpdf.com

(اجمع كلماتي إلى ما جاء في الكتاب المقدس)
إلا بطريق ينتهي إلى هذين السبيلين:

91 إما أن يتكرمّ الله وحده
فيغفرَ خطيئة الإنسان، أو يكفّر
الإنسانُ نفسهُ عن الخطيئة بالألم.

94 والآن ثبّتْ نظرك، ولاتحركْهُ، على هوّة
الحكمة الأبدية، وركّزْ فكرك على
كل كلمة أقولها بهذا الصدد.

97 فالإنسان المحدود، لطاعته اللاحقة
لمعصيته لايستطيع التكفير، فهو لايستطيع
الهبوط في وضاعته، فيتمرد،

100 وبتمرده يسعى إلى النهوض بكبريائه.
لذلك عزف عن كل الوسائل
لتلبية ما يطلبه الله منه.

103 فالأمر يعود إلى الله وحده
بالطريقتين السابقتين ـ أقول بهما أو بإحداهما ـ
يمنح الإنسانَ الحياةَ الملكية والكمال.

106 ولكن الأفعال كلما كُوفئت
أفصحت أكثر فأكثر عن طيبةِ
قلبِ فاعلها وحبّه للخير،

109 والحب الأبدي الذي يمهر بختمه

https://jadidpdf.com

كلّ العالم يفرح بأن يعمل
بالسببين ليرفعك ثانية.

112 ليس هناك ولن يكون، من أول
يوم وحتى آخر ليل، فعلٌ مجيد
ورائعٌ في أي من السبيلين.

115 فالله، إذ منح الإنسان القوة
لأن ينهض بنفسه، قدّم له شيئاً
أكثر مما لو غفر له خطاياه.

118 كل الطرق الأخرى قد تكون قصيرةً
نحو العدالة الكاملة، ولكن ابن الله
الوحيدَ تواضع ورضيَ أن يتجسد بالطين الفاني.

121 إن كل رغبة تثيرك، سوف
أشرحها لك شرحاً وافياً
بحيث تفهمها كما فهمتها الآن.

124 تقول: «ها أنا أرى الماء وأرى النار
والهواء والأرض وكل عناصرها
تستمر فترة بسيطة ثم تتلاشى.

127 كل هذه مخلوقات، ألا يجب، إذا
كان ما قلته عنهم صحيحاً، أن
تكون محصنة ضد الفناء؟».

130 يمكن القول إنها تنبثق من الملائكة

https://jadidpdf.com

ومن هذه المملكة الروحية الصافية،
كاملةَ التكوين منذ خلقها. إنها تولد كاملة.

133 لكن العناصر وكلّ الأشياء المتولدة
عن التركيبات المختلفة لهذه العناصر، تتخذُ
شكلها من القوى التي هي نفسها خُلقت منها.

136 إن كونها مخلوقةً هي المشكلة التي تعانيها.
إن الخلق أيضاً هو القوة الإعلامية
للنجوم التي تحيط بها في كل أرجاء السماء.

139 ومن القدرات الخاصة لهذه العناصر
تنير الأشعة والحركة من المصابيح المقدسة
نفوس كل البهائم والنباتات.

142 لكن الإحسان الأسمى يلهِمُ
حياتك مباشرة فيملأها بحبٍّ
ما صنعت منه، فتتوق إلى

145 ذلك الحب إلى الأبد. ومن هنا تتأكد
من حقيقة قيامتك، إذا تأملت
في الطريقة التي خُلق بها الجسد ـ

148 الإنسان على شكل لايشبه أحداً
منذ أن خُلق أبونا آدم وأمنا حواء».

https://jadidpdf.com

الرموز والصور:

الشك الدانتوي: ينحصر الشك هنا في «كيف يكون الانتقام العادل عقاباً عادلاً» ويتخذ مثالين: الأول خطيئة آدم والثاني دمار أورشليم. وقد جاء الحل مختلفاً كل الاختلاف. فالتكفير عن خطيئة آدم كان عن طريق الصلب، أي تعذيب الذات. والصلب هو الكفارة. ولكن اليهود الذين صلبوا المسيح عوقبوا بتدمير أورشليم. فالإشكالية قائمة في أن الكفارة كانت من جهة كفارة ومن جهة ثانية خطيئة.

وللخلاص من هذه الإشكالية فصلت بياتريس بين الخالد والفاني. فصلب المسيح كجسد أرضي كفارة بينما بالنسبة إلى روح القدس يعتبر جريمة. والملاحظ أن الشك مازال قائماً على الرغم من الفذلكة اللفظية التي قدمها.

الملاحظات:

1 ـ الترنيمة التي تتلوها الأرواح مرفوعة إلى رب الجنود. أما الرب في غرف دانتي فهو قائد النسر الروماني. أما الجنود فتتألف من اليهود واللاتين. ولغة السماء هي العبرية واللاتينية.

25 ـ الرجل الذي لم يولد...: هو آدم.

30 ـ كلمة الله: المسيح.

31 ـ حبه الأبدي: أي الروح القدس. والطبيعة الأخرى هي الإنسان. والصانع هو الله.

48 ـ زلزلت الأرض...: راجع متى 17: 11 ـ 15 .

66 ـ النعمة الأبدية: في الأصل «الجمال الأبدي».

67 ـ مباشرة: الإلهي. الشيء الثانوي هو الإنساني والملائكي.

76 ـ الميزات: الهبات الإلهية.

85 ـ الخطيئة في بذورها: أي منذ آدم.

97 ـ الإنسان المحدود: المحدود بجسده ووسائله الأرضية.

104 ـ بالطريقتين السابقتين: أي الرحمة والعدل. الرحمة هي العفو عن الخطيئة، والعدل يكون بأن يتألم الإنسان بقدر خطيئته.

114 ـ في أي من السبيلين: الرحمة أو العدل.

124 ـ الماء والنار والهواء والأرض: هي العناصر الأربعة التي ساد الاعتقاد بها منذ القديم وحتى أيام دانتي بأنها أصل الكون.

135 ـ القوى التي هي نفسها خُلقت منها: الملائكة.

146 ـ قيامتك: لماذا لم يقل دانتي على لسان بياتريس «القيامة» أو «قيامتنا»؟ لاندري. وبرهان بياتريس عن القيامة هي أن في الإنسان جوهراً من الله. فهو يحن دائماً للعودة إليه.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن

المدار الثالث: فينوس (الزُّهرة) المحبون: شارل مارتل

الحكاية: السماء الثالثة هي سماء فينوس (الزُّهرة) التي يصلها دانتي مع بياتريس بسرعة فائقة، ويلاحظ أنه كلما عَبَرَ سماءً ازداد حباً لبياتريس. النفوس التي تعيش في هذه السماء هي نفوس العشاق. وكما سنعرف في النشيد التاسع فإنهم جميعاً تحت تأثير فينوس كادوا يتجاوزون «الحب» إلى الشهوانية. وعن طريق حب الله تحولت عواطفهم من حب جسدي إلى مبرة حقيقية، وهذه هي متعتهم في السماء. والمتحدث باسم هؤلاء الأنفس هو شارل مارتل الذي يتنبأ بالأيام السوداء لنابولي بسبب بخل الملك روبرت، شقيقه. دانتي يتساءل كيف يكون للكريم ابن بخيل، فألقى مارتل خطاباً حول اختلاف المواهب الطبيعية، بسبب اختلاف تأثير النجوم، التي جعلها الله لخير الكائن الاجتماعي، لأن المجتمع لايستمر إلا باختلاف المواهب. وقد خطط الله اختلاف المواهب ليؤدي ذلك إلى نتيجة منسجمة. ولكن البشرية تدفع أبناءها إلى مواقف غير منسجمة مع مواهبهم، فتضل عن مخطط الرب.

1 اعتَنَقَ العالمُ مرة معتقداً خطراً
وهو أن فينوس الدائرة في المدار الثالث
تشعُّ جنون الحب، فيطير صواب البشر.

4 ولهذا السبب فإن القدماء في جهالتهم

https://jadidpdf.com

لم يكرّموا فينوس وحدها، بل قدموا
الضحايا والأناشيد الخاصة

7 لديوني وكيوبيد، أمها وابنها
وادَّعو أنه هو الذي جلس في
حضن ديدو عندما تيَّمها الحب الأعمى.

10 منها تلك التي بدأتُ بها نشيدي،
أطلقوا الإسم على النجمة التي تغازل الشمس
فتتألق حيناً في عنقها وحيناً في جبينها.

13 وصلتُ إليها من غير أن أشعر بصعودي
لكن سيدتي أكّدت لي أننا وصلنا
لأني رأيتها تزداد إشعاعاً وإشراقاً.

16 ومثل الشرارة تظهر في قلب النار
ومثل صوتين ينسجمان في
النغمة، أحدهما منخفضٌ والآخر عالٍ،

19 هكذا رأيت الأنوارَ المحيطة بذلك الضوء
في شتى السرعات، كل قسمٍ، أظن،
له حيِّزه الخاص بالنسبة لمشهد الفرح الأبدي.

22 لم ينطلق انفجارٌ في غيوم باردة في الأرض
مرئيةً، أو غيرَ مرئية، بهذه السرعة،
بل إن ما يحدث في الأرض يبدو بطيئاً

25 لمن رأى تلك الأنوار المقدسة

https://jadidpdf.com

تقترب حيث كنا، تاركة الرقص
الذي ابتدأه السيرافيم في أعلى السماء.

28 وكان طلائع القادمين، في نغمة صافية
يرتلون «أوصنا» فكانت الترنيمة
من الصفاء حتى أني تشوقت لسماعها ثانية.

31 ثم تقدّم واحد منهم وتحدث على النحو التالي:
«كنّا كلّنا على أهبة الاستعداد ننتظر إسعادكما،
فتأخذان منا مايجعلكما سعيدين.

34 في ظمأ واحد والتفافٍ واحد ومدارٍ واحد
طُفْنا مع هؤلاء الأمراء السماويين،
الذين كنت تقول لهم في الدنيا:

37 «أنتم يا من بعقوبتكم تحركون السماءَ الثالثة»
فها نحن بالحب مفعمون، ومن أجل مسراتكم
سنتوقف عن الرقص برهةً لن تكون أقلَّ سعادة».

40 رفعت عيني إلى التألق المقدّس
وهو سيدتي، وبعد أن أعلمتُهم
برضاها وتأكيدها،

43 التفتُّ إلى ذلك النور الذي
برز منهم: «من أنت؟» قلتها
بصوت مليء حباً لم يصدر عني من قبل.

46 عندئذ ازداد تألقاً وسطوعاً

https://jadidpdf.com

وظهرت معالم البَرَكة من كلماتي القليلة
فأضاف سروراً إلى سروره.

49 هكذا تغير وقال: «حياتي بين البشر
انتهتْ سريعاً، ولو استمرتْ طويلاً
لما وقعت شرورٌ كثيرة، كما حدث.

52 إن الغبطةَ التي هي نعمتي السماوية
تخيفني: إنها تلفّني بهالتها مثلما
تخفي الشرنقة دودة الحرير.

55 لقد أحببتني كثيراً ولك عذرك.
فلو أني بقيت في الأسفل، لرأيت أن أقدم
لك الحب أكثر من الأوراق الخضراء.

58 إن الضفّة الأخرى للأرض التي يغسلها
الرون بعد أن تختلط مياهُهُ
بمياه السورج كانت ستكون لي.

61 وكذلك القرن الإيطالي القائم
بين جنوب تورنتو وفيردا الذي
يضم باري وغيتا وكاتونا.

64 من قبلُ تألّقَ التاجُ على رأسي في
البلاد التي تستحم بالدانوب عندما يترك
الضفافَ الألمانية. ومع أنها لم تكن لي

67 صقلية الجميلة، والشاطئ الممتّد

https://jadidpdf.com

بين برازخ فارو وباسيرو
هناك على الخليج الذي تسوطه أيورس

70 (ولايعتمه تيفوس كما تحاول الميثولوجيا
أن تقنع الناس، بل عَتْمتُه من الكبريت الذي فيه)
إلا أن ملوكها الذين توالُوا هم من صلبي،

73 من شارل إلى رودولف. ولكن الجماهير
الخاضعة بمرارة للحكم السيء
صرخت عبر الشوارع الباليرمية: الموت، الموت.

76 ولو استطاع روبرت أن يتنبأ كيف
يجعل الطغيان الناس مجانين، لفرّ
خوفاً من البؤس الشديد إلى كاتالونيا.

79 كان لابد من بعض الاحتياط الذي
يتخذه هو أو غيره، وإلا فإن سفينته
المثقلة بالأحمال، ستزدادُ أحمالاً.

82 طبيعته مخلوقة من البخل، مع أنه
ابن سيّدٍ كريمٍ حر، لذلك يبحث عنه
ضباط يهتمون بملء صناديقهم بالعملة».

85 «سيدي. إني أقدّر هذه السعادة التي
غمرتني عندما تحدّثت، مؤمناً
أنك تحسُّ بها كما أحس أنا،

88 هناك حيث كل خير يبدأ وينتهي.

https://jadidpdf.com

وهذا أيضاً عزيز على قلبي ويبهجني
أنك ترى كل هذا في الله مصدر الحب.

91 لقد أبهجتني. إنك من قوتكَ تمنحني
النور. لكن كلماتكَ تركتني في شك:
كيف يمكن لبذور حلوةٍ أن تعطي ثماراً مريرة؟».

94 هكذا قلت فأجاب: «سأشرح لك
حقيقة ما تسأل، وما هو خافٍ عليك
سوف يظهر الآن واضحاً أمام عينيك.

97 إن الخير الذي يحرك هذه
المملكةَ التي تصعد فيها، يسرّه
أن يمنح قوته لكل الأجرام الكبيرة.

100 إن العقل الكامل لايفعل ذلك فقط
من أجل تنوّعاتِ كل طبيعة، بل أيضاً
من أجل خيرها وانسجامها.

103 وهكذا مهما أخذ السهم مسارَهُ
من القوس فإنه يطير إلى نهاية محدودة،
لأنه يتوجّه بلا خطأ إلى هدفه.

106 وإلا كانت السموات التي تطوفها الآن
قامت بعملها بطريقة لا يكون
هناك انسجامٌ، بل فوضى.

109 ولن يكون هذا مالم تتصدّعِ العقولُ

https://jadidpdf.com

التي تحرك هذه النجوم، ويتصدع
أول من أوجدهم، فيكون النقص فيه.

112 فهل تريد مزيداً من الشرح؟».
فقلت: «ما مِن حاجة لأني عرفت
الآن أن الطبيعة لاتستطيع أن تقصّر في عملها».

115 فقال: «أيكون الإنسان أسوأ لو كان
يحيا في غير الأرض، وبلا نظام اجتماعي؟».
قلت: «نعم، ولاحاجة إلى إثبات ذلك».

118 «أيمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان الناس
في الأرض يعيشون متنوعين للقيام بوظائف متنوعة؟
إن أستاذك، لو كان يدري، يجيب بـ «لا».

121 وهكذا خطوة خطوة راح يصعّد النزاع.
ثم يستنتج: «وينتج من ذلك أن استعداداتك
لابد أن تكون لها جذور مختلفة،

124 لذلك هذا يولد أكسيروكس وذاك
صولون وآخر ملكيصادق، وآخر
يفقد ابنه وهو يطير في الهواء.

127 إن الطبيعة المتغيرة أبداً والتي ختمها
يدفع أجسادنا، تعمل بشكل جيد
ولكنها لاتهتم أين يكون مسكنها.

130 وبهذا اختلف عيسو عن يعقوب في بذورهما

https://jadidpdf.com

ورومولوس وُلدَ من أصلٍ متواضع
حتى صار مارس أباه، كما يعتقد الناس.

133 إن لم تتحكّمِ العنايةُ الإلهية فإن
طبيعة الابن لابد من أن
تكون نسخةً عن طبيعة الأب.

136 وما كان مخفياً صار الآن واضحاً
وحتى أجعلكَ تدرك كم أنا مسرور منك
سوف أقدّم لك هذه الخلاصة:

139 إن الحظ الذي تقدمه الطبيعة للإنسان
يجب أن تغذيه بالتعاون، وإلّا فإن الطبيعة
مثل أي بؤرة خارج مناخها، لاتستطيع أن تزهر.

142 فإذا تعلم البشر الذين في الأسفل، خطة
الأساس الوطيد للطبيعة، وبنوا عليها
فإنهم يجنون الخير من كل إنسان.

145 ولكنكم تدفعون إلى الدير من
خُلق للسيف والترس
وتنصبّون ملكاً من عقله خُلقَ للوعظ.

148 وبهذه الطريقة تَضلّون ولاتتركون
في الدرب آثاراً لأقدامكم».

https://jadidpdf.com

الرموز والصور:

شارل مارتل: شاعت في أوساط الوحدانية المسيحية الغربية في العصور الوسطى إدانة الجسد، وأنه مستودع الشهوات وأصل كل الشرور. آدم اقترف بجسده الخطيئة، فكانت شر الخطايا، ولذلك كان لابد من أن «يتجسد» المسيح ليدفع ثمن تلك الخطيئة ويفتدي البشر.

لكن دانتي يضعنا أمام منطق جديد. إن شارل مارتل ـ وبالطبع كل من معه في السماء الثالثة أو سماء الزهرة التي ترمز إلى الحب ـ يمثل النزعة الحسية، أو الشهوانية التي لم تمنعه من دخول السماء. وقد لاحظنا من قبل أن بيكاردا كانت منذورة للروح القدس، وعاشت في الدير، لكنها أُكرهت على الحسانية. أما الآن فهذا الخلط بين الروحانية والحسّية غير موجود في صورة مارتل. هذه الصورة تعتبر الصرخة التي انطلقت في عصر النهضة لإعادة الاحترام للجسد الإنساني.

الاختلاف في المواهب: يتصور دانتي أن الله جعل المدارات مختلفة حتى تكون للبشر مواهب مختلفة. وهذه نظرية قديمة، فمنذ البابليين والبشر يعتقدون بتأثير النجوم والأبراج. لماذا الاختلاف؟ من أجل الانسجام، لأن كل موهبة تكمل الأخرى. لماذا لم يحصل انسجام؟ لأن البشر يخالفون مواهبهم، فرب السيف يعمل في الدير، ومن يحب أن يكون في الدير يعمل في التجارة، وهكذا، ولو شاعت وحدانية الموهبة لانتهت البشرية، ومن هنا ندرك فضيلة التعدد.

الملاحظات:

7 ـ ديوني ـ كيوبيد: ديوني زوجة زيوس وأم فينوس. أما كيوبيد فله عدة مصادر ميثولوجية. لكن دانتي هنا يجعله ابن فينوس.

9 ـ ديدو: ملكة قرطاجة، عشقت إنياس وانتحرت بسببه.

10 ـ منها: من فينوس.

11 ـ تغازل الشمس: الزهرة تظهر مرة في هذا الجانب من الشمس ومرة في الجانب الآخر.

31 ـ تقدم واحد منهم: هو شارل مارتل.

44 ـ ظمأ واحد إلى محبة الله والتفاف واحد حول العرش الإلهي ومدار واحد مع ملائكة السماء الثالثة.

35 ـ الأمراء السماويين: الملائكة من المراتب العليا.

48 ـ سروراً إلى سروره: سرور تقديم الخير للآخرين، إلى سروره الخاص.

57 ـ أكثر من الأوراق الخضراء: زار مارتل فرنسا واستُقبل استقبالاً باهراً

https://jadidpdf.com

عام 1294 . ويبدو أن دانتي أقام صداقة معه ووعده بمركز مرموق، (وكنّى عن ذلك بالأوراق الخضراء) لكن مارتل المولود 1271 توفي في 1295 قبل أبيه العجوز.

61 ـ القرن الإيطالي: منطقة كانت المملكة السابقة لمملكة نابولي.

70 ـ تيفوس: أحد الطيطان المتمردين على زيوس حسب الأسطورة التي يأخذ بها دانتي.

74 ـ الحكم السيء: حكم شارل مارتل.

76 ـ روبرت: شقيق مارتل الأصغر. صار ملكاً على نابولي 1309. شارل يتنبأ لروبرت، الرجل الضعيف بأنه سيحصد الثمار المريرة لحكمه السيء.

80 ـ سفينته: ربما يقصد شارل مارتل سفينة روح روبرت.

99 ـ الأجرام الكبيرة: الأجرام السماوية التي تؤثر في الناس ووظائفها.

109 ـ العقول التي تحرك: الملائكة أول من أوجدهم الله. النقص فيه: الله.

120 ـ أستاذك: أرسطو.

124 ـ أكسيروكس: ملك فارسي وقائد حربي. وصولون: مشرع أثيني. ملكيصادق: كاهن الله (تكوين 14 ـ 18). يفقد ابنه: ديدالوس.

127 ـ الطبيعة المتغيرة أبداً: المدارات، وهي التي تؤثر في الناس.

130 ـ عيسو ويعقوب: مع أنهما توأمان كان كل واحد يختلف عن الآخر. يحاول دانتي أن يبين بأن تكوينهما الوراثي واحد، وأن الاختلاف ناجم من النجوم والأجرام والسماوية.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع

المدار الثالث: فينوس (الزهرة) المحبون: كونيتزا

فولكيت

راحاب

الحكاية: كونيتزا دا رومانو تظهر وتنوح على الآلام التي ستعانيها مدينتها فنشيا وتتنبأ بالخراب لمواطنيها. بعد أن تنهي حديثها، تظهر روح فولكيت الذي كان مطران مارسيليا. يقص سيرة حياته ويقول: إن طبيعته الحسية جرفته إلى الشهوات، لكن فيما بعد دخل الحب قلبه. ويجيب دانتي عن أسئلته حول طبيعة السماء الثالثة، ويعرّفه براحاب مومس أريحا، وهي أول نفس تصعد إلى ذلك المدار. ويشير إلي فساد الكنيسة وكيف أهملت الشؤون الروحية. ويقول إن فلورنسا دولة فاسدة ومصدر الفساد البابوي. والانتقام لن يتأخر كثيراً.

1 يا كليمنس الجميلة، عندما حبيبك شارل
أنار عقلي بحديثه، أخبرني عن
المكائد والأحابيل التي ستحلُّ في بيته.

4 لكنه قال لي: «لاتقلْ شيئاً. دع السنينَ
تجري كما يجب» لذلك لا أستطيع أن أقول

https://jadidpdf.com

سوى أن الذين أساؤوا إليك سوف يبكون.

7 والآن إلى الشمس، إلى الخير الكامل،
الكائنُ الأبديُّ لذلك المصباح المقدس
اتّجه ثانية حتى يتحدد.

10 أيتها الأرواح التالفة، أيها العاقُّون الذين
تنأون بقلوبكم بعيداً عن الحب الحقيقي
ولاتتشبث أبصاركم إلا بالسخافات الفارغة.

13 الآن روح أخرى من الأرواح المتألقة
نحوي تقترب، وغرضها أن تمنحني
البهجةَ، وهي بالنور تشع جنباتها.

16 بياتريس، التي يشخَصُ بصرها إليّ
كما من قبل، أدركت كل رغائبي
وأكَّدت لي أنها ستلبي حالاً.

19 قلت: «أيتها الروح المباركة، أرجو
أن تسعديني حالاً وتوضّحي لي
أنك مرآة حقيقية لعقلي».

22 وهنا، من ذلك النور، روح
مجهولة كانت تغني من أعماقها،
راحت تتحدث كمن لا همَّ له سوى البهجة:

25 «في تلك الديار الغرقى في الخطايا
والتي تُسمى إيطاليا، التي تقبع بين

https://jadidpdf.com

ريالتو والينابيع التي يتدفق منها برنتا وبرافي.

28 هناك تقوم هضبة قليلةُ الارتفاع
منذ سنوات هبطت منها جمرة نارية
جلبت على كل الإقليم الدمارَ والخراب.

31 أصْلٌ واحد يجمعنا كلينا. اسمي
كان كونيتزا رومانو، وإني أتألق
هنا لأن هذه النجمةَ غَزَتني بلهيبها.

34 وأنا جدُّ مسرورة بالقَدَر الذي حدد
نصيبي، وإني لمبتهجة،
وإن كان قاسياً برأي أهل الدنيا.

37 إن الجوهرة النفيسة المشرقة بسمائنا
التي شعاعها يشرق هنا بجانبي
تركتْ في الأرض حكماً لن يزول

40 قبل أن تمرّ خمسةُ قرون بعد هذا القرن.
فانظر بنفسك إن كان الإنسان بفعل الخير
يفعل لاسمه حياةً بعد أن يفنى جسده.

43 لكن الغوغاءَ الذين يقطنون في الأرض
التي بين تاغليامنتو وأديج
لايفكرون هكذا، ولايندمون مع أن يد الحرب

46 الدَميّة تحصدهم. لكن دم أهل بادوا
وقد تقاعسوا عن الواجب، سوف يخضب

https://jadidpdf.com

مياه حمامات فيسنترا ويصب في الطين

49 ويحكم واحد يشمخ برأسه عالياً
هناك حيث يلتقي سيلي وكاغنانو
ولايعرف أن الشِباك ستُلقى عليه.

52 وسوف تبكي فلترو خيانة
كاهنها الأحمقِ، فلم يدخل سجن
مالطا رجلٌ لجريمة أشنع من هذه.

55 كبيراً سيكون الدنّ الذي يستطيع
جمْع دماء فيرارا التي ستُراق، ومتعباً
سيكون الرجل الذي يزنها كيلاً كيلاً.

58 كل هذا سيقدمه الكاهنُ الأريحي
ليثبتَ ولاءه المتحزب، لكن مثل
هذه الهبات تُظهرُ كيف يعيش أولئك الناس.

61 هناك في الأعالي مرايا (أنت تقول عروش)
تعكسُ حكم الله علينا، فتنيرنا،
فتقومُ بإلقاء هذه النبوءات».

64 هنا توقفتْ واستدارتْ، يبدو أنها
اتّجهت إلى أشياء أخرى، ثم انضمّت ثانية
لعجلة الأرواح الراقصة في المدار الثالث.

67 والمباركُ الآخر الذي سمعها تتحدث عنه،
وكان جوهرةً نفيسة عندها، تجلى لي الآن

https://jadidpdf.com

كياقوتة جميلة وقد سقط عليها شعاع من الشمس.

70 ففي العلى يجعل الفرحُ هذه الأرواحَ تبتهج مثلما
يجعلنا في الأرض نضحك، سوى أن الأرواح
في العالم السفلي تكتئب كلما تألمت في ليل الجحيم الطويل.

73 قلت: «إن الله يرى الجميع، وبصيرتكَ أيها الكائن
المبارك هي من بصيرته، فلا فكرةٌ ولارغبةٌ
يمكن أن تختبئ عن رؤيتك.

76 فلماذا صوتك الذي يصدح إلى الأبد
بالغبطة السماوية كواحد من الشعلات المباركة
التي تلف نفسها بأجنحتها الستة

79 لا يلبي رغبتي؟ لو كانت لي بصيرتك
التي بها اقرأ رغباتكَ كما تقرأ رغباتي
لما انتظرت أن تسألني».

82 «إن الحوضَ الأكبرَ حيث تمتد البحارُ»
(هكذا بدأ يتكلم من دون انتظار لأُنهيَ كلامي)
«من ذلك الأوقيانوس الذي يحيط بالأرض

85 يجري بعيداً من شاطئ إلى شاطئ
بعكس مسير الشمس، بحيث أن الشمس
في ذروتها تتقاطع مع الأفق.

88 لقد شهدت النور على شاطئ الوادي بين
الأبرو وذلك النهر الذي مجراه القصير

https://jadidpdf.com

يقطع توسكانيا من جنوى ـ أقصد ماغرا.

91 شروقُ الشمس وغروبها هو واحد بالنسبة
لبوغيا ومدينتي التي انبثق دمها يدفئ
مياهَ مينائها عندما وصل قيصر.

94 اسمي ـ الذي عُرفت به على الأرض ـ
هو فولكيت. وشعاعي الأبدي الذي هنا
يدمغ بطابعه كل المدار، دمغ ميلادي.

97 إن ديدو لم تشتعل بنار الحب عندما
أهانتْ كلاً من سيخيوس وكريوزا
أكثر مني، قبل أن تنموَ جدائلي مع عمري،

100 ولافتاةُ رودوبي التي شعرت بالحزن
لخيانة ديموفون، ولاهرقل
عندما ضم أيولي إلى صدره.

103 ولكن لا أجد من يندم هنا، لفرحٍ هو كلُّ وجودنا:
ليس بالخطيئة ـ فهي لاتخطر على بال أحد ـ
بل بالنظام المتكامل والتنبؤ الشامل.

106 هنا تتركز كل أفكارنا على الحب
الذي يجمّل الخلق، وهنا نتعلم
كيف العالم الفوقي يحرك العالم الأرضي.

109 وبما أنك ستأخذ معك من هذا المدار
معرفةً كاملة بكل ما ترغب في معرفته

https://jadidpdf.com

فسأتحدث إليك حول بعض الأمور هنا.

112 إنك ترغب في أن تعرف منذا الذي
في اللهب، فتراه متألقاً هنا إلى جانبي،
مثل الماء النقي الذي يشعشع بأشعة الشمس.

115 فاعلم إذن، أن فيها راحاب تنعم بالخير،
وأنها، وهي واحدة من كورسنا، قد ختمتْهُ
بالطابع الأكمل للجمال.

118 فروحها، من بين كل حصاد المسيح
هي الروح الأولى التي دعَتْها هذه السماء الفينوسية،
التي عليها يسقط ظل الأرض بزاوية كبيرة.

121 وكان الأنسبْ لأي مدار أن يرحّبَ بقدومها
ويجعلها فيه نصباً للنصر الكبير الذي
تحقق واكتمل ببسط الراحتين على الصليب،

124 لأنها هي التي ساعدت على تحقيق أول مجدٍ
لانتصار يشوع في الأرض المقدسة
(الأرض التي أسقطها البابا من ذاكرته)

127 مدينتك فلورنسا ـ غرسة ذاك الذي
كان أول من تمرد على خالقك، والذي
حسدُه جعل الناس يعرفون الأحزان ـ

130 غرستْ وزرعتْ الزهرةَ الملعونة
التي جعلت الراعي ذئباً ضارياً

https://jadidpdf.com

جعل القطيعَ يتبعثر ويهرب بجنون.

133 وراح الغبار يعلو الأناجيل ويتجمع
رويداً رويداً على الدكاترة. فلا درس
إلا في المراسيم كما تدل الحواشي.

136 فالبابا والكاردينال لايعرفان غير ذلك.
فلا تمتد أفكارهما إلى الناصرة
حيث جبرائيل المباركُ بسط جناحيه.

139 ولكن الفاتيكان والأقسام الأخرى
لروما المقدسة، كانت منذ البداية
مقبرة للمؤمنين الذين تبعوا بطرس

142 وكانوا عضده، سوف تتحرر من هذا الزنى».

الرموز والصور:

كونيتزا: قلنا من قبل إن دانتي كان سباقاً إلى رفع الاضطهاد والقمع عن الجسد البشري، وتخليصه من إدانة الوحدانية الغربية. وفي هذا النشيد تتصدر كونيتزا، باعتبارها من الطوباويين في سماء فينوس. فمن هي كونيتزا؟ إنها ابنة أزولينو الثاني، أحد الطغاة الكبار للجيبليين الذي وضعه دانتي في الجحيم مع المسيئين للجار (الجحيم 12: 110). كانت كونيتزا متهتكة، فقد كان لها عشاق كثيرون جداً، بالإضافة إلى ثلاثة أزواج. وكان سورديلو من بين عشاقها (انظر الجيحم 6 : 58) ولكنها لم تؤذ أحداً، وقامت بإعتاق كل عبيد أبيها وأخيها. ولم أجد شارحاً لدانتي إلا أبدى دهشته متسائلاً: لماذا أدخل دانتي هذه الروح إلى السماء؟

إن دانتي باختياره كونيتزا لتدخل السماء الفينوسية (سماء الحب والعشق) ينتصر للجسد الإنساني الذي طالما احتقرته الوحدانية المسيحية في العصور الوسطى إلى أبعد حد. وما قلنا عن كونيتزا (1198 ـ 1279) ينطبق على راحاب وفولكيت الشاعر التروبادوري الجامع الذي ورث ثروة عن أبيه التاجر،

https://jadidpdf.com

أنفقها على ملذاته، رغم أنه كان في السلك الكهنوتي، وصار مطراناً على تولوز.

إننا نجد مفاهيم جديدة عند دانتي تختلف عن مفاهيم العصور الوسطى، فالجسد في عُرفه مبرأ ما لم يؤذ الآخرين.

الملاحظات:

8 ـ الكائن الأبدي: شارل مارتل

15 ـ تشع جنباتها: للأرواح ـ عند دانتي ـ نوران داخلي وخارجي. والمرئي هو الصادر عن الخارج.

17 ـ كما من قبل: أي كما أخذ الإذن من بياتريس للحديث مع شارل مارتل.

23 ـ روح مجهولة: كونيتزا.

27 ـ ريالتو: الجزيرة الرئيسية لڤينيسيا. برنتا وبرافي: نهران مصدرهما الجبال شمال وشمال غرب فلورنسا.

29 ـ جمرة نارية: أزولينو.

33 ـ بلهيبها: بحبها.

34 ـ القدر: المقصود إن قوة القدر هي التي صاغتها، وإن كان ذلك مستهجناً من أهل الدنيا. وما صاغ قدرها هو نجمة فينوس (نجمة الحب) وقد كان دانتي متحمّساً جداً لنظرية تأثير الكواكب والنجوم في البشر.

37 ـ الجوهرة: فولكيت المارسيليزي، شاعر تروبادوري. صار راهباً فمطراناً على تولوز من 1205 ـ 1231. كان قائداً وسفك دماً غزيراً، لكن دانتي أظهره بمظهر الخالدين. كان منكباً على الشعر والملذات.

61 ـ عروش: جعل ملائكة فينوس من أرقى الملائكة.

67 ـ المبارك الآخر: فولكيت.

93 ـ عندما وصل قيصر: عام 49 ق.م ترك قيصر متبنيه بروتس لدحر قوات بومبي في مرسيليا وغزا هو إسبانيا (راجع المطهر 18: 112).

97 ـ ديدو: انظر الجحيم 5: 61 ـ 62 .

100 ـ فتاة رودوبي: هي فيليس ابنة الملك سيتول التراقي (حيث يقوم جبل رودوبي) زُفّت إلى ديموفون الذي لم يصل يوم العرس. فشنقت نفسها وتحولت إلى شجرة لوز.

101 ـ هرقل: راجع الجحيم 12: 67 .

115 ـ راحاب: عندما أرسل يشوع الجواسيس إلى أريحا خبأتهم راحاب، مومس المدينة، عندها وساعدتهم في الفرار من رجال الملك فساعدت بذلك شعب إسرائيل. وبعد الصلب مباشرة تحولت روحها إلى السماء. كانت هذه

https://jadidpdf.com

المومس أول من اختارها المسيح إلى السماء. ولهذا يضعها دانتي إلى جانب كونيتزا.

118 ـ من بين كل حصاد المسيح: من بين الأرواح التي انتشلها المسيح عقب الصلب من الجحيم، وأصعدها إلى السماء.

126 ـ الأرض التي: أي إن البابا نسي تحرير بيت المقدس، كما أنه توانى عن تحرير عكا.

128 ـ أول من تمرد: الشيطان.

130 ـ الزهرة الملعونة: هي الزهرة التي شكَّت على الفلورين الفلورنسي، فاتسعت مجالات التزوير والغش والتجارة والربا.

134 ـ الدكاترة: آباء الكنيسة.

138 ـ جبرائيل المبارك بسط جناحيه: عندما بشر العذراء بأنها سوف تحبل بالمسيح.

https://jadidpdf.com

النشيد العاشر

الصعود إلى الشمس — دكاترة الكنيسة

المدار الرابع: الشمس — الإكليل الأول من الأرواح:

توما الأكويني

الحكاية: يصعد دانتي مع بياتريس إلى مدار الشمس، من دون أن يعي ذلك للسرعة الفائقة في الصعود. وعلى الفور يحيط بهما إكليل من اثني عشر روحاً، كل روح يتوهج أكثر من الشمس ذاتها، وهؤلاء هم دكاترة الكنيسة (آباء الكنيسة) من فلاسفة ولاهوتيين. ويتكلم باسم القديس توما الأكويني روح منهم، ويعرّف بهم. وبعد أن ينهي كلامه يرقصون حولهما منشدين بأصوات لامثيل لها في الأرض.

1 القوي المخلوق الكلي القدرة
يتأمل ابنه المولودَ بالحب
الذي هو الجوهرُ الثالث الصادر عنهما.

4 خَلَقَ كل ما يتحرك في الفكر وفي المكان
بكل الكمال الذي لو نظرت فيه
لأسَرَك الحب الصادر عن نعمة الله.

7 فارفعْ أيها القارئ عينيكَ عبر

https://jadidpdf.com

المدار النجومي. والتفتْ معي
إلى حيث تتقاطع حركة مع أخرى،

10 وهناك متّعْ نفسك وابتهج
بفن الخالق، الذي يحبه هو نفسه
لذلك لايحوّل عنه نظره.

13 لاحظ العجَلَة التي امتطتها الكواكب
كيف تتفرع من هناك منحرفةً عنها:
وذلك كي يلبي نداءات الأرض لها.

16 فإن لم تتقاطعْ هاتان الحركتان الكبيرتان
فإن تأثير السموات يضعف كثيراً
ومعظمُ قوتها على الأرض تتبدد.

19 فإن جرى الانحراف، زيادة أو نقصاناً
فإن اضطراباً يحدث في
انسجام الأرض شمالاً وجنوباً.

22 لكن ابقَ إلى مائدتكَ أيها القارئ وتأملْ
في هذا الذي تذوقته، إن كنت ترغب
في أن تتغذى قبل أن يفوتك الركب.

25 هاأنذا إليك أقدّم الطعام، فعليك أنت
أن تأكل، لأن المواد الكبيرة التي سجّلتها
تستدعي كل اهتمامي، ويجب أن أقدّم الطعام.

28 إن جلالة الشمس، وزيرة الطبيعة

https://jadidpdf.com

تملي إرادة السماء على الأرض
وبنورها تقيسُ الساعات العابرة.

31 وإذ نصل إلى النقطة التي سمّيتها، وفي
طريقها عبر السماء، كانت تتحرك في سلَّمٍ
لولبي تراه كل يوم في رحلتها.

34 كنتُ مع الشمس، ولكن لم أنتبه
لصعودي أكثر مما ينتبهُ رجل إلى
فكرة، يبحث عنها فيجدها في عقله.

37 إنها بياتريس التي قادت صعودي
من الحسن إلى الأحسن، بشكل فوري
بحيث أن عملها لم يمرّ في حاسبة الزمن.

40 أي تألُّق يجب أن يكون في جوهره
ذاك الذي في الشمس (وأنا فيها الآن)
فيظهر ليس بلونه، بل بتألقه.

43 كل ما هو مخزون في عقلي من عبقرية
وفن وممارسة لايمكّنني أن أجعل ما أرى
ملموساً، ولكن ربما تؤمنُ أيها القارئ وتبحث لتصدق.

46 فإذا قصَرتْ قواكَ الهزيلةُ عن هذه الذروة
فأيّ عجب في ذلك، طالما أن الشمس
أقوى من أي عين تنظر إلى النور؟

49 هناك كانت أسرةُ الربّ الرابعة،

https://jadidpdf.com

تقيم في فرح لاينتهي، وتستحمُّ بأشعة الأب
الذي يريهم كيف يتنفس وينجبِ.

52 باشرت بياتريس الكلام: «قدّمِ الشكر وارفعْ
التسبيحَ الآن لشمس الملائكة التي
بنعمتها ارتفعْتَ إلى السماء المرئية».

55 لم يكن قلب الإنسان بمثل هذه الرغبة
التي تتجه بكلّيتها إلى الرب
بكل الإرادة الموجودة فيه

58 مثلما كان قلبي عندما خرجت الكلمات من شفتيها
فحبي الجارف كلّه وهبته لشمس الملائكة
فبياتريس هَوتْ في الكسوف وأنا غصتُ في النسيان.

61 لكن هذا لم يزعجْها: بل ابتسمت حتى أن
تألق عينيها المبتهجتين أبعَدَ عن عقلي الوحدة
ثم عاد ووزّع اهتمامي على أشياء كثيرة.

64 أحاط بنا المتألقون المتوهّجون بالنور
الحيّ وشكّلوا حولنا تاجاً باهراً،
فكان الصوتُ في السمع أكثرَ من الإشعاع في النظر.

67 أحاطوا بنا فتذكرنا مرة بعد أخرى
ابن لاتونا عندما ينسج البخار حوله الخيوط
مما يجعل على خصره نطاقاً من نور.

70 هذه البلاطاتُ السماوية التي أقف فيها

https://jadidpdf.com

تكتنز كثيراً من الجواهر النفيسة
والفريدة بحيث لايمكن أخذهم من المملكة.

73 تلك كانت أناشيدُ المتألقين، وأولئك
الذين يريدون سماعها يحتاجون إلى أجنحةٍ
للوصول إليهم أو ينتظرون حتى ينطق الأخرس.

76 عندما غنتِّ النفوسُ الأكثر ألقاً من الشمس
دارت ثلاثَ مرات في حلقة حولنا
شبيه النجوم التي تحيط بالقطب الثابت،

79 ووقفوا مثل الراقصين الذين أبهجتهم
الدورة الأخيرة، فتوقفوا في مكانهم واستمعوا
حتى يتوافقوا مع إيقاعات الدورة التالية.

82 ومن داخل هؤلاء سمعتُ أحدهم يقول:
«كما أن شعاعَ النعمة الذي منه يشتعل الحب
الحقيقي، وبالحب في القلب المحب،

85 يتوهج ويتألق بين كل الذين
يضيئون لك حتى تصعد في هذه المراقي
التي لم يهبطْ منها أحدٌ إلا عاد إليها،

88 فإن من يرفض إرواءَ نفسك العطشى
من خمرة دنه، لن يكون أكثر حرية
من ماء وقد حيلَ بينه وبين الوصول إلى البحر.

91 إنك تريد أن تعرف هذه الأزهار

https://jadidpdf.com

المتشابكة في هذا الإكليل الذي يبدو
جميلاً بنظر السيدة الجميلة التي رفعتك إلى السماء.

94 لقد كنتَ حملاً في القطيع المقدس
الذي يقوده دومنيك إلى حيث الوفرة
إلا إذا ضلَّ الحمل وراح إلى الصخور العالية.

97 هذا الروح الذي على يميني، والذي كان
من كولون هو أستاذي وأخي. اسمه كان ألبرت
وأما اسمي فقد كان توما الأكويني.

100 فإن رغبتَ في معرفة البقية
فلتتبعْ عيناك كلماتي فتطوفَ
بك كل هذه الحلقة من الإكليل المبارك.

103 الشعلةُ التالية هي ابتسامة كراتيان
الذي وعظ في كل محفلٍ عن مسرّة
السماء التي ينالها المرء بالعمل الطيب.

106 والتالي الذي يزيّنُ كورسنا
هو بطرس الطيب، الشبيه بأرملة
مسكينة، قدّم كل ما يملك إلى الكنيسة المقدسة.

109 خامس الأنوار، والأسطع بيننا
يشع بالحب العميم، والناس
في الأرض تتشوق لمعرفة أخباره.

112 إنه يحمل ذلك العقلَ الذي

https://jadidpdf.com

كان ينير أعماق الحكمة، بحيث
لايوجد أحد يصل إلى مستوى هذا الرجل.

115 وانظر الفتيلَ التالي الذي شُغلَتْهُ،
حين كان يعمل في جسده الفاني،
أنارتْ بعمقٍ طبيعة الملائكةَ ورئيسَهم.

118 داخل ذلك المصباح الصغير
على يميني يقبع المُدافع عن العصر المسيحي
الذي أنارت دراساته سبيلَ أوغسطين.

121 فإن تابعَ عقلك ما أصفه لك من
مصباحٍ إلى مصباح، فلا شك أنك متشوّقٌ
لمعرفة أي روح تشعُّ في اللهبة الثامنة.

124 فيها الروح التي أظهرتْ لكل مهتمٍّ
تفاهةَ هذا العالم، وهي
هناك تنعم برؤية مجموع الخير الأسمى.

127 إن جسده الذي انتزعوه منه أنزل
القبر في سلدورو: وقد جاء إلى
هذا السلام هنا في المنفى والاستشهاد.

130 وانظر اللهب التالي الذي يشع من إيزيدور
وبيدي، وريتشارد الذين أظهرت
تأملاتهم أنهم أكثر من بشر.

133 التالي منه سترتدُّ عيناك إلي،

https://jadidpdf.com

هو مجد الروح الذي بدا لأفكاره
أن الموت يزحف ببطء شديد على جميع الخلق:

136 إنها لهبة سيغر المبتهج أبداً،
الذي كان يحاضر في شارع القش
بحقائق منطقية أثارت عليه الحساد».

139 وكما تدعونا ساعةُ البرج للانسحاب
حين تنهض عروسُ الله وتغني
أغاني الصباح لعريسها الجميل، حتى تكسَب حبّه،

142 فيسحب جزءٌ منها الجزءَ الآخر،
وبرنين «تن تن» ترن الروحُ المؤنثة
ملأى بفرحِ الحب، تهفو إلى الله،

145 هكذا رأيتُ عجلة الأمجاد تنطلق
وترنُّ من صوت إلى صوت في انسجام
عذب رابطةً أجزاءها مع بعضها، فلا يرى

148 المرءُ مثيلاً لها، حتى يتحرَّرَ ويذهب إلى
حيث الفرحة تتوالد إلى الأبد.

الرموز والصور:

الشمس: حسب النظام البطليموسي هي الكوكب الرابع من الكواكب السبعة التي تحيط بالأرض، وهي تأتي في الترتيب بعد الزُّهرة. لكنها في هذا النشيد ترمز إلى التنوير العقلي، وإلى الله ذاته، باعتبار أن رأس الحكمة معرفة الله.

الصعود إلى الشمس: الصعود من الزُّهرة حيث يسقط ظل الأرض إلى الشمس

https://jadidpdf.com

يرمز إلى الانتقال من عالم الحس إلى عالم الفكر. فالزهرة رمز العشق بينما الشمس رمز التوهج الفكري.

إكليل النور: يتألف من اثني عشر شخصاً. سليمان فقط يمثل الحضور الملوكي. أما البقية فهم دكاترة التعليم والفلسفة واللاهوت. وهم الذين شرحوا كلمة الله بين البشر. وقد قصد بهم دانتي الانسجام الكامل للخلق والكون من علم وفلسفة ولاهوت. وقد رتبهم على النحو التالي:

1 ـ توما الأكويني 2 ـ ألبرت المغنوسي 3 ـ كراتيان 4 ـ بطرس اللومباردي 5 ـ سليمان 6 ـ ديونيسيوس الأريوباجيتي 7 ـ أوروسيوس 8 ـ بوتيوس 9 ـ إيزيدور السيفيلي 10 ـ بيدي 11 ـ ريتشارد 12 ـ سيغر البارابانتي.

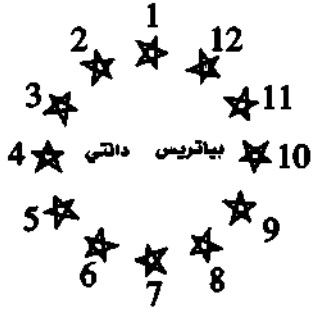

الإكليل الاول من الارواح

الملاحظات:

1 ـ يتحدث هنا عن الثالوث الأقدس، حيث نلاحظ أن روح القدس هو الجوهر المشترك بين الآب والابن وهو الأقنوم الثالث.

31 ـ التي سميتها: النقطة التي سماها في البيتين 8 ـ 9 «إن الشمس في الاعتدال الربيعي».

43 ـ إشارة إلى أن العقل جزء من الإدراك، وأن الإيمان وحده يجعلك تصدق.

47 ـ طالما أن الشمس: إذا كانت الشمس ـ على زعم أرسطو ـ أقوى من أي عين فأي عجب إذا لم يستطع أحد أن ينظر إلى ما هو أقوى من الشمس بكثير.

49 ـ أسرة الرب الرابعة: المدار الرابع أي مدار الشمس.

53 ـ شمس الملائكة: الله. السماء المرئية: الشمس نفسها لأنها تنير الناس، والله ينير الملائكة.

68 ـ ابن لاتونا: القمر. وفي الأصل «ابنة لاتونا» لأن القمر مؤنث في اللغات الأوروبية. وفي البخار الكثيف يبدو القمر كأنه يضع زناراً من نور.

72 ـ لايمكن أخذهم: المقصود إن هؤلاء الدكاترة كنز للسماء ولايستحق الإنسان أن يستردهم.

https://jadidpdf.com

74 ـ يقصد إن من يرغب في وصف كنوز السماء عليه أن يصعد إليها.

82 ـ أحدهم: توما الأكويني.

95 ـ دومنيك: مؤسس النظام الدومنيكي، سيأتي الحديث عنه مطولاً في النشيد الثاني عشر.

97 ـ توما الأكويني (1227 ـ 1274) اشتهر بلقب «دكتور الملائكة» مؤلف «الخلاصة اللاهوتية» التي اعتمد عليها دانتي. وهو مؤسس الفلسفة التوماوية وأستاذ اللاهوتيين الكاثوليك. لم يطوّب قديساً إلا في العام 1323 أي بعد سنتين من وفاة دانتي، لذلك لايضع كلمة قديس أمام اسمه. أما ألبرت فهو ألبرت المغنوسي (1200 ـ 1280) دكتور الكون الذي وطد مع الأكويني التعاليم الأرسطية في الفكر الغربي. وهو أستاذ الأكويني. ولم يطوّب إلا في العام 1931 .

100 ـ معرفة البقية: أي بقية الإكليل من النفوس.

103 ـ كراتيان: أو كراتيوس، من أعلام القرن الثاني عشر.

107 ـ بطرس الطيب: بطرس اللومبارديّ، وقد ولد في أوائل القرن الثاني عشر، مطران باريس 1159 وتوفي عام 1160 . ويشبهه بالأرملة المسكينة التي دفعت قطعتين للكنيسة وهما كل ما تملك (انظر لوقا 21: 1 ـ 4).

109 ـ خامس الأنوار: هو سليمان، يشع بالحب كما ظهر هذا الحب في «نشيد الانشاد».

111 ـ تتشوق لمعرفة أخباره: اختلف آباء الكنيسة، هل سليمان أهلٌ لأن يدخل السماء أم لا. ولم تخلص المجادلات إلى نتيجة حاسمة، لذلك يريد أهل الأرض معرفة مصيره.

115 ـ الذي شعلته: هو ديونيسيوس الأريوباجيتي، الذي آمن على يد بولس (أعمال 17: 34) وقد شاع اعتقاد خاطئ أيام دانتي بأنه مؤلف «الإرث السماوي».

119 ـ المدافع عن العصر المسيحي: ربما قصد بولس أوروسيوس الذي دافع في كتابه «التاريخ ضد الوثنية» عن تأثير المسيحية في الإمبراطورية الرومانية.

123 ـ اللهبة الثامنة: بوتيوس (أنشيوس مانليوس سيفرنوس بوتيوس) ولد في روما 470 ودرس في اليونان. كتب في السجن (بتهمة الخيانة والسحر) «عزاء الفلسفة» ودافع عن الكرامة الوثنية التي تقوم على أن المرء يجب أن يعيش حياته يعمل الخير دون أن ينتظر جزاء في حياة أخرى. وعلى الرغم من وثنيته، فقد أثّر في الأوساط الوحدانية المسيحية التي اعتقدت أنه مات شهيداً، فنُقلت رفاته إلى كنيسة القديس بطرس في القرن الثامن التي كرمته كقديس، لكنها لم تطوبه.

130 ـ إيزيدور السيغيلي (حوالى 560 ـ 636): رئيس أساقفة، طوب عام 1598 .

https://jadidpdf.com

كتابه «الإتيمولوجيا» اعتبر موسوعة معارف القرون الوسطى، واعتبر دكتور الكنيسة.

131 ـ بيدي (673 ـ 735): مؤرخ إنكليزي وعالِم في الكتاب المقدس.

131 ـ ريتشارد: ريتشارد سان فكتور. متصوف ولاهوتي إنكليزي في القرن الثاني عشر. توفي حوالى 1173 ، لُقب بـ «المتأمل الأكبر» بعد كتابه «تأملات».

137 ـ سيغر البارابانتي: ولد حوالي 1226 . مفكر بارز من الرشديين (من أنصار الفيلسوف ابن رشد)، علّم الفلسفة في جامعة باريس. مثُل عام 1277 أمام محكمة التفتيش بتهمة الهرطقة، ففر إلى أورفيتو ليلتمس قضيّته في البلاط البابوي، لكن سكرتيره قتله عام 1283. وشارع القش هو الشارع الذي كانت فيه جامعة باريس.

140 ـ عروس الله: الكنيسة. العريس الجميل: المسيح.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي عشر

المدار الرابع — دكاترة الكنيسة

الأكويني يمدح القديس فرنسيس

انحطاط الدومنيكان

الحكاية: تكمل الأرواح الغناء والرقص، ويتجمعون مرة ثانية حول بياتريس ودانتي. يقرأ الأكويني أفكار دانتي، ويوضح له عدة نقاط كانت تثير شكوكه. فيشرح له أن العناية الإلهية أرسلت أميرين لإرشاد الكنيسة، وهما دومنيك واضع القانون الكنسي والقديس فرنسيس ويشير إلى انحطاط الدومنيكان.

1 أيها المكافحون البلداء في الشؤون الفانية
كم هي تافهةٌ محاولاتكم العقلية التي
تجعلكم تضربون أجنحتكم بتفاهات الدنيا.

4 هذا يكرّس نفسه للقانون وهذا
للحكمة، هذا يبحث عن منصب بلا عمل
وهذا يريد السلطة بالعنف أو بالإقناع البليد.

7 هذا يخطّط لعمله وذاك للّصوصية،
هذا ينغمس في ملذّات الجسد

https://jadidpdf.com

فيرهقُ نفسه، وذاك يسترسل في التكاسل،

10 بينما أنا تخلّصتُ من هذه التفاهات
ومع بياتريس في أعالي السماء
صعدْتُ إلى المجد، والمجد حقّقته،

13 عندما رأيت كل واحد يرقص في دائرة ويرجع
إلى النقطة ذاتها في الدائرة، وكلٌّ في
مكانه، مثل الشموع المنذورة على حاملتها.

16 ومِنْ ذلك الذي تكلّم معي قبل أن
أرى ابتسامة منه، وشعلتُهُ
أكثر إشراقاً من كيانه الملتهب سمعْتُ:

19 «مثلما أقبسُ إشراقي من العلى
كذلك أنظر إلى النبع الأول فأرى
الطريقةَ التي تفكّر بها ولماذا تفكر.

22 إنك متردد، وتريدني أن أتحدث
بكلمات صريحة كنتُ قد تحدّثتُ
بها بسرعة فلم يستوعِبْها ذهنك،

25 عندما قلت: «يقوده إلى حيث الوفرة»
و«لايوجد إنسان يوازي هذا الرجلَ»
من الأفضل أن نتريث هنا تماماً.

28 إن العناية الإلهية التي تحكم البشرية
بحكمةٍ لاحد لها بحيث يصعب على أي

https://jadidpdf.com

مخلوق أن يحلّ سرها ومكنونها،

31 حتى تجد العروس مُتعتَها ومسرّتها
بعريسها الجميل الذي أخذها صارخاً في
الأعالي في عرسٍ أراقَ فيه دمه المقدّسَ،

34 أرسلتْ إليها أميرين، في كل جانب أمير،
فتكون بذلك آمنة على نفسها
وواثقةً أكثر ومؤْمنةً بعريسها.

37 أحدهما يتألق في حبه مثل السيرافيم
والآخر في حكمته يطوف الأرض
مستحماً بإشراق الشيروبيم.

40 سأتحدث عن واحد فقط، لأن
مديحَ الواحد أو الآخر يعني الاثنين معاً
طالما أن مؤلفاتهما تقود إلى هدف واحد.

43 بين التوبينو والمجرى الصغير الذي
ينبع من الهضبة التي اختارها أوبالدو
المباركُ هناك في وجه الجبل منحدرٌ خصب.

46 بيروجيا تتنفس حرارتها وبرودتها من هناك
عبر بورتاسولي، وخلفها تنوء توسيرا
وغوالدو تحت نيرهما الثقيل.

49 من هناك، عند النقطة التي يقلّ
فيها انحدار الجبل، تشرق الشمس على العالم

https://jadidpdf.com

كما تشرق هذه الشمس في مياه الغانج.

52 لذلك لايتحدث أحد عن ذلك المكان
الذي يسميه أشيسي ـ «أنا نهضتُ» ـ
بل يسميه المشرقَ إذا أردنا الدقة.

55 لم يكن بعيداً عن مسقط رأسه
عندما بدأتِ الأرض تشعر بدفء
المعونة الأولى لقواه المجيدة.

58 كان صبياً بعد، ومن أجل تلك السيدة
التي تقرع الأبواب ـ كالموت ـ فلا يفتح لها،
نشبَتْ معركةٌ بينه وبين أبيه الغاضب.

61 وبكل روحه تزوجها أمام
محكمة الأبرشية وبحضور أبيه
ويوماً فيوماً نما حبُّه لها.

64 ترملت من زوجها الأول وظلّت
أكثر من أحد عشر قرناً محتقَرةً مهجورة
ولم يطلب يدها إنسانٌ حتى جاء،

67 ولم يأبه أحد بالأخبار التي تقول بأنها
وقفت إلى جانب سرير أميكلاس وأنصتتْ
دون أن تهتزّ أو تخاف، إلى الصوت الذي أرعب العالم.

70 وقد دخلتْ ثابتةً متماسكة حتى أنها
عندما كانت مريم العذراء تقف في الأرض،

https://jadidpdf.com

اعتلت الصليب وشاركتْ المسيحَ آلامه.

73 وحتى لاأكون غامضاً بهذه الطريقة
من الحديث، فإن العاشقين هما فرنسيس
والفقرُ، وهو ما عنيته بقولي.

76 انسجامهما وغبطتهما ولطفهما
ونظراتهما الرقيقةُ وحبّهما
خلَقتْ أفكاراً قدسية في قلب الإنسان.

79 وعندما رآهما القدّيس برنارد هكذا
خلع نعليه وطار مسرعاً إليهما
ليحظى بالسلام، وقد اعتقد أنه تأخر.

82 أيتها الثروةُ المجهولة، أيتها الوفرةُ التي لم تُمتَحَنْ
لقد خلع نعليه كلٌّ من أغيديوس وسلفستر
واتبعا العريس. وبهذه الطريقة تفرح العروس

85 لذلك فإن هذا الأبَ، وهذا اللوردَ والسيد
سار مع زوجته، ومع عائلته كلها
وقد لفّ حول حِقْويه حبلَ التواضع.

88 لم يتألّم لأنه ابن بطرس
برناردون، ولم يأبه بأنه
يمشي بالأسمال، ويقابل بالازدراء.

91 لقد ذهب بكل رفعة وكرامة
ليكشف مقاصده للبابا إنوسنت

https://jadidpdf.com

فوافق ونال نظامه الختم البابوي.

94 ثم بدأت تتبعه نفوس كثيرة
في الفقر - حيث كانت حياتهم الكادحة
خير ترنيمةٍ تتلى بين السيرافيم -

97 فوضع أونوريوش، بوحي الروح
القدس على الإرادة المقدسة لهذا الراعي
تاجاً ثانياً، إضافةً إلى إكليله المزهر.

100 ثم اندفع بعاطفة الشهداء، يُكَرّس.
وأمام السلطان الرفيع المقام راح
يعظُ بالمسيح والأخوة على الأرض.

103 ولكن حين لم يجد هناك من يسمع كلمةَ المسيح
رأى أنه يهدرُ جهده، ففضّل أن يعود
ليجني الثمار من الحديقة الإيطالية.

106 وعلى الجرف الواقع بين التيبر والأرنو
وبدموع الحب والفرح نال الختم النهائي للمسيح
وهي الجراح المقدسة التي حملها سنتين.

109 عندما الله، الذي إرادته الودودة أرسلته
ليقوم بأعمال الخير هذه، دعاه أن يعود
إلى حيث تُكافأ النفس المتواضعة،

112 طلب من أخوته أن يسيروا على منواله
وأوصاهم بسيدته العزيزة، وطالبهم

https://jadidpdf.com

أن يحبّوها ماداموا أحياء.

115 ثم رغبتْ نفسه من أعماقها في
العودة إلى مملكتها المباركة
ولم ترغبْ لجسدها مستقراً آخر.

118 فكّرِ الآن كيف يجب أن يكون ذلك
الإنسانَ الذي يتبعه ليقود سفينة
بطرس في مجراها عبر بحرٍ مليء بالأخطار.

121 هكذا كان بطريركنا الرئيس. لذلك فإن كل
من اتّبع وصيته، وعمل بها سوف
يجني ـ كما ترى ـ ثمارَ الفردوس.

124 لكن قطيعَ الراعي اندفع بشراهة إلى
تذوّق طعام جديد، وقد تكاثر فكان لابد
من بعثرته مادام يطوف الأرضَ الخراب.

127 وكلما تشرّدتْ أغنامه وابتعدت
عنه، قلَّ الحليب الذي تنتجه
حين تعود إلى الحظيرة، وقِلةٌ أولئك الذين

130 ظلوا قريبين من الراعي، وهم يعرفون ماذا يعني
عواءُ الذئب في الظلام حولهم، لكنهم كانوا من القلة
بحيث أن قطعةَ قماشٍ صغيرة تصنع قلانسهم.

133 فإذا لم تكنْ كلماتي معماةً وغامضةً
وإذا أصغيتَ إليّ بكل اهتمام

https://jadidpdf.com

وإذا إرادتك أعادتِ الكلماتِ إلى عقلك

136 فإنك ستُرضي رغبتك جزئياً
بحيث سترى كيف تنكسرُ النبتة الطيبة
وإلى أيّ ملامةٍ ترمي كلماتي عندما

139 أذكّركَ بحديثنا «حيث الوفرة» و«الصخرة العارية».

الملاحظات:

15 ـ حاملتها: حاملة الشموع بحيث كل شمعة لها حفرة.

25 ـ راجع الفردوس 10: 95 و 114 .

28 ـ تمهيد لحياة القديس فرنسيس.

32 ـ صارخاً في الأعالي: مأخوذ من متى 27: 46 ـ 50 .

34 ـ أميرين: دومنيك وفرنسيس، كل واحد بجانب الآخر.

58 ـ السيدة: الفقر.

60 ـ معركة بينه وبين أبيه الغاضب: باع أحصنة أبيه وتبرع بثمنها للكنيسة، فادّعى عليه أبوه لدى رئيس الأساقفة واسترد الثمن، فما كان من القديس إلا أن خلع ثيابه وأعطاها لأبيه قائلاً: قد كنت أبي أما الآن فأستطيع أن أقول بحرية «أبانا الذي في السموات».

64 ـ زوجها الأول: المسيح.

68 ـ أميكلاس: صياد سمك اضطجع على سريره أمام قيصر فهو لايخافه ولايخشاه، إذ لايملك ما يخاف عليه، ومن هنا قوله وقفت إلى جانب سريره، والمقصود الفقر.

70 ـ ظلت: الفقر (وقد تركنا الضمير مؤنثاً للتعبير عن العروس) اعتلى الصليب وشارك المسيح آلامه، بينما أمّه مريم ظلت تنظر إليه.

79 ـ برنارد: ثري جداً، صار من تلامذة فرنسيس. وخلع نعليه وسار عاري القدمين تقليداً لسيده.

82 ـ المجهولة: المجهولة بالنسبة إلى الإنسان.

83 ـ أغيديوس وسلفستر: الثالث والرابع من تلامذة القديس فرنسيس، أما تلميذه الثاني فبطرس.

84 ـ العريس: فرنسيس. العروس: الفقر.

87 ـ حبل التواضع: بات شعاراً الآن لكل الفرنسيسكان.

https://jadidpdf.com

101 ـ يقال إنه في عام 1219 ذهب هو وأحد عشر تلميذاً للكرازة في مصر، لكنهم فشلوا. وكان قد أراد هداية العرب 1214 ففشل.

119 ـ الإنسان الذي يتبعه: القديس دومنيك. سفينة بطرس: الكنيسة.

136 ـ جزئياً: لأن للحديث بقية في النشيد القادم.

137 ـ النبتة الطيبة: التي زرعها القديس دومنيك.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني عشر

المدار الرابع: الشمس — دكاترة الكنيسة

الإكليل الثاني من الأرواح

بونافنتورا

تسبيحة القديس دومنيك

انحطاط الفرنسيسكان

الحكاية: ما أن أنهى الأكويني حديثه، حتى عادت الحلقة مرة أخرى حول بياتريس ودانتي، وظهر إكليل ثان من اثني عشر طوباوياً. وكان المتكلم باسمهم القديس بونافنتورا. ومثلما سبّح الأكويني بالقديس فرنسيس، سبّح بونافنتورا بالقديس دومنيك وسرد قصة حياته، وأبدى أسفه لانحطاط النظام الفرنسيسكاني. ثم يعرّف ببقية الأرواح في الإكليل الذي هو منه.

1 بعد أن أنهت الشعلةُ المباركة الكلامَ سكنت
ولدى آخر كلمة، طفق الإكليل
يطوف حولنا كالسابق.

4 ولم تكد دورتهم الأولى تنتهي
حتى تشكّل حولهم إكليل آخر

https://jadidpdf.com

فباراهم نغمة بنغمة وحركة بحركة.

7 ومثلما يكون الانعكاس بالنسبة إلى مصدر الضوء
كذلك كان غناء سيريناتنا وميوزاتنا
بالنسبة لإنشاد الطوق الجديد البهيج.

10 ومثلما ظهر من خلال الغيوم أو الضباب الشفاف
قوسا قزح متوازيان انحناءً ومتساويان ألواناً
عندما تستدعي جونو ووصيفتَها ـ

13 ومثلما تكون الحزمة الخارجية تعبيراً عن الحزمة الداخلية
كصوت تلك الحورية الهائمة التي أضناها الحب
وكالبخار الذي تمتصّه أشعة الشمس ـ

16 فيعرفُ جميع الناس ما منحه الله
في وعده لنوحٍ بأن مياه
الطوفان الهائل لن تتكرر ثانية،

19 هكذا تماماً تشابكت تلك الورودُ السرمدية
في إكليلها الملتفّ حولنا، وتجاوبَ الإكليل
الخارجيُّ مع الداخلي في صوت المحبة.

22 مهرجان الحب والرقص والغبطة
حيث الأغنيةُ العذبة تقابلها أغنيةٌ عذبة
والإشراقُ يقابله إشراقٌ مماثل.

25 في لحظة واحدة توقف الإكليلان معاً
بإيقاع واحد مثلما تتحرك العينان كأنهما

https://jadidpdf.com

عين واحدة بإرادة واحدة في الإغماض والتفتيح -

28 وما أن توقفا حتى انبرى أحد الأصوات منهم.
وكما يجذب نجمُ القطب إبرةَ المغناطيس
كذلك انجذبَتْ روحي إلى تلك الشعلة المجيدة.

31 وابتدأ القول: «الحب الذي جعلني مشرقاً
دفعني إلى الكلام الآن عن قائد آخرَ
من خلاله قيلَ عني كلامٌ طيب وفير.

34 وعندما نشير إلى واحد، فلا بد أن يشمل الآخر،
لأنهما كانا جريئين من أجل القضية ذاتها
ولذلك تألقا في نورٍ واحد ومجدٍ واحد.

37 إن جنود المسيح، وقد أعيد تجنيدهم بثمن باهظ
يكافحون خلفَ الشعار المقدس، وهم
قلّةٌ قليلة يعانون الرعب والتواني والتشتت.

40 ولكن الإمبراطور الذي يحكم حكماً أبدياً
أخذ على عاتقه، لا لمزاياهم الخاصة،
بل لنعمته، أن يدعَمَ جيشه المهلَهلَ.

43 وكما سمعتُ من قبل، أرسل لعرسه
اثنين من القديسين اللذين بتعاليمهما
وبقدوتهما أُعيد توحيد الجماعات المبعثرة.

46 في البلاد التي ترجع إليها رياح الغرب
ناعمةً لدنة، كلّ ربيع، لتفتح الأوراق

https://jadidpdf.com

الجديدة التي بها يعمُّ السرور أوروبا،

49 وفي مساحة غير بعيدة عن لطمات وضربات
الأمواج ذاتها التي خلفها تختفي
الشمسُ في مجراها هاربة من منظر البشر،

52 تقع قرية محظوظة، تحتمي
بدرع عظيم يقف عليه ليثان،
ليثٌ مسيطرٌ وليثٌ خاضع.

55 داخل أسوارها وُلِدَ ذاك الغيور
العاشق والفارس الحقيقي للإيمان المسيحي،
خبزاً لأتباعه، حجراً على أعدائه.

58 عقله، منذ اللحظة التي بدأ يتكون فيها
تزود بقوى، وهو في الرحم، مكّن
أمه من أن التنبؤ.

61 وعندما هو وعروسه «الإيمان» تزوجا
أمام الجرن المقدس، وأهدى كلٌّ
الآخرَ مواهبَ جديدةً من القوة المقدسة

64 رأت السيدةُ التي كانت كفيلته هناك
في حلمها ثمارَ العمل المدهشة العجيبة
التي سيجنيها هو ووريثه.

67 وحتى تسمّيه كما هو، هبطت قوة
من السماء لتقدِّمَ له شكل الملكية

https://jadidpdf.com

بين اسمه وبين الله الذي هو ملك له.

70 اسمه دومنيكوس. ولكن لنسمِّهِ
الزوج الطيب الذي اختاره المسيح
ليساعده في الحديقة التي زرعها.

73 لقد كان تابعاً ورسولاً مناسباً
للمسيح لأن حبّه الأول كان الفقرُ،
وهو أول نصيحة قدّمها المسيحُ.

76 غالباً ما كانت مربيته تجده غارقاً
في التأمل وهو مستيقظ في الليل وعلى أرض عارية
وكأنه يقول: «هذا هو ندائي الداخلي».

79 يا أباه فيلكس، أنتَ حقاً «غبطة»
ويا أمه جوان أنتِ «نعمة الرب»
كما تدلُّ ترجمة اسميكما حرفياً.

82 ليس كما يكدح الناس اليوم من أجل الثروة
والشهرة حسب طريقة الأوستيني وتاديو، بل
كما يكدحون من أجل حبّ المنّ الحقيقي،

85 أصبح دكتوراً مقتدراً، وبدأ يقوم
بجولاته في الكرم حيث الكرمةُ
لاتنمو، بل تذبل إذا أُهملت.

88 أمام «الكرسي البابوي» الذي كان مرة يعطف
على الفقراء (الخطيئة الآن ليست خطيئته

https://jadidpdf.com

بل خطيئة فساده وانحطاطه)

91 لم يطلب حتى الاحتفاظ بثلاثة
من أصل ستةٍ، ولا بالحسنة
ولا بالعشور المخصَّصة للفقراء.

94 بل طلب إنناً بخوض معركة في العالم الخارجي
من أجل البذور الصالحة التي منها
هؤلاء الأربعةُ والعشرون المحيطون بك الآن.

97 ثم اجتمع المبدأُ بالإرادة، وحسب
توجيهات الكرسي الرسولي، اندفع
كسيلٍ في منحدر جبلي لإبادة

100 الهرطقة واقتلاع جذورها وأشواكها،
وحيثُ تكون المقاومةُ شديدةً ضارية
يشدّد الضربات بلا رحمة.

103 جداولُ كثيرةٌ تفرعت منه
وسقَتْ بمياهها بستان الكاثوليكية
فانبثقت الأشجار الصغيرة الخضراء من الأرض.

106 هكذا كانت العجلة الأولى من العربة العظيمة
التي امتطتها الكنيسةُ لتدافع عن نفسها
ولتربح في الميدان المكشوف حربها المدنية.

109 ولن يفوتك أن ترى بعقلٍ صافٍ
روعةَ ذلك الآخر، الذي قبل

https://jadidpdf.com

أن أنضم إليك، تحدث عنه توما بلطف.

112 لكن للأسف، الأثر الذي تركته العجلة
قد انتسخ في هذه الأيام من الفكر،
فالدنُّ بات فارغاً والصُلْب صار هشاً.

115 فأسرته التي يجب أن تسير على
خطاه، قد انقلبت وابتعدت عنه
بحيث جعلت إصبعها كعباً وكعبها أصابع.

118 وسرعان ما يظهر لنا حصادُ تلك السنوات
من الحراثة المتوانية، وسيُحجبُ الزؤان
عن الأهراء، وسوف يكون النحيب عالياً.

121 ابحث في كتابنا ورقة ورقة وسوف ترى
في هذه الصفحة أو تلك أنني كتبتُ متأكداً:
«إنني اليوم مثلما اعتدتُ أن أكون دائماً».

124 ولكن لا من كازالا، ولا من أكوازبارتا ـ
يأتيان حفاظاً على نظامنا، وفي الحفاظ نجد
أن أحدهما يرخي، والآخر يشد مثل الشرك.

127 أنا أسمي بونافنتورا، على أرض
باغنوريغو، الذي في المكاتب الكبرى
يهتم بالأشياء ذات القيمة الأقل.

130 أليوميناتوَ وأوغسطينو هنا،
وكلاهما جاء من فقرٍ مدقع.

https://jadidpdf.com

والحبل حول خصرهما جعلهما عزيزين على الله

133 وهوغو الأسبق هنا، والوهج الذي
لايخمَدُ لبطرس فانغيادور، وبطرس الإسباني
صاحبِ النور في اثني عشر كتاباً في الأرض.

136 والنبي ناثان، والجزء الخالد
لخريسوستوم وأنسليم ولدوناتوس
الذي وجّه يده إلى الفن الأول.

139 وهنا أيضاً رابانوس، وهنا إلى جانبي
يتألق يواكيم، الراهب الكالابرياني
الذي اكتسبتْ نفسه قوّةَ النبوة.

142 إن اللطفَ الغيورَ لأخي المحترم
وتسبيحَه المتواضعَ لأحد الأفذاذ
جعلاني أنطقُ بهذا المديحِ التنافسي

145 للآخر وكذلك لمجموعتي».

الرموز والصور:

توما الأكويني وبونافنتورا: اختص هذا النشيد والنشيد الذي قبله بتسبيح علمين من أعلام الوحدانية الغربية: الأول هو القديس فرنسيس والثاني هو القديس دومنيك. الأول يتحدث عنه وعن حياته القديس توما الأكويني، والثاني يتحدث عنه القديس بونافنتورا. والنشيدان لايقدمان للقارئ شيئاً يذكر، لا من حيث المعلومات، ولا من حيث المخمل الشعري، فما الغرض الذي رمى إليه دانتي في هذين الفصلين وفي الفصول التالية؟ هل يعقل أن يقدم

https://jadidpdf.com

فصلين ليس فيهما ما يفيد ولا ما يمتع؟ هل يعقل أن يقدم لوحتين سريعتين باهتتين يمكن التقاطهما من أي موسوعة صغيرة؟

نظن أن الغرض الذي رمى إليه دانتي هو إظهار مدى ما وصلت إليه المؤسسات الدينية الغربية المهيمنة، ففرنسيس يمثل تياراً يتعارض مع تيار دومنيك، فالأول غاوي فقر، شعاره زنار التواضع، وهدفه التبشير، والثاني يدعو إلى التبحر في الدين للقضاء على الهرطقة. الأول سافر إلى إسبانيا ومصر وعاد خائباً، والثاني اقتصر على الوسط الأوروبي. وقد لعب الدومنيكان دوراً كبيراً في الهجوم على الألبيجيين، فقد اتهموهم بالهرطقة (وهم في الحقيقة يطالبون بالمزيد من الحرية)، ولم يدخروا وسعاً في تشويه سمعتهم والعمل على سحقهم. ولاينسى دانتي الإشارة إلى هذا التعارض والتناقض، فالأكويني يمتدح فرنسيس ويشير إلى انحطاط الدومنيكان، بينما بونافنتورا يمتدح دومنيك ويشير إلى انحطاط الفرنسيسكان. وقد جعلنا ذلك يبدو في العناوين الصغيرة التي تعقب عدد النشيد لتنبيه القارئ إلى ذلك. وقد وقف دانتي حيادياً، ولو انحاز لكان له شأن آخر. اكتفى بعرض رأي كل تيار في التيار الآخر، فأظهر أن الفساد - كتحصيل حاصل - عم الجميع ولا استثناء. ولاشك أن بونافنتورا ليس هو الذي حلل اسم دومنيك بل دانتي، دومني: السيد. كان: كلب، فيكون اسمه هو كلب السيد أي كلب الله أو المسيح، بل دانتي نفسه هو الذي عمد إلى هذا التحليل.

الملاحظات:

5 - إكليل آخر: الإكليل الأول بقيادة الأكويني، أما الثاني فبقيادة بونافنتورا وعدده 12 طوباوياً، فيكون المجموع 24. فهل أخذ هذا الرقم من عدد أسفار العهد القديم؟ أم من عدد الرسل مضاعفاً؟

12 - جونو ووصيفتها: جونو هي زوجة جوبيتر، ووصيفتها هي إيريس التي تقوم بتأدية رسائلها، فينتصب قوسا قزح: الأول للذهاب والثاني للإياب، لتصل الرسائل بسرعة.

14 - تلك الحورية: هي إيكو التي هامت بحب نرسيس، وحولتها غريمتها إلى صدى. والمقصود: الصدى.

17 - وعده بنوح: التكوين 9: 8 - 17

28 - أحد الأصوات: بونافنتورا (1221 - 1274) كان لاهوتياً كبيراً وطوّب عام 1482 على يد البابا سكتوس الرابع، واعتبره البابا سكتوس الخامس «دكتور السيرافيم» وهو الدكتور السادس بين دكاترة الكنيسة.

32 - قائد آخر: دومنيك.

38 - الشعار المقدس: الصليب.

https://jadidpdf.com

52 ـ قرية محظوظة: كالاهورا، مسقط رأس دومنيك.

55 ـ حياة دومنيك: (1170 ـ 1220) لايوجد شيء مؤكد حول عائلة دومنيك. بدأ أوغسطينياً. أسس النظام الدومنيكي لانقاذ الألبيجيين من دمار الدنيا ولعنة الآخرة، فشن عليهم حرباً. وبينما كان فرنسيس يخاف التعليم ويعتبره إفساداً، ويسبح بحمد الجهل لأنه طريق الإيمان، كان دومنيك يدعو إلى التعليم الذي لايصفو إيمان إلّا به.

58 ـ نبوءة السيدة أم دومنيك: رأت في منامها أنها تلد كلباً أبيض وأسود. فلما ولدت ابنها سمته دومنيك أي كلب السيد. أما الأبيض والأسود فقد صار شعاراً للدومنيكان في كل مكان، مثل زنار التواضع عند الفرنسيسكان.

61 ـ عروسه الإيمان: أثناء المعمودية زوج من الإيمان.

79 ـ يا أباه فيلكس أنت حقاً «غبطة»: لم نستطع أن ننقل إلى العربية الجناس القائم بين فيلكس وغبطة، وكذلك جوان أم دومنيك التي تجانس «نعمة الرب» فاكتفينا بوضعهما بين شارتين صغيرتين.

83 ـ الأوستيني: أنريكو دي سوزا مطران أوستا (1271).

83 ـ تاديو: طبيب فرنسي ولد حوالى 1215 . وهذان الاثنان حصلا على ثروة طائلة من عملهما الدنيوي بينما كانت غاية دومنيك الحصول على المنّ.

94 ـ إشارة إلى السنوات التي عمل فيها دومنيك بعد الحصول على إذن من البابا أنوسنت الثالث بخوض الحرب ضد الألبيجيين الذين اتهمتهم بالهرطقة. ومن أبرز نقاط هرطقتهم في رأيه أنهم لايؤمنون بالقيامة. وقد شدد على هذه النقطة في تأليب المؤمنين ضدهم.

112 ـ هنا يبدأ بونافنتورا بإظهار انحطاط الفرنسيسكان.

117 ـ بحيث جعلت: أي بدلاً من أن يسير الفرنسيسكان على خطى القديس فرنسيس ساروا في الاتجاه المعاكس.

121 ـ كتابنا: النظام الفرنسيسكاني.

122 ـ في هذه الصفحة أو تلك: في أحد أنصار القديس فرنسيس أو آخر.

124 ـ كازالا: صومعة الفرنسيسكان.

127 ـ تعداد النفوس التي تشكل الإكليل الثاني والمرتبين كما يلي إلى جانب الإكليل الأول:

1 ـ بونافنتورا 2 ـ أليومبناتور 3 ـ أوغسطينو 4 ـ هوف فكتور 5 ـ بطرس كمستور 6 ـ بطرس الإسباني 7 ـ ناثان 8 ـ خريسوستوم 9 ـ أنسليم 10 ـ دوناتوس 11 ـ رابانوس 12 ـ يواكيم فلورا.

أما الإكليل الأول فقد شرحناه في النشيد السابق. ويلاحظ القارئ أن حركة الإكليلين متعارضتان ومتعاكستان، فإذا دار الأول إلى اليمين دار الثاني إلى اليسار. وإذا أنشد أحدهما مدحاً بقديسه، رد عليه الثاني بنشيد مديح لقديسه

https://jadidpdf.com

هو الآخر. والقارئ يذكر أن الإكليلين تحلقا حول دانتي وبياتريس وكل إكليل يسعى للترويج والدعاية لسيده ونظامه.

ولم نَرَ ضرورة لتقديم ترجمة لأعلام هذا الإكليل، لأن دانتي يرمي إلى شيء آخر.

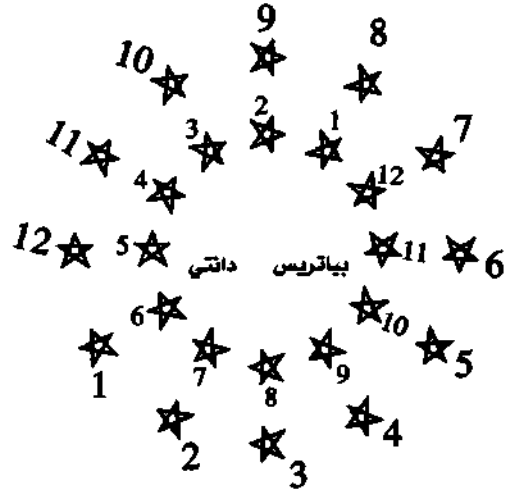

وضع الإكليلين في تحلقهما حول بياتريس ودانتي

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث عشر

المدار الرابع: الشمس اللاهوتيون ودكاترة الفلسفة

الأكويني

الحكاية: بعد أن أنهى بونافنتورا حديثه تحرك الإكليلان المباركان، ويتألفان من أربعة وعشرين طوباوياً، وهم ينشدون التسابيح حول الأقانيم الثلاثة وكيف اجتمعت في واحد، وكيف تلاقت الطبيعتان في شخص المسيح. ثم توقفوا ليبدأ الأكويني حديثه (استئنافاً لما وعد به في النشيد العاشر) ليحل لغز دانتي الثاني، ويبين له كيف أن أحداً لايمكن أن يصل إلى حكمة سليمان، ويخلص في النهاية إلى تحذير دانتي من مغبة المحاكمات السريعة، عقلية كانت أو واقعية.

1 إذا أردتَ أن تفهم ما أكتب الآن
عما رأيتُ في السماء، فتصور
(ودَعِ الصور ماثلة في ناظريك)

4 النجومُ الخمس عشرة المتألقة التي تتزين
بها السموات، في تاجها المتوهج،
بشعاع نفّاذ يخترق حتى الضباب الكثيف.

7 تصوّر الدب الأكبر الذي في صدر سمائنا
يبقى قابعاً ليلاً نهاراً، فلا يترك

https://jadidpdf.com

أي جزء يستريح ويغيب،

10 تصوّر الفم المتألق للقرن الذي تراه
العين، يمتد من النجم المحوري، الذي
حوله تدور العجلة الأولى ـ وتصوّر

13 كل ما يشكل البُرجين، كل برج إكليل
(كذلك الذي صنعته ابنة فينوس
عندما أحسّتْ في ساقها رعدة الموت)

16 وتصور أخيراً أن إكليلاً يلقي بأشعته
داخل الإكليل الآخر، وأن الاثنين يدوران
حول محور واحد، ولكن باتجاهين متعاكسين.

19 هكذا يمكنك أن تحزر بشكل غائم (إن
استطاع الإنسان أن يحزر) كيف النجوم برقصها
المزدوج تدور حول النقطة التي أقف فيها،

22 وإن كانت هذه الخيرات تقع خارج معرفتنا
كما تقع الحركة الأسرع للسماء الأولى
خارج المسير الراكد البطيء لنهر كيانا.

25 لايغنون هناك الأغاني الباخية ولا البانية بل كيف
يدخل ثلاثة أشخاص في طبيعة واحدة مقدسة، وكيف
تدخل هذه الطبيعة مع الطبيعة البشرية في شخص واحد.

28 وتابعتِ الأغنية مجراها مع الرقص الدائري
وتجمّعت الآن تلك الأنوار المقدسة حولنا

https://jadidpdf.com

ودارت مبتهجة بإضافة مسرّة إلى مسرّة.

31 لكن حَطَّمَ صمت هذه الأرواح الإلهية،
المصباحُ ذاته الذي حدثنا من قبل
عن الحياة المجيدة لذاك الفقير الذي يحبه الله.

34 قال: «ربما كان أخي قد درس حزمةً
واستخرج منها القمح الجيد، فإن
المحبة تدعوني أن أدرس حزمة أخرى،

37 في ذلك الصدر الذي انتُزِعَ
منه ضلعٌ ليتكوّن منه الخد الجميل،
الذي من أجل مضغةٍ سيئة عانت البشريةُ،

40 وفي ذلك الصدر الذي طعنته الحربة
عندما أراد تصحيحَ الماضي والمستقبل
بحيث يمحو كل خطيئة اقترفتها البشرية.

43 كل ما يمكن أن تجمعه الطبيعة البشرية
من أنوار صَهَرها اللهُ بحيث خلق
الاثنين: الواحد والآخر بقوته المقدسة.

46 لذلك رأيتك مندهشاً عندما وصلتُ في
حديثي إلى خامس الأنوار وقلت لاأحد هناك
يجاريه في الحكمة التي تعلمها،

49 والآن انتبهْ جيداً لما سأقوله لك هنا
واعلمْ أن فكرك وكلماتي يشكلان حقيقة

https://jadidpdf.com

واحدة تماماً مثل مركز المدار ومحيطه.

52 كلّ الأشياء التي تموت وتلك التي لاتموت
ماهي سوى التألّق المنعكس لشكل
حب أبينا الذي يَهبهُ من وراء السماء

55 لأن النور الحي الذي يتدفق من المصدر
بطريقة لاتجعله أبداً ينفصل عنه
ولا عن الحب الذي تجمعهم قوته السرية،

58 في ثالوثٍ، يلقي بشعاعه المبارك على الأرض،
كما لو كان ينعكس عبر الطبائع التسع
التي تبقى سرمديةً في واحدٍ أحد.

61 من شيء إلى شيء وحتى آخر قوة
يصل الشعاعُ، وحتى يتبعثَرَ، يخلق
فقط تلك العوارضَ الصغيرة،

64 وأريدكَ أن تعرف أن هذه العوارض
هي تلك الأشياءُ المتولّدة عن السموات المتحركة
فتُنتَجَ من البذور أو من غير البذور، حسب وضعها.

67 شمع هذه الأشياء، والقوى التي تضغطها
وتصنع شكلها تختلف، فيشرقُ الخَتْمَ الإلهي
منها قوياً حيناً، وضعيفاً حيناً آخر.

70 وهكذا يمكن لأشجار النوع الواحد أن تنتج
ثماراً أفضل أو أسوأ، وكذلك الإنسان

https://jadidpdf.com

يولد مختلفاً عن غيره في الموهبة الفطرية.

73 فإن كان الشمع جاهزاً نقياً لانفاية فيه
وكانت السمواتُ في ذروة توهجها،
فإن نور الختم لن يفقد شيئاً من ضيائه:

76 لكن الطبيعةَ تشحُّ على ذلك النور في كل ما يصنع
فتتصرفَ معه كتصرّف الرسام الذي
يتقنُ فنه تماماً، لكنه يملك يداً مرتعشة.

79 ولكن إذا المحبةُ الحارة حرّكتِ الشعاعَ الصافي
للقوة الأولى لإنتاج الختم مباشرة
فإن الشيءَ المصنوع يكون كاملاً تماماً.

82 مثل هذا الفعل جعل تراب الأرض
يشكل أنبل الحيوانات وأكملها
وهذا الفعل هو الذي جعل رحم العذراء يلد.

85 لذلك قلت بأنني أتفق معك
في الرأي أن البشر لم ولن
يكونوا كأي من ذينك الاثنين.

88 وبما أني قلت لك هذا، فلا بد من
أن أستمر، أو أنك تسأل: «كيف يُقالُ
إذن أنه لايوجد من يماثلُ ذلك الإنسان؟»

91 وحتى أوضّح مالم يستطغ عقلك فهمه
فكّر فيه: من هو وما الذي يحركه حتى

https://jadidpdf.com

تعرف الإجابة عن كلام الله «ماذا أعطيك؟»

94 قلت لك هذه الكلماتِ حتى تفهم
أنه كان ملكاً وسأل الله أن يعطيه
الحكمة ليحكم شعبه وبلاده،

97 لا ليعرف عدد ومراتب ملائكتنا
التي تحرك المدارات، ولا إذا كانت
فرضية «ربما» في المنطق تؤدي إلى «يجب»،

100 ولا إذا كان هناك حركة أولية
ولا إذا كان في نصف دائرة يمكن أن
يرسم مثلثاً غير قائم مع نصف القطر.

103 لذلك ترى أنني عندما تحدثت من قبل
عن الحكمة التي لاتجارى فإنني كنت أوجّهُ
سهمي قاصداً متقصداً الفطنة الملكية.

106 لاحظْ أنني قلت «يصل» عندما تحدثتُ عنه
وهكذا ترى أنني تحدثت فقط عن الملوك،
الذي كان منهم الكثير، لكن ما أقلَّ الجديرين.

109 تلك كانت كلماتي، فإذا أخذتَ بهذا المفهوم
فإنها تنسجم وتتساوق مع ما تؤمن به
عن أبينا الأول، وعن فرحتنا الكبرى.

112 كأثقال الرصاص أجعلُ كلماتي في قدميكَ
فذلك يجعلك تتحرك ببطء، كرجل مُنْهكٍ،

https://jadidpdf.com

نحو «نعم» و«لا» مما لاتراه.

115 إذ أنه أحمقٌ ومنحطٌّ بين أبناء جنسه ذاك
الذي يجيب بنعم أو لا من دون تفكير،
فلا يهمّه، وهو الأعمى، في أي طريق يسير.

118 الآراءُ المبتسرة كثيراً ما تجعل تفكير
الإنسان يزوغ عن الحقيقة، إلى أخطاءٍ جسيمة،
وفي هذه الحالة تكبل كبرياؤه عقلَهُ:

121 ليس عبثاً، بل أسوأَ من العبث من يترك
الشاطئ ليصطاد الحقيقة، إلا إذا كان يجيد الصيد،
لأنه سيرجع إلى الشاطئ أسوأَ مما كان.

124 ومن هذا النوع بارمنيدس وملسوس اللذان
حملا شهادتهما إلى كل الناس، وكذلك بريسون
وآخرون الذين ذهبوا غير عارفين إلى أين.

127 وكذلك آريوس وسابيليوس ومدارسهما،
الذين كانوا للكتاب المقدس كالسيف الرهيف،
مزّقوا وجهه الحقيقي، وغشُّوا الحمقى.

130 يجب ألا يغترَّ الإنسان بعقله
الغبي وحده يطوفُ حقله ويحسب
كميات المحصولِ وهو في بواكير الفصل،

133 لأني شاهدت في ثلوج الشتاء شجرةً برية
تهتز اهتزازاً بأغصانٍ عارية، لكن

https://jadidpdf.com

في الربيع تفتحت ورودها الزاهية،

136 كما شاهدتُ سفينة تمخر عباب اليم
تجدّ السير وإلى هدفها تسرع، ولكن
ما أن تدخلِ الميناء حتى يبتلعها البحر.

139 قل لفلان وفلان ألا يفكر إذا شاهدا
من يمدّ يده إلى الجيوب ويسرق،
أو أخر يدفع للمبرّة كل ماملكت يداه،

142 عندها يريانهما بعيني الرب، فقد يسقط
النقي وينهض اللص الشقي».

الرموز والصور:

عبثية الحياة: الكلام الذي يديره دانتي على لسان الأكويني يعكس موقف دانتي في الحياة والآخرة. وقد عرض علينا بعض الصور لعل أبرزها صورة الملك سليمان الذي طلب من الله أن يعطيه الحكمة. ولكن أي حكمة؟ ليست الحكمة التي يعرف بها عدد الملائكة التي تحرك المدارات، ولا مراتبها، ولا الحركة الأولى بل الحكمة التي تساعده في الحياة فيحكم شعبه وبلاده من دون مآس وكوارث. إنه لايحكم وفقاً لإيديولوجيا أخروية، بل وفقاً لنظرة واقعية. وربما كانت مثل هذه النظرة تجنب الكثير من الزلل، لكن مواجهة الوجود صعبة والاحتمالات أكبر من أكبر عقل، وأوسع من أوسع تجربة. فلا الصيد في عرض البحار أوفر من صيد الشواطئ، ولا عواصف الموج في اليم الرهيب أخطر على السفينة من مياه الميناء الهادئة، وقد يسقط التقي وينهض الشقي.

هذه النواة الدانتوتية هي التي شاعت في عصر النهضة عند أراسموس ورابليه ومونتاني وغيرهم، مما جعل جبرية الوحدانية الكنسية تخف وتتلاشى، فاسحة المجال أمام «حرية الإرادة» العشيقة التي أمضى دانتي حياته في حبها والدعاية لها.

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

10 ـ الفم المتألق: نجمتان من الدب الأصغر قريبتان من نجم القطب على شكل فم، ثم تمتد النجوم على شكل قرن.

38 ـ ضلع ليتكون منه الخد الجميل: الضلع الذي انتزع من خاصرة آدم لتكوين حواء الجميلة.

40 ـ ذلك الصدر: صدر المسيح.

47 ـ خامس الأنوار: سليمان (انظر النشيد 10: 109 ـ 114)

53 ـ شكل: المقصود الشكل الأفلاطوني أي الفكرة.

59 ـ الطبائع التسع: الملائكة بحسب مداراتها.

66 ـ بذور أو من غير بذور: راجع المطهر 28 وعلى الأخص الأبيات من 69 ـ 120 حيث يشرح دانتي نظريته في الفضائل.

67 ـ شمع: أي مادة.

83 ـ أنبل الحيوانات: شكل آدم وشكل المسيح البشري.

87 ـ الإثنين: آدم والمسيح الانسان.

90 ـ الإنسان: سليمان.

93 ـ ماذا أعطيك: تجدها في ملوك أول 3: 4 ـ 14 .

111 ـ أبينا الأول: آدم.

123 ـ لأنه ترك الجهل فوقع في الخطيئة.

124 ـ يقدم الأكويني أمثلة عن بؤس الفلاسفة. فالفلاسفة الثلاثة الذين يذكرهم دحضهم أرسطوا في كتابه «الأورغانون».

127 ـ يسمي هنا الفلاسفة الهراطقة فآريوس الكاهن الاسكندري (توفي 336) كرّز أن الابن المولود من الآب لايمكن أن يكون وإياه واحداً. وسابيليوس لايرى أي تمييز بين الآب والابن، فالثالوث ليس أكثر من تعاقب حالات يظهر فيها هذا الأقنوم أو ذاك. المعلومات عنه مجهولة. يقال إنه ولد في ليبيا 265 وفيها توفي.

139 ـ قل لفلان وفلان: في الأصل «قل لدونا برتا ومارتينو» والمقصود أي إنسان.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع عشر

المدار الرابع: الشمس — الحلقتان

الفلاسفة واللاهوتيون

سليمان

الصعود إلى المريخ — الحلقة الثالثة من الأرواح

جند الله

المدار الخامس: المريخ — رؤيا المسيح على الصليب

الحكاية: ينهي الأكويني كلامه. وتدرك بياتريس مايدور في ذهن دانتي فتطلب من الفلاسفة واللاهوتيين أن يشرحوا لدانتي الحالة التي يكون عليها المباركون بعد قيامة الجسد. وهنا تتكفل روح سليمان بالإجابة. وتتضح العلاقة بين النعمة والرؤيا والحب والتألق.

تظهر دائرة ثالثة من الضوء، ولكن قبل أن يستقر نظر دانتي عليها يجد نفسه في سماء المريخ. فيدخل بذلك المدار الخامس. والأرواح التي رآها في الدائرة الثالثة هم المحاربون في سبيل الله. ويتشكل من طوباويي الدائرة الثالثة الصليب الذي عُلق عليه المسيح. وهذه هي رؤيا دانتي، وعندئذ تنطلق ترنيمة بديعة لم يسمع مثلها في المدارات السابقة.

1 «الماء في وعاء مستدير يتحرك

https://jadidpdf.com

من المركز إلى المحيط إذا ضُرب من الداخل
ومن المحيط إلى المركز إذا ضُرب من الخارج»

4 تلك كانت الفكرة التي طرأت فجأة
على عقلي عندما تلفّظ شعاع توما
الخالد بآخر كلمة من كلماته،

7 وبالمصادفة كان ثمة بين ما تكلم
به وما تكلمت به بياتريس كثيرٌ من المشابهة
فما أن أنهى كلامه حتى بدأتْ تقول:

10 «ثمة حاجة أخرى لابد لهذا الرجل
من أن يجد جذورها المقدسةَ، مع
أنه لم يتكلم، لكنه يفكر في عقله

13 فوضِّحوا له: إذا كان التألّقُ الذي يراه
مشعشعاً حول كيانكم سيبقى إلى الأبد
مشرقاً تماماً كما هو في هذه الساعة،

16 فإذا كان كذلك فأرجو أن توضّحوا له
كيف أمكنَ لأعينكم المستعادة أن تتحمّل هذا
التألّقَ عندما استعدتم أجسادكم المرئية».

19 وهنا توهج الراقصون تألقاً في رقصة
ريفية وداروا بحركة أسرع، يزيد منها فرحهم
كما علَتْ أصواتهم وأشرقت كلٌّ معالمهم.

22 فما أن سمعوا هذا الرجاءَ المتواضعَ

https://jadidpdf.com

حتى انخرطت الحلقات المقدسة في فرح غامر
في رقصهم وفي انسجام سماوي أخاذ.

25 إن الأحياء الذين يحزنون هنا على من يموت
ليربحَ الحياة هناك، لم يدخل في تصورهم
ذلك المطرُ الأبديُّ الذي يُحيي النفوس.

28 الواحد خالد أبداً، وكذلك الإثنان والثلاثة.
وقولنا «خالد» في الثلاثة والإثنين والواحد
يحيط بالجميع ولايحيط به أحدٌ.

31 جرى له التسبيح في ثلاث ترنيمات من
كل روح من هاتين الحلقتين، وبانسجام
كأنه الشرفُ المناسب لأي جدارة.

34 ثم سمعت من أعظم شعاع مجيد
في الدائرة الداخلية صوتاً خفيضاً عذباً
يشبه الصوت الذي همس به الملاك لمريم:

37 «طالما عيد الفردوس مستمر
فإن النور المبارك لحبنا سوف يشع
منا ويغمرنا بأثواب النور كما ترى

40 كل ثوب يعكس حماسة الحب الذي يشعّ،
والحماسة تزيد من الرؤيا، والرؤيا تشع
علينا فيعطى كلٌّ واحد من النعمة فوق ما يستحقُّ.

43 وعندما يعود إلينا جسدنا، الذي يصبح مجيداً

https://jadidpdf.com

في جلسة القيامة، تصبح أشخاصنا
أكثرَ متعةً لأنها صارت أكثر كمالاً.

46 ولذلك تزداد بهجتنا ويزيدنا
بها الحبُّ الفائقُ بسخاء، ليجعلنا
أهلاً لرؤية مجده بأبصارنا.

49 وينتج من ذلك أن الرؤيا ستزداد،
وتزداد الحماسة التي تشعلها الرؤيا
فيزيد الشعاع من نيرانه الداخلية.

52 ولكن كما أن الفحمَ الملتهب يبعث النار
فيشع في توهج شديد، ويظلُّ
محتفظاً بشكل المرئي والكلي،

55 كذلك هذا الإشعاع الذي يغلفنا
فإنه يشع في المظهر فقط عن طريق الجسد
الذي اضطجع طويلاً تحت الأرض.

58 ومثل هذا الإشعاع القوي لن يخمَدَ
لأن أعضاء الجسد سوف تتقوى
في كل ما يضاعف البهجة»

61 فصاحت النفوس في كل حلقة «آمين»
بحماسة غيورة وكأنهم يبرهنون
كم هم متشوقون إلى أن يلبسوا جسدهم ثانية،

64 وربما كانت الحماسة لأنفسهم أقل من الحماسة

https://jadidpdf.com

لأمهاتهم وآبائهم، ولكل نفس عزيزة عليهم
قبل أن تصبح لهبة أبدية في الأعلى.

67 أواه، كل ما حولي متساو في كل أعضائه
فتألق يشرق فوق تألق هناك،
مثل الأفق لدى بداية اليوم الجديد.

70 وكما يحدث في بداية الليل
فتبدو في السماء أشياء وتختفي أشياء
فتظهر للنظر كأنها موجودة وغير موجودة،

73 كذلك بدأتُ أنظر في الموجودات
التي لم أرها من قبلُ، تشكل حلقة
حول محيطي الحلقتين الأخريين.

76 آه، إن الجوهرَ المتطاير من الروح القدس
سرعان ما توهَج أمام باصرتي
فدحرهما بمجدٍ، ولم يستطيعا الإبصار

79 لكن بياتريس أسرعَتْ وظهرت لي
بهية في جمالها، فتركت رؤياها
ترقد مع الرؤى التي مجدها لايدخل الذاكرة.

82 من بياتريس استعدْتُ ثانية قدرتي على الإبصار،
وتطلعتُ إلى فوق، فرأيت نفسي أرتفع معها
وحدها إلى المرقى التالي من النور.

85 لقد انتبهتُ تماماً إلى أنني ارتفعتُ إلى أعلى

https://jadidpdf.com

بالحماسة المشتعلة للنجمة الحمراء
التي تتوهج كما أظن، بنارٍ غير التي نعرف.

88 من كل قلبي، وباللسان الذي هو واحدٌ
عند كل الناس، قدّمتُ للرب روحي
قربانَ محرقةٍ لهذه البركة الجديدة.

91 لم يكن لهيبُ محرقة القربان قد هدأ في
صدري، عندما علمت ببشير الخير يخبرني
إن صلاتي قُبلت عند المبارك الأعظم،

94 ولأني بهذا التألق، وهذا التوهّج الياقوتي
داخل شعاعين، لمعا هناك بمجدٍ جعلني
أُصيح «هيليوس، يامن رتبتهم هكذا»

97 مثلما يلمع من القطب إلى القطب دربُ
التّبانة فيفيضَ بنجوم كبيرة أو صغيرة،
كذلك حدّق هؤلاء الحكماء، لايعرفون ماذا يقولون -

100 فتكوكبوا عميقاً داخل المدار، وشكّلوا
شعاعاً في الشارة المقدسة أربعة
خطوط في الدائرة المتشكلة. وهنا

103 خرجت الذاكرة من مدار سيطرة قواي، فكيف
أكتب عن الصليب الذي توهج برؤيا المسيح؟
أي استعارة جديدة بذلك المنظر؟

106 بيد أن من يحمل صليبه ويتبع المسيح

https://jadidpdf.com

لن يسامحني عما تركته ولم أقلْهُ
حين يرى ذلك الفجر العظيم الذي صَدَرَ عن المسيح.

109 من ذراع إلى ذراع، من جذر تلك الشجرة
حتى ذروتها كانت المصابيح الوهّاجة تتحرك،
متقاطعة ومجتمعة. وعندما تتلاقى تزداد توهجاً،

112 وكذلك هنا، على الأرض، وعبر انحراف النور،
أجزاءُ الهواء، داخل الظل الساقط، التي
يستنبط الإنسان منها فنونه وصناعاته،

115 يلاحظ نظَرنا البشري جزيئاتٍ متألقةً للمادة
الصاعدة أو الهابطة، المتعرجةِ أو المستقيمة
الطويلة أو القصيرة، لكنها دائماً متغيرةٌ.

118 وكما أن الكمانَ والهاربْ في انسجام
الأوتار الكثيرة تُعتبرُ نغمة جميلة
عند من لم يدرس الميلوديا،

121 كذلك من كورس الأمجاد الذي سمعته
كانت الميلوديا عذبةً بحيث وقفتُ مأخوذاً
مع أني لا أستطيع أن أتذكر أي ترنيمة كانوا يرنمون

124 لكن اتضح لي أنها تسبيحةُ ولاءٍ مخلصةٌ
لأنني سمعت «انهضْ» و«هاجمْ» ـ ولكن
كما يسمع المرء ولايفهم ويظل يسمع:

127 امتلأت نفسي غبطة بهذه الأنغام،

https://jadidpdf.com

أنغام أصفى أغنية، فحتى ذلك الوقت
لم يربط كياني بها شيء كتلك القيود الجميلة.

130 قد يبدو قولي بهذه الطريقة جريئاً جداً
مادمت لم ألتفتْ بعد إلى تينكَ العينين
العزيزتين اللتين فيهما يجد شوقي مستقرّه.

133 ولكن الختمين الحيّين لكل ما هو جميل
يصبحان أقوى في الذرى، ومع
ذلك لم ألتفت إلى عيني الحب والواجب بعد.

136 ربما يخذلني العقل عن المهمة التي
جئتُ بها ضد نفسي، كي أتخلى عنه،
وأرى الحقيقة المقدسة في أناشيدي، فمتعتي

139 بهاتين العينين المقدستين تصبح أنقى كلما علونا.

الرموز والصور

سماء المريخ والحلقة الثالثة وحلم دانتي: المعروف عن المريخ أنه كوكب أحمر اللون يشير إلى الحرب والقتال. لذلك جعل هذا المدار من حظ الحلقة الثالثة. كانت الحلقتان السابقتان مخصصتين للفلاسفة واللاهوتيين. أما الحلقة الثالثة فهي لجند الله، أو المحاربين من أجل نصرة المسيح. وبما أن اللون الأحمر لاينسجم والملائكة والطوباويين، فإنه جعل التألق الأبيض هو المسيطر. ويبدو أنه يكفي أن يكون المرء من جند الله حتى ينال الغفران ورحابة سماء المريخ.

ماذا يفعل جند الله في المريخ؟ من الطبيعي أن القتال غير وارد بعد آخر معركة بين الله والشيطان، فالمحاربون لاوظيفة لهم إلا التسبيح. لكن التسبيح وظيفة لكل الطوباويين في كل المدارات. إذن لابد من «حركة» يقوم بها جند الله لإبراز هويتهم، كما أبرزت الحلقتان السابقتان هويتهما بالجدال والنقاش (فلسفة ـ لاهوت)، ومن هنا جاءت رؤيا دانتي، فقد تشكل

https://jadidpdf.com

من هؤلاء الجند صليب متساوي الأضلاع (الصليب اليوناني، مما يدل على عمق النزعة اليونانية في دانتي) وراح الطوباويون يطيرون من ضلع إلى آخر بسرعة مذهلة، فإذا التقى واحد بآخر ازداد توهجاً. وبهذه الحركة يدللون على هويتهم بأنهم شهداء قتلوا في سبيل المسيح والصليب.

الملاحظات:

10 ـ ثمة حاجة أخرى: هي معرفة قيامة الجسد.

27 ـ المطر الأبدي: من النور.

35 ـ صوتاً: صوت سليمان.

36 ـ همس الملاك: البشارة.

86 ـ النجمة الحمراء: المريخ رمز الحرب.

87 ـ غير التي نعرف: أي ليس لونها أحمر.

96 ـ هيليوس: الكلمة معناها «الشمس» وكان يجب أن يقول «الله» بدلاً منها انسجاماً مع الصورة التي يقدمها عن جند الله المسيحيين، لكنه ينادي الشمس، أي أبولو، الإله اليوناني المسؤول عن الفنون البشرية. وقد أورد هذه الكلمة كأنها زلة لسان، لكن من يعرف نزعته اليونانية يدرك لماذا استغاث بأبولو.

109 ـ تلك الشجرة: الصليب.

112 ـ يستغل دانتي صورة شائعة استغلالاً فنياً، وهي صورة النور الذي يلقي ظله من كوة أو نافذة، ويكون منحرفاً لأنه لايمكن أن يسقط من السقف. ولو تأملنا الذرات الدقيقة التي فيه لشاهدنا عالماً عجيباً يوحي بكثير من الفنون.

118 ـ الهارْب: آلة موسيقية قديمة.

131 ـ تينكَ العينين: يقصد عيني بياتريس.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس عشر

المدار الخامس: المريخ جند الله

كاشياغيدا

الحكاية: يتوقف جند الله على الصليب، وعن الغناء ويشجعون دانتي على الحديث، ويهبط أحدهم إلى قدم الصليب مثل نجمة منطلقة، مبتهجاً لرؤية دانتي، فيعرف أنه جده الأكبر كاشياغيدا. ويتحدث الجد الأكبر لدانتي عن فلورنسا القديمة وكيف سار خلف كونراد مع الصليبيين، وصار فارساً وقُتل في إحدى المعارك، فانتقل من الشهادة إلى المعركة.

1 إرادة الخير التي بواسطتها لايمكن
للمحبة إلا أن تكون صحيحة (كما نجد
المحبةَ الذاتية مصدرَ كل شر)

4 أوقفتِ الهاربْ المترنمة بعذوبة، وأسكتت
الكمان المبارك، الذي على أوتاره الكثيرة
عرفَتْ يدُ السماء إرادتها المقدسة.

7 كيف لايهتم هؤلاء الكائنات بالصلاة العادلة
في حين أنهم تشجيعاً لي حتى أُفصح عن رغبتي

https://jadidpdf.com

أوقفوا في وقت واحد كل شيء وترقبوا هناك؟

10 كثيراً سوف يتألمون في عذاب أبدي
أولئك الذين يتمسكون بحبهم للأشياء
العابرة بدلاً من الأمل في حبّ أبدي.

13 ومثلما عبرْ السماء في ليلٍ ساجٍ
تظهر فجأة نارٌ من وقت لوقت،
فتجذبِ العينين إلى منظرها، كما لو

16 أنهما يتابعان نجماً يغيّر موقعه
(بيد أنه لانجمَ يتحرك من المكان الذي وُضِعَ فيه،
إذ يلمع قليلاً، ولكنه حالاً يخبو)

19 هكذا عبرَ الهواء مذنّبٌ من
الذراع الأيمن للصليب حتى قدمهِ
كأنه نجمة هبطت من مجرّتها هناك.

22 الجوهرة لم تترك تاجها، كالنار
خلف ستار مرمري، بل قطعتِ
الصفوف المتألقة، وظلت واحدة منهم.

25 وهكذا تماماً فعل العجوز أنخيس
(إذا صدقنا ما نقله إلينا فرجيل)
فذهب إلى تحية إنياس في الإليزيوم.

28 «أنت يا من انحدرتَ من دمي، إن
النعمة الإلهية حبَتْكَ بغير حساب

https://jadidpdf.com

فلمن تفتح بوابة السماء مرتين كما تفتح لك؟».

31 هكذا تكلم المتألّق عندما حدّقتُ فيه.
ثم التفتت عيناي إلى سيدتي المباركة
وبين هاتين الروحين وقفتُ مأخوذاً،

34 لأن في عينيها توهجت نار الحب
فاعتقدت أن نظرتي لامست
أعماقَ نعمتي وفردوسي معاً.

37 ثم أضاف الروحُ إلى كلماته
الافتتاحية والبركةُ تشع صوتاً ومرأى
كلماتٍ أخرى لم أفهمها. هل كانت عميقة جداً؟

40 كلماته لم تتضحْ في عقلي، ولكن
ليس بقصده، فأفكاره بلغت
ذروةً فوق مستوى البشر.

43 ولكن عندما قوْسُ محبته الملتهبة
طامَنَ قليلاً من زخمه صارت
كلماته في مستوى فهم عقولنا.

46 كانت هذه هي الكلمات التي فهمتها:
«مباركٌ أنت أيها الثلاثة في الواحد
لأنك أريتني حبيباً لي من صلبي».

49 وتابع: «إن رؤيتكَ تهدئ
روعاً طويلاً نما داخل هذا المصباح

https://jadidpdf.com

الذي أتحدث منه، وأنا أتابع

52 صفحات الكتاب العظيم حيث لن يتغير
لا الأبيضُ ولا الأسودُ فيه. والشكر لهذه
الروح التي وهبكَ حبُّها جناحين تطير بهما.

55 تظن أن ما تفكر فيه يأتيني من
العقل الأول، كما تأتي الخمسةُ
والستة من الواحد، إن كنا نفهم ذلك.

58 ولهذا السبب فإنك لاتبحث
عمن أكون، ولا لماذا أنا مبتهج
أكثرَ من بقية الأرواح في هذا الكورس.

61 أنت على حق: لأنه هنا في الفردوس
يحدِّق الأصغر والأكبر في تلك المرآة
التي تصعد إليها أفكارك قبل أن تتبينها أنت.

64 لكن المحبةَ الإلهية التي فيها أرنو
إلى الرؤيا البدئية، والتي تجعلني في
ظمأ عذب، سرعان ما ترتوي منه أنت،

67 تجعل صوتك واثقاً صريحاً عالياً
يصدر عن إرادتك، عن رغبة نفسك
التي قُدّر لي أن أرد عليها».

70 التفتُّ إلى بياتريس، وإذْ أتريث
باحثاً عن الكلمات، سمعتني وابتسمت بفرح

https://jadidpdf.com

مانحةً إرادتي جناحين من غبطة.

73 ثم بدأت: «عندما المتعادل الأول
يشرق فيك فإن الحب والعقل
يصبحان فيك متساويين،

76 لأن الشمس التي أدفأتكَ وأنارتكَ
تشتمل على الحرارة والنور بالتساوي
حتى لو بحثنا عن التماثلات لما وجدناها.

79 لكن عند الفانين لايوجد تعادلٌ بين
جناحي العقل والعاطفة، لأسباب
أنت تعرفها ـ فالريش لم يوزع بالتساوي.

82 فأنا ـ البشريُّ الفاني ـ في اضطراب
القوى غير المتعادلة، أقدم بالقلب
وحده الشكر لتحيتك الأبوية لي:

85 لذلك إليكَ أضرع أيها الشعلة المقدسة،
وأيها الجوهرة الكريمة في هذا التاج
بأن تسكت جوعي لمعرفة اسمك».

88 «يا ورقة من غصني، إن مجرد انتظار
قدومك كان يملأني بهجة. أنا أرومتك».
هكذا كانت كلماته الأولى عن ضراعتي.

91 ثم استأنف: «إن اسمَ الأسرة الذي تتخذه
أنت الآن (الذي طافت نفسه حول الجبل قرناً

https://jadidpdf.com

وأكثر من قرن) هو اسم الشخص

94 الذي كان والدَ جدك، والذي
هو ابني. وقد فعلت حسناً بأعمالك الطيبة
لتقصير كفاحه وتحريره من صخرته.

97 فلورنسا، داخل أسوارها القديمة الآمنة التي
مازالت تُسمع منها دقات صلاة الصباح والعصر
عاشت في سلام، وكان أبناؤها ودعاء أنقياء.

100 لاسلاسل ذهبية ولاتيجان مزركشة تثقل روحها
ولانساءً بالأحذية ذات الكعب العالي ولاالزنانير المزخرفة
ترفعُ جدارة من تلبسها أو ترتديها.

103 فالأب في تلك الأيام لم يكن يخاف إذا
وُلدَتْ له ابنة، لأن الزواج والمَهْرَ
لم يكونا يتعديان حدودَ أي جانب.

106 لم تكن فيها بيوتٌ غير مأهولة
لم يكن ساردانا بالوس قد وصل
ليعلمهم ما يجري في القاعة فوق السرير.

109 مونت ماريو لم يكن قد تفوق في
الارتفاع والسمو على يوشيلاتو
الذي سوف يتفوق عليه في الانخفاض.

112 بلنسيون برتي، الذي كنت تعرَّفت
به، يمشي بزنار من جلد وعظم وزوجته

https://jadidpdf.com

الفاضلةُ تتراجع عن المرآة من دون تزويق.

115 ولقد شاهدتُ لوردات فيكو ونيرلي
راضين بلبس الجلد البسيط، وزوجاتهم
يمضينَ أوقاتهن بعملهن في الغزل.

118 كن محظوظات، وظروفهن مناسبة،
فكل واحدة تعرف مكان دفنها،
ولم يكن زوجها يهجر فراشها بسبب فرنسا.

121 واحدتُهن تراقب المهدَ وتلاعبُ وتهدهدُ
ابنها مستخدمةً كلماتٍ جميلةً عذبةً
هي أول ما تعلّمها الأبوان من قبل

124 والأخرى تغزلُ في بيتها المتواضع
وتسردُ الحكاياتِ القديمةَ لأبنائها الملتفّين
حولها، عن طروادة وفيسولي وروما.

127 إن كورنيليا أو سنسيتاتوس ستُدهِش
الفلورنسي الحديث، مثلما تندهش سيانفيلا
أو لابو من الفلورنسيين القدماء.

130 إلى مثل هذه الحياة المدنية الهادئة
الجميلة التي تحميها الروابط الأسرية
البريئة من كل خطيئةٍ ومشاقّ،

133 وهبتني مريم ـ صاحت وهي في المخاض ـ
وفي معموديتكم أصبحت مسيحياً

https://jadidpdf.com

ودعيت كاشياغيدا هناك في الأرض.

136 مورونتو وأليزيو كانا أخوي،
زوجتي أصلها من وادي البو،
واسم الأسرة الذي تحمله الآن هو منها.

139 خدمتُ مع كونراد في الأرض المقدسة
وقد أُعجبَ بي هذا الباسلُ فرسمني
فارساً وصرت من خاصته النبيلة.

142 ومعه امتشقتُ سيفي ضد سطوة
شريعة الشر التي انتزعَ أنصارها منك
ـ بسبب خطيئة رعاتك ـ ما هو حقٌّ لك.

145 وهناك خلّصني العربُ المُعادون
من هذا العالم الفاسد الذي أغرت
تفاهته كثيراً من النفوس،

148 فغادرتُ جسدي، وانتقلتُ من الشهادة
إلى هذا السلام الذي أنا فيه.

الملاحظات:

4 ـ الهارب والكمان: لم يقل دانتي لا الهارب ولا الكمان، بل قال القيثارة، لكن تمشيا مع النشيد 14: 118 كررنا ما قاله هناك من دون أي إخلال.

26 ـ ما نقله إلينا فرجيل: دانتي لم يذكر اسم فرجيل، بل قال مانقله إلينا MUSE إشارة إلى فرجيل، فذكرنا اسم فرجيل مباشرة.

30 ـ تفتح بوابة السماء مرتين: الآن حيث أن دانتي حي، وفيما بعد سوف تفتح له عندما يموت.

52 ـ الكتاب العظيم: كتاب القدر.

https://jadidpdf.com

53 ـ لن يتغير الأبيض والأسود: لايتغير في كتاب القدر.

54 ـ الروح: بياتريس.

73 ـ المتعادل الأول: الله، ففيه كل المزايا متساوية كتساوي النور والحرارة في الشمس.

91 ـ اسم الأسرة: أليجييري.

97 ـ أسوارها القديمة الآمنة: هي الأسوار الرومانية الأصلية، وكانت تحصنها جيداً.

105 ـ لم يكونا يتعديان حدود أي جانب: لكل فتاة مهر وبحسب مهرها تُزوج، لذلك كانت تزف صغيرة جداً. لكن في أيام الجد الأكبر لاسن الفتاة كان صغيراً، ولا المهر كان غالياً. والخوف من إنجاب البنات سببه المهر.

107 ـ ساردانا بالوس: ملك آشور 667 ـ 626 ق.م اشتهر بالقصف والفسق والتبذل مع الحريم.

108 ـ في القاعة فوق السرير: في الغرفة المغلقة.

109 ـ مونت ماريو: هضبة أو جبل يشرف على روما.

110 ـ يوشيلاتو: هضبة تطل على فلورنسا.

112 ـ بلنسيون برتي: نبيل من فلورنسا، والد غولدرادا (الجحيم 16: 38).

113 ـ جلد وعظم: جلد والبكلة من العظم.

115 ـ فكيو ونيرلي: لوردات أيام الجد الأكبر.

120 ـ بسبب فرنسا: كان الزوج يذهب إلى فرنسا للتجارة فيغرق في مباذلها وتطول غيبته. وقد تعلم الأزواج من فرنسا كيف يهجرون الزوجة وإن لم يأتوا إلى فرنسا.

122 ـ كلمات جميلة عذبة: كلمات الطفل.

127 ـ كورنيليا: ابنة سيبيون أفريكانوس. سنسيناتوس: انظر نشيد 6 : 46 ـ 68. سيانغيلا: امرأة فلورنسية تزوجت اللورد إيمولا، سليطة اللسان سهلة الفراش. لابو: شاعر ومحام فلورنسي عاش حياة متبذلة. والدهشة بسبب اختلاف العادات والظروف والأخلاق.

136 ـ مورونتو وأليزيو: لامعلومات إلا ماجاء بها دانتي.

139 ـ كونراد: هو الإمبراطور كونراد الثالث. حكمه من 1137 ـ 1152 ذهب مع الصليبيين إلى الأرض المقدسة، لكن لم يزر فلورنسا. أما كونراد الثاني (1024 ـ 1039) فيعرف فلورنسا جيداً، وهو الذي حارب العرب وكالابرا.

143 ـ شريعة الشر: يهاجم دانتي الإسلام باعتباره انشقاقاً في المسيحية ويعكس لنا نظرة الأوروبيين في ذلك الوقت.

148 ـ من الشهادة إلى هذا السلام: يعكس دانتي هنا معتقد الوحدانية المسيحية في أن الشهيد الذي يحارب في سبيل الله يصعد إلى الجنّة مباشرة.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس عشر

المدار الخامس: المريخ جند الله: كاشياغيدا

الحكاية: يفرح دانتي لدى سماعه أن جده رقّي إلى مرتبة فارس، ويشعر بكبرياء الأجداد حتى في السماء، وعندها يحاط جده بكل مهابة، فيقول «أنتم» بدلاً من «أنت» مما جعل بياتريس تبتسم. واستجابة لرغبة دانتي يعرض جده الأكبر كاشياغيدا لوحة مفصلة للحياة في فلورنسا في القرن الثاني عشر، ويحدثه عن أصله ومولده، وعن العائلات الفلورنسية العريقة في أيامه، والتي ارتقت أو انحطت في أيام دانتي. ويمتعض من التطورات التي طرأت على حياة فلورنسا، وخاصة اختلاط دمائها وعاداتها بعد وفود العائلات الريفيّة إليها، ففسدت وتلوثت، ويلقي باللائمة على الحزازة بين آل أميدي وآل بوندلمونتي: لأنها أصل الحرب المدنية في فلورنسا، إذ بعد الحرب أخذت الأمور تتهاوى والأحوال تتدهور.

1 يا كبرياءنا الضئيلةَ في الدم النبيل
إن كنتِ شحنتِ قلوب الناس اعتزازاً
في الأرض حيث النفوسُ مريضة لاخيرَ فيها

4 فلن أُدهش ولن أعجب، إذ أنني في السماء
حيث لاوجودَ لأي ميل إلى الشر
ونفسي بك قد ابتهجت أيضاً.

https://jadidpdf.com

7 ما أنتِ إلا رداء يتهلهل ويبلى ويتمزق،
ومقصُّ الزمن سوف لايُبقي منه شيئاً
إلا إذا أضفنا ثياباً جديدة يوماً بعد يوم.

10 تابعتُ الحديث ووجهتُ إليه الخطاب بكلمة «أنتم»
التي كان الرومان أول من استخدمها ـ
والتي قلَّ استخدامها عند أحفادهم ـ

13 فلما سمعتها سيدتي، وكانت غير بعيدة
ابتسمت وبدت لي مثل من سعلت
عندما رأت أول غلطة من جنيفيير.

16 بدأت أجيبُ: «أنت والدي،
أنت منحتني الثقة لكي أتحدث بجرأة.
لقد رفعتني حتى صرت أعلى مما أنا فيه.

19 تياراتٌ كثيرة من دفقة السعادة
غمَرتْ عقلي، حتى صار يبتهج بنفسه
لكونه قادراً على التحمل، ولاينوء بالسعادة.

22 فيا ينبوعَ الدمِ الساري في عروقي، أخبرني
من هم أجدادكَ؟ وأين ولدتَ أنت؟
وما تاريخُ صباك الذي قضيته في فلورنسا؟

25 أخبرني عن حظائر خراف القديس يوحنا اليوم
كم من الأنفس كان يضمُّ ذلك القطيع
وكم واحداً منهم يستحق مكانةً مرموقة؟».

https://jadidpdf.com

28 كالفحم المشتعل ينفخ فيه الهواء
فيندلع اللهب، كذلك رأيت النور
يزداد اشراقاً عندما سمع رجائي.

31 ومثلما توهّجتْ أشعة نوره
كذلك صوته ازداد عذوبة وحيوية
ـ وإن لم يكن بالمعنى الذي نعرفه ـ

34 قال: «منذ بشارة مريم وحتى
اليوم الذي أمي ـ وهي الآن قديسةٌ ـ
حبلَتْ بي ووضعت حَمْلها،

37 عادت هذه الشعلة ومرت في برج
الأسد، عابرة تحت مخالبه
خمسمئة وثمانين مرة.

40 ولدْتُ أنا وأجدادي في المكان
الذي في آخر ساحاته يبدأ
المشتركون في المباراة السنوية سباقَهم.

43 أما عن آبائي فكن مطمئناً لما سمعْتَ
أما من هم ومتى قدموا إلى فلورنسا
فالصمتُ أفضل من التفوّه ببنت شفة.

46 أما الناس الذين كانوا تحت السلاح فمعدودون
ما بين تمثال مارس وتمثال المعمدان،
ويبلغون خُمس الناس الأحياء.

https://jadidpdf.com

49 لكن المواطنين كانوا أنقياء الدم عندئذ،
حتى أصغرِ شغّيلٍ منهم، فلم يكونوا
قد اختلطوا بدماء كامبي وسرتالدو وفيفني.

52 كم كان من الأفضل أن تبقوا جيراناً
لأولئك الذين أتحدث عنهم، وأن تكون
حدودُكم ثابتة عند ترسيبانو وغانوزو،

55 لا أن تمتصوهم لتتحملوا بذاءة
فلاح الأغوغلين، وريفي سيينا
اللذين ماتزال عيونهما تبحث عن الغشّ والخديعة.

58 لو أن تلك الفئةَ ـ وهم أحطُّ الناس ـ
لم يعامِلوا قيصرَ كزوجة أب،
بل كأمٍ حنون، فإن من يُسمى

61 فلورنسي، والذي يتاجر بالبضائع والديون
كان سيرجع إلى سيميغونتي حيث كان
أجدادُهُ غجراً يستجدون في الشوارع.

64 ولكانت مونت مورلو ملكاً لكونتاتها
وكانت شيركي في أبرشية أكوني،
وكان البوندلمونتيون في فالديغريفي.

67 من المعروف دائماً أن امتزاج الدماء
مصدرُ شرٍّ للدول ـ المدن، مثلما
أن الطعام الكثير شرٌّ لأبداننا،

https://jadidpdf.com

70 ومثلما أن الثورَ الأعمى يسقط ويقع
قبل الحَمَلِ الأعمى، ومثلما أن السيف الواحد
يقطع أكثر من خمسة السيوف معاً، كما تدل الحرب.

73 فإن فكّرتَ في ليوني وأوربيساغليا،
وكيف عفا عليهما الزمن وكيف بعدهما
تُختصر الآن كيوزي وسينيغاغليا،

76 لما صعبَ عليك أن تفهم، أو كان
غريباً عليك أن تسمعَ أن العائلات تنهار،
بل حتى المدنُ سوف تسعى إلى نهايتها.

79 كل مؤسسات البشرية، من أي نوع كانت
سوف تموت، مهما طال بقاؤها،
لكن ذلك يخفى عليكم لِقصَر حياتكم.

82 كما أن استدارة المدار القمري تقوم
بالجذر والمد على الشاطئ بلا توقف
كذلك يتغيّر حظُّ فلورنسا عاماً فعاماً.

85 لذلك ليس من الغريب أبداً أن
تسمعني أتحدث عن الفلورنسيين الطيبين
الذين لايطالُ التغير شهرتهم.

88 فأنا أعرف الأوغي والكاتليني وسلالة
الفرتستي والفيليبي والأرنامي والألبريكي -
فهؤلاء مواطنون مشهورون وإن انحطوا.

https://jadidpdf.com

91 وأعرف آل سانيلا وأولئك آل باو
والسولدانيريين والإنريفيين والبوستيكيين
فقد كانوا عظماءَ بقدْرِ ما كانوا قدماء.

94 وليس بعيداً عن الباب الذي يحمل الآن
ثقلاً عظيماً من الظلم، وسوف يحطّم
عاجلاً سفينة دولتكم،

97 التي عاش فيها يوماً ما الرافيغنانيون الذين
منهم انحدر الكونت غيدوغويرا والآخر
الذي يحمل اسم بلنشيوني النبيل.

100 كان آل بريسا مشهورين ويعرفون
تماماً كيف يحكمون وغاليفايو غطّس
بالذهب قبضةَ السيف ورمانته.

103 عظيمةٌ كانت بلاد الفراء، من السكنيين
والغيوكيين والغيفانتيين والباروكيين
والغاليين، وأولئك الذين يخجلون اليوم من المكيال.

106 إن الأصلَ ذا الفروع الكثيرة انحدر منه
كالفوشي وصار عظيماً، وإلى المناصب
الرفيعة وصل آل سيزي وأرغوشي.

109 كم كان عظيماً البيت الذي حطمته كبرياؤه
وكم كانت تلمع كراتُ الذهب
في كل عمل عظيم لفلورنسا في احتفالاتها.

https://jadidpdf.com

112 وهكذا تألق آباء تلك العُصبةِ التي
نراها في قصر المطران، ما إن يشغر
مقعدٌ حتى يتهافتون على الجلوس فيه.

115 والسلالة الشائنة ـ التي تصير
أسداً على من فرَّ أمامها، وحَمَلاً أمام
من جابهها أو حاربها أو رشاها ـ

118 كان شأنها قد علا، وإن ظلَّت وضيعةً
حتى أن دوناتو لم يكن مسروراً عندما
جعله حموه واحداً منهم.

121 عندئذ كان كابونساكي قد نزل من
فيسولي إلى السوق، ووطَّد آل أنفانغاتي
وغيودي سمعتهم كمتمدنين صالحين.

124 وإليكَ هذه الحقيقة المدهشة، وقلَّ من يعرفها:
في القديم كانت بوابةٌ في السور الداخلي
مخصصةً للبيريين، الذين لاخبر لهم الآن.

127 إن كل أولئك الذين يحملون شعار
نبالة البارون العظيم الذي اسمه وشهرته
يتجددان دائماً في عيد القديس توما،

130 رُسِّموا فرساناً على يديه ونالوا الشرف
مع أن ذاك الذي وشّح ذراعيه
بشناشيل الذهب صار يُعد من الجماهير.

https://jadidpdf.com

133 وكان آل غواليتروتي دامبرتوني مشهورين
وكانت بورغو ماتزال حتى الآن مكاناً آمناً
لو لم يستضيفوا من مونتبون جيراناً جدداً.

136 إن السلالةَ التي أورثتكم ألمكم وكفاحكم
والغضبُ العادل الذي حطمكم
ووضع خاتمةً لحياتكم السعيدة،

139 كانت سلالة شريفة، وكذلك خلفاؤها.
فيا بوندلمونتي أيّ سوء فعلت حين رفضتَ
الزواج منهم، وجعلت الرابطة مع غيرهم.

142 إن الكثيرين كانوا سعداء، وهم حزانى الآن،
لو أن الربّ رأى من الأنسب لمياه إيما
أن تبتلعك منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه المدينة.

145 لكن ذلك كان الأنسبَ للصخرة المصدوعة
التي تحرس الجسر، إذا كانت فلورنسا ستقدم
الضحية في آخر يوم من أيام سلمها.

148 مع مثل هؤلاء وآخرين رأيتُ فلورنسا
في سنوات حياتي الأولى تعيشُ وتزدهرُ بسلام
كان في حوزتها، ولم يكن سبباً لأن تذرف الدموع

151 مع هؤلاء الذين رأيتهم في ماضي حياتي
جريئين وعادلين، ويتمسكون بالأحكام الصحيحة.
فما كان لزهرة الزنبق أن تنزل عن السارية

https://jadidpdf.com

الملاحظات:

1 ـ الدم النبيل: الافتخار بالولادة والسلالة.

25 ـ حظائر خراف: فلورنسا أو القديس يوحنا شفيعها.

37 ـ هذه الشعلة: مارس (المريخ).

42 ـ المباراة السنوية: كانت تجري في فلورنسا سنوياً في 24 حزيران في عيد القديس يوحنا.

58 ـ تلك الفئة: رجال الإكليروس: وقيصر هنا رمز للحكومة المدنية.

62 ـ سيميغونتي: قلعة ومدينة في فاليسا، حاصرتها فلورنسا 1202.

64 ـ مونت مورلو: قلعة بين بستويا وبراتا. كانت من قبل تتبع الكونت غيدي (انظر الجحيم 30: 76 ـ 77) ولما عجز الكونتات عن حمايتها من البستونيين باعوها لفلورنسا.

66 ـ فالديغريفي: جنوب فلورنسا.

67 ـ امتزاج الدماء: الزواج من الأغراب الوافدين إلى الدولة ـ المدينة.

91 ـ نضرب صفحاً عن التعريف ببقية العائلات والأسماء لعدم جدواها للقارئ.

143 ـ إيما: نهر على الحدود.

145 ـ الصخرة المصدوعة: تمثال لمارس على الجسر، كسره أنصار الوحدانية المسيحية إبان حماستهم، ونصّبوا شفيع بلدتهم القديس يوحنا.

153 ـ زهر الزنبق: الزنبقة البيضاء على القطعة الحمراء شعار الجولف، لكنهم غيروا ذلك وجعلوا الوردة على القطعة البيضاء، بينما ظل الجيبليون على الشعار القديم. والشقاق الكبير جعل الجولف يغيرون الشعار لذلك قال دانتي: «ماكان الشقاق ليصطبغ بالأحمر» أي لمّا انقلبت الوردة البيضاء إلى حمراء، أي لمّا حدث الشقاق.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع عشر

المدار الخامس: المريخ جند الله

كاشياغيدا

الحكاية: عرفت بياتريس وكاشياغيدا ما يدور في ذهن دانتي من أسئلة، فحثته على الكلام، إذ يجب أن يتدرّب على الخطاب السماوي ليكون أقدر على الكلام مع الناس عندما يعود إلى الأرض. وبتحريض من بياتريس يسأل دانتي جده الأكبر عن المستقبل المظلم الذي ينتظره. ويفصّل له جده الظلم الذي سيلحق به على يد الفلورنسيين، ولكنه يحذره بألّا يكون شديد العداء، مؤكداً له أنه ما أن تظهر الكوميديا حتى يصبح مشهوراً، وحتى يشعر الفلورنسيون بالخجل مما فعلوه معه، وسيظل العار يلاحقهم حتى العصور القادمة. ويقدم له النصيحة حول موضوع شعره وكيف يجب أن تكون الكوميديا.

1 كمن هُرع إلى كليميني ليعرف
حقيقة مايقال عنه، وكمن
يجعل الآباء حذرين في تلبية نزوات الأبناء ـ

4 هكذا أنا وهكذا أيضاً نظرتُ إلى
بياتريس، وكذلك المصباح المقدس
الذي كان قد غيَّرَ مكانه من أجلي.

https://jadidpdf.com

7 لذلك قالت سيدتي: «تكلّمْ واتركْ
نار رغبتك المُحرقة تخرج
ممهورة تماماً بطابع أمنيتك،

10 لا لتزداد علماً بما تقوله، بل
لتتعلم الحديث عن عطشك بشكل أفضل
فيروي التكلّمُ إلى الناس غليلك».

13 «يا أرومةَ وجودي الغالية، لقد ارتفعت
عالياً، وكما يفهم الناس أن المثلث
يمكن أن يشتمل على زاوية منفرجة واحدة فقط،

16 تفهم أنت الأشياءَ الطارئة قبل أن
تجد هي كينونتها الأساسية، لأنك ترى
أن بؤرة الزمن هي الزمنُ القائم في عقل الله.

19 عندما كنت مع فرجيل، هناك في الأسفل،
أتسلق الجبل الذي يبرّئ النفس
وأغوص في عالم الموتى وعذابه.

22 كلمات مظلمة عن عالم مظلم قيلت
لي، وإن كانت نفسي جبليةً
عنيدة ضد ضربات الحظ:

25 لذلك لديّ رغبةٌ أكيدة
في أن أعرف سوء الحظ القادم
لأن السهم الذي نراه، قد نتجنب نصفَ قوّته».

https://jadidpdf.com

28 تلك كانت كلمات جوابي، وجّهتُها
إلى النور الذي تحدث من قبل، وحملت
ـ كما رغبت بياتريس ـ رغبتي الخاصة.

31 ليس بكلمات التنبؤات المظلمة كتلك التي
تُقدَّم للحمقى الذين يشبهون عصافير الدبق
قبل أن يمحو حملُ الله خطيئتنا التي أرهقتنا،

34 بل بكلمات واضحة وبأسلوب دقيق
من الفكر المنظم، أجاب الجَدُّ الحبيب
وهو يتخفى ويداري ابتسامته:

37 «الأشياء الطارئة التي يبدو عملها محدوداً
بصفحات قليلة لعالم المادة،
مرسومةٌ بعمق في العقل الأبدي،

40 ولكنها لاترى ضرورتها
لكونها مرسومة، أكثر مما ترى حركةَ
سفينةٍ تتهادى في النهر، عينُ متتبعٍ لها.

43 ومثلما نغمة اللحن تضرب الأذن
كذلك، من العقل الأول، تلقت
عيناي رؤيا مستقبلك القريب.

46 مثلما ترك هيبوليت أثينا لشائعة
مزدوجةِ المعنى أطلقتها زوجة أبيه، كذلك أنت
ستترك فلورنسا، وأصدقاءك وبيتك.

https://jadidpdf.com

49 هذا ما تقرَّر، وهذا ما سينكشف لك
وسوف يتحقق عاجلاً على يد من يتآمر
هناك حيث يُباع المسيح ويُشرى كل يوم.

52 وصرخة الجماهير توقِّع اللوم عليك، كالعادة
من الحزب المعتدي، بيد أن حقيقة الانتقام
سوف تُظهر من كان على حق.

55 وكل ما هو عزيز عليك، وتتمسك به،
سوف تتركه خلف ظهرك، وهذا
هو السهمُ الأول الذي يطلقه نفْيك.

58 وسوف تتعلم كيف أن ملحَ الآخرين مريرٌ
وخبزَهم حجارةٌ، وكم سيكون قاسياً
الطريقُ الذي تصعد وتهبط فيه لأنه ليس طريقك.

61 وما سينوءُ به كتفاك كثيراً
هو تلك الصحبةُ الغبيةُ الحمقاء
التي تلقي بك على الشاطئ المقفر.

64 بكل قسوةٍ وجحودٍ وجنونٍ في القلب
والرأس سوف يقفون ضدك، ولكن بعد
ذلك هُمْ، وليس أنت، من يحمرُّ وجهه خجلاً.

67 وحشيتُهم سوف تنفضح بما يقومون
من أعمال، بينما شهرتُكَ سوف تعلو
لأنك تكون قد صنعتَ لنفسك حزباً.

https://jadidpdf.com

70 أول فندق وأول ملجأ تأوي إليه
هو اللومبارديّ العظيم الذي يحمل شعاره
الطائر المقدس في الأعلى، والسلّمُ تحته.

73 سوف يكرمك ويقدّر مقامك،
ففي العطاء والطلب، سيؤخّر الأول على
الثاني للآخرين، لكنه يجعل الأولُ بينكما.

76 وسوف تجد معه رجلاً آخر، وُلد من
هذه النجمة، وانطبعتْ فيه مزاياها
وسوف تكون له شهرةٌ في الحروب.

79 لم ينتبهْ إليه العالم بعد: هذه المدارات
في دورتها الأبدية فوق شبابه
لم تُدرْ بعدُ سوى تسع دورات.

82 قبل أن يقوم الغاسكوني بمكيدته الدنيئة
لخداع هنري العظيم، سيبدأ الناس
يتحدثون عن احتقاره للمال والتعب.

85 وسوف تُشتَهرُ شهامته
وتنتشرُ بين الناس وسوف
تردّدها حتى أفواهُ أعدائه.

88 فانظرْ إليه وإلى أعماله العظيمة.
إن أقدار الكثيرين ستتغير بأفعاله
وسوف يتبادل الغني والفقير حالتيهما.

https://jadidpdf.com

91 واكتبْ هذا في عقلك، ولكني أنصحك
بأن تبقى صامتاً»... وقال أشياء
عنه تدهش حتى الذين شاهدوها.

94 ثم أضاف: «يابني، تلك هي دلالاتُ
ما كنت أخبرتك. تلك هي المستقراتُ
خلف دورة من الكواكب.

97 لكن إياكَ أن تكره جيرانك: فمستقبلك
يمتد إلى أبعدَ مما تطال أيديهم،
وأبعدَ من عقاب البؤساء».

100 وعندما أوضَحَ لي ذلك الروحُ المبارك
أنه بصمته أنهى اللحمةَ الأساسية المظلمة
للخيطان التي أُفردت أمامه هناك،

103 قلتُ عندئذ، كمن لم يفهم،
ويتشوق إلى إرشاد روح ترى بدقة
وتقدر تماماً وتحب الخير كثيراً.

106 «أيها الأب، أرى الزمنَ فعلاً يهاجمني
ويضربني بمهمازه ضربةً سوف
تكون قوية على من كان متراخياً غير منتبه.

109 ومن الخير أنني حصّنتُ نفسي بالنبوءة.
فإذا فقدتُ أعزَّ مكان، وانتزعوه مني،
فلن أفقدَ كل الأمكنة بما أكتبه.

https://jadidpdf.com

112 عميقاً خضتُ في عالم التنهدات المريرة،
وعلى الجبل الذي يزهر فيه التاجُ
تسلقت بعيني سيدتي السماوية،

115 وعبر السماء من شعاع إلى شعاع
تعلمتُ الكثير، فإن رويته، فسوف
يفيد الأحياء، ويتذوقه الكثيرون،

118 فإن لم أصادق الحقيقة تماماً، فستذبل القوافي
وأخشى ألا أكون حياً لدى من سوف
يظنّ أن أيامي هذه هي عصورٌ قديمةٌ».

121 النور الذي جعل كنزي السماوي يتألّقُ،
تألّقَ أكثر فأكثر في فرحي، كما تبرق
مرآةٌ ذهبية تحت شعاع من الشمس،

124 ثم ردَّ قائلاً: «إن الضمير المتسربل
بعاره، أو بعارٍ آخر، يمكن فعلاً أن
يفكر فيما ترمي إليه كلماتك.

127 عليك أن تشجبَ كلَّ الأكاذيب،
وأن تقتربَ أشعارك إلى الرؤيا بالحقائق
الكاملة، واكشف لهم ما يخبّئون.

130 فإذا كان صوتك مريراً لدى أول
مذاقٍ في الفم، فسوف يصبح فيما بعد
غذاءً نافعاً عندما يتمّ هضمه.

https://jadidpdf.com

133 هذه الصرخة التي ترفعها ستفعل ما تفعله
الريح فتصل إلى الذرى العالية ـ
ولن يكون هذا شرفاً قليلاً، كما سوف ترى.

136 لذلك ظهرت لك هنا في هذه المدارات
وهناك على الجبل، وفي وادي الألم ـ
تلك الأرواحُ التي حقَّقت أسماؤها شهرةً واسعةً،

139 لأن مشاعر المستمع لاتسجّل أمثلةً
من الأشياء غير المشهورة، ولامكان لمثال
مختبئ في العتمة وغير معروف، ولا الناس

142 تقنع ببراهينَ وأدلةٍ غير واضحة».

الملاحظات:

1 ـ من هرع إلى كليميني: هو فيثون. سمع أن أبولو ليس أباه فهرع إلى أمه كليميني، فأكدت له، فطلب من أبيه أن يقود عربة الشمس فقادها وعجز عن ضبطها، فكادت الأرض تلتهب لولا أن رماه زيوس بصاعقته وأنقذ الأرض.

6 ـ غيّر مكانه: كان في ضلع الصليب الأعلى، فهبط إلى الضلع التحتاني.

16 ـ الأشياء الطارئة: في الفلسفة المدرسية هي الأشياء التي «يمكن أن توجد، ويمكن ألا توجد».

29 ـ إلى النور: إلى كاشياغيدا.

32 ـ عصافير الدبق: التي يجري اصطيادها عن طريق قضبان الدبق.

36 ـ ابتسامته: المقصود «فرح الروح»

46 ـ هيبوليت: اتهمته زوجة أبيه فيدرا بمغازلتها فطرده أبوه تيسيوس، فقتله إله البحر بوسيدون وهو يقود عربته. وقد تبين أنه بريء من التهمة. أما فيدرا فقد انتحرت.

50 ـ يتآمر: هو البابا بونيفانسي الثامن.

51 ـ حيث يباع المسيح ويشرى: الفاتيكان.

63 ـ الشاطئ المقفر: المنفى.

https://jadidpdf.com

69 ـ صنعت لنفسك حزباً: إشارة إلى إنسحاب دانتي من البيض والسود بعد معركة لاستر المريعة، فكأنه صنع لنفسه حزباً خاصاً، وكان ذلك عام 1304.

71 ـ اللومباردي: فرانشيسكو.

72 ـ الطائر المقدس: النسر الروماني، ويكون السلّم تحته.

76 ـ رجلاً آخر: هو غراندي. والأرجح أنه كان في السلطة أثناء كتابة الكوميديا.

81 ـ تسع دورات: تسع سنوات أرضية. وكان عمر غراندي في 1300 تسع سنوات فقط.

93 ـ عنه: عن «كان غراندي»

110 ـ أعز مكان: فلورنسا.

112 ـ عالم التنهدات: الجحيم.

113 ـ يزهر فيه التاج: التاج هو الفردوس الأرضي. والفردوس الأرضي موجود في آخر قمة جبل المطهر فكأنه تاجه.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن عشر

المدار الخامس: المريخ الشجعان: كاشياغيدا

جند الله الكبار

الصعود إلى جوبيتر (المشتري)

المدار السادس: جوبيتر الحكام العادلون والمعتدلون

رؤيا الأنوار الباهرة للنسر

الحكاية: يتأمل دانتي في نبوءة كاشياغيدا، ويلقي بنظرة إلى بياتريس فيتلاشى كل شيء إلا جمالها، وتطلب إليه أن يلتفت إلى كاشياغيدا الذي يسمي له الأرواح التي تشكل الصليب، وهم جند الله الكبار، تألقوا مثل النجوم الوضاءة على الصليب. ثم يصعد كاشياغيدا إلى مكانه الأول على ضلع الصليب الأيمن منضماً إلى الكورس المترنم. ثم يلتفت ثانية إلى بياتريس ليتأمل جمالها، فيعرف أنهما صعدا إلى المدار السادس. وينظر إلى التوهج الشاحب لجوبيتر (المشتري) بدلاً من التوهج الأحمر المارسي (المريخي) وفي البريق الفضي لجوبيتر يرى دانتي «رؤيا العدالة الأرضية» فيشاهد تنظيماً مذهلاً للأنوار التي تتلو رسالة بعد رسالة، ثم تشكل من الحرف M النسر الروماني (الإمبراطورية) وتزينه بالزنبق الفواح (فرنسا). ويطلب دانتي من أرواح العدالة الأرضية، أن تلقي سخطها على البابا الفاسد المفسد يوحنا الثاني والعشرين الذي صار صرّافاً في المعبد، وحب المال جعل خليفة بطرس وبولس ينسى بطرس وبولس.

https://jadidpdf.com

1 راحت الآن المرآةُ المقدسة تبتهج
وتتأمل أفكارها، وأنا أذوق
مرارة النبوءة وحلاوتها.

4 قالت مرشدتي إلى الرب: «وجه أفكارك
إلى المجرى الأسعد. وتذكر أنني قريبةٌ
ممن يرفع عبءَ أيّ خطيئة».

7 اتجهتُ إلى الصوت الحبيب الذي يساعدني
وارتشفتُ عيناي الحبَّ من النظر في عينيها
فوقفتُ لا أتكلم ـ لا لأني خائف

10 من أن تخونني قدرتي على الكلام، بل لأن
ذاكرتي لاتستطيع أن تتخطى ذاتَها مالم
ترشدني نعمةٌ أخرى، وتدفعني.

13 ويمكن أن أسجِّل ما شعرته في هذه الحالة:
ما أن نظرتُ فيها حتى تحرّرتْ إرادتي
من كل رغبة أخرى مهما كان نوعها،

16 لأن البَرَكَةَ الأبدية التي تهبط كلها
على بياتريس، تنعكسُ من وجهها،
وانعكاسُها يبعث المسرة في نفسي.

19 وبابتسامة متألقة غمرت نظري
ثم قالت لي: «التفتْ وأستمعْ
فلا يحلو الفردوسُ إلا في عيني وحدهما».

https://jadidpdf.com

22 الوجه ـ كما في الأرض ـ يكشف أحياناً
الرغبةَ الداخلية، إذا كانت رغبةً قويةً
لأن كل نفس رهينةٌ بما ترغب ـ

25 وهكذا، في لهب الشعاع المقدس
الذي اتجهتُ إليه قرأت الرغبة الداخلية
وعرفتُ من وجهها أن لديها ما تقوله.

28 كان الحديث كما يلي: «في الفرع الخامس
من الشجرة التي تحيا من تاجها، وتحملُ إلى الأبد
ولاتتناثر أوراقها، أريدكَ

31 أن ترى الأرواحَ المختارة التي كانت
مشهورةً في الأرض قبل أن تصعد إلى السماء
وجدارتهم تحرّكُ حتى ربة الفنون.

34 انظرْ إلى أذرع الصليب. فكما من اللهبة
تندلع اللهبة، كذلك داخل ذلك الكورس
سوف أسمّي لك كل نفس بنفس».

37 رأيت على الصليب دفقةً من النور
حالما لُفِظ اسم يشوع.
لكن الصوتَ لم يصلني قبل الصورة.

40 وإلى جانب اسم ذلك المكابي العظيم
رأيتُ آخر يدور، والشيء الذي
كان يدور في القمة هو غبطته.

https://jadidpdf.com

43 وكما يتبع الصيادون تحليقَ صقورهم
تبع اهتمامي نورين عظيمين
حالما سمعتُ اسميهما: شارلمان ورولاند.

46 ثم وليم الأورانجي ورينوار
شاهدتهما بعدهما على الصليب.
ثم الدوق الطيب غودفري وروبرت جسكارد،

49 ثم تحرك من بين هذه الأنوار نورٌ
ذاك الذي جاء إلى أسفل وجعلني
أسمعُ فنه من بين كورس السماء.

52 التفتُّ إلى يميني لأعرف من بياتريس
بالكلمة أو الإشارة، ماذا أفعل،
فرأيت عينيها تشرقان بالنعمة المباركة،

55 بكل هدوء، حتى فاقت
أي جمالٍ مألوف آخر
تجلّت فيه، حتى آخر مرة رأيتها فيها.

58 كنت كإنسان، أدركَ يوماً بعد يوم
تضاعف الفرحة بعمل الخير،
فيشعر أنه استعاد نفسه ثانية.

61 هكذا رأيتُ «المعجزة» تتخطى
معالمَ الجمال الأولى، فشعرت أنني أنحني
والسماءَ معاً في قوس كبير.

https://jadidpdf.com

64 ومثلما يحدث التغيُّر في السيدات الشقراوات
في زمن قصير عندما يزول عن
وجوههن لون الخجل الذي يجعلها متوهجةً ـ

67 هكذا بدا لعينيَّ التغيُّرُ عندما أدركت
الإشراقَ الأبيض الصافي للنجم الهادئ
ـ المدار السادس ـ الذي دخلتُ فيه.

70 داخل ذلك الوجه الفتي في الفردوس
رأيت تدفقَ الحب يشكل
أدوات الحديث أمام عيوننا.

73 وكما تنهض العصافير من السهل النضّاحِ بالماء
وكأنها تبتهج بما تصيب من غذاء، أحياناً
على شكل عُنقود، وأحياناً على شكل خصلة طويلة،

76 كذلك هناك داخل أردية من النور المتوهج
حلّقت الكائنات المباركة وغنّتْ واجتمعت
وشكلت أمامي D ثم I ثم L.

79 غنّوا أولاً ثم عادوا ثانية إلى أغنيتهم
ثم شكّلوا أنفسهم على هيئة حرف،
ثم توقّفوا عن الغناء والطيران في وقت قصير.

82 أيتها البيجاسيةُ المقدسة، يا من تَهَبين
قوة العبقرية، وتجعلينها تدوم أكثر،
فتصنعُ بمؤازرتك، المدنَ والدولَ ـ

https://jadidpdf.com

85 اشحنيني من نورك، فكلما أضاء
أرى صورتهم، كما أرى الضوءَ نفسه،
ولتظهرْ قوةَ فنونك في الأبيات التالية:

88 في خمسة وثلاثين حرفاً صائتاً وصامتاً
أظهروا أنفسهم، وقد فهمتُ كل جزء
كما لو كانت الأضواءُ نفسها هي التي تلفظها.

91 الكلمات الأولى لتلك الرسالة التي مرّت أمامي
هي فعلٌ واسمٌ:DILIGITE IUSTITIAM
وآخِرُها:QUE IUDICATIS TERRAM

94 ثم في الكلمة الخامسة وقفوا منتظمين
على آخر حرف منها M، وجوبيتر الفضيُّ
بدا كأنه بريقٌ من الذهب حولهم.

97 ثم مزيد من الأنوار هبطت وأخذت مكانهم
على قمة الـ M وغنّوا، كما أعتقد،
ترنيمةً للخير تقرّبهم من نعمته.

100 وكما الزنادُ المحترق عندما يحرّك يُقدح
تتطاير منه شلالات من الشرر
(وقد اعتاد الحمقى أن يسموها نبوءة)

103 هكذا ارتقى أكثر من ألف نور من هذه الأنوار
بعضها إلى ذروة عليا وبعضها أقلّ،
كل روحٍ حسب المكان الذي اختارته له «الشمس».

https://jadidpdf.com

106 وحالما اتخذ كل واحد مكانه في الكورس
رأيت رأس نسر وجناحيه يبرزان
في النموذج الثابت لتلك النار.

109 إن من يرسمُ هناك لايحتاج إلى هداية مرشد
إنه هو نفسه مرشدُ. مِنْـ «ـهُ»
تنبثق المهارةُ والشكلُ الأساسي الذي يبني عشاً.

112 الشرارات الأخرى التي رضيت أن تلتفّ
على شكل زنابق ذهبيةٍ حول الـ M
تحركت الآن قليلاً فأكملتِ العلامةَ.

115 أيها النجمُ الجميل، ما أغنى تاجك
الذي جعلني أفهم أن عدالتنا
من السماء التي أنت درَّتُها.

118 لذلك أتوسلُ للعقل الذي أنشأ
قوتك وحركتك، أن يبحث عن مصدر
الدخان الذي يعكّر شعاعك،

121 إذ قد يدفعه هذا إلى الغضب ثانية
على البائعين والشارين في المعبد
الذي بُنيت جدرانه من دم الشهداء وآلامهم.

124 يا جندَ السماء، يا من أنرتُمْ
عقلي، صلُّوا من أجل أولئك الذين
ضلُّوا في الأرض واتّبعوا القدوة السيئة.

https://jadidpdf.com

127 في العصور السحيقة كانت الحرب تُشن
بالسيوف، لكنها الآن تُشن بأن يرفض هذا
الإنسان أو ذاك خيرَ الأب السماوي الذي لايرفض أبداً.

130 ولكن أنت، يا من لاتكتبَ إلا لتمحوَ ما كتبتَ،
تذكرْ أن بطرس وبولس اللذين ماتا في سبيل
الكرمة التي تقتلعها، يدافعان عن الخير الذي تفسده.

133 وفي مقدورك أن تقول: «قلبي متعلق
بصورة القديس الذي عاش وحيداً
واضّطر أن يقدّم رأسه كرة على صينية راقصة،

136 فما همي بصياد السمك، أو العجوز بولس؟».

الملاحظات:

1 ـ المرآة المقدسة: كاشياغيدا.

3 ـ مرارة: النفي. حلاوة: الشهرة الشعرية.

12 ـ نعمة أخرى: نعمة الله.

17 ـ من وجهها: يقصد من عينيها.

25 ـ الشعاع المقدس: كاشياغيدا.

34 ـ انظر إلى أذرع الصليب: كاشياغيدا.

38 ـ يشوع: خليفة موسى، قاد إسرائيل إلى أرض الميعاد.

40 ـ المكابي: يهوذا الذي خلص إسرائيل من الاضطهاد.

45 ـ شارلمان: دحر العرب من أوروبا. ومن فرسانه رولاند، ابن أخيه.

46 ـ وليم الأورانجي: بطل عدة رومانسات فرنسية وسطوية. ورينوار كان ضابطاً عند وليم.

48 ـ غودفري: قائد أول حملة صليبية وأول ملك مسيحي على أورشليم، توفي 1100م، وجسكارد قائد حربي نورماندي انضم عام 1046 مع أخوته إلى الجيش الذي يحارب العرب جنوب إيطاليا. صار دوق بوغليا وكالبريا، وتوفي 1085.

https://jadidpdf.com

61 ـ المعجزة: بياتريس.

68 ـ النجم الهادئ: في الأصل «المعتدل» كما يصف بطليموس. وقد استخدمنا كلمة «الهادئ» لتدل على أنه لايتميز بإشعاعات قوية وفاجة كالمريخ.

76 ـ L.I.D: هي الأحرف الأولى التي أخذت تتشكل من أصل 35 حرفاً. انظر الملاحظات التالية.

82 ـ البيجاسية: يقال إن ربات الفنون يشربن من الينبوع الذي فجرته سنابك بيجاسوس، الحصان المجنح. والغريب أن دانتي يستخدم الصيغة مفردة ولانعلم لذلك سبباً.

92 ـ DILIGITE IUSTITIAM: معناها: أحبّوا العدل.

93 ـ QUE IUDICATIS TERRAM: معناها: يا من تحكمون الأرض.

95 ـ جوبيتر الفضي: لونه هادئ لذلك يقال الفضي.

102 ـ يسموها نبوءة: طريقتها أن السائل يسأل كم سنة أعيش؟ يقدح الزناد ويقدم له رقماً.

102 ـ صورة النسر من حرف M وذلك على النحو المبيّن في الشكل التالي، والنسر كما هو معروف رمز الامبراطورية الرومانية.

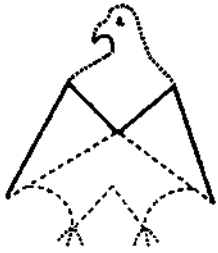

النسر الروماني

113 ـ الزنابق: فرنسا.

115 ـ النجم الجميل: جوبيتر.

122 ـ المعبد: الكنيسة.

123 ـ دم: في الأصل «معجزات» لكن بعض الترجمات جاء فيها كلمة «دماء» وقد رأينا استخدام «دم» أنسب من معجزات.

130 ـ أنت: البابا بونيفانسي الثامن.

130 ـ تكتب وتمحو: اللعب والمتاجرة بصكوك الغفران والحرمان.

134 ـ بصورة القديس: لم يقل القديس يوحنا، بل بصورة القديس، لأن صورته كانت توضع على عملة فلورنسا، فهي مربحة.

134 ـ عاش وحيداً: في الصحراء كما هو معروف، وقُدم رأس يوحنا بناء على طلب سالومي الراقصة ابنة زوجة هيرودوس، وقيل أنها وضعته على صينية ورقصت به. سبب قطع رأسه أنه كفّر هيرودوس لزواجه من زوجة أخيه.

136 ـ صياد السمك: بطرس.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع عشر

المدار السادس: جوبيتر الحكام العادلون والمعتدلون

النسر الروماني

الحكاية: الحكام العادلون يشكلون علامة نسر، ويتكلمون بصوت واحد، صوت العدالة، لكن ثمة مسألة تشغل بال دانتي وهي العدالة الإلهية. وكيف يرى في السماء وثنيين لم يروا المسيح ولم يسمعوا به.

ويجيب النسر أن العقل البشري لايمكنه أن يسبر أعماق العدالة الإلهية، فليس للإنسان أن يسأل إذا كانت أحكام الله عادلة، بل يسأل إذا كانت أحكامه موافقة لإرادته. فكل ما وافق إرادته فهو عادل، لأن إرادة الله هي الشعار الكامل للعدالة. وكل ما على الإنسان أن يعمله هو الاهتداء بالكتب المقدسة. أما الوثنيون الفضلاء فأقرب إلى المسيح من أولئك الذين باسمه يتاجرون. ثم يقوم النسر بتحذير الملوك الجائرين في أوروبا كلها.

1 أمامي انبسط الجناحان الكبيران لذلك النسر
المشرق الذي صنعت صورتَه النفوسُ المتألقة
فقدّموا شكله في انسجام عذب.

4 كل روح من هذه الأرواح ياقوتةٌ
في السماء تضربها أشعة الشمس

https://jadidpdf.com

فينعكس الضوء منها في عيني.

7 ما استُعيدَ الآن في الذاكرة
لا صوتَ به تكلم، ولاحبر عنه كتب.
ولم تدركه حتى الأوهام.

10 لأني رأيت القمة تتحرك وتعلن
عالياً بصوتها «أنا» و«لي»
بينما المقصود «نحن» و«لنا»

13 جاء الصوت: «لأني كنت في زمني عادلاً
وتقياً فقد ارتقيتُ هنا إلى المجد الذي
لايمكن لأحد أن يناله بالرغبة وحدها.

16 وتركتُ خلفي هناك في الأرض
ذكرى مشرّفة حتى للأشرار
وإن كانوا بها لايقتدون».

19 وكما أن احتراق الكثير من الفحم
يعطي حرارةً واحدة، كذلك من تلك
الصورة خرج صوتٌ واحد لنفوس كثيرة.

22 فصحتُ: «أيتها الرياحين المزهرة
للنعمة الأبدية، الذين جعلتم في إحساسي
كل شَذَاكُمْ يبدو كأنه شذى واحد.

25 نفسي في شوق لاعج: فانطقوا
بالكلمات التي تهدئها. وليس هناك

https://jadidpdf.com

في الأرض طعام يُسكت جوعها.

28 أنا أعرف أنه لو وضَعت عدالةُ الله
مرآتها في الممالك الأخرى
لكانت صورتكم هي الأصفى.

31 إنكم تعلمون كم انتظرتُ متشوقاً لأسمع الجواب.
وتعرفون ما هو الشك، ومنذ سنوات
وأنا متلهف للخلاص منه».

34 وكالصقر الذي تحرر من غطاء عينيه
فمدّ رأسه وعنقه وضربَ بجناحيه
وراح يتغندرُ ليعرض استعداده ـ

37 هكذا تحرّك الشعار الذي شكله
المسبّحون بنعمة الرب، ثم انطلقت
ترنيمةٌ يتقنها أولئك الذين يعيشون هناك.

40 وبدأ النسر يتكلم: «الواحد الذي يدير
بوصلته حول حديد العالم
وينشر المخفيَّ والمخبّأ

43 لايستطيع أن يطبع قوته
في عمله، ولكن يجب بكلمته القوية
أن تبقى في العالم نافذة.

46 وهذا ما يفسّر لك لماذا المتغطرسُ الأول
وهو أسمى الكائنات، سقط مرّاً وفجّاً،

https://jadidpdf.com

لأنه لم ينتظر أشعة الشمس المنضجة.

49 وبذا نرى أن أدنى المخلوقات
وعاءٌ صغير جداً على حمل الخير
الذي لاحدَّ له، إن نَفسه هي مقياس نفسه.

52 فأنت تعرف أن نظرنا الذي
لابد أنه الشعاعُ الوحيدُ لـ «العقل»
الذي يتخلّل كل مادة وكل كائن،

55 لايستطيع، بحكم طبيعته المحدودة، أن يكون
واضحاً، بينما ماتراه عين مؤلّفهِ يكون
أبعدَ كثيراً من الحدود التي تبدو لنا.

58 وبالتالي، ففي العدالة الأبدية،
يتلاشى الفهمُ المسموح به للبشرية
كما تتلاشى العينُ داخل البحر:

61 إنها تستطيع أن ترى القاعَ القريبَ من الشاطئ
ولكن ليس القاعَ العميق، ومع أن القاع
موجود، إلا أن عينك لاتكتشف الأعماق.

64 ليس هناك نورٌ، إلا من هالسيون الذي
يبقى هادئاً صافياً، وما تبقى ظلامٌ
في ظلام، الظل وسمّ الجسد.

67 الآن انكشف لكَ الكثيرُ من غوامض
العدالة الإلهية التي عنها سألت

https://jadidpdf.com

كثيراً من الأسئلة المريبة.

70 فقد اعتدْتَ أن تقول: «رجل وُلِدَ
قرب مياه الهندوس، وليس هناكَ
من حدّثه أو قرأ له أو كتب إليه عن المسيح.

73 إن كل ما يرغب فيه ويفعله هو خيرٌ
بقدر ما يرشدُ العقلَ الإنساني.
وهو لم يرتكب خطيئة لا قولاً ولاعملاً.

76 يموت بلا معمودية، ولايستطيع
أن ينال الإيمان المنقذ: فأيُّ عدالة تدينه؟
أتكون خطيئةٌ أنه لم يؤمن؟».

79 ولكن من أنت حتى تُنَصِّبَ نفسك قاضياً
وتحكمَ على أشياء تبعد عنك آلاف الأميال،
بينما لاتستطيعُ أن ترى الأرض أمام قدميك؟

82 إن الإنسان المتحذلق لن يجد
حداً لتساؤلاته، إن لم يلجأ
إلى الأسفار المقدسة تهدي عقله:

85 «أيتها الحيواناتُ الأرضية، أيتها العقولُ المتخشبة
إن الإرادةَ الإلهيةَ خيّرة بذاتها لذاتها
وترضي ذاتها بالخير الذي لذاتها فقط.

88 فالخير خيرٌ طالما يتفق معها
ولايوجد خيرٌ له مقاييسه الخاصة

https://jadidpdf.com

بل الخير هو ما تصنعه هي».

91 كما يدور اللقلق حول العش يطعِمُ
صغاره، وكفرخ تناول طعامه
فرفع رأسه وحملق فيه وهو في العش ـ

94 كذلك فعلتْ الصورةُ المباركة التي تدور،
فقد حركت أجنحتها لتطيِّرَ إراداتٍ كثيرةً
وكذلك أنا رفعتُ رأسي وحملقْتُ.

97 دارتْ وترنّمتْ ثم قالت: «بما أن ما عنيته
أبعد من فهمك، كذلك عدالة الله
تتخطى قوّةَ العقل البشري».

100 أمجاد الروح القدس المتوهجةُ
توقفت، وماتزال تشكل الإشارةَ التي نشرتْ
مجدَ روما عبر العالم إلى آخر شاطئ.

103 ثم عاد الصوت يقول: «إلى هذه المملكة
لم يرتفعْ أحد إلا من خلال إيمانه
بالمسيح قبل آلامه وبعدَها.

106 ولكن انظرْ كيف يصيح الكثيرون «المسيح، المسيح»
وسوف يكونون أقربَ إليه يوم القيامة
من أولئك الذين لايعرفون المسيح على الأرض.

109 مثلُ هؤلاء المسيحيين سوف يحتقرهم الأثيوبي
عندما تنقسم العصبتان إلى يمين ويسار،

https://jadidpdf.com

واحدة تُلقى بعيداً، وواحدة تُبَارَكُ إلى الأبد.

112 ماذا يقول المَجوسُ لملاكك هناك
عندما ينفتح الكتاب العظيم ويرون
كلّ أعمال السوء عاريةً؟

115 سيقرؤون في أعمال ألبرت
تلك الأعمال التي تثير القلم ليسجّلها
وبها تصبح بوهيميا صحراء.

118 ويقرؤون ألم نهر السين من
خطيئة مزيّف النقود الذي
ينتظره الموت في جلد خنزير.

121 وسوف يقرؤون الكبرياء، التي جَشعُها
يصيب السكوتلاندي والإنكليزي الأحمقَ
اللذين لايتوقفان عند حدودهما.

124 فانظرْ هناك ملوك إسبانيا وبوهيميا
وكلهم فَسَقَةٌ مستهترون
لايعرفون الشرف ولايريدونه لغيرهم.

127 وانظر هناك كسيحَ أورشليم
يضع حرف (I) على الخير الذي يعمله
ثم حرف (M) على جرائمه.

130 وانظر هناك الكلبَ الحارسَ لجزيرة النار
حيث مات العجوز أنخيس ـ قضية فظيعة

https://jadidpdf.com

لقلب جبان ورغبة جشعة.

133 ولتوضيح فظاعة قضيته
كتب تاريخه باختصار شديد
وبمساحة صغيرة من دون أحداث كثيرة.

136 فهناك الأفعالُ القذرة التي ارتكبها
عمُّه وأخوه، وكل فعلة
تجلب العارَ لعائلة عظيمة وتاج كبير.

139 وسيبدو لكل الناس هناك
ملك النرويج، وملك البرتغال وملك راشيا
الذي فقد الكثير عندما رأى ذهب البندقية.

142 يا للمجر السعيدة التي كابَدتْ من الجميع
من دون مزيد من العذاب، ويا للنرويج السعيدة
التي جعلت من ذراها سوراً لقلعتها.

145 وكل نافاريا يمكن أن تؤمنَ
بشؤم نيقوسيا وفاماغوستا
اللتين يعاني مواطنوهما من رعبٍ وحشهما

148 القاسي الذي يعرف كيف يحمل الصرّةَ من جهة
ويعول ويصيح من جهة ثانية.

الملاحظات:

1 ـ النسر: يتألف من أرواح كثيرة، ولكنه ـ وهو رمز الإمبراطورية ـ يتكلم بلسان واحد.

https://jadidpdf.com

15 ـ بالرغبة وحدها: أي لايمكن أن ينال المجد بميزته الشخصية، بل بنعمة الله. وهذه النظرية تشبه نظرية البورت رويالبين، ومنهم باسكال، الذي استفاد كثيراً من نظرية دانتي.

80 ـ آلاف الأميال: المقصود مسافة بعيدة، وليس القياس.

84 ـ هالسيون: الله.

101 ـ توقفت: لم تعد تدور.

109 ـ الأثيوبي: المقصود «الوثني» بشكل عام.

110 ـ تنقسم: يوم القيامة أهل الخير إلى اليمين وأهل الشر إلى اليسار.

113 ـ الكتاب العظيم: سجلّ الأعمال يوم القيامة.

115 ـ ألبرت: ألبرت الأول، إمبراطور من 1298 ـ 1308

118 ـ السين: رمز فرنسا.

127 ـ كسيح أورشليم: شارل الثاني المعروف بالأعرج.

140 ـ ملك النرويج: هاكون الرابع، وملك البرتغال: ديونيسيوس. وملك راشيا: أورسيوس الثاني، وأوراشيا جزء من صربيا.

142 ـ المجر: أندريو الثالث. ملك عادل حكم في عام 1300.

145 ـ نافاريا: المملكة القديمة بين جنوب فرنسا وشمال إسبانيا.

146 ـ نيقوسيا وفاماغوستا: المدينتان الرئيستان في قبرص.

147 ـ وحشهما: هنري الثاني من الأسرة الفرنسية، كان ملكاً على قبرص عام 1300. كان فاسقاً ودفع الشعب غالياً ثمن فسقه.

148 ـ يحمل الصرة ويعول ويصيح: أي يعمل بوجهين، فمن جهة يدعي أنه يسير على خطى الملوك المسيحيين، ومن جهة أخرى يمارس الفسق والفجور.

https://jadidpdf.com

النشيد العشرون

المدار السادس: جوبيتر الحكام العادلون والمعتدلون

النسر

الحكاية: يتوقف النسر عن الإنشاد فترتل الأرواح المباركة ترنيمة، ولكن ليس بصوت واحد، بل كل واحد بنغمة خاصة. وتنتهي الترنيمة فيستأنف كلامه بصوته المفرد، ويعرّف دانتي على الأرواح التي تشكل عينه وهم: داوود - تراجان - حزقيا - قسطنطين - وليم الصقلي - ريفيوس الطروادي.

يعجب دانتي لوجود تراجان وريفيوس، وكلاهما وثني. فيشرح له النسر أن ريفيوس بنعمة الرب الخاصة تحول عن طريق رؤيا المسيح قبل تجسد المسيح. أما تراجان فقد أعيد من الليمبو إلى جسده الأرضي، حيث عمده غريغوري، وبعد ذلك صعد إلى السماء.

يعود الشك إلى دانتي حول الهندوس والعدالة الإلهية، فمن يخبر: كَمْ عدد الهندوس الذين اختصتهم النعمة الإلهية؟

1 الشمس التي كل العالم منها يستمد النور
عندما تغيب عن نصف كرتنا ويتلاشى النهار
من كل أطراف الأرض، ويهبط الليل،

4 نرى السماء، التي كانت وحدها مانحةَ النور،

https://jadidpdf.com

تغيّر فجأة طريقتها، وتعودُ إلى الإشراق
بأنوار كثيرة تستمد منها ضياءها.

7 فكّرتُ في ذلك التغير الذي جرى أثناء الليل
عندما أنهى شعار العالم وقادته
كلامَهم الذي كان يتدفق من منقاره:

10 لأن كل الأنوار المشعشعة تنسكب
عليّ الآن ببريقٍ أقوى من الأول، وقد
طفِقتْ تغني تسبيحةً أعذبَ من أن تعيدها الذاكرة.

13 أيها الحبُ السماوي المكلل بالمجد الباسم
كم أنت رائع في عزفك على هذه المزامير التي
لاينفخ فيها إلا كل أصحاب الأنفاس المقدسة.

16 وعندما توقفتْ عن غنائها الملائكي،
تلك الجواهرُ الكريمة لأنقى شعاع
يتألق به مصباحُ السماء السادسة،

19 بدا لي أنني أسمع سيلاً هائجاً ينحدر
من صخرة إلى صخرة، ويهمهم في أسفل الجبل
كأنما يُظهر غزارةَ نبعه.

22 وكما يصدر الصوت من عودِ مطربٍ
ثم يعتدل في عنقه، وكما الأنفاس
تخرج من فتحاتِ مزمار حنون،

25 هكذا تماماً، ومن دون تأخير، بدا

https://jadidpdf.com

لي أن همهمةَ النَّسر أخذت تصعد
داخل عنقه، كما لو كان عنقه أجوف.

28 من هناك جاءني الصوت، ومن منقاره
خرج كأنه الكلماتُ التي ينتظرها قلبي.
ولذلك سجّلتُ في قلبي تلك الكلمات.

31 قال الشعار: «انظرْ الآن في ذلك الجزء من رأسي
الذي به تستطيع نسورُ الأرض أن تحدّق بالشمس،
ذلك الجزء الذي يُمكّنني من الرؤية.

34 من كل النيران التي رسَمتْ شكلي،
تلك الأشعةُ التي صنعت عيني في رأسي،
هي الأنفسُ الكبيرة في السرب السماوي المبارك.

37 النفسُ التي جعلت بؤبؤَ العين مشرقاً
هي نفسُ إمام المغنين للروح القدس
الذي طاف بتابوت العهد من بيت إلى بيت.

40 والآن، بما أنه أبدعَ
مزاميرَهُ، فإنه كُوفئ بالبَرَكة،
بتلك البركة يعرف كم كانت مزاميرُهُ رائعةً.

43 ومن بين الخمسة الذين يشكّلون قوس حاجبي
ذاك الذي نورُه مجدٌ أقرب إلى منقاري،
الذي عزّى الأرملة التي فقدت ابنها،

46 إنه يعرف الآن أي ثمن يدفعه الناسُ

https://jadidpdf.com

الذين لايتبعون المسيح، فهو وإن مارَسَ
الحياةَ الحلوة، فقد عرف الطريق المريرة.

49 والثاني في الترتيب على المحيط
وفي القوس الأعلى الذي أحدث عنه
أجّل موتَه عندما تاب توبة مخلصة،

52 ويعرف الآن أنه عندما تؤجّل الصلاة
الصالحة عملَ اليوم إلى الغد، فإن
المحاكمة في الآخرة لاتتغير هناك.

55 والثالث، حتى يعطيَ الراعي استقلاله
(بنوايا طيبة، وثمار رديئة)
انتقل إلى اليونان، فحمل معه القوانين، وأنا،

58 وهو يعرف الآن أن الشرَّ الذي
ابتدأ بعمله الجليل لم يؤذ نفسه
وإن دمَّر عالم الإنسان.

61 أما الذي تراه على القوس تحته
فهو وليم، من البلاد التي تندبُ
موته مثلما تندب حياة شارل وفريدريك،

64 إنه يعرف الآن كيف يحبُّ قلبُ
السماءِ الملكَ العادل فيصبح
بارزاً بالإشراق الذي يصدر عن كيانه.

67 من يصدق في العالم الأرضي هناك

https://jadidpdf.com

أن ريفيوس الطرواديَّ سيكون السادسَ
بين الأنوار المقدسة في هذا المدار؟

إنه الآن يعرف النعمةَ المقدسة، وحتى البركةَ
التي لايستطيع عقلُ العالم المسكين أن يستوعبها.
حتى عينُهُ لاتستطيع كشف تلك الهوة».

وكقبّرة تحلق في الهواء مغتبطةً
فتغني أولاً، ثم تصمت، قانعة
بالصرخة الأخيرة لنداء روحها،

هكذا بدا لي خَتْمُ المنقار الأبدي
الذي طبع هناك الإرادة الأولى
التي مهما كانت إرادتها، تصبح «ماهو كائن»

ومع أن رغبتي في المعرفة اتّضحت
مثلما تبرق الألوانُ في الزجاج الصافي،
لم أستطعْ أن أتحمّلَ الصمت هناك،

لذا زلّ لساني «كيف يمكن أن يحدث هذا؟».
مدفوعاً بالشك العميق الذي يساور نفسي.
وهنا أبرقتِ الأنوارُ بمرح جديد

وحتى لايبقيني في شكي
أجابني النسرُ المباركُ، والتمعت
عينُهُ بمزيد من التوهج البهيج.

«أرى أنك تؤمن أن هذه الأشياء صحيحةٌ

https://jadidpdf.com

لأني نطقت بها. ومع ذلك هل تعرف كيف
أنها ـ وإن كنت تؤمن ـ تخفى عليك.

91 إنك أشبه بمن يعرف اسم الشيء،
لكن ماهيتَهُ تستعصي على فهمه مالم
يشرحها له رجلٌ آخر.

94 إن الإرادة الأبدية تنحني للأمل
الفياض والحب المشرق، وبهذين وحدهما
مملكةُ السماء تحرّك نفسَها.

97 لكنها لاتنحني كما ينحني الناس لإرادة الغازي
إنها تنحني فقط لأنها تريد أن تنحني.
فإن هُزمتْ ظل خيرُها منتصراً.

100 إنك تعجب من وجود الجوهرتين الأولى
والخامسة هنا على حاجبي، وتجد أن مملكة
الملائكة وهديّةَ المسيح تزينت بهما.

103 إنهما لم يغادرا جسديهما كوثنيين
ـ كما تظن ـ بل كمسيحيين عانى أحدهما
بالقدمين المثقوبتين، والآخر سوف يعاني.

106 أحدهما نهض من الجحيم ـ حيث
لايمكن لأحدٍ فيه أن يرتفع إلى الحب ـ بجسده.
وتلك كانت مكافأة الأمل الفيّاض.

109 وبالأمل الفياض، الذي جعلت

https://jadidpdf.com

قوّةُ الحب صلواتِه لله كي يعيده إلى
الحياة ثانية، مقبولة، فتجدّدت.

112 فالنفسُ المجيدة التي صلّى من أجلها
عادت إلى الجسد الذي غادرته لتوها
مؤمنةً بالله القادر على المساعدة.

115 وبعد أن آمن، ألهبته نارُ
الحب الحقيقي، فاستحقَّ في موته
الثاني هذا المقعدَ في هذه الجوقة السعيدة.

118 الآخرُ، بتلك النعمة التي بركاتُها تتدفق
من ينبوع عميق لاأحد
يعرف مصادره بأم عينيه،

121 مَحَضَ كلَّ حبه للعدالة، هناك على الأرض
وجعله الله، بنعمة على نعمة، يرى
رؤيا عن انعتاقنا وتحررنا.

124 ذلك آمن بالمسيح، وأمضى كل أيامه
يبين فساد العقائد الوثنية السامة
ونصح المتعنتين كي يغيروا سلوكهم.

127 ومنذ أكثر من ألف سنة، قبل أن تُعرف
نعمةُ المعمودية، قامت العذارى الثلاث، اللواتي
رأيتَهُنَّ عند العجلة اليمنى للعربة، مقام المعمودية.

130 أيها المصيرُ المقدّر أي أعماق بعيدة تخفيها

https://jadidpdf.com

عن النظر الكليل العاجز عن أن يحيط
بكليّة السبب الأول، أصل شرّكَ وخيرِكَ.

133 فيا أيها الفانون تريّثوا في حكمكم، فحتى
نحن الذين ننظر إلى الله في السماء، لانعرف
كم عدد الذين سيختارهم الله لينالوا الغبطة.

136 ومن الجميل أن تنقصنا هذه المعرفةُ،
ففي هذا الخير يصبح خيرُنا نقياً
فنريد مايريده الله نفسه».

139 بهذه الكلمات قدّمَ لي الشعار المبارِك للمدار
تلك العلاجات اللطيفةَ للحب، التي
بها اتّضحَتْ رؤياي الغائمة.

142 ومثلما يجعل عازف الهارْب آلته تنسجم
وتراً وتراً انسجاماً مع المغني المجيد
فيضيفُ بهجةً إلى بهجةٍ كبيرة إلى الغناء،

145 كذلك أنا تذكّرتُ أنه كلما سُمِعت
الكلمات الفردوسية تلك، كانت الأنوار
المقدسة لتراجان وريفيوس تزداد انسجاماً،
فتنبضُ شعلتها مع كل كلمة تقال.

الملاحظات:

31 ـ ذلك الجزء: العين.

38 ـ إمام المغنين: داوود (الجحيم 58:4)

44 ـ ذاك: تراجان: انظر المطهر (10: 70 ـ 79) وملاحظة البيت 106.

https://jadidpdf.com

49 ـ حزقيا: أعلن التوبة الحقيقية وهو على فراش الموت فسمح له أن يعيش خمسين سنة أخرى (الملوك الثاني 20: 1 ـ 8).

55 ـ هو قسطنطين الذي نقل عاصمته إلى بيزنطة. وقوله حمل معه القانون الروماني و«أنا» يقصد النسر الروماني لأنه هو الذي يتحدث. انظر المطهر 32 والجحيم 19 وقد عرف في السماء أنه مهما صدر عن فعل الخير من سيئات، فإن ذلك لايؤثر على وضعه في السماء.

62 ـ وليم الثاني، أو وليم الطيب: كان ملكاً 1166 ـ 1189، وفي أيام دانتي انتقلت مملكة نابولي إلى شارل الأعرج، ومملكة صقلية إلى فريدريك الثاني، فحزنت صقلية على الشر القائم، مثلما حزنت على السعادة التي ماتت بموت وليم.

68 ـ ريفيوس: ذكره فرجيل (الأنياذة 2: 426) بأنه أعدل الطرواديين، ولا معلومات متوافرة عنه.

89 ـ تعرف كيف: أي كيف تكون هذه الأشياء صحيحة.

102 ـ هدية المسيح: هي انعتاق تراجان وريفيوس، فلو لم يعتقهما لما دخلا الجنة، وقد عانى تراجان من الصلب (أي صار مسيحياً) إما ريفيوس فسيعاني، أي سيصبح مسيحياً.

105 ـ بالقدمين المثقوبتين: أي الصلب وهو كناية عن المسيحية، وصاحب القدمين المثقوبتين هو تراجان (انظر الملاحظة التالية). والذي سوف يعاني هو ريفيوس.

106 ـ يأخذ دانتي بليجندة انتشرت في العصور الوسطى، وهي أن البابا التقي غريغوري الأول، صلى من أجل روح تراجان، فاستجاب له الله. وبما أنه في الجحيم بسبب وثنيته، فلا يجوز أن يدخل الجنة حسب القانون الآخروي المتبع، لأن أهل الجحيم مؤبدون فيه (باستثناء هبوط المسيح إلى الجحيم ورفعه بعض سكانه). لذلك أعيد تراجان الفاضل إلى جسده، ثم عمده البابا ورُفع إلى الجنة. وقد ورد هذا مع القارئ في المطهر 29: 12.

131 ـ النظر الكليل: لايمكن لنظر إنسان ولو كان في الجنة أن يحيط بالسبب الأول (الله) وهذا يعني أن رؤية الله ومعرفته من المستحيلات فيبقى الخالق، حتى عند سكان الجنة، لغزاً بعيداً.

135 ـ كم عدد الذين: سيقع دانتي في تناقض. هنا يقول إن أهل الجنة لايعرفون عدد المقاعد الشاغرة في الجنة، بينما في النشيد الثلاثين يقول إن هناك مقاعد قليلة ماتزال فارغة، وعندما تُشغل يبدأ يوم الدينونة. وفي النشيد 32: 25 ـ 27 يقدر أن نصف المقاعد في السماء ماتزال شاغرة.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي والعشرون

الصعود إلى ساتورن

المدار السابع: ساتورن — المتأملون: دميانو

الحكاية: يصل دانتي وبياتريس إلى مدار ساتورن (زحل) حيث أرواح المتأملين تتجلى بأنوار ساطعة، وتظهر على سلم ذهبي ممتدّ في السموات لايحده نظر دانتي. وتقترب منه روح من الأرواح لتجيب عما يشغل باله، وهو: لماذا اختار الله دانتي بالذات؟ فيجيب الصوت إن سر المصير المقدر لايمكن لأحد أن يعرفه، وهذا ما يجب أن يعيه أهل الأرض. ولايمكن أن يعرف هذا السر إلا الله وحده. لايكشف الصوت عن نفسه. إنه دميانو الذين يكيل الانتقادات للفساد البابوي. وبسبب الأصوات التي ترتفع عالياً، يصاب دانتي بدوار، ويزوغ بصره ولايعود يحدد الأشياء.

1 عيناي مثبتتان أيضاً في وجه سيدتي
وقد تلاشت منهما ومن نفسي
كلّ الأفكار بلا أثر سوى سيدتي.

4 قالت ولم تبتسم: «إذا ابتسمتَ
فسوف تتحول أنت إلى رماد، مثل سيميلي
عندما رأت جوبيتر، بكامل أوصافه.

https://jadidpdf.com

7 لأنَّ جمالي كلّما صعدْنا
من درجة إلى درجة في القصر الأبدي
يزدادُ تألّقاً بنارٍ أقوى من السابق،

10 فإن لم يعتدلْ جمالي في تألقه
فإن إشعاعَهُ سيصعقُ قواكَ البشرية
مثل غصن يمزقه برقُ السماء.

13 صعدنا الآن إلى النور السابع الذي
يقع تحت صدر برج الأسد الملتهب
وأشعتُه تنضم إلى أشعته وتنزل إلى الأرض.

16 اجعل عينيك مرآة للرؤيا
التي ستظهر لك في المرآة وركّزْ
عقلك باهتمامٍ خلف مرمى نظرك».

19 لو أمكن لإنسان أن يدرك أي مرعى مبارك
وجدتْ عيناي في وجهها عندما التفتُّ
حسب أمرها، لأجد غذاء آخر،

22 لعرف بأي اندفاع أطعْتُ
حارسي السماوي، موازناً
جانباً بآخر، وفرحة بفرحة.

25 داخل سماء الكريستال التي تحمل
اسم ملكها العظيم في العصر الذهبي
عندما لم يكن الشرّ قد نشر راياته،

https://jadidpdf.com

28 رأيت مثل الذهب الوهاج في أشعة
الشمس سلّماً يمتدّ بعيداً فوقي
ويرتقي بحيث لايحدّه طرفي.

31 ورأيت كثيراً من الطوباويين يأخذون
بالهبوط على السلم، فاعتقدت أن كل مصباح
في السماء قد سكب نوره القوي.

34 وكسِربِ الشحارير لدى أول خيط من النور
يطيع غريزته الطبيعيةَ، فيطير معاً
فرحاً ليجلبَ الدفء لريشه الذي صقَّعه الليل،

37 وبعد ذلك تنأى بعض الطيور وتعود
أخرى إلى المكان الذي جاءت منه
وأخرى تبقى مع السرب في طوافه.

40 مثل هذه الغريزة بدا أنها موجودةٌ بين
تلك الجواهر المتوهجة، لأنهم يطيرون معاً
في اللحظة التي يصلون بها إلى درجة معينة.

43 واحدٌ منهم دنا منا، وكنا نقف في الأسفل،
وراح يشرق بالنور حتى قلت لنفسي:
«أتمنى أن أعرف بأي حب تتوهج لي».

46 لكن تلك التي أنتظر منها إرشادي كيف ومتى
أتكلمُ وأصمتُ، كانت صامتةً، وعلى الرغم
تشوقي، عرفتُ أن من الأفضل ألا أسألَ شيئاً.

https://jadidpdf.com

49 ولما رأتْ في معاينتها الله، الذي يرى كلَّ الأشياء،
أيَّ صمتٍ خنقَ لساني المتشوق للكلام
قالت لي: «اجعلْ لنفسك أجنحة وحقّقْ رغبتك».

52 قلت باحترام: «أيها الكائنُ المختبئ
في شعاعِ بركته الخاصة، لست
جديراً، لكن من أجلها، تلك

55 التي سمحَتْ لي أن أسأل، أخبرني
لماذا أنتَ من بين كل هذه الصحبة المقدسة
جئتَ ودنوتَ منا، ونحن هنا،

58 وأخبرني لماذا كل المدارات الأدنى
من هذا المدار تعزف للفردوس سيمفونيةً
عظيمة، في حين لاتوجد هنا موسيقى».

61 قال: «نظرُك بشري، أليس سمعُك أيضاً؟
إن أغنيتنا توقفت للسبب ذاته الذي
كتمَتْ عنك بياتريس ابتسامَتَها ـ حباً بك.

64 لقد جئتُ لأزيدك بهجةً
بكلامي وبالنور الذي أرتديه
هبطتُ على هذا السلّم المقدس.

67 ليس حبي الكبير هو الذي جعلني أُسرع
فالحب هنا وفير، يفعم كل روح
كما تدل على ذلك الإشراقات العظيمة.

https://jadidpdf.com

70 لكن الحب الأعلى الذي جعلنا جديرين
بخدمة القاضي الذي يحكم العالم، هو الذي
يحدد مصيرَ كلّ نفس بيننا، كما تلاحظ».

73 قلت: «أيها المصباح المقدس، أفهم منك
أن الحب يأتمر في هذا البلاط بإرادة
العناية الأبدية، فلا يحتاج إلى أوامرَ،

76 لكن النقطةَ التي لم أفهمها هي:
لماذا من بين كل هذه الأرواح
أنت وحدك الذي أنيطت بك هذه المهمةُ؟».

79 قبل أن أختم كلامي انبرى ذلك المصباح
مثل حجرِ طاحون، بكل سرعته جاعلاً
من وسطه مركزاً وراح يدور في مكانه.

82 ثم أجاب الحب من داخل المصباح:
«أشعر بشعاعِ نور الله يتركّزُ في نفسي.
إنه يخترقُ الشعاع الذي يخيفني.

85 قوته انضمّت إلى قوتي فارتفعتْ
نفسي فوق ذاتها، حتى رأيتُ
المصدرَ الأول الذي ينبثق منه.

88 كلما هبط الشعاع في داخلي توهج في اللهب
وبقَدْرِ ما أخذتُ من مجد لرؤيتي
تستطيع شعلتي أن تعكس هذا المجد.

https://jadidpdf.com

91 لكن في كل سماء، حتى النفس المفعمة
بالنور، أي حتى السيرافيم الذي يرى اللهَ
لايستطيع أن يَشرح لك ما تريد أن تعرفه.

94 إن حقيقة هذا، تختبئ بعيداً
في هوّة القانون الأبدي،
فهي محرّمة على كل رؤية بشرية.

97 بلى ما قلته لك عندما تعود
إلى العالم الأرضي، لا يتجرأ أي
بشريّ أن يحاول سبر هذا العمق.

100 العقل في الأرض دخان، وفي السماء نار
فكيف يستطيع أن يفعل هناك مالم يستطع
فِعلهُ هنا حتى ولو صار في جوقة السماء؟».

103 تخليتُ عن السؤال، فقد منعتني
كلماتُهُ من ذلك، فقنعت أن
أسأله بتواضع: «من أنت؟»

106 «ليس بعيداً عن مسقط رأسك، وبمحاذاته
بين شاطئ إيطاليا تشمخ في الجو ذرى
شاهقةٌ حتى أن الرعد يدوي من تحتها.

109 هناك يوجد جُرفٌ منحنٍ يدعى كاتريا.
تحته تقوم صومعة مقدسة كانت
مخصصةً للتأمل والصلاة».

https://jadidpdf.com

112 هكذا للمرة الثالثة الآن، يتحدث
ذلك الروح المقدس، ثم تابع: «دخلت
في خدمة الله في ذلك المكان،

115 وعشتُ صائماً على الزيتون لا آكل غيره
وتحمّلت الحرّ والقرَّ على حدٍّ سواء
مبتهجاً بالتأملات التي كنت أمارسها.

118 تلك الصومعة أرسلتْ إلى هنا، مداراً فمداراً
غلاتٍ وفيرةً من الأرواح. لكنّ عملها الآن
عبث، والعقاب العادل سيكشف ذلك.

121 أنا كنتُ بطرس دميانو هناك، وصرت
بطرس الخاطئ في الأدرياتيكي، في الدير
المكرس باسم سيدتنا العذراء.

124 لم يكن قد بقي من حياتي الفانية إلا القليلُ
عندما اختاروني ودعوني إلى ارتداء القبعة
التي يبدو لي أنها تسير من سيءٍ إلى أسوأ.

127 سيفاس، والفلك العظيم للروح القدس
جاءا إلى الحياة عاريَيْ القدمين، مهزولَيْن
قلما يأكلان، وبالمبرَّة يشتركان مع غيرهما.

130 لكن رعاتَك الآن انتفخوا وسَمِنوا
ومن الصعب أن يتقلبوا من جانب إلى آخر،
رجلٌ أمامهم وآخرُ خلفهم يحمل فضل ردائهم.

https://jadidpdf.com

133 إنهم ببردتهم يغطون حتى مطياتهم
فيمكن إدخال دابتين تحت رداء واحد.
فيا أيها الصبرُ السماويُّ إلى متى تصبر؟».

136 ما أن نطق بهذه الكلمات، حتى بدتِ الأرواحُ
تهبط بشوق من درجة إلى درجة في طيران
دائري، وفي كل دورة مزيدٌ من التألق.

139 حوله جاؤوا يغطون، واندفعوا جميعاً
وفي صرخة واحدة أنشدوا نشيد الحب
فسُمعتْ صرخةٌ عالية لامثيل لها على الأرض.

142 لم أفهمها لأن رعدها أفقدني إحساسي.

الرموز والصور:

السلم الذهبي: هذه أول مرة نجد سلماً ذهبياً يمتد من ساتورن إلى مالانهاية. وقد اختار دانتي السلم ـ كما نظن لأن هناك تفسيرات كثيرة غير تفسيرنا ـ أولاً لأنه يناسب كوكب ساتورن البارد الهادئ، موطن المتأملين. وثانياً لأنه يرمز إلى التأمل، فهو صورة لطريق التأمل الصاعد الذي لانهاية له، وهو ضيق أيضاً مثل طريق التأمل الديني.

الملاحظات:

5 ـ سيميلي: عشيقة جوبيتر، تآمرت عليها جونو وأقنعتها أن تطلب من جوبيتر أن يريها نفسه، فلما رأته تحولت إلى رماد (الجحيم 30: 1 ـ 2).

13 ـ النور السابع: ساتورن (زحل)

17 ـ في المرآة: أي ساتورن.

25 ـ سماء الكريستال: ساتورن. ملكها العظيم: ساتورن الذي حكم طيلة العصر الذهبي في إيطاليا بعد طرده من السماء.

43 ـ واحد منهم: بطرس دميانو.

74 ـ البلاط: بلاط السماء.

https://jadidpdf.com

82 ـ بطرس دميانو ورؤياه: دميانو (1007 ـ 1072) طفل يتيم عاش عند أخيه الأكبر راعياً للخنازير، ثم أرسله أخوه إلى التعليم، فتعلّم ثم علّم ثم دخل الدير وارتقى في المناصب اللاهوتية. كان متقشفاً زاهداً. ويشرح دانتي طريقة رؤيا الطوباويين. الطوباوي مغلف بالنور، يدخل فيه نور الله فيضيف قوة إلى قوة، ويتغلغل شعاع الله ويصل إلى الأعماق، وبقدر كمية الضوء تكون الرؤيا.

109 ـ كاتريا: بين غوبيو وبيرغولد. تحتها تقع صومعة سانتا كروز دي فونتي أفيلانا، ذات النظام الكامادولكي (أسسه القديس رومالدو عام 1012 في كامالدوكي) وهو نظام يقلل من وطأة المنظمة، لكنه شديد الوطأة على الرهبان.

124 ـ إلا القليل: رُسّم دميانو كاردينالاً عام 1058 وتوفي عام 1072

125 ـ القبعة: الكاردينالية.

127 ـ سيفاس: اسم أطلقه المسيح على سمعان فصار بطرس (الصخرة) وكلمة بترو هي المقابل اللاتيني لكلمة سيفاس. والفُلك العظيم: القديس بولس.

130 ـ رعاتك: البابوات، والأرجح أن يكون المقصود جميع رجال الدين والكنيسة في الغرب.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني والعشرون

المدار السابع: ساتورن المتأملون: القديس بندكت

الصعود إلى مدار النجوم الثابتة

المدار الثامن: النجوم الثابتة دانتي ينظر إلى الكون تحته

الحكاية: حواس دانتي تبقى غائبة، فينظر إلى بياتريس التي تشجعه وتؤكد له أنه سيعيش ليرى انتقام الله ينزل على مفسدي الكنيسة. وتلفتُ نظره إلى أرواح أخرى في هذا المدار. تطلّع فإذا مئة من الأرواح المشعشعة. يقترب أحدها ويعرّف نفسه بأنه القديس بندكت الذي يشرح «السلم الذهبي»، ويقول إنه شبيه بالحياة التأملية، ويمتد إلى ذروة مجد الله، ويشكو من أن قلة من البندكتيين ظلوا يرغبون في العزوف عن العالم والصعود إلى الأعلى، فمعظمهم فسدوا وانحطوا. بعد ذلك يعود بندكت إلى جوقة الله. وبإشارة من بياتريس يشعر دانتي أنه ارتفع وأنه في المدار الثامن، مدار النجوم الثابتة، ولكن قبل أن يتطلع إلى أرواح المدار، تطلب منه بياتريس أن ينظر إلى أسفل، إلى المدارات السابقة التي مرّ بها. ينظر إلى أسفل ثم يرمي عينيه إلى بياتريس.

1 اضطربَتْ حواسي، وكطفل انتهبه الشك

فراح يركض إلى من يثق به ثقة كبيرة

هُرعتُ إلى مرشدتي، وقد هزتني الصرخة،

https://jadidpdf.com

4 وكأم تسعى إلى تهدئة ابنها الشاحب
والمنقطع الأنفاس بالكلمات اللطيفة،
التي هي البلسم المعتاد لتهدّئه

7 قالت: «ألا تعرف أنك في السماء؟
ألا تعرف أنّ أي سماء هي سماءٌ مقدسة؟
وأن كل الأشياء تنبثق من الحب في الفردوس؟

10 صرخة واحدة زعزعتْ حواسَّك: تستطيع أن
ترى الآن ما الذي يحدث لو أنهم غنوا أو
لو أنني ابتسمتُ في غبطتي الجديدة.

13 لو فهمتَ الصلاة داخل صرختهم
لعرفتَ الآن أيَّ انتقام ينزلون
وإن كنت ستشاهدُ ذلك قبل موتك.

16 إن سيف السماء لايصطبغ بالدم عاجلاً
ولا آجلاً ـ إلا إذا كان هناك من
يترقب الانتقام خائفاً أو آملاً.

19 ولكن انظرِ الآن إلى الآخرين. التفتْ
حالما أقول لك، وسترى بين هذه المجموعة
نفوساً كثيرة تحمل الشعاع الأبدي».

22 فالتفتُّ إلى حيث أشارت، فرأيت
أمام عيني مئةً من المداراتِ الصغيرة
التي أشعتها تمنح الجمال من نفس إلى نفس.

https://jadidpdf.com

25 وقفتُ هناك بين الإقدام والإحجام
وقاومت رغبتي، وخفت من الكلام
حتى لاتؤخَذ أسئلتي على أنها إهانة.

28 من بين تلك اللآلئ دنا مني
أكبرُها وأكثرها إشراقاً، ليحقق
شوقي الصامت الذي لم أبح به.

31 من داخله خرجت هذه الكلمات: «لو كنتَ
ترى كما أرى، بأيّ حب تشتعل أرواحنا
لتقدم لك البهجة، لحلّتْ عقدة لسانك

34 وحتى لاأسبّبَ لكَ أي تأخير في طريقك
إلى الهدف العظيم، لن أجيب إلا
عن سؤال واحد فقط من الأسئلة التي كتمتُها.

37 ذروة ذلك الجبل الذي على جانبه
تقع كاسينو، سكنها مجموعة من
الناس الذين كانوا وثنيين في كبريائهم.

40 كنت أول من حمل إلى المنحدر ذاك
الاسم المقدس، لمن جاء إلى الأرض
وجلب للبشرية الحقيقةَ التي هي رجاؤنا.

43 وقد أشرقَتْ في نفسي النعمة، فجعلتْ
القرى المجاورة ترتدعُ عن
العبادة الخاطئة والعقيدة الفاسدة.

https://jadidpdf.com

46 كل الأرواح الأخرى متأملون
يستدفئون بحرارة الروح التي دعتِ
الأزهارَ والفواكهَ المقدسة للحياة المباركة.

49 هنا رومولدوس ومكاريوس أيضاً.
هنا أخوتي الذين ظلوا قابعين في الصومعة
واحتفظوا بقلوبهم نقية فلم ينجرفوا ولم ينحرفوا».

52 فقلت له: «ما أوضحته لي في حديثك
عن الحب والنيّة الطيبة، اللذين
أجدهما في أرواح هذا المدار،

55 أعاد إلى قلبي الثقة التي تنمو
وتنتشر بدفئك مبتهجة به،
مثلما تنمو وتتفتح الوردة في حرارة الشمس.

58 لذلك أرجوك أيها الأبُ: هل أستطيع أن
أصل إلى مثل هذه الذروة من القمة بحيث أرى
صورتك في عيني البشريتين، وهي غير محجبَة؟».

61 فقال لي: «أيها الأخُ هذا ما سوف تعرفه
في المدار الأخير. هناك يلبّون رغبتك
وترى كلَّ واحد منهم، وكذلك تراني.

64 هناك كل رغبة تكون كاملةً ناضجة وشاملة.
فهناك وهناك فقط، كل جزء يكون
بحيث يجب أن يكون، فهناك لايوجد قطبٌ

https://jadidpdf.com

67 ولايوجد مكان. وإلى تلك الذروة السامقة
يمتد الفم الذهبي، ومن هنا تعرف
لماذا لاترى الذين عَلَوا في الصعود كثيراً.

70 لقد رآه القديس يعقوب، رآه صاعداً
إلى أن ينحني على تلك العتبة، وحلِم
بأنه مغطى بملائكة لاحصر لها.

73 الآن لن تجد أحداً يرفع عن الأرض
قدميه ويتسلقه. ومبادئي التي وضعتها
صارت حبراً فاسداً يُراقُ على الأوراق فيتلفها.

76 الجدران التي شُيّدتْ وقتَها للعبادة
صارت مأوى للوحوش، والقبعاتُ
صارت أكياساً تمتلئ بالطحين.

79 وحتى الربا الفاحش المخالف
لإرادة الله ومسرته، أخفُّ جرماً من تلك
الثمار التي يملأ سمُّها قلوبَ الرهبان بالجنون.

82 إن ثروة الكنيسة خُلقت لتعينَ
أولئك الذين باسم الله يسألون،
لا لتسمنَ عائلات الرهبان وتُفسِدَ العلاقات.

85 جسد البشر من الضعف بحيث أن
البداية الجيدة ليست سبباً كافياً
للاعتقاد أن نصبَ شجرة يعني أنها تُثمر.

https://jadidpdf.com

88 إن بطرس لم يبدأ بالذهب والفضة
وأنا بدأت بالصلاة والصوم. والأخوية
الفرنسيسكانية بالتواضعِ جمعتْ حولها الأنفس.

91 فلو نظرتَ في بدايات كل واحد
ثم نظرت ثانية فيما أصبح،
لرأيتَ أن ماكان أبيضَ صار أسودَ.

94 إن تراجعَ نهر الأردن وانفلاقَ
البحر الأحمر بإرادة الله أقلُّ دهشة
من أفعال الشرّ التي تُمارس في الأرض».

97 هكذا تكلم ثم تلاشى من أمام عيني
في جماعته، التي انغلقت عليه
ثم مثل الاعصار التفّوا صُعداً.

100 ودفعتني سيدتي الجميلةُ بإشارة
بسيطة إلى السلّم لأذهب خلفهم
فتغلبتُ على طبيعتي بقوتها المقدسة.

103 هناك قوانين لاتُعرف هنا في الأرض
حيث كل شيء يعلو ويهبط وفقاً لقانون طبيعي
ولاتوجد سرعة تعادل حركة جناحي.

106 يا أيها القارئ، مثلما أرجو أن أقف مرة أخرى
في «النصر المقدس»، أبكي خطاياي وأضرب
صدري ـ كذلك أنت لاتستطيع

https://jadidpdf.com

109 أن تسحبَ يدك من ألسنة اللهب وتعيدها
أسرعَ مما رأيت ودخلت في الإشارة
التي تعقب برجَ الثور في درب السماء.

112 أيها البرجُ المجيد، أيها المصباح المدعوم
بقوة عظيمة، يا من إليه أعزو كل
عبقريتي، مهما كانت أحوالها.

115 عندما تنشقّت أول أنسام الهواء التوسكاني
كانت الشمس، أُمّ الحياة البشرية،
تنهض معكَ وتغرب معك هناك.

118 ثم عندما سمحتْ لي نعمةُ السماء أن
أدخل العجلةَ الكبرى التي تمنحك الحركة
كنت أنا أصعد عبر منطقتك في الفراغ.

121 إليك الآن أرفع صلاتي
فلتكن نفسك جديرة بتلبية
الدعوة إلى الممر العظيم الذي أمامنا.

124 بدأت بياتريس الكلام: «إنك قريب من السلامة
النهائية للإنسان، فالأفضل أن تكون
صافي العينين حذراً في ذلك الخير،

127 لذلك قبل أن تدخل بعيداً هنا
تلفّتْ خلفك وتطلّع كيف كان الكون
الذي وضعته تحت قدميكَ مداراً فوق مدار.

https://jadidpdf.com

130 وبذا يمكنك أن تدخل بكل فرح
إلى بلاط النصر الذي يأتي مبتهجاً
عبر الأثير الدائري، إلى بصرك البشري».

133 التفتُّ بعيني إلى الوراء، إلى أولى المدارات السبعة
فرأيت هذا الكون صغيراً حتى أني في هذا
الفراغ ابتسمتُ من هذا المشهد التعيس.

136 لعلني أؤيد تماماً من يعتقد أن هذا الكونَ
ليس أكثرَ من فقاعة صغيرة جداً في السموات،
والعقلُ الحكيمُ هو الذي يفكر في أشياء أخرى.

139 رأيت ابن لاتونا يشعشع بالنور هناك
من دون ذلك الظل الذي ضلّلني وجعلني
أعتقد أن مادته كانت جزءاً من الكثافة.

142 هيبريون، إلى ابنتك عيناي نظرتا
دون أن تضطربا. وحولها رأيت مايا
وديوني تدوران قريبتين منها.

145 ثم رأيت كيف يتوسط جوبيتر
بين أبيه وابنه، وقد فهمت الآن لماذا
حركةُ الواحد تسرّع حركةَ الآخر.

148 وكلُّ المدارات السبعة بمشهد واحد
ظهرت لي بكتلتها الضخمة وسرعتها
والمسافةِ التي تفصل المدار عن المدار.

https://jadidpdf.com

151 وإذْ كنت أدور مع النجمين الأبديين
رأيت الأرض الصغيرة المغبرّة التي
جعلتنا ننجرف بضراوة لاقتراف الخطايا،

154 من أعلى جبالها حتى أدنى شواطيها، ثم وجهت
طرفي إلى عيني بياتريس.

الملاحظات:

13 ـ الصلاة داخل صرختهم: كل ما سمعه دانتي عبارة عن صرخة، لكن ضمن هذه الصرخة كانت هناك صلاة تتلى، بيد أن مستوى كيان دانتي لم يصل إلى حد استيعابها.

19 ـ الآخرين: بقية الأرواح غير دميانو.

33 ـ حلّت عقدة لسانك: لتسأل الأسئلة التي تريد.

45 ـ العبادة الخاطئة: هي عبادة أبولو التي كانت شائعة وقتها في ذلك الجبل.

49 ـ رومولدوس: رومالدو بالإيطالية (956 ـ 1027) مؤسس النظام الكامالدوكي (انظر 21: 109 ـ 1 الملاحظة) مكاريوس: الأرجح أنه القديس مكاريوس الاسكندراني (توفي 404) تلميذ القديس أنطوان. عاش في الصحراء بين النيل والبحر الأحمر، مع خمسة آلاف زاهد. وهناك تلميذ آخر هو مكاريوس المصري (300 ـ 391) ربما كان هو المقصود، وربما مزج دانتي بين الاثنين.

61 ـ أيها الأخ: هذا هو النداء المتداول في السماء، بينما خاطبه دانتي «أيها الأب» انظر البيت 58.

62 ـ المدار الأخير: مدار الأمبريوم، حيث يظهر القديس بندكت.

70 ـ يعقوب: حتى لانطيل نحيل القارئ إلى قصة يعقوب في (تكوين 28: 12)

94 ـ تراجع نهر الأردن وانفلاق البحر الأحمر: هاتان المعجزتان أسهل من إعادة الصفاء إلى الكنيسة.

105 ـ حركة جناحي: سرعتي.

108 ـ أضرب صدري: ندماً.

124 ـ السلامة النهائية للإنسان: الله.

134 ـ هذا الكون: الأرض.

139 ـ ابن لاتونا: القمر.

https://jadidpdf.com

142 ـ إلى ابنتك: ابنة هيبريون هي الشمس. وفي الأصل (ابن) نظراً لاستخدام الشمس على أنها مذكر. وهيبريون هو ابن أورانوس.

143 ـ مايا وديوني: مايا هي إحدى البلياداتـ وأم ميركوري (هرمس) وديوني هي أم فينوس. ولا أعرف لماذا لم يستخدم دانتي هرمس وفينوس.

145 ـ جوبيتر... أبيه وابنه: أبوه: ساتورن. ابنه: مارس. والكوكب المعتدل هو جوبيتر.

151 ـ النجمين الأبديين: الجوزاء (جيميني)

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث والعشرون

المدار الثامن: النجوم الثابتة انتصار المسيح ـ مريم العذراء

الرسل ـ الملاك جبرائيل

القديس بطرس

الحكاية: بياتريس تحدق في السماء حيث الشمس في أعلى ذراها، ويتبعها دانتي بنظره. وهنا يرى إشعاعاً منيراً جداً «المسيح المنتصر» يسكب أشعته على حديقة فيها الأرواح التي أعتقها المسيح. يُغمى على دانتي، ويعود إلى وعيه، وينظر إلى ابتسامة بياتريس فيتحملها بعد أن رأى المسيح. وينظر في الحديقة فيرى الوردة (مريم العذراء) والزنابق (الرسل): ويركز دانتي نظره في مريم العذراء ويرى تاجاً يهبط ليدعوها إلى العودة إلى السماء الأمبيرية. إنه الملاك جبرائيل. وبعد أن يدعوها تصعد هي وابنها، فتهفو الأرواح إليهما. من بين الأرواح المتبقية، يتعرف دانتي على القديس بطرس.

1 كعصفورة في شجرتها الخضراء
تغطي عش فراخها الصغار
طيلةَ الليل حين تعتمُ الأشياء،

4 لكن حبها يجعلها تتشوق إلى إشعال وجه
الأشياء، فيظهر الطريق وتذهب لتجلب

https://jadidpdf.com

الطعام فتغني فرحاً، وهي تعمل وتكدح،

7 وعلى قمة غصن، وقبل الأوان،
تنتظر الشمسَ بشوق، وفي الأفق الشرقي
تثبّتُ عينيها، حتى يظهر الشفق ويشتعل الفجر،

10 هكذا وقفَتْ سيدتي تتملى بنظرها
محدّقة في تلك المنطقة التي تحتضن الشمس
صاعدة إلى الظهيرة، وقد بدت متباطئة.

13 راقبتُ نظرتها المباركة، فصرتُ كمن
يتشوّق إلى امتلاك المزيد فوق ما يملك،
فيمنّي النفس باستيفاء الدَّيْنِ قبل أوانه.

16 لكن مسافةَ الزمن سرعان ما تقلّصت
بين انتظاري ومشاهدتي كيف
كانت السماء تشتعل بنار وهّاجة.

19 قالت بياتريس: «ستظهر أمامكَ الآن
ميليشيا المسيحِ المنتصر، وكل الثمار
التي جُنِيَتْ من دورة المدارات».

22 بالحب بدا وجهها أمامي مشرقاً
والبهجةُ التي بدت في عينيها لا أستطيع
وصفَها، فليس لي سوى أن أمشي.

25 عندما اكتملتْ دارةُ القمر، وصار الليل هادئاً
وكما تبتسم تريفيا بين الحوريات الخالدات

https://jadidpdf.com

اللواتي يزيّنَ السماء برسم الألوان الخلابة،

28 رأيتُ أكثر من آلاف آلاف الأنوار
تنيرهم شمس واحدة، مثلما تنير شمسنا
كل الأجسام التي نراها في ذرى السماء،

31 وعبر نور متوهّج انكشف لي
جوهرٌ مشعٌ، وقد أشرق متوهجاً
حتى زاغ نظري وخانتني حواسي.

34 آه يا بياتريس، يا مرشدتي الجميلة الطيبة.
قالت بياتريس: «الذي أعماك هو القوة
الهائلة التي لاتُقاوم، ولا أحد يختبئ منها.

37 ههنا الحكمة والقوة اللتان
فتحتا الطريقَ الذهبي من الأرض إلى السماء
الذي طالما شوّقَ البشرية في ليلها الطويل».

40 وكما تنفجرُ النار من سحابة
لم تعدْ قادرة على احتمالها، فتهبط
ـ رغم طريقتها الطبيعية ـ إلى الأرض

43 كذلك هذا الاحتفالُ المباركُ أثقلَ عقلي
فانفجرت حدوده وقفز من نطاق ذاته.
ماذا جرى له بعدئذ؟... لا أعلم.

46 «افتحْ عينيك وانظرْ إلي تماماً
لقد رأيتَ أشياءَ جعلتك قوّتُها

https://jadidpdf.com

تحتمل الابتسامةَ المشرقة لغبطتي».

49 كنت كمن خرج من حلم،
ولاشيء في ذاكرته، ومع ذلك يُجهد
نفسه عبثاً ليلتقطَ شيئاً من الحلم المنسي.

52 هكذا كنت عندما سمعتها تتكلم، وهذا
التشجيع لن يمحى شكره إلى الأبد
من الصفحات التي تسجِّل الماضي.

55 وإذ علت الآن بالغناء كلُّ الألسنة
التي غذتها بوليهمنيا وأخواتها الثماني
بأعذبِ الحليب لتجعلها قوية،

58 فإنها لن تسعفني في أن أرى
واحداً بالمئة من الابتسامة المقدسة
لسيدتي، ولا من المجد الذي يتوهّجُ منها.

61 وهكذا لتصوير السماء لابدّ
لقصيدتي أن تقومَ بقفزة تشبه قفزة
مسافرٍ فوق صَدْعٍ في أديم الأرض.

64 موضوعي ضخم ومناكبُ البشر تنوء
بهذا الثقل. فأي إنسان يلومني
إذا مارحتُ أرتجف خوفاً تحته؟

67 إن البحر الخِضمَّ الذي يجول فيه قاربي هنا
لامكانَ فيه لزورقٍ صغير، ولا لملاح

https://jadidpdf.com

ينكفئ تعباً، أو يرجع خوفاً.

70 «لماذا أنت شغوف بوجهي هكذا
إلا تلتفتْ بعينيك لترى الحديقة
التي تعكس أزهارُها تألقَ نعمة المسيح؟

73 الوردة التي فيها صارتِ الكلمةُ جسداً هي هناك.
وهناك أيضاً الزنابق التي بعبيرها وجد الناس
طريقهم، الذي قادهم إلى الاستقامة».

76 هكذا قالت بياتريس. وأنا، منساقاً وراء
إرشادها بكل شوق، رفعتُ أجفاني الكليلةَ
مرة أخرى لأعارك ذلك التألّقَ.

79 كما حين ترسل الشمس عبر تصدّعات السحب، أول
شعاع كامل، أرى حقلاً من الأزهار
يتوهّج مجداً، وعيناي ماتزالان في الظل،

82 هكذا تماماً رأيتُ مجموعات تتألق
بأشعةِ جوهرٍ وهّاج تأتي من فوق، لكن
لم أستطعْ رؤية مصدر ذلك النور الصافي.

85 يا صاحبَ الجلالة يا من تطبعهم بهذا المجد،
لقد رفعتَ نفسك عالياً، منسحباً
إلى عُلاك، فعسى عيناي الكليلتان تراك،

88 إن اسم تلك الزهرة الجميلة التي أصلّي له
صباحاً ومساء، انتزع نفسي ودفعها

https://jadidpdf.com

لتثبّتَ عيني على الشعاع الأشد نصوعاً.

91 وعندما سُمح لعيني أن تعرفا
الفرح والغبطة لتلك النجمة المختارة
التي انتصرت هناك، وانتصرت هنا في الأسفل،

94 مشعل المجد من السماء هبط
على شكل حلقة أو إكليل، ودار حولها
وتوجّها، وهي في شعلتها المتوهّجة.

97 النغمة الأعذب التي ترتفع عالياً
هنا لتدفعَ النفس من ذاتها، لاتعدو
أن تكون رعدةً في سحابة تتبعثر،

100 إذا قيست بالنّغم الذي انطلق
من القيثارة المشرقة التي توّجت أنقى جوهرةٍ
بها صارت السماءُ العليا أشدَّ بهجة.

103 «أنا الحب الملائكي الذي يدور حول
الغبطة التي نشأت من الرحم الذي
فيه أُقيمَ نزلُ رغبتنا.

106 لذلك سوف أدور، يا سيدة السماء، إلى
أن تتبعي ابنك العظيمَ إلى المدار الأعلى
وبوجودك تجعلينه أشدّ قُدسية».

109 هكذا كشَفتْ عن نفسها النغمةُ
الغنية لتلك الشعلة، وكل المصابيح

https://jadidpdf.com

الأخرى داخل الحديقة رددت اسم «مريم».

112 البُردةُ الملكية التي انتشرت أطرافُها
حول كل المدارات التي تتوهج
وتتسارع لأنها أقرب إلى الله،

115 قلبتُ ساجِلَها الداخلي إلى ذروة
عالية فوق النقطة التي كنت وقتَها أقفُ عليها
والتي لم أعدْ قادراً على استعادتها إلى مجال رؤيتي.

118 لذلك لاأستطيع بعيني البشريتين
متابعةَ طيران تلك الشعلة المتوجة التي
حلّقتْ لتنضمَّ إلى ابنها في الفردوس الأعلى.

121 وكالطفل الذي أنهى رضاعته متشوقاً
لأمه رافعاً ذراعيه للتعبير
عن الحب الذي يعتلج في صدره،

124 هكذا كلّ نور من أنوار هذه الجماعة
مدّ شعلته عالياً بطريقة جعل
حبه لمريم يبدو واضحاً لي.

127 مكثوا هناك، ومازالوا تحت نظري
يُغنّون «ريجينا كويلي» بنغمة عذبة
ماتزال ذكراها تملأ نفسي بالبهجة.

130 أي كنوز تتدفق وتتراكم في
هذه الأهراء الغنية بالنعمة الإلهية،

https://jadidpdf.com

التي زرعت مثل هذه البذور في العالم الأرضي.

133 هنا الحياةُ الحقيقية والكنزُ؟ الثمين
لمن سفحوا دموعهم في المنفى البابلي،
فقد ترك المسيح كنزاً أفضل من كنوز الذهب.

136 هنا يجلس منتصراً في الأسفل ابن الله الحبيب
ومريم العذراء، يصحب الجميع
متوجاً من المجمع الجديد والقديم

139 ذاك الذي يمسكُ بيديه مفتاحي هذا المجد.

الرموز والصور:

رؤيا العذراء: يرى دانتي الملاك جبرائيل على شكل حلقة أو إكليل يدعو العذراء القابعة في المدار الثامن، إلى الصعود إلى المدار التاسع، إلى الأمبريوم. ومثل هذه الدعوة تعكس موقف دانتي من مسألة العذراء، في العصر الوسيط، فقد اعتبرها فريق أدنى مرتبة من المسيح، وفريق آخر يرى أنها لاتقل أهمية عنه. دانتي يقف مع الفريق الثاني.

ميليشيا المسيح: المدارات منذ البدء ملأى بالملائكة، باعتبارها أول الخلق، فالميليشيا تألفت فيما بعد من الذين تبعوا المسيح، وكان خلاصهم على يديه. وليس هناك مدار خاص بهم، فهم موزعون على سائر المدارات، أي أنهم هم أيضاً يُصنَّفون على درجات. وكلما ارتقينا إلى مدار كان سكانه أرقى من سكان المدار السابق حتى نصل إلى المدار التاسع الذي فيه المحرك الأول. لكن هؤلاء يستنفرون لدى أي طارئ ويقومون بما يناط بهم من مهام، فالموكب السماوي في آخر المطهر مؤلف من ميليشيا المسيح، ومثل هذا الاحتفال جرى من أجل رفع العذراء إلى مصاف ابنها (انظر 20 - 21 من هذا النشيد).

الملاحظات:

20 - انظر ميليشيا المسيح في الرموز والصور.

26 - تريفيا: ديانا أو القمر. الحوريات: النجوم.

https://jadidpdf.com

30 ـ كل الأجسام: النجوم.

32 ـ جوهر مشع: المسيح.

40 ـ النار: النور.

42 ـ طريقتها الطبيعية: هي أن تنزل أسفل لا أن تصعد أعلى.

43 ـ الاحتفال المبارك: انتصار المسيح.

56 ـ بوليهمنيا: ربة الأغاني المقدسة ومعنى اسمها «المتعددة الترانيم».

57 ـ بأعذب الحليب: ربة الفنون تُرضع الشعراء من حليب الإلهام.

67 ـ يجول قاربي: انظر النشيد الثاني.

73 ـ الوردة: مريم العذراء. الكلمة: اللوغوس.

74 ـ الزنابق: ربما الرسل، أو كل أرواح المدار. عبيرها: قدسيتها.

77 ـ أجفاني: المقصود العيون.

101 ـ القيثارة المشرقة: جبرائيل. أنقى جوهرة: مريم العذراء.

103 ـ السماء العليا: سماء النجوم الثابتة.

105 ـ رغبتنا: المسيح. فرحم العذراء هو النُزُل الذي وجدت فيه الكلمة مستقرها في الجسد البشري.

112 ـ البردة الملكية: المحرك الأول.

115 ـ ساحلها الداخلي: المدارات كلها، في الساحل الداخلي باعتبار الموقف الذي ينظر منه دانتي.

128 ـ ريجينا كويلي: ملكة السماء.

138 ـ المجمع الجديد والقديم: العهد الجديد والعهد القديم.

139 ـ يمسك بيديه مفتاحي السماء: القديس بطرس.

https://jadidpdf.com

النشيد الرابع والعشرون

المدار الثامن: النجوم الثابتة — انتصار المسيح

القديس بطرس

اختبار الإيمان

الحكاية: المسيح ومريم يصعدان إلى الأمبريوم (آخر سماء حيث المحرّك الأول) ويبقى القديس بطرس رئيساً لحديقة المسيح المنتصر. تدعو بياتريس الأنفس باسم دانتي، فيشكلون ببهجة عجلة عمودية من الإشراق النوراني الدوراني. وتطلب من القديس بطرس أن يباشر «امتحان إيمان دانتي» فيسأله عن طبيعة الإيمان وامتلاكه ومصادره وإثبات حقيقة هذا الإيمان ووسائل الإنسان لمعرفة أن معجزات الإيمان قد وقعت فعلاً، ومضمون الإيمان المسيحي. وبعد أن يجيب دانتي عن الأسئلة يقع القديس بطرس، وتعبيراً عن نجاح دانتي يرقص (القديس بطرس) حول دانتي، ويدور ثلاث مرات. فيكون دانتي بذلك قد اجتاز الامتحان.

1 «أيتها الأرواح في تلك المجموعة المختارة
التي تطعم من حمل الله، الجسد الذي
يشبع الجوع إلى أبد الآبدين.

4 لو أن هذا الرجل منحته نعمة الرب مذاقاً

https://jadidpdf.com

مما يسقط من مائدتكم قبل أن ينتزعه
الموت من الزمن ويتلف جسده

7 لعرفتم العطش الشديد الذي يحرقه
ولقطّرتم له من غزارتكم. إنكم تشربون إلى الأبد
مياه الينبوع الذي يتشوق إليه».

10 هكذا تكلمت بياتريس، وتلك الأرواحُ المباركة
المشتعلة ببريقٍ كالمذنبات، شكلوا أنفسهم
في مدار يدور حول الأقطاب الثابتة.

13 وكالعجلات داخل الساعة الزمنية
حيث الأدنى، عندما يراقبها عن كثب،
تبدو واقفةً بينما تبدو للأقصى مسرعة،

16 هكذا كانت حلقات الراقصين تدور
لتبينّ لي أو تُفهمني أن مركزها في البركة الإلهية،
فانضمّ الجميع، بعضهم يبطئ والآخرُ يسرع.

19 رأيت واحداً منهم، وهو الأجمل،
يتألق فيه إشعاع البركة، حتى
أنه يشرق على كل الحشد السماوي.

22 رقص حول بياتريس ثلاث مرات
حتى تغني له أغنيةً سماوية
لاقدرة لي على تذكرها ثانية.

25 لذلك يقفز قلمي دون أن يكتب

https://jadidpdf.com

فلا الكلماتُ ولا الأخيلةُ قادرةٌ على رسم الحقيقة:
فطيّاتُ أرديةِ السماء يُعشي البصرَ بريقُها.

28 «أيتها الأخت المقدسة التي كرّست لنا صلاتها
إن نورَ حبّك يدخل بَرَكتي في قلب
ذلك المدار الجميل، ويدعوني إلى الخروج منه».

31 عندما آلت النار المقدسة إلى الراحة
اتّجه إلى سيدتي ونطق بالكلمات السابقة
كما سجّلتُها تماماً أعلاه.

34 قالت: «يا دفقةَ النور الأبدي للكاهن الأعظم
الذي وهبها له ربُّنا وأعطاه المفتاحين
ليشهدَ روائع هذا الاحتفال البهيج،

37 كل ما أرجوه، ومهما كانت النتيجة،
أن تختبرَ هذا الرجل في أعلى وأدنى مسائل
الإيمان الذي به مشيتَ مرة على البحر.

40 فإن كان يملك الحبَّ والرجاء والإيمان
فسوف تكتشف ذلك لأن عينيك تنفذان
فتكشفان صورةَ ما هو موجود.

43 ولكن بما أن هذه المملكةَ مأهولةٌ ببذور
الإيمان الحقيقي، فسيكون حبه للإيمان أفضلَ
لو ناقش معك المبدأ الكامل».

46 ومثلما يسلّح الجامعي نفسه دفاعاً عن أطروحته

https://jadidpdf.com

فيظلّ صامتاً حتى يسأله أستاذه
فيدافعَ عن الأطروحة للمناقشة، لا لتقدير الدرجة،

49 كذلك سلّحت نفسي للتعبير بدقة عن
أيّ برهان، فكنت أهيئُ نفسي حين كانت
تتحدث عن الممتحَن والممتحِن.

52 «تكلّمْ أيها المسيحي الطيب وأثبت جدارتك:
ماهو الإيمان؟» وهنا رفعت عيني إلى
النور الذي انطلقت منه هذه الكلمات

55 ثم استدرت لأرى بياتريس، فحثّتني
بعينيها أن أدع مياهَ الينبوع
المحفور في نفسي تتدفقُ بحرية.

58 بدأتُ: «عسى النعمة التي توافق على هذا
الاعتراف بين يدي قبطان من الدرجة الأولى
أن توافقَ على أن تكون أفكاري ذات تعبير واضح».

61 تابعتُ: «أيها الأب، أعتقد أنه كما خطَّ
قلم أخيك العزيز، الذي وإياك دلَّ
روما على الطريق الصحيح وقادها إلى تاج المجد،

64 فإن الإيمانَ هو جوهرُ ما نرجو أن نراه
وبرهاناً يكون لذاك الذي لانراه.
هذه هي ماهية الإيمان على ما يبدو لي».

67 ثم سمعتُ: «هذا هو أسُّ الكلام حقاً

https://jadidpdf.com

ولكن هل تفهم لماذا يُصنَّفُ الجوهر
أولاً ثم يصنّف البرهان بعده؟».

70 فأجبت: «إن المسائلَ العميقة التي
تكشفُ نفسها هنا بكل حرية
نجدها في الأرض خافيةً عن أعين البشر.

73 إنها توجد في الإيمان وحده. ففي العقيدة
تظهر بنيةُ الرجل الطموح. إنه
جوهري، لذلك يقف في الأسفل حسب طبيعته.

76 انطلاقاً من هذه العقيدة، علينا
كما هو واضح، أن نعلّلَ دون براهينَ ملموسة
ومن هنا فإنه يشترك، بطبيعته، مع البرهان».

79 «لو فهمَ الإنسان كل هذا عبر
التعاليم الأرضية، واستوعبه، لما وجد
السفسطائيون من يصغي إليهم هناك في الأسفل».

82 تلك كانت نَفثةٌ أخرجَتْها غِبطةُ الحب
وتابع: «لقد جرّبتَ قطعة النقد هذه
بوزنها ومادة معدِنها ودقّتها،

85 فأخبرني إن كنتَ تملكها وتعتبرها في حوزتك».
فقلت: «نعم أملكها برّاقةً مستديرة
لم يُتلفِ الاستعمال أيَّ شيء من طُرَّتها».

88 بعد هذه الكلمات عادت النفثةُ مرة أخرى

https://jadidpdf.com

تحدثني من الضوء الذي يتوهج أمامي: «هذه
الجوهرةُ العزيزة التي عليها تأسس الخير وقوته،

91 متى جاءت إليك؟» فقلتُ: «زخّةٌ من ذهبِ
الروح القدس، الذي يتدفق بلا توقف
على الكتب المقدسة، على العهدين الجديد والقديم،

94 هي التي علّلت لي هذا التعليلَ المنطقي الذي
إذا قارناه بغيره بدا لنا غيرُهُ من التعاليل
ليسَ أكثرَ من تعاليلَ مضطربةٍ وقاتمة بالنسبة إلي».

97 فسمعت: «إذا كانت هذه الفرضيات، من
العهدين، دفعتك إلى هذه النتيجة، فلأيّ سبب
توافقُ عليها وتعتبرها حقائقَ مقدسةً؟».

100 فقلتُ: «البرهان الذي يطلعني على الحقيقة
هو في الأعمال التي تَلَتْ. إن الطبيعة
لاتستطيع أن تذيبَ حديده ولا أن تَصهرَه».

103 سمعت: «قل لي كيف عرفتَ أن هناك
مثلَ هذه الأعمال؟ إن ما يسعى إلى
إثبات نفسه يقسم فقط أنه هكذا حصل».

106 قلت: «لو أن العالم كلَّه صار مسيحياً بلا
مساعدة المعجزات، فإن ذلك معجزةٌ
أعظمُ من بقية المعجزات بمئات المرات،

109 لأن الفقيرَ والجائعَ بالإيمان يتدعّمان،

https://jadidpdf.com

وها أنت دخلتَ الحقل وزرعتَ النبتة الجديدة
التي كانت كرمةً يوماً ما، وهي الآن شوكةٌ».

112 ماقلتُ هذا حتى انطلق الكورس
يغني: «نسبّحك أيها الرب» فترِنُّ في المدارات
ميلوديا كأن أرواحَ السماء كلها تغني.

115 وذلك البارونُ الذي باختباره عقيدتي
استدرجني من غصن إلى غصن ودفعني
إلى حيث اقتربنا من آخر ورقة،

118 بدأ ثانية: «النعمةُ التي تحب الخير قد
قدّمت نفسها لعقلك، وفتحت فاك
إلى هذه الدرجة، كما يجب أن يُفتح.

121 أعتقد أن ماظهر نائياً، ولكن
آن الأوان لأن تشرح لنا عقيدتك
ومن أي مصدر جاءتك وكيف؟».

124 كان ردّي: «أيها الأب المقدس، الروحُ وحْدَهُ
يعرف الآن ماذا فعل الإيمانُ بك يوماً حين
سبقْتَ قَدَمَيْ الأصغر منك إلى القبر في الجليل».

127 تابعت: «أنت تريد أن أبسطَ لك
«شكل» اندفاعي الخاص إلى الإيمان،
وتسألني أيّ الأسباب أقدمها له:

130 وإني أجيبك: أؤمن بإله واحد

https://jadidpdf.com

يحب كلّها الخلق، مفردٌ أبدي،
يحرّك السموات كلها، أما هو فلا يتحرك.

133 وعندي براهين على هذا الإيمان، ليس من
الطبيعة وما بعد الطبيعة فقط، بل
من الحقيقة التي تتدفق على حواسي.

136 من موسى والأنبياء والمزامير والإنجيل،
ومن خلال ماكتبت أنت عندما جعلك الروحُ
القدسُ الأبَ الذي يحتضن شعبَ الله.

139 أؤمن بثلاثة أشخاص، أؤمن بالثالوث
لجوهرٍ ثلاثي ومفرد، في كينونته
يجتمع «يكون» و«يكونان» إلى الأبد.

142 ذلك أن هذه الطبيعةَ العميقةَ والمقدسةَ هي
حقيقيةٌ، وتعاليمُ الأناجيل في عدة أماكن خَتَمت بالشمع
عقلي كالختم العادي.

145 هذه البداية التي انطلقت منها الشرارة
مرة، لتتسع وتمتَدَّ حتى تصبح شعلة حية.
تشرق في نفسي، مثل نجمة في السماء».

148 وكسيد يسرّه ما يسمع
فيعانق خادمَهُ حالما يتكلم
مبتهجاً بالأخبار السعيدة التي جاء بها،

151 هكذا تلك الشعلةُ الرسولية المجيدة

https://jadidpdf.com

التي تحدثت بناء على طلبي، سمعني
وباركني بفرح وأنشد تسبيحةً ورقصَ حولي

154 ثلاث مرات، هكذا كلامي منحه المسرّة.

الملاحظات:

2 ـ حَملُ الله: المسيح. هنا إشارة إلى العشاء السري «خذوا كلوا منه هذا هو جسدي».

19 ـ واحداً منهم: هو القديس بطرس.

22 ـ ثلاث مرات: الأرجح أنه يرمز إلى الثالوث.

25 ـ يقفز قلمي: انظر النشيد 23: 62 .

27 ـ طيات أردية السماء: رسم الطيات يحتاج إلى تظليل حتى تظهر، سواء في الرداء أو في السماء. وبما أن طيات السماء ذات بريق، فإنّ من الصعب على الرسام أن يرسمها.

31 ـ النار المقدسة: القديس بطرس.

39 ـ انظر متى 14: 28 وقصة سير بطرس على الماء.

48 ـ على مقدم الأطروحة أن يناقش، وعلى المشرف أن يقرر الدرجة.

59 ـ القبطان: في الأصل «المحارب القائد».

62 ـ أخيك العزيز: بولس.

65 ـ البرهان: المقصود بالبرهان الحجج التي تدعم الرأي، وليس البراهين الملموسة.

66 ـ ماهية: انظر النشيد 20: 92.

101 ـ في الأعمال: في المعجزات.

105 ـ إثبات نفسه: المعجزات لاحجة لديها في أنها وقعت فعلاً سوى القَسَم واليمين، فهي تحتاج إلى إثبات نفسها من خارج نفسها، وليس من الأيمان المقسومة.

126 ـ سبقت قدَمَيْ الأصغر منك: للوقوف على هذه القضية انظر (يوحنا 20: 3 ـ 10) كان يوحنا الأسبق إلى القبر، لكن بطرس كان أول من دخل وأول من آمن.

128 ـ «شكل»: يؤخذ بالمعنى الوسطوي، وهو الصورة المجردة لماهية الشيء.

https://jadidpdf.com

136 ـ موسى والأنبياء والمزامير: أي العهد القديم.

143 ـ تعاليم الأناجيل في عدة أماكن: أي عدة مقاطع من العهد الجديد تؤكد وحدة الثالوث (متى 28: 19 يوحنا 5: 19).

154 ـ ثلاث مرات: مثلما رقص حول بياتريس، والمرجح أنها ترميز للثالوث، وبرهان على رضاه وفرحه.

https://jadidpdf.com

النشيد الخامس والعشرون

المدار الثامن: النجوم الثابتة القديس يعقوب

اختبار الرجاء

القديس يوحنا الرسول

الحكاية: القديس يبارك دانتي مكافأةً له على ما فعل. دانتي يعلن أن قصيدته (أي الكوميديا) إن خففت حكم النفي عن فلورنسا فسوف يرجع إلى مسقط رأسه، وهناك سوف يكلل بالغار. وهذا أعز ما يرجوه من قصيدته، فيظهر له القديس يعقوب، رسول الرجاء. تطلب منه بياتريس أن يختبر دانتي في موضوع الرجاء. وتجيب عن السؤال الأول بقولها: «إن دانتي يملك الرجاء، فبالرجاء جاء بجسمه في هذا الطريق. ثم يجيب دانتي عن طبيعة الرجاء، ومضمون الرجاء، ومصادر الرجاء. وينتهي الاختبار بالنجاح وتعلو صيحة التسبيح لنعمة الرجاء، فتصل أركان الفردوس، فيظهر القديس يوحنا الرسول ويقترب من دانتي. ويتوهج القديس بشعلة المحبة (الكاريتاس) وعندما يحدق دانتي يصاب بالعمى المؤقت.

1 إذا قُيّض لأغنيتي المباركة
التي مدّت لها يداً كلٌّ من السماء والأرض
وقضيتُ فيها سنوات طويلة،

4 أن تنتصر على ظلم الذين نفوني

https://jadidpdf.com

من حظيرتي الجميلة حيث كنت أنام كحمل
وللذئاب العادية كنت عدواً،

7 فسوف أعود بصوت جديد وبجزة
جديدة إلى جرن معموديتي
كشاعر. وهناك سوف أكلل بالغار،

10 لأني دخلتُ الإيمان الذي يجعلنا
كباراً في نظر الله، وبسبب الإيمان
رقص بطرس حولي ثلاث مرات، كما سبق.

13 بعد ذلك مصباح آخر أتانا
من المدار ذاته الذي جاء منه
زهرةُ كهّان المسيح على الأرض.

16 وقد صاحت سيدتي، وهي بالغبطة مفعمةٌ
«انظرْ، انظرْ هناك، إنه البارون الذي
من أجله يذهب الناس حشوداً إلى غالشيا».

19 شاهدت على الأرض حمامة وديعة
تناغي وليفها، وكلٌ يلتفت إلى الآخر
ويدور ساكباً في أذنه همسات حبه.

22 هكذا رأيتُ هنا أميرين عظيمين
مجيدين تلاقيا فتصافحا وطفقا يمدحان
الوجبةَ التي قدّمها لهما العريس.

25 حيا هذان المجيدان كلَّ الآخر

https://jadidpdf.com

والتفتا ووقفا أمامي، ساكنين صامتين.
ومن شدة النور أشحت ببصري عنهما.

28 قالت بياتريس بابتسامة مباركة:
«أيها الكائن المشرق الذي في تاريخه
سُجّلت عطايا بلاطنا السماوي،

31 أرجوك حدّثنا عن الرجاء في هذه السماء
كيف تمثّلتْ لك تلك النعمة عندما
منح يسوعُ الثلاثةَ المختارين نوراً».

34 «ارفعْ رأسك وانظرْ عالياً ولاتخفْ
لأن كل من ينهض من دنيا الفانين
لابد أن تنضجه أنوارُنا من مدار إلى مدار».

37 هكذا تَحدَّث النور الثاني ليريحني
فرفعتُ رأسي إلى الجبلين اللذين من
قبل أسبلا عيني بثقل جلالهما.

40 «بما أن نعمة سيدنا وإمبراطورنا دَعَتكَ
إلى المجيء والمكوث بجسدك الفاني
بين كونتاته في أعظم أبهائه السرية،

43 فلأنك، وقد اتضحتْ لك حقيقةُ هذا البلاط
سوف تقوّي، أنت وغيرك، الرجاء
الذي يجعل الناس يحبون الخير في الأرض،

46 فقل ماهو، وما القوة التي ساعدتك في التسلق

https://jadidpdf.com

وكيف تشعر بتفتحه في عقلك».
هكذا تحدث النور الثاني للمرة الثانية.

49 وتلك النفس الطيبة المكرّسة التي قادت
ريشَ أجنحتي في ذلك الطيران العالي
استبقتْ جوابي وقالت:

52 «الكنيسةُ المقاتلةُ، كما هو مكتوب في الشمس
التي تضيء بأنوارها كل حشدنا، لاتملك
طفلاً واحداً يزيده في الرجاء ـ

55 ولهذا السبب سُمح له بالقدوم
من مصر ليرى أورشليم
قبل أن تصل سنوات حربه إلى ذروتها.

58 النقطتان الأخريان اللتان ستسمعهما
ليستا لزيادة المعرفة، بل لتدريبه
حتى يخبرَ أهل الأرض لِمَ الرجاءُ عزيزٌ لديك.

61 اتركهما لك. ليستا صعبتين عليه
ولن تكون الحقيقة للمباهاة. فليردّ عليك
عسى نعمةُ الرب تسعفه في الإجابة».

64 كتلميذ يتشوق إلى الرد على
أستاذه، وقد أتقن درسه جيداً
ليُظهرَ امتيازه بسرعة ـ هكذا كنت.

67 قلت: «الرجاء هو التوقّع المؤكد

https://jadidpdf.com

لمجد المستقبل. إنه الثمرةُ المباركة
للنعمة الإلهية، والخيرُ الذي يفعله الإنسان.

70 من نجوم كثيرة يهبط علي هذا النور،
ولكن قطَره في قلبي ذلك
المنشد الرائع للجلالة المطلقة.

73 وأنشدَ شاعر التسابيح الربانية: «فليتّكلْ
عليك الذين يعرفون اسمك». فمن يشعر
بالإيمان وطيداً كإيماني ولايعرفه؟

76 ورسالتك التي أرسلتها مرة ثانية
ندىً عذباً على نداه، إلى أن امتلأتَ
وفضْتَ على الآخرين بأمطارك العذبة».

79 وإذْ كنت أتكلم على هذا النحو، اضطرب
لألاءُ النور في جوف تلك الشعلة
فجأة، ولمع كما تلمع وهج البروق.

82 وسمعته يتكلم: «الحب الذي مازال مستعراً
في أحشائي لتلك النعمة التي تبعتني حتى النصر
وحتى غادرتُ الميدان إلى الحياة السعيدة،

85 دفعتني إلى المزيد من الكلام: أنت تعرف الحقيقة
والبهجة الدائمة التي يقدمها: لذلك أبهجُ فؤادي
وأخبرني ماذا جلب لك الرجاء».

88 قلت: «من الكتاب: جديدهِ وقديمهِ،

https://jadidpdf.com

ينزل الرمز ليدلّني عليه.
وكل الذين اختارهم الله كأصدقاء له ـ

91 كما يقول أشعيا ـ سيلبسهم
ثياباً مضاعفة في بلادهم الأصلية،
وتلك البلاد هي هذه الحياة مع المباركين.

94 فأخوك الذي يكتب بكل وضوح
عن الأرواب البيض، يقدم هذه الرؤيا
بصورة مفصلة لنا جميعاً حتى نرى».

97 وإذ تكلمتُ هكذا رنّ بوضوح من
أعلى «فليتّكلْ عليك يا رب»
فجاء الرد من كل أطراف المدار.

100 داخل الجوقة توهج للتوّ شعاعٌ،
مشرق، ولو أن برج السرطان يملك نجمة
بإشراقه، لكان شهرٌ من الشتاء يصير كله نهاراً.

103 وكما تنهض العذراء المبتهجة وتذهب
لتنضم إلى الرفض في شرف الكبرياء،
وليس لأي سبب من الأسباب الأخرى،

106 هكذا فعل المصباح المنير هناك في الأعلى،
فقد انضم إلى الإثنين اللذين يرقصان فرحاً،
تعبيراً عن الفرح الملتهب في القلب.

109 لقد انضم إليهما في الكلمات والنغم،

https://jadidpdf.com

ومثل العروس صامتة لاتتحرك
ثبّتت سيدتي عينيها على ذلك المجد.

112 «هذا هو الذي يتكئ على صدر
بجعتنا، وهذا هو الذي اختاره
الصليبُ ليحقق المطلب الأعظم».

115 هكذا تكلمت سيدتي، ولم تغير لا من وضعها
ولا من اهتمامها، فظلت كما هي
قبل أن تتكلم، وبعد أن تكلمت.

118 ومثل من يحدّق بنظره في النور،
ليرى الشمس تدخل في الكسوف الجزئي
وفي تحديقه يفقد بصره،

121 هكذا حدقتُ في الشعلة الأخيرة لذاك المدار
إلى أن جاء صوت يقول: «لماذا تعمي بصرك
في محاولة رؤية ماليس له مكانٌ حقيقي هنا؟

124 ما جسدي سوى تراب في ترابٍ، فيكون
مع البقية، إلى أن تربوَ أعدادنا كثيراً
فتملأُ رحاب العالم الأبدي.

127 المصباحان الأشدُّ توهجاً، هما فقط
اللذان نهضا إلى رواقهما المبارك مسرورين.
فاشرخ هذا لعالمك عندما إليه تعود».

130 عندما قيلت هذه الكلمات، توقف

https://jadidpdf.com

الإكليلُ المشتعل عن الرقص، والجوقةُ
توقفت عن غنائها بصوتها الثلاثي الجميل،

133 كالمجاذيف التي تضرب صفحة البحر
فتتوقف كلها معاً لدى سماع صوت الصافرة
لتكفَّ عن العمل، أو لطارئ طرأ.

136 أي موجة شعور اجتاحتْ عقلي
عندما التفتُّ عن المصباح المنير
لأنظر إلى بياتريس، فلا أراها بعيني

139 المنبهرتين مع أنّي أقف بجانبها في الفردوس.

الرموز والصور:

الرجاء: أو الأمل هو ثاني أركان الوحدانية المسيحية. والرجاء له معنى محدد يقدمه دانتي بدقة، وهو أنه انتظار مؤكد للخلاص على يد المسيح المنتظر. والرجاء مبحث كبير في الأخرويات، فلا علاقة لهذا الرجاء أو الأمل بدنيا البشر.

رجاء دانتي: يختلف عن الرجاء الأخروي في أنه أرضي، فهو رجاء العودة إلى فلورنسا شاعراً ليتوج بإكليل المجد بعد أن يكون قد أنهى قصيدته (الكوميديا) وحقق الشهرة بين محبيه، وأحرز النصر على مبغضيه.

الملاحظات:

5 ـ من حظيرتي: من فلورنسا.

7 ـ بصوت جديد: ليس بصوت مغن ينشد الأناشيد، بل كمرتل لنشيد الله.

7 ـ جزة جديدة: مازال يتابع صورة الحمل.

17 ـ البارون: القديس يعقوب، وقبره في غالشيا.

22 ـ أميرين: بطرس ويعقوب.

24 ـ انظر النشيد الرابع والعشرين 1 ـ 6 . الوجبة: العشاء السري. العريس: المسيح.

https://jadidpdf.com

33 ـ الثلاثة المختارين: بطرس ويعقوب ويوحنا (متى 17: 1).

37 ـ النور الثاني: يعقوب.

38 ـ الجبلين: بطرس ويعقوب.

49 ـ تلك النفس: بياتريس.

52 ـ الشمس: الله.

56 ـ مصر: الحياة الأرضية والعبودية الدنيوية. أورشليم: السماء. سنوات حربه: أيام حياته.

83 ـ النعمة: الرجاء.

86 ـ يقدمها: فاعل يقدمها ضمير يعود على الرجاء.

91 ـ انظر أشعيا (61: 7).

100 ـ شعاع: هو القديس يوحنا الرسول.

113 ـ بجعتنا: لقب المسيح في العصور الوسطى. والسبب أن البجعة إذا جاع فراخها تنقر صدرها حتى يدمى وتطعم أولادها، وفي ليجندة أخرى جاء أنها تنقر صدرها عندما يموتون، لأنها بذلك تعيدهم إلى الحياة.

123 ـ ليس له مكان حقيقي هنا: اشتهر في ليجندة يوحنا أنه صعد إلى السماء بجسده وروحه معاً، لذلك يصحح دانتي الأمور ويرى أنه ليس له «مكان» حقيقي.

127 ـ المصباحان: مريم والمسيح.

https://jadidpdf.com

النشيد السادس والعشرون

المدار الثامن: النجوم الثابتة اختبار المحبة

آدم

الحكاية: يؤكد القديس يوحنا لدانتي أن بصره سوف يعود إليه بنظرة بياتريس الشافية. يبدأ القديس يوحنا اختباره في المحبة (الكاريتاس) فيسأله كيف عرف المحبة، وما الذي دفعه إلى البحث عنه. ويطلب منه أن يصف له شدة المحبة، وأن يشرح له ينابيع المحبة. فتنطلق ترنيمة في كل أرجاء السماء. وعلى الأثر يرجع بصر دانتي. وتظهر روح آدم فتنضم إلى الرسل الثلاثة السابقين، وتجيب عن أسئلة دانتي: تاريخ خلق آدم، وكم بقي في عدن، وسبب غضب الرب، وبأي لغة تكلم آدم أثناء وجوده على الأرض. وكل ما يقوله دانتي يعبر عن آرائه.

1 إذ كنت أقف مضطرباً من فقد بصري
جاءني صوتٌ من الشعلة الباهرة
التي عطّلته، وصاح بي، قائلاً:

4 «من الآن وحتى يعود بصرك الذي
ذهب به النورُ المنبعث مني، من الأفضل
أن تقوم بتعويضٍ أثناء ذلك.

https://jadidpdf.com

7 لذا نبدأ الحديث بالشيء الأعظم الذي
تدعو نفسك إليه لتكون على يقين
أن بصرك منبهرٌ فقط، وليس مفقوداً.

10 لأن التي ترشدك عبر هذه الأرض المقدسة
تملك في التفاتة واحدة من عينيها
القوّةَ الكامنة في يد حنانيا».

13 قلت: «فلتجلبْ آجلاً أو عاجلاً الدواءَ
كما تريد، لعيني، البوابتين اللتين منهما
أَدْخَلَتِ النارَ التي لاتنطفئ إلى قلبي.

16 الخير الذي هو سعادة هذا الرواق
يُعتبر ألفباءَ الكتاب المقدس
التي تقرأها المحبة لي بنبرات خفيفة وثقيلة».

19 والصوت نفسه الذي أزال خوفي عندما
وجدتُ فجأة أنني لاأستطيع الإبصار،
دعاني مرة أخرى إلى السؤال. سمعته يقول:

22 «لاشك أننا سندخل ذلك في منخل دقيق.
عليك أن توضّح ما الذي جعلك تحني هامتك
لهذه المَهمّة المجيدة، ومن دفعك إلى ذلك».

25 قلتُ: «بموجب براهين الفلسفة وبحكم
السلطة التي تهبط من هنا، طبعني
هذا الحب، ووضع خاتمهُ على قلبي.

https://jadidpdf.com

28 فالخير، كخير، بقدر ما يفهمه عقلنا
الناقصُ يشعل الحب، وكلما
فهمناه أكثر، توهّج واشتعل أكثر.

31 فإلى الجوهر الذي فيه يكمن الكمال
يُهرعُ الخير، وكل خير آخر
غيره ليس أكثر من انعكاس لنوره.

34 إليه لابد أن يتجه العقل، قبل أي
شيء آخر، طالما يرى حقيقته.
وماحقيقته سوى البرهانِ على ضرورة حب الإنسان.

37 تلك الحقيقةُ أوضحها لي مَنْ
براهينه جاءت من السبب الأول والحب الأول
لكل ماهو أبدي وسرمدي.

40 إنه مثبّت في صوت الخالق الحقيقي
الذي خاطب موسى، فقال وهو يقصد
ذاته «أجيزُ كل جودتي قدامك»،

43 وأعرف الحب من قراءة مقدمتك
التي تكشف سرَّ الله للإنسان
بصوت عال أشدَّ من إذاعة الأخبار».

46 سمعت: «إن محبتكم تصعد إلى الله
بكل عواطف روحكم، بسبب العقل
البشري وانسجامه مع الكتاب المقدس.

https://jadidpdf.com

49 ولكن أخبرني إن كنت تشعر بروابط أخرى
تربطك به. قل كم عدد الأسنان
التي تعضّك المحبةُ بها» ـ هكذا

52 في الفردوس تحدث نسر المسيح
بمقصد مقدس، لايخفي شيئاً، سوى
حثي على أن أنذر نفسي كلياً للمحبة.

55 فقلت: «كل هذه الأسنان بقوتها،
التي تمزّقُ قلب أي إنسان يهفو إلى الله،
موجودة في قلبي وتدفعه إلى الحب.

58 وجودُ العالم، ووجودي أنا أيضاً
والموتُ الذي قبله من أجل أن أحيا
ورجاءُ جميع المؤمنين به ـ

61 كل هذا وكذلك المعرفةُ الحيَّةُ التي أشرت إليها
من قبل، أنقَذَني من بحر الحب الكاذب
ودفعني بالحب الحقيقي إلى شاطئ السلامة.

64 أوراق تلك الحديقة الأبدية الخضراء
أحببتها بقدْرِ ما فيها من ندى
وضياءِ حبّه الشامل المزهر».

67 وفي اللحظة التي توقفتُ فيها عن وصف حبي
اندلعت السماء صارخة: «قدّوس، قدّوس، قدّوس»
وانضمتْ سيدتي إلى بقية المباركين.

https://jadidpdf.com

70 ومثلما يستيقظ النائم إذا واجهَ نوراً
ساطعاً، إذ تقفز الروح الرؤيوية
إلى النور الذي ينفذ عميقاً طبقة فطبقة،

73 والرجلُ الذي يستيقظ لايدرك ما يرى،
إذ تذهب عنه فطنته في اليقظة المفاجئة
إلى أن يستعيدَ قدراتِهِ مرة ثانية،

76 هكذا عينا سيدتي اللتين يبدو
شعاعُهما من ألف ميلٍ وأكثرَ، نزعتا
من عينيّ آخِرَ العوائق فيهما.

79 وبعد أن استعدتُ بصري تماماً
وصار حاداً أكثر من ذي قبل،
سألتها عن النور الرابع العظيم،

82 الذي كان قربنا، فقالت: «في ذلك
الشعاع، تقوم الروحُ الأولى التي خلَقَتها
القوّةُ الأولى بتقديم العبادة لها».

85 وكغصن يحني تاجَهُ لهبوب الريح
ثم بعد العصف، يعلو مرة ثانية
فيرتفعُ بقوته الداخلية،

88 كذلك أنا عندما تكلّمت، ارتعدتُ بكاملي،
ثم هدأتُ ثانية، واثقاً من رغبة
الكلام التي تشرئبُ في داخلي فبدأتُ:

https://jadidpdf.com

91 «يا أول ثمرة وحيدة تراها الأرضُ
تنبثق ناضجة كاملة: أيها السيد الأول
يامن كل العرائس بناتكَ أو كنائنك

94 أرجوك أن تتكلم، وأن تردّ
فأنت تعرف رغبتي، وحالما أسمعك تتحدث
سوف أصمت عن كل ما لاحاجة إلى قوله».

97 أحياناً يستتر حيوان بغطاء، وتحته
يتحرك، ونكشف حركته من مراقبة
الغطاء، وهو يعلو ويهبط،

100 وبالطريقة ذاتها علمتني تلك الروح
الأولى كيف أرى من خلال حركة غطائها ذلك
الفرح الذي في السماء، يتحرك ليأتيني بالفرح.

103 قال: «لاحاجة أبداً أن أسمع
ماتريد قوله، فأنا أعرف رغبتك
ومتأكد منها أكثر مما تبدو لك واضحة.

106 أراها في المرآة الحقيقية، فهي العاكس
الكامل لكل الأشياء في خليقتها،
ولكن لايوجد في خليقتها من يشبهها.

109 إنك تود أن تعرف كم من السنين
مرّ على خلق الله لي في الجنة العليا
ومتى هيأتك بياتريس لسلالم النعمة،

https://jadidpdf.com

112 وكم من السنوات تمتّعتْ عيناي بخير الجنة،
والسببُ الحقيقي الذي يكمن وراء الطرد،
واللغةَ التي تحدثت بها، والتي صنعتها بنفسي.

115 فاعلم يا بنيّ أن الأكل من الشجرة
لم يكن بحد ذاته سبباً لهذا النفي الطويل،
ولكن خرقَ قانون الله هو السبب الوحيد.

118 شوقاً للانضمام إلى هذا الركب، مكثَ
ظلي دورتين وثلاثمئة وأربعة آلاف دورة شمسية
في نهايتها رأيتُ سيدتكَ تدعو فرجيل لمساعدتك.

121 وتتبعتُ كل إشاراتها فرأيتها
تدور تسعمئة وثلاثين مرة حول
طرفها، منذ أن كنت إنساناً في الأسفل.

124 اللغة التي تكلمتها تلاشت وانتهت
قبل أن يرفع شعب النمرود يديه
ويعملَ فوق طاقته، بزمن طويل،

127 فلا شيءَ في العقل لايتغير،
فميول الشخص بالنجوم تتأثر
وتتبع مجرى مسيرة النجوم.

130 ما يتكلمه الإنسان متروك لأوامر طبيعته.
أما أن يتكلّمَ بهذه الطريقة أو تلك
فإن الطبيعة تتركك تقرر ماتراه أنسب.

https://jadidpdf.com

133 حتى الزمنُ الذي ذهبت فيه إلى عذاب الجحيم
كان الخيرَ الأسمى، الذي تلفني أشعته
هنا بالفرح، يُعرف على الأرض باسم «أيل»

136 وكان يُعرف باسم ياه، ولابد أن يكون
هكذا لأن استخدام البشرية أشبه بورقة
تسقط من غصن لتدع غيرها تنمو.

139 من القمة التي ترتفع عالياً، كانت إقامتي
بريئةً، وفيما بعد عشتُ في نكدٍ، من أول
ساعة أشرقَتْ في أول يوم حتى ساعة مابعد السادسة،

142 حيث غيّرتِ الشمسُ فصلَها، وكانت في أوجها».

الملاحظات:

12 ـ حنانيا: (أعمال الرسل 10:9)
26 ـ من هنا: من السماء، والسلطة التي تهبط هي الكتاب المقدس.
37 ـ مَنْ: ربما كان يقصد أفلاطون، الذي اعتمدت براهينه على الأسباب الأولى في محاورته «المأدبة» التي تبحث في الحب والجمال.
40 ـ انظر الخروج 33: 19.
43 ـ الرؤيا (1: 8).
50 ـ الأسنان: البواعث، المحرضات.
52 ـ نسر المسيح: يوحنا.
61 ـ المعرفة الحية: هي أن الله خير أسمى.
64 ـ الحديقة الأبدية: الله.
83 ـ الروح الأولى: آدم.
91 ـ أول ثمرة وحيدة: حواء.
118 ـ هذا الركب: من الأرواح المختارة للطوباويين.

https://jadidpdf.com

122 ـ يعتقد دانتي أن البشرية تحدثت بلغة آدم حتى قام شعب النمرود ببناء برج بابل، فتبلبلت الألسنة.

135 ـ إشارة إلى أن الشعوب القديمة كانت تطلق على الله أسماء غير معروفة في هذه الأيام.

140 ـ أي عاش سبع ساعات في الفردوس الأرضي.

https://jadidpdf.com

النشيد السابع والعشرون

المدار الثامن: النجوم الثابتة إدانة الفساد البابوي

الصعود إلى المحرك الأول

الحكاية: يحمرّ القديس بطرس غضباً على الفساد البابوي، فتعتم السماء لدى سماع مثل هذا العمل الشرير. وحجة بطرس أن البابوية قد أصبحت منظّمة للسياسة والتفتيش، ولذلك فهي منظمة دموية. ويعدد جرائم البابوات، ويطلب من دانتي أن يذيع في الأرض بين البشر الغضب الذي رآه في السماء. ويرتفع البلاط المنتصر ويحلق بعيداً ويبقى دانتي مع بياتريس التي تطلب منه أن ينظر إلى أسفل. دانتي يجد نفسه بين أورشليم وإسبانيا. ثم يرجع ببصره إلى عيني بياتريس التي تصعد به إلى المحرك الأول وتخبره أن زمن الفساد الأرضي أوشك أن ينتهي.

1 «المجد للأب والإبن والروح القدس»
نغمة عذبة سكرتُ بها لدى سماعها
ترن من كامل جوقة الحشد السماوي.

4 وبدا لي أني أرى الكون مبتهجاً
يبتسم، فتكون نشوتي قد جاءتني
من السمع والبصر في آن واحد.

7 أيّتها البهجةُ، أيتها البَرَكة، لايمكن للسان أن يحدّث.

https://jadidpdf.com

أيتها الحياة المتوحدة مع الحب الكامل والسلام.
أيتها الثروة المؤكَّدة التي لاتحتاج إلى جهد.

10 كانت المشاعلُ الأربعة الكبرى ما تزال متوهّجة هناك
وذاك الذي كان تقدم منهم إليّ، بدا أنه
أشدُّ إشعاعاً من الآخرين في ذلك المدار.

13 كما يمكن أن يظهر جوبيتر، إذا كان هو ومارس
عصفورين وتبادلا الأرياش البرّاقة ـ
هكذا ظهر المشعل الذي تقدم بين النجوم الأخرى.

16 إن العنايةَ التي تعيّن لسكان السماء
الهيئاتِ والموظفين، قد فرضت الآن
عليهم الصمتَ، فلم يتكلمْ أحد عندما

19 سمعت: «لاتعجبْ إذا رأتني
أتغير إلى الأحمر لأني كلما نطقتُ بما أريد
فإنك ترى تلك الكائنات تغيّر لونها أيضاً.

22 إن مغتصبَ العرش الممنوح لي،
لي، لي، هناك في الأرض
والذي يُعتبر شاغراً بنظر ابن الله،

25 قد جعل من قبري بالوعةً للدمِ
والقذارة، مما جعل ذلك الخائنَ
الذي طُرد من هنا، يضحك شامتاً هناك».

28 اللون الذي كنت أراه يوشّحُ الغيوم حين تكون

https://jadidpdf.com

في الأفق المقابل لشروق الشمس أو غروبها، رأيته
ذاته يوشّح وجهَ السماء الفسيح الجميل.

31 ومثلما السيدة المتواضعة واثقةً
من فضيلتها، لكنها تخجل من أخطاء
غيرها، لو سمعتْها سمعاً فقط،

34 هكذا بياتريس تغيّر مزاجُها في لحظة
واعترى السماء كسوفٌ مثل الكسوف
الذي تعانيه القوة العليا لدى موت البشرية.

37 ثم تابع كلامه كما كان في السابق
وقد تغير صوته وامتلأ بالاحتقار
حتى أن محيّاه لم يعد يعتم أكثر من ذلك:

40 «إن دمي ودم لينوس وكلينوس
أُريق من أجل أن تغتذي عروس المسيح
لا من أجل تلك التي باسمها يُجمع الذهبُ والمال.

43 ومن أجل هذه الحياة الجميلة المباركة،
سكتوس وبيوس وكاليكستون أراقوا
دمهم وسكبوا دموع الحزن والألم.

46 لم يكن قصدُنا، يوم قدّمنا دمنا
أن يجلس مسيحيون عن يمين وشمال
أولئك الذين جلسوا على الكرسي بعدنا.

49 والمفتاحان اللذان بيدي جعلوا منهما

https://jadidpdf.com

شعاراً على الراية لشنِّ حرب
ضد المسيحيين في أرض مسيحية.

52 وماكنت أظنُّ أن صورة رأسي في آخر
الزمن تصبح خَتماً يُباع لامتيازات
المنافقين. إن هذه الفكرة تُشعِلُني غضباً.

55 من هنا في كل مرعى وحظيرة وهضبة
نرى ذئاباً تلبسُ مسوحَ الرعاة،
فيا يد الله المدافعةَ عن البشرية، لماذا أنت ساكنة؟

58 الغاسقونيون والكاهوريون اندفعوا
يشربون من دمنا. ياللبداية الرائعة،
إلى أي نهاية حمقاءَ أنت تذهبين؟

61 إن العناية الإلهية التي وقفت مع روما
وسيبيون الذي حمى مجدَ العالم
لابد أن نراها قادمة، عاجلاً.

64 وأنت يابني، يجب أن تحمل في كل طرقات
العالم ثقلَ جسدك، وأن تفتح فمك هناك.
لاتُخْفِ كلمةً مما قلته لك هنا».

67 وكما عَبْرَ هوائنا يتساقط البخارُ المتجمد
رقاقاتٍ في نصف كرتنا الأرضية عندما
ينطح قرنُ جدي السماء خاصرة الشمس

70 هكذا تماماً ماحدث في الأعلى، فقد رأيت الأثير

https://jadidpdf.com

يعلو برقاقات الثلج من أبخرة القديسين
الذين مكثوا في الأرض معنا قليلاً.

73 تابعتْ عيناي آثارهما وهي ترتفع
إلى ذروة عالية، وبقيت أتابعها
حتى غيَّبتها عني المسافةُ البعيدة،

76 وعندها قالت سيدتي وقد رأتني
أرفع بصري إلى أعلى «انظرِ الآن إلى
الأسفل كيف أخذت السموات تدور».

79 نظرتُ إلى أسفلَ مرة ثانية. ومنذ آخر
مرة نظرتُ فيها وجدت أن طول القوس
الذي قطعته يساوي نصف استدارة المنطقة.

82 وبهذا رأيتُ كاديزَ، الطريقَ المجنون
الذي اتخذه أوليس، ومعظمَ الشاطئ
الذي منه امتطت أوروبا ظهرَ البهيمة الإلهية.

85 وكان سيظهر للنظر، فيما بعد، معظم ذلك
البيدر الصغير، ولكن تحت قدمي
كانت الشمس قد سبقتني بإشارة وأكثر.

88 عقلي الذي يجد فردوسه في
التفكير بسيدتي، التهبَ الآن أكثر
من السابق برغبة النظر في عينيها.

91 إذا كانت الطبيعة أو الفن ابتكرا إغراءً

https://jadidpdf.com

لجذب عيني الإنسان وامتلاك عقله
سواءً بجمال الجسد أو جمال اللوحة

94 فإن كل الإغراءات مجتمعةً لايمكن
أن تُذكَر أمام الفرح المقدس الذي التمع
عندما نظرت إلى ابتسامتها الأخّاذة.

97 فبنظرة واحدة شعرت بأن روحي امتلكَتْ
قوة انتزعتني من عش ليديا ودفعت
بي عالياً نحو السماء الأسرع.

100 من حدودها القصوى والدنيا وحتى مركزها
تجدُ صفّاً ولوناً واحداً في انسجام كامل
فما أدري ما أقول فيما اختارته سيدتي.

103 ولكن عندما عرفتْ مايشتعل بي من رغبة
راحت تقول بابتسامة عذبة حتى
أن نعمةَ الله تشعُّ من غبطتها:

106 «نظام الكون الذي تكون طبيعته
ثابتةً في المركز ودوارة في الجوانب
يتخذ من هذه السماء نقطة البداية.

109 هذه السماء لاتوجد في أي مكان
إلا في عقل الله، حيث يشتعل الحب الذي
يدوّرها والقوة التي تمطرها من كل الجهات.

112 لقد شملها النور والحب في حزمة واحدة

https://jadidpdf.com

مثل البقية، ومثلُ هذا المحتوى لايفهمه
إلا ذاك الذي يمسك به.

115 وحركتها غير مخلوقة، فكل الأشياء
تستمد حركتها من هذه السماء تماماً
مثلما العَشَرةُ هي ناتج خمسةٍ في اثنين.

118 وهكذا يمكنكَ أن تفهم كيف أن الزمان
خبّأ جذوره في مزهرية هذا المدار وجعل
الأطراف التي نراها تنشر أوراقها وثمارها.

121 أيها الجشَعُ الذي أغرق كل البشرية
عميقاً في ظلماته، بحيث لم يَعُدْ أحد يقوى
على رفع نظره فوق طوفان آثامه.

124 إن إرادة الإنسان تأتي بالخير لزهرتها الأولى
لكن المطرَ الهائل بعد ذلك يهطل
ويتلفُ الثمرةَ والأوراقَ الخضراء.

127 لانجد البراءةَ والإيمان أبداً
إلا في الأطفال الصغار، ولكنهما
يهربان قبل أن تظهرَ أول شعرة في الذقن.

130 ما إن يلثغُ الفتى حتى يبدأ الصوم والصلاة،
وما إن ينطلق لسانه، حتى يلتهمَ كل أنواع الأطعمة
حتى في الصوم الكبير، وبقيةِ أيام الصيام.

133 وهذا آخر يحبّ أمه ويطيعها

https://jadidpdf.com

مادام فتى ألثغ، فما إن يُجيد
الكلامَ حتى يتمنى رؤيتها في القبر.

136 وحتى ابنةُ الله الشقراء التي تجلب لنا
النهارَ وتخلّف علينا الليلَ، تغيّر سحنتها
ويتحول جلدها الأبيض إلى أسود في منظر السماء.

139 فإن عجبتَ مما أقول، فلاحِظْ
أنه لاأحد يحكم هنا في الأرض
حيث ضلّتِ الأسرةُ البشرية وانحرفت.

142 ولكن قبل أن يحل كانون الثاني في الربيع
بسبب ذلك اليوم الغريب الذي يسقط
من الحساب كلّ مئة عام، تكون هذه المداراتُ

145 قد قرعت ناقوس الخطر لتعلن بأن العاصفة
التي طالما انتظرها البشرُ سوف تقلب
السفنَ رأساً على عقب وتضع الأسطول في

148 الطريق السليم، وعندها نرى الغصن الأول ينتج
ثمراً طيباً في الشجرة».

الملاحظات:

10 ـ المشاعل الأربعة: بطرس ويعقوب ويوحنا وآدم.

11 ـ ذاك الذي: بطرس.

13 ـ جوبيتر أبيض: ومارس أحمر، فمبادلة الريش يقصد بها أن الكنيسة غيرت بعده طريقها وصارت أشد وطأة.

22 ـ مغتصب العرش: البابا بونيفانسي الثامن.

https://jadidpdf.com

25 ـ قبري: في روما حيث مركز البابوية.

26 ـ ذلك الخائن: الشيطان.

40 ـ لينوس وكلينوس: من خلفاء بطرس.

42 ـ سكتوس وليوس وكاليكستون: من خلفاء بطرس.

47 ـ عن يمين وشمال: أخذ هذه الصورة من انقسام الجولف إلى بيض وسود.

49 ـ المفتاحان: اتُخذ شعاراً للفاتيكان.

58 ـ الفاسقونيون: إشارة إلى البابا كليمنت الخامس، الذي كان منهم. والكاهوريون: إشارة إلى البابا يوحنا الثاني عشر الذي كان منهم.

82 ـ كاديز: الأطلنطي.

83 ـ البهيمة الإلهية: اتخذ جوبيتر شكل ثور ليخطف الفتاة الجميلة أوروبا.

86 ـ البيدر الصغير: الأرض (انظر النشيد 22: 127).

98 ـ عش ليدا: الجوزاء. إشارة إلى ابني ليدا التوأمين: كاستر وبولوكس، فقد ظهر زيوس لليدا كذكر بط، فوضعت منه بيضتين: الأولى هيلين، والثانية خرج منها كاستر وبولوكس، لذلك قال دانتي عش ليدا.

114 ـ ذاك الذي يمسك: الله.

131 ـ ينطلق لسانه: يتخطى عمر اللثغ ويصبح شاباً.

140 ـ لاأحد يحكم: البابوية فسدت، والإمبراطور غادر إيطاليا، فتسيبت الأمور، فليس ثمة حاكم.

142 ـ يحل كانون الثاني في الربيع: كل مئة عام يزيد يوم حسب التقويم الغريغوري، فبعد ألف سنة إذا لم يسقط «اليوم الغريب» يتقدم كانون الثاني ليصبح في الربيع.

https://jadidpdf.com

النشيد الثامن والعشرون

المدار التاسع: المحرك الأول مراتب الملائكة

الحكاية: يحدق دانتي في عيني بياتريس فيلاحظ أنهما تعكسان ضوءاً ساطعاً. ينظر خلفه فيجد نور الله، وهو عبارة عن نقطة نور متناهية في الصغر، لا أبعاد لها، يحيط بها تسعة مدارات وضاءة تمثل مراتب الملائكة. يؤخذ دانتي بهذه الرؤيا التي تعكس نظام الكون، فأرقى الملائكة هم في المركز يتجمعون في حلقة صغيرة. وتشرح له بياتريس علاقة هذه المدارات بحركة السموات، وتعرفه بثلاث مراتب من المراتب التسع الموزعة في تسعة مدارات.

1 عندما تلك التي ملأتْ بالفردوس عقلي
شرحَتْ وفَضَحَتْ الحقيقة الكاملة
للحالة الراهنة للبشرية البائسة،

4 كمن يرى في المرآة أمامه
مشعلاً يلتهب خلفه، ويعرف أنه هناك
قبل أن يراه أو يفكّرَ فيه مباشرة،

7 ويلتفتَ ليرى إذا كان ما أظهرته المرآة
موجوداً فعلاً هناك، مثل ارتباط الكلمات
بالموسيقى، والواقِعة بروايتها،

https://jadidpdf.com

10 هذا ما خطر لي عندما كنت أحَدِّقُ أولاً
في سماء تينك العينين الكريمتين اللتين
ألقتا شباك الحب لاصطيادي،

13 التفتُّ، وفقدتُ حواسي في هذه الالتفاتة
بسبب ما رأيته يلمع في تلك السماء
عندما اقتربنا من عجلتها الدائرة.

16 رأيت نقطةً تشع نوراً، متناهيةً
في الصغر، تجعل العينَ التي تراها
تحتفظ بها حتى بعد أن تنغلق أجفانُ العيون.

19 إن أصغرَ نجمة في السماء تبدو هنا
مثلَ القمر الساطع إذا وُضعت قربَ
هذه النقطة، مثلما تُرى عادة النجمة قرب النجمة.

22 وبقَدْرِ المسافة التي تصنعها الهالة
المحيطة بالمُشِعّ السماوي الذي يرسمها
على الضباب الكثيف، تظهرُ النقطة للعين.

25 وتحيط بها، وقريباً منها حلقةٌ من نار
تدور بسرعة أشدَّ من أسرع المدارات
المحيطة بالعالم، في دوران لانهايةَ له.

28 وأخرى تحيط بهذه، وتحيط بهما
ثالثة، والثالثة تحيطها رابعة
والرابعة تحيطها خامسة، والخامسة تليها سادسة.

https://jadidpdf.com

31 وتليها السابعة، وهي تنتشر على مساحة واسعة
حتى لو أن رسولة جونو أفردَتْ كل قوسها
لما استطاعت أن تغطيها من الجانب إلى الجانب.

34 وكذلك المدارُ الثامن، والتاسع وكل حلقة تدور
بحركة أبطأُ من الحلقة التي تسبقها
حسب ترتيبها من الحلقة الأولى

37 التي تعطي أعظم التألُّقات، وأظن
إن السبب هو كونُها الأقرب إلى الذرّة المضيئة
فهي التي تشارك أكثر من غيرها في الجوهر الحقيقي.

40 كنت في أشدّ حالات الارتباك. وقد رأت سيدتي ذلك
وحتى تريحَ عقلي قالت: «من تلك النقطة
ترتبط السمواتُ وكلّ قانون الطبيعة.

43 انظرْ إلى أقرب الحلقات واعلمْ أنها
تدور بهذه السرعة بسبب نار الحب
التي تنفذ أشعتها عميقاً وعميقاً».

46 فقلت لها: «لو كان النظام الذي تجده
في الكون مثلَ هذه العجلاتِ المضيئة
لكان ماأرى الآن مقنعاً لعقلي.

49 ولكن في الكون المحسوس يرى المرء
حركةَ المداراتِ تصبح أشبه بالله
كلما كانت أقربَ إلى المحيط وأبعدَ عن المركز.

https://jadidpdf.com

52 إذا كان هناك طعامٌ يسكت شهية روحي
في هذا المعبد الملائكي المجيد
الذي لايحدّه شيء سوى الحب والنور

55 فلا أعرف كيف جرى تنظيم
الشكل والمثال بحيث يكونان متخالفين
وهذا شيء لم أستطعْ فهمه من تلقاء ذاتي».

58 «ليس عجيباً أن مثل هذه العقدة تستعصي
على أصابعك، إذ حتى الآن لم تحاول حلها لأن
حلقاتها تراصّت بإحكام مثل الملزمة».

61 هكذا تكلّمت سيدتي، ثم تابعت كلامها:
«إذا أردت أن تفهم، فاستوعبْ ما أقول،
وركّز عقلك وإمكاناتك كلها فيما أشرح.

64 المدارات المادية متدرجةٌ في الحجم
وفقاً للقوة التي تصبها
وتثبّتها في مكانها في السموات.

67 إن الخيرَ الأعظم يريد نعمةً أكبر. والجسمُ
الأكبر يمكن أن يحملَ كثيراً من الخير إذا كانت
كل أجزائه كاملةً، كما في هذه الحالة.

70 إذن، هذا المدار الذي يدور معه منسجماً
مع كل الكون، يريد أن ينسجم مع المدار
الملائكي الأعظمِ حبّاً والأعظمِ معرفة.

https://jadidpdf.com

73 فإذا قستَ، ليس بما يظهر بل
بالقوة المخلوقة في هذه الكائنات
التي تتبدى لك كمدارات،

76 فسوف تلاحظ تطابقاً عجيباً
من قوة عظيمة إلى قوة تعظم، ومن الأصغر
إلى الأكبر بين كل سماء وعقلها».

79 وكما تهدأ وتلمع نصفُ دائرة الهواء
زرقاءَ صافيةً حتى أبعدِ أطرافها
عندما تهب الريح من وجنة بورياس اليمنى،

82 فتتطهَّر وتنحلُ مع ذلك البخار
المتجمد والعنيف، حتى أن السماء تبتسم
لجمال كل أسقفية من أسقفياتها،

85 هكذا كانت الصورة في عقلي، حالما
قدمت لي سيدتي جواباً شافياً، فرأيت
الحقيقةَ تلمع أمامي كما تلمعُ نجمة السماء.

88 وعندما أنهَتْ آخر كلماتها بدأ كل
مدار ملائكي يرسل الشررَ كالحديد عندما
يُصهر في بوتقة قاذفاً شرارَته.

91 وكل شرارة دارت مع حلقتها الدوارة.
وكانت الشرارات كثيرةً لاتُعدُّ ولاتُحصى
كمجموع حبات القمح في آخر مربّع شطرنج الملك.

https://jadidpdf.com

94 وانطلقت ترنيمة التسبيح من جوقة إلى جوقة.
حتى النقطةِ الثابتة التي تمسكهم في مكان ثابت
كما كان، وكما سيكون إلى أبد الأبدين.

97 وتلك التي شعرتْ بشيء من ضياعي
واضطراب عقلي شرحت قائلة: «الدائرتان
الأولى والثانية تريكَ السيرافيم والشيروبيم

100 ولكونهم مَقُودين، يمسك بهم لجام شوقهم
إلى المزيد من المشابهة بالنقطة الجوهرية، فإنهم
يستطيعون النظر إلى بركة تلك النقطة.

103 كائناتُ العجلة البراقة التالية التي تراها
يقطعون عروش الركن الخارجي
فيكملون الثالوثَ الأعظم الأول.

106 واعلمْ أن كل واحد من هؤلاء المغتبطين يحقق ذاته
بمقدار ما يستطيع كل واحد أن ينفذ
إلى الحقيقة التي لالَبْسَ فيها،

109 لذا نرى أن حالة البركةِ العظمى
تقوم على فعل الرؤية، وليس على الحب،
فالحب هو الفعل الذي يلي المعرفة.

112 إنهم يرون بقدر جدارتهم للرؤية. لقد
جُبلوا درجات في النعمة وإرادة الخير
ولذلك ترقى مراتبهم من درجة إلى درجة.

https://jadidpdf.com

115 والثالوث الثاني الذي يزهر هنا
من ربيعِ أبدي المسرة، أوراقُهُ
لاتذبل بفعل بُرج الحمل الليلي،

118 مهمته أن يصدح بـ «أوصِنا» إلى الأبد،
وأنغامهم مثلّثةُ البركات تصدر الدرجات
الثلاث للبركة التي تشكل هذا الثلاثي.

121 وهنا أيضاً نجد الكائنات الإلهيةَ:
فأولاً أصحابُ السيادة ثم الفضلاءُ، ومن ثم
القواتُ المنظمة في مراتب ضمن حلقة كبيرة.

124 يلي ذلك حلقتان خُصِّصتا للرقص والتمجيد
فهما أصحابُ الإمارة أولاً ثم رؤساء الملائكة
والأخيرةُ تشتمل على اليوبيل الملائكي.

127 كلهم يشخصون بعيونهم عالياً، وبقدر ما يصعد
بصرهم إلى الأعلى، تنزلُ قوتهم إلى الأسفل.
كلهم مندفعون، كغيرهم، إلى الذروة الإلهية.

130 لقد كرس ديونيسيوس نفسه للتأمل
في هذه الأنظمة نفسها بحماسة قدسية
فصنفهم وسمّاهم تماماً كما فعلت.

133 وفيما بعد خالف غريغوري هذه الاستنتاجات،
ولكن عندما فتح عينيه في هذا المشهد
راح يبتسم من نفسه، كيف انحرف في تصنيفه.

https://jadidpdf.com

136 فإذا كانت كل حقيقة خافية تتضح هكذا
على يد من مايزال يحمل ثقل طينه البشري
فلا تعجب، فمن رأها هنا عاد وخبر عنها هناك،

139 مع كثير من الحقائق الأخرى في هذه الدوائر».

الرموز والصور:

المحرك الأول: عندما يسير القارئ مع دانتي عبر تلك المدارات، يعتقد أنه سيجد عجباً عجاباً عندما يصل إلى المحرك الأول. ولكنه يفاجأ حين يجد أن المحرك الأول عبارة عن نقطة معدومة الأبعاد، متناهية في الصغر، تحيط بها هالة من نور مع تسعة مدارات بين الملائكة، بعد مدارات الكون، حسب التصور البطليموسي، أو ينطلق دانتي من الصورة التي يقدمها المزمور التاسع عشر «السموات تُحدث بمجد الرب، والفلك يخبر بعمل يديه». ويحدثنا عن عظمة الخالق بطريقة غير مباشرة تقوم على وصف أجناد الملائكة وترتيبهم في تصنيف جديد. ونورد هنا تصنيف غريغوري وتصنيف ديونيسيوس إلى جانب تصنيف دانتي:

ديونيسيوس	غريغوري	دانتي
السيرافيم	السيرافيم	السيرافيم
الشيروبيم	الشيروبيم	الشيروبيم
ملائكة العرش	ملائكة العرش	القوات
أصحاب السيادة	أصحاب السيادة	أصحاب الإمارة
الفضلاء	أصحاب الإمارة	الفضلاء
القوات	القوات	أصحاب السيادة
أصحاب الإمارة	الفضلاء	أصحاب العرش
الرؤساء	الرؤساء	الرؤساء
الأفراد	الأفراد	الأفراد

فليس صحيحاً أنه ـ كما ادعى ـ يتفق مع الأول ويختلف مع الثاني، إذ له ترتيبه الخاص. ويمكن حصر مهمات الملائكة بالوظائف التالية 1 ـ النظر والتأمل 2 ـ التسبيح والتمجيد 3 ـ تدوير المجرات 4 ـ الاستعداد لتنفيذ الأوامر. أما بقية المهمات كحمل العرش والرقص... فإنها مكملة للصورة

https://jadidpdf.com

الأساسية. وإذا أردنا اختصار كل هذه المهمات بمهمة واحدة لقلنا إنها العبودية لله، وفناء العبد في المعبود، وتكريس كل شيء له، وتمجيده بكرة وأصيلاً.

الملاحظات:

14 ـ تلك السماء: المحرك الأول.

16 ـ نقطة: رمز رياضي لله.

26 ـ تدور بسرعة: المقصود النقطة (الله).

32 ـ رسولة جونو: أريس، تأتي على قوس قزح بمقدار 180 درجة.

36 ـ الحلقة الأولى هي الحركة التي تأتي بعد النقطة مباشرة، ويجب عدم الخلط بين الاثنتين.

38 ـ الذرة: النقطة (الله).

56 ـ الشكل: يؤخذ بالمعنى الأفلاطوني، فهو الجوهر الذي يمكن أن يكون مالا يعد من النماذج.

65 ـ القوة: الفضيلة.

70 ـ هذا المدار: المحرك الأول.

78 ـ عقلها: أي العقل الملائكي لكل مدار.

80 ـ بورياس: الريح الشمالية. عندما ينفخ بورياس من فمه تكون باردة من الألب (شمالية) بالنسبة إلى إيطاليا وتسمى ترامنتانو. وعندما ينفخ من خده الأيسر تكون الريح شمالية شرقية (غريكالي) عواصف وسماء ملبدة بالغيوم، وعندما ينفخ من خده الأيمن تكون الريح شمالية غربية (ماسترالي) وتكون السماء صافية.

90 ـ يقذف الشرر: الحديد بهذه الكمية لايقذف الشرر كما يقول دانتي إلا إذا طُرق. وربما كان هذا قصده، ولكن التعبير ضاق عليه.

93 ـ حبات القمح: طلب مخترع الشطرنج مكافأة من الملك: حبة قمح في المربع الأول تُضاعف في الثاني، وتضاعف كمية الثاني في الثالث، وهكذا في سلسلة هندسية... سخر الفلك واستخف بالمكافأة، لكنه عندما حسبها (18 مليون مليون مليون حبة) عجز عن تقديمها وطلب استبدالها.

106 ـ المغتبطين: الكائنات الملائكية من المراتب التسع.

108 ـ الحقيقة: الله.

130 ـ ديونيسيوس: قديس كان متصوفاً يونانياً وتحول على يد القديس بولس في القرن الأول الميلادي (راجع أعمال الرسل 17: 34).

https://jadidpdf.com

133 ـ غريغوري: (540 ـ 604) يسمى «العظيم» بابا من عام 590، قام بمراجعة عامة على أطروحات ديونيسيوس حول مراتب الملائكة.

138 ـ فمن رآها هنا: بولس.

https://jadidpdf.com

النشيد التاسع والعشرون

المدار التاسع: المحرك الأول مراتب الملائكة

الحكاية: بياتريس تحدق في النقطة المتناهية الصغر (الله). تقرأ رغبة دانتي فتكشف له أسرار الخليقة وعلاقة الملائكة بالكون والله، منذ أن طُرد لوسيفر. وتوضح بياتريس مواهب الملائكة والطبيعة الملائكية، وتشجب مسلك الوعاظ والدعاة الذين يفضلون نسج الحكايات عن أنفسهم بدلاً من شرح الكتاب المقدس. وتعود من جديد إلى موضوع الملائكة: كثرتهم، تنوعهم، الفردوس.

1 كما يشترك ابن لاتونا وابنتها في
إحاطة الأفق لوضع التاج
على نجوم بُرجِ الميزان وبرج الحمل

4 فيجعلها السمتُ متوازنين إلى أن يترك
أحدهما الآخر في الزنار المشترك
فيذهب واحد إلى النصف الأعلى والثاني إلى الأسفل،

7 هكذا فعلت بياتريس وهي تبتسم مبتهجة،
فوقفت صامتة وثبّتت عينيها في النقطة الثابتة
التي غلبني منظرها في المرة الأولى.

https://jadidpdf.com

10 ثم قالت: «أنا لا أسألك، أنا أقول
ماترغب أنت في سَماعه، لأني رأيته
حيث يتركز المكان والزمان في شعاع واحد،

13 لا ليضاعفَ من خيره، فهذا غير وارد،
وإنما من أجل أن تهتف أنواره كلُّها
وتعلنَ بلسان واحد: هوذا أنا، إلى الأبد.

16 لايحيط به ليلٌ ولانهار، إنه
خلفَ كل حدود، يفعل مايحلو له، ويغدق
محبته الأبدية من إشعاعه على محبيه الجدد.

19 ولم يغرق في النوم أمام الكلمة
التي تتردد فوق تلك المياه، «قبل»
و«بعدُ» لاوجودَ لهما قبل سماع صوته.

22 الشكل النقيُّ والمادة الصافية، والشكل والمادة
الممتزجان انطلقا من دون شائبة مثلما تنطلق
ثلاثة أسهم من قوس واحد ذي ثلاثة أوتار.

25 وكما في الزجاج أو الكهرمان أو الكريستال
يبرق شعاع بحيث لايقف شيء بين
دخوله وكيانه، وكلاهما واحد،

28 كذلك الخلقُ الثلاثي لله، فمنذ
بدايته، ومن دون مراحل تطور
ظهرَ إلى الوجود بشكل فوري وكامن.

https://jadidpdf.com

31 النظام كان فعلَ خلقٍ
لكل جوهر، وفي قمة هؤلاء
خلق الملائكة باعتبارهم فعلاً خالصاً.

34 القدرة الخالصة تمسك بالأساس الأدنى
وبين القدرة والفعل ارتباطٌ وثيق
بحيث من المستحيل فصلُهما.

37 لقد كتب لك هيرونيموس من أحقاب طويلة
كانت فيها الكائناتُ موجودةً قبل
أن يُخلقَ العالمُ الآخرُ للإنسان.

40 لكن أسفار الروح القدس تعلل صراحة
التسجيل الدقيق في كثير من المقاطع
كما ترى ـ لو أمعنتَ في قراءتها.

43 يمكن للعقل أن يدركها جزئياً،
لكنّه لايستطيع الإيمانَ بوجود هذه
القوات بعيداً عن الوظيفة التي يقوم بها كمالُها.

46 هذا يجيبك عن: أين ومتى وكيف
خُلقت الملائكة، فأكون قد أطفأت
ثلاث اللهبات الأولى من رغبتك في المعرفة.

49 لاتستطيع العدّ إلى العشرين قبل
أن يهبط فريق من الملائكة السماوية
ليزعزعَ الصخرةَ الأساسية للعناصر،

https://jadidpdf.com

52 وتظل البقية حول «سببهم»
يقومون بالفن الذي تراه، تحركهم
البركة التي تجعل دورانهم لايتوقف.

55 الكبرياءُ الملعونةُ كانت بدايةَ السقوط
لذلك الذي رأيتَه عميقاً في الحفرة،
والعالم كله يحمل وِزْرَ هذه الخطيئة.

58 أما الملائكة الذين تراهم هنا، فمتواضعون
لايطلبون شيئاً ويندفعون إلى معرفة «الخير»
الذي يجعلهم قادرين على الفهم.

61 وقد ارتقَتِ الرؤيا إلى أعلى فأعلى
بالنعمة المشرقة وبمزاياهم الخاصة
التي بها صارت إرادتهم شاملةً لاتتغير.

64 واسمعْ هذا الآن، وآمنْ به من غير شكوك:
إن خيرَ النعمة حصةٌ محددة تماماً
بالمتحمس للحب الذي يفتح صدره لاستقباله.

67 والآن إذا كنت استوعبتَ ماقلته لكَ
فستكون قادراً على رؤية هذه الجامعة
الملائكية، وتجمعَ الكثير عنها بلا مساعدة.

70 ولكن بما أن معلمي مدارسكم الأرضية
مازالوا يناقشون أن الطبيعة الملائكية
مركبةٌ من الفهم والذاكرة والإرادة،

https://jadidpdf.com

73 فسوف أشرح لك المزيدَ لأساعدك على
رؤية الحقيقة التي اعتراها الغموض هناك
في الأرض على يد الالتباسات السفسطائية:

76 بما أن البَرَكَة الأولى لهذه الكائنات
هي في النظر إلى وجه الله الذي يكشف كل الأشياء
فإنهم لن يحوّلوا عيونهم عن هكذا بهجة

79 وينتج من ذلك أن عين الملاك لايمكن أن
تمسك بأي شيء جديد، فلا يحتاجون إلى
الذاكرة كما يفعل الفكر المتعدد النواحي.

82 فالناس أيقاظٌ ولكنهم يحلمون، ويزعمون -
وربما صدّقوا زعمهم أو لم - بأنهم يقولون الحقيقة.
إلا أن النفاق أعظمُ عارٍ وأشنعُ خطيئة.

85 فيا أيها الفانون لاتسيروا في طريق مفرد
في فلسفاتكم، ولكن اجعلوا التفكير
يعشق العبثَ والرهافة معاً.

88 إن السماء تحتمل هذا وتشعر بإهانة
أقلّ مما تشعر عندما ترى الكتب المقدسة
مهجورةً أو محرفة عن معناها.

91 إنهم لايحسبون الدماء والآلام
التي بُذلَتْ في العالم، ولاسرورَ السماء
بأولئك الباحثين عنها في التواضع.

https://jadidpdf.com

94 كل رجل، حتى يظهرَ، يختلق الحقائق
اختلاقاً، وهذا ما يفعله الوعاظ في
وعظهم، بينما لاتسمع كلمة من الإنجيل.

97 هذا يقول إن القمر عكَسَ مجراه ليلقي
ظله على الشمس، أثناء آلام المسيح،
بحيث لاينزل نور الشمس على الأرض أبداً.

100 وآخرون يقولون إن الشمس نفسها انسحبت
ولذلك شاهدَ كسوفَها كلٌّ من الهنود
والإسبان بالاشتراك مع اليهود.

103 هذه الحكايات تُتلى على المنابر
كثيراً بترنح إلى اليمين وإلى الشمال،
ويعدّدون مالايُحصى من لابي وبندي في فلورنسا.

106 ولذا يعود قطيع الغنم الجاهل إلى البيت
ليلاً ولم يأكل سوى الريح. فلا يرون
الأذى، ولايشعرون بالظلم الواقع عليهم.

109 إن المسيح لم يقُلْ لتلاميذه:
اذهبوا وعلّموا الناس الحكايا التافهة،
بل طالبهم أن يعلموا مذهبه الحقيقي.

112 بهذا، وبهذا وحده فقط، انكشف الإيمان
على يد أولئك الذين حاربوا وماتوا ليزرعوا
الإيمان. لقد جعلوا الإنجيل سيفهم ودرعهم.

https://jadidpdf.com

115 وَعْظُ الوعاظ هذه الأيام يضجُّ
بالسخرية والنكتة، فتنتفخُ القبعات
كبرياءً، ولايريدون شيئاً غير هذا.

118 وإذا كان في ذيل قبعاتهم يعشش مثلُ
هذا الطير، فسيرى حتى الجمهورُ الغبي
في أي نوع من الناس وضعوا ثقتهم.

121 ولأن الحماقةَ ملأت الأرض
فإن الناس يستسلمون لأي وعد يقال،
لايطلبون وثائقَ ولابراهين.

124 وعلى هذا يُسمّن القديس أنطونيو خنزيره
وغيره يفعل ذلك أيضاً ممن يشبهون الخنزير
فيدفعون بالعملة التي لاتُصرف.

127 لقد ابتعدنا. لذلك قبل أن تتسلقَ
انظرْ إلى الوراء، إلى الطريق المستقيم
بحيث يمكن أن تتناسب رحلتنا مع وقتنا.

130 كثير من الملائكة يصنّفون في هذه الطبيعة
حتى أن أعداد حشودهم لاتُحصى
ولايتصورها أي مخلوق بشري.

133 اقرأ جيداً مارآه دانيال في ذروة السماء.
سوف تجد للتو أنه عندما يتحدث عن «الآلاف»
فأي عدد محدّد يخطئه النظر.

https://jadidpdf.com

136 إن النورَ الأول يرسل شعاعه إلى الجميع
كل طوباوي يدخل فيه نور
يتلقى الإشعاع بطريقته الخاصة.

139 وبما أن فعل المحبة ينمو ويكبر
من فعل المعرفة، فإن بركة الحب
تتوهّجُ في بعض هؤلاء، أو تلمع لمعاناً في بعضهم.

142 ففكر إذن، في حضرة «الجدارة الأبدية»
كم هي جديرةٌ وواسعة، صنعت لنفسها
كثيراً من المرايا ووزعت قوتها فيها:

145 ولذلك تبقى أبد الدهر «الواحد» مثلما
كانت من قبلُ».

الملاحظات

1 ـ ابن لاتونا: هو أبولو (الشمس)، وابنتها هي ديانا (القمر).

12 ـ يتركز المكان والزمان في شعاع واحد: هو الله.

18 ـ محبيه: ملائكته.

19 ـ ولم يغرق في النوم. في السؤال أين كان الله قبل الخلق وبعده، يكون الجواب: إنه كاف بنفسه وأبدي، وقبل وبعد تحديد للزمن الذي لاينطبق على الله (البيت 16: لايحيط به ليل ولانهار).

22 ـ الشكل ـ المادة ـ الشكل والمادة: ترتيب يقصد به الإشارة إلى الثالوث. فالخلق تمّ دفعة واحدة وبلحظة واحدة، فالشكل الصافي: العقول غير المادية. والمادية الصافية: هي مادة الكون والحيوانات الدنيا. والشكل والمادة الممتزجان: الانسان.

31 ـ الخلق عبارة عن فعل فرضه الحب على الفوضى التي لاشكل لها. وللخلاص من الفوضى جرى تنظيم الملائكة والكون على النحو المعروض. لكن يبقى فعل الحب هو أساس الخلق في نظرية دانتي. وكل طبقة تؤثر في الطبقة الأدنى منها... وهكذا.

https://jadidpdf.com

37 ـ هيرونيموس: القديس جيروم هيرونيموس (342 ـ 420) أحد علماء التوراة الكبار. وقوله «كتب لك» يقصد كتب للناس.

40 ـ أسفار الروح القدس: الكتاب المقدس، تمشياً مع الرأي القائل بأن الذي أملى كل أسفاره هو الروح القدس.

51 ـ الصخرة الأساسية للعناصر: الأرض باعتبارها أساس العناصر: الماء والهواء والنار والتراب. ففناؤها فناء للجميع، إذ لولا الأرض (حسب التصور البطليموسي) لما ثبتت العناصر الأخرى.

53 ـ بالفن: أي الدوران حول الله.

56 ـ عميقاً في الحفرة: الشيطان.

81 ـ الفكر المتعدد النواحي: الذي لايسير في طريق واحد. إنه الفكر الفلسفي.

83 ـ صدقوا زعمهم أو لم: لأنهم غير مستقرين على شاطئ الحقيقة، فكل واحد يتخذ موقفاً.

104 ـ بترنح إلى اليمين وإلى الشمال: هذه عادة الخطباء.

118 ـ ذيل القبعات: لقبعة الراهب أو اللاهوتي ذيل طويل يمتد منها وحتى نهاية الثوب الكهنوتي.

124 ـ القديس أنطونيو: (251 ـ 365) كان يُرسم عادة مع خنزير، وقد تمثّل به الرهبان الغربيون بالشكل فقط فما راجت بضاعتهم.

https://jadidpdf.com

النشيد الثلاثون

الصعود إلى الأمبريوم .

الأمبريوم (السماء الملكية) مديح جمال بياتريس

نهر النور

الوردة السماوية

عرش هنري السابع

الحكاية: تتلاشى حلقات الملائكة حلقة حلقة، ويلتفت دانتي لينظر في بياتريس فيبهره جمالها وتحبط كل محاولة لوصفه... تخبره أنهما دخلا السماء الملوكية. أي الأمبريوم. وسوف يريان الملائكة، وأرواح المباركين في قناع الجسد. غمرته فأعمته، لكنه استعاد بصره، وفي نهر النور يحمم عينيه فيرى القديسين جالسين على عروش في صفوف تشكل أوراق وردة بيضاء كالثلج. وتشير بياتريس إلى عرش شاغر ينتظر الإمبراطور هنري السابع، وتتنبأ له بياتريس بمصير روح كليمنت الخامس.

1 ربما ستة آلاف ميل بعيداً عنا راحت شمس
الظهيرة تتدفق حرارة وظلُّ الأرض، حيث نحن
ينخفض، وسوف يتدنى مستواه عاجلاً،

4 حين في أعماق السماء، بعيداً خلفنا

https://jadidpdf.com

راح يظهر التغير التدريجي بحيث
أن نجمة أو اثنتين غابتا عن نظر المراقب.

7 وبما أن الخادمة المشعة للشمس
تقترب أكثر، وتضع السماء قناديلها
واحداً بعد واحد، إلى أن يغيب أجملُها،

10 كذلك كان الأمر مع حلقات الرقص الأبدي
حول الشعاع المعميّ للنقطة الثابتة
المحاطة بما تشتمل عليه هي ذاتها،

13 فقد غابت عن نظري ببطء درجة درجة،
حيث التفت نظري من آخر منظر
إلى بياتريس، إلى الحب الذي يأسرني.

16 إذا جمعت الآن كل ماقلته فيها
من قبلُ في قصيدة واحدة لقصَّر
كل ذلك عن مديح جمالها.

19 إن الجمالَ الذي رأيته هناك يفوق كل
مقاييس العقل البشري. ولايستطيع أحد
أن يضعَ مقياساً لجمالها إلا خالقُها.

22 لذلك أُعلن إخفاقي. فلا شاعرٌ مشهور،
كوميدياً كان أو تراجيدياً، يتصدى لموضوع
جمالها متحدياً، إلا لاقى المزيدَ من الاخفاق.

25 كعينين ضعيفتين ضربتهما أشعة الشمس

https://jadidpdf.com

فأصيبتا بالعمى، كذلك في ذكرى ابتسامة سيدتي
صُعقت كل معرفة في عقلي.

28 من اليوم الأول الذي نظرتُ فيه إلى وجهها
في هذه الحياة، وحتى رؤيتها الآن
ماتزال قصيدتي تتابعها لتقدّم تسبيحي لها.

31 لكني هنا يجب ألا أقوم حتى بمحاولة
الحديث عن جمالها. إن أي فنان ولو
بذل جهده، لابد أن يعلنَ عجزه.

34 ولذلك تركتها لأرغنٍ يكون أعظم
من أرغني إنشاداً، ليعالج موضوع
القصيدة الشاق والطويل حتى النهاية.

37 وكالدليل الذي يضع هدفه أمام بصره
استأنفتْ الكلامَ وقالتْ: «لقد صعدنا
من المدار الأعظم إلى سماء النور الصافي.

40 نور العقل الذي هو الحب الدائم،
حب الخيرالحقيقي، الذي هو مبارك،
بَرَكة فوق بركة، وبهجة فوق بهجة.

43 وهنا سوف ترى حشدين من حشود الفردوس
لكن أحدهما سوف تراه عندما
يحلُّ اليوم الذي فيه تقوم الأجساد».

46 وكبريق النور الذي يضرب بصرنا

https://jadidpdf.com

فيدمّر قدرتنا البصرية، بحيث أن
العين لاتعود تلتقط أي نور وضّاء،

49 هكذا تماماً لفّتني هالةٌ
وأحاطتْ بي تماماً بنقابها فغشيني
النورُ ولم أعد بعدها قادراً على النظر.

52 «الحب الذي يبقي هذه السماءَ كما هي
بحيث دائماً ترحب بكل القادمين بهذه التحية
وبذلك تعدّ الشمعةَ من أجل شعلته».

55 ما أن نفذت هذه الكلماتُ إلى سمعي
حتى شعرت بقواي تتعاظم
وتعلو على ذاتها، وتسمو وترتفع،

58 واشتعلتْ عيناي بمنظر جديد كل الجِدّة
وقد استطاعتا النظر، من دون أي ألم
إلى أي مصدر مشرق أو مُشِعّ.

61 رأيت ضياء. الضياء يجري نهراً.
نور من نور يتدفق بين ضفتين
رسمتهما يد ربيع مزهر عجيب.

64 ومن الدهر في تدفقه وجريانه
تنطلق شراراتٌ من نور وتسقط على الأزهار.
كانت أشبهَ باليواقيت في حِزَمٍ من الذهب.

67 ثم، كأن الشذى أسكرهن فقفزْنَ

https://jadidpdf.com

ثانية إلى النهر، وكلما قفزت
واحدة إلى النهر تطايرت أخرى إلى الزهر.

70 «شعلة رغبتك المتوثّبة التي تجعلك متشوقاً
لمعرفةٍ أعظمَ بالأشياء التي تراها
تجري بقدر ما أراها تزداد اشتعالاً.

73 لكن هذه المياه فقط هي التي تروي
ظمأك. لابد من أن تنحني وتشرب».
ـ هكذا قالت شمسُ عيني ونجمتها الثابتة.

76 ثم أضافت: «النهر والجواهر التي تراها
تتواثب من وإلى، والأزاهيرُ المبتسمة
ليست سوى المذاقِ الأول الباهتِ لحقيقتها،

79 ليست هذه الثمار بطبيعتها حامضة
ولاشكل لها، لكن القصور في رؤيتك أنت
لمثل هذه الأشياء. فالنقص فيك».

82 الرضيعُ الذي في الحضن يستفيق جائعاً
بعد نوم طويل، ثم يندفع بوجهه
إلى ندى أمه العزيز بشوق

85 مثلما انحنيتُ لأشربَ في الفردوس،
من السلسبيل العذب الذي تتدفق نعمته
إلينا فتجعل من عيوننا مرايا ناصعة.

88 وما أن غطّستُ بهدوء رموشَ عيني

https://jadidpdf.com

في ذلك السلسبيل العذب لأشربَ
حتى اتّسعتْ عيناي وتغير شكلهما حتى استدارتا.

91 لقد رأيت مقنّعين هنا في الأسفل
ينزعون الأقنعة التي تخفيهم
ويكشفون عن مظهرهم الحقيقي.

94 هكذا الشرارات وأزاهير الجدول تغيرت
أمام عيني في مهرجان عظيم، فرأيت
مشهدَ كلٍّ منْ بلاطَيْ الفردوس.

97 فيا ضياءَ الرب الأبدي الذي من خلاله رأيت
النصر الرفيع للمملكة الحقيقية،
هَبْني قوةَ الكلام لأصفَ ما رأيت.

100 هناك في السماء، مصباح يضيء، وبضوئه
أمكن للمخلوق أن يرى خالقه
ولاسلامَ لمخلوقٍ إلا برؤية خالقه.

103 يشكّل المصباح دائرة هائلة، تحيط
به، فمحيطه لو زنر الشمس
بزنار من نور لكان واسعاً فضفاضاً.

106 إنه بكامله مصنوع من انعكاس
الأشعة التي تضرب قمةَ مدارِ المحرك الأول
ناقلاً إليه كل قوته وحركته.

109 ومثلما يبرق المنحدر في صفحة ماء

https://jadidpdf.com

البحيرة التي تحته، كما لو أنّه يرى نفسه
فيها زمن إزهار أزهاره واخضرار عشبه ونباته،

112 هكذا، طبقة فوق طبقة، صعوداً داخل ذلك
النور، رأيتُ أولئك الذين كسبوا قمة السماء
يصعدون مشرقين ملتمعين بأكثر من ألف دائرة.

115 فإذا كانت هذه الأعدادُ الضخمة
مجموعةً ضمن أصغر طبقاتها، فما بالك
بأطباق الوردة في محيطها الأعلى؟

118 لم يضطربْ بصري بهذا البحر المتلاطم
في فسحة المكان، بل أدرك
هذه الغبطة، عدداً ونوعاً.

121 البعيدُ والقريبُ لايسببان ربحاً ولاخسارة
إذ حيث يحكم الله، من دون وسطاء،
لايعود للقوانين التي تحكم الطبيعةَ أيُّ عمل.

124 داخل ذَهبِ الوردة المزهرة أبداً،
مرتبةٌ فوق مرتبةٍ، ترتفع تسبيحةٌ
إلى الشمس ذات التسبيح الأبدي.

127 صامت والشوق يدفعني إلى الكلام شدتني
بياتريس وقالت «انظرْ كم يوجد في الدير
من لابسي الأرواب البيضاء. وانظرْ مدينتنا المتسعة.

130 وانظرْ إلى المقاعد ـ لكل مقعدٍ عرشٌ ـ

https://jadidpdf.com

وقد امتلأت معظم المقاعد ولم
يبق سوى مقاعدَ قليلةٍ شاغرة قبل القيامة.

133 العرش العظيم مع تاجه الرائع الذي يجثم
فوقه، قد استرعى انتباهك؟ إليه سوف
تأتي قبل أن تُدعى أنتَ إلى حفلة الزفاف هذه

136 روحُ هنري السابع، المرسومِ إمبراطوراً،
الذي سيأتي إلى إيطاليا بالقانون والنظام
قبل أن يحين الأوانُ لتصحيح الأشياء.

139 الجشع الأعمى يجرفكم، واللعنة حلّت منزلكم
أصبحتم مثل الأطفال البلداء يصيح الجوع
بمعدتهم، ومع ذلك يدفعون مرضعتهم.

142 ويتسلم سدّةَ البلاط المقدس رجلٌ
سوف يعترف بربّه علانية
بينما يعمل على محاربته سراً.

145 لكن بعد ذلك لن يصبر عليه الله طويلاً
بل سوف يقذف به حيث سمعانُ الساحر،
إلى الحفرة، جزاء جريمته. وهناك

148 يدفع ثمن جريمته، ويزيد من جريمة الألُفاني».

الملاحظات:

12 ـ المحاطة بما تشتمل عليه: يبدو كأنها تحيط بالله في أن الله يحيط بها.
35 ـ أرغني: في الأساس «كلاريون» لكننا فضلنا الأرغن. على أي حال

https://jadidpdf.com

المقصود أنه قد يأتي بعدي شاعر أمهر يقوم بالمهمة هذه.

39 ـ المدار الأعظم: المحرك الأول.

43 ـ حشدين: الملائكة وأصحاب البركة.

44 ـ أحدهما: أحد الفريقين، وهو فريق المباركين الذين سيعودون إلى أجسادهم فيلبسونها يوم القيامة.

52 ـ الحب: الله. الذي يبقي هذه السماء. كل السموات تتحرك في تغير أبدي إلا هذه السماء التي تمثل الكمال، فتبقى هي ذاتها.

76 ـ الجواهر: الأصل «توباز» وفضلنا كلمة الجواهر.

82 ـ الرضيع: إن لم تصبحوا أطفالاً فلن تدخلوا ملكوت السموات (انظر متى 18: 3).

108 ـ قوته: فضيلته.

114 ـ يصعدون: الملائكة.

124 ـ داخل ذهب الوردة: وسطها وقلبها. لونه أصفر.

135 ـ قبل حفلة الزفاف: قبل أن يموت في الأرض ويُزف إلى السماء.

136 ـ هنري السابع اللوكسمبورغي: إمبراطور (1308 ـ 1313).

139 ـ الخطاب هنا موجه إلى جميع الإيطاليين.

142 ـ رجل: الأرجح أنه كليمنت الخامس. والبلاط المقدس يقصد به روما.

145 ـ لن يصبر عليه الله طويلاً: مات كليمنت بعد هنري بثمانية أشهر.

146 ـ سمعان الساحر: راجع الجحيم (19) الدائرة الثامنة حيث يوجد كل السمعانيين.

148 ـ الألغاني: المقصود به البابا بونيفانسي الثامن.

https://jadidpdf.com

النشيد الحادي والثلاثون

الأمبريوم — الوردة السماوية

حشد الملائكة

بياتريس تترك دانتي

القديس برنارد

الحكاية: يتأمل دانتي الوردة البيضاء الناصعة، وقد امتلأت، طبقة فوق طبقة، بأرواح المنعتقين الذين تهبط الملائكة إليهم بالحبّ والسلام مثل أسراب النحل. ويعقد دانتي مقارنة بين عالمنا وهذا الإقليم المبارك، فيغشاه دوار وصمت وحيرة. يلتفت إلى بياتريس ليحدثها عن المشهد السماوي، فيجدها قد ذهبت إلى مكانها بين المباركين وتودعه بابتسامة، ويحل محلها القديس برنارد الذي جاء ليقود دانتي إلى معاينة الله، ويطلب منه أن يرفع عينيه إلى أعلى فيرى آخر طرف للوردة، وفيه مجد العذراء تحيط الملائكة بها، بأعداد لاتحصى.

1 حشدٌ من الجند المقدس ظهروا عليّ
بشكل وردة بيضاء ناصعةِ البياض،
وكلّهم دعاهم المسيح بدمه إلى السماء.

4 لكن الحشد الآخر (حشد الملائكة المحلقين
المغنين المعاينين مجده، الذي لحبّهم له تكاثرَ

https://jadidpdf.com

عددهم كعدد المباركين، مثل سربٍ من

7 النحل ينهض بحركة واحدة إلى
الأزهار، وبحركة ثانية يرجع إلى
الخلية ومعه حلاوةُ عمله)

10 يطيرون بلا توقّف إلى الوردة الكثيرة الأوراق
وبلا توقف يرجعون إلى ذلك الضوء
الذي يجد فيه حبُّهم العميقُ مستقرَّهُ.

13 شعلةُ الحب جعلت وجههم مشرقاً
ومن ذهبٍ صنعت أجنحتهم. وأجسادهم تبرق
ببياض أين منه بياض ثلج الأرض.

16 وعندما يدخلون الزهرة الكبيرة يطوفون بهم
ومن طبقة إلى طبقة حاملين إليهم الحماسة
والسلامَ اللذين اكتسبوهما من الطواف حول الله.

19 حشد كبير جداً يحلق في الطيران
بين الوردة البيضاء والمباركين
ليشكلوا سداً يخفّف مجد ذلك النور.

22 لأن شعاعَ الرب يتغلغل في الكون
فيدخل كل الأشياء بحسب طبيعتها
ولاقوّةَ يمكن أن تقف في طريقه.

25 مملكة من السعادة القديمة المشرقة،
روحٌ فوق روح، وكائناتٌ جديدة على أخرى قديمة

https://jadidpdf.com

هدفٌ واحد أمام العين والقلب: نور الله.

28 فيا نورَ الثالوث المشرق في نجمة واحدة،
يا من يمتّعون أبصارهم بإشراق نورك
انظرْ إلينا، فنحن في قلب العاصفة.

31 إذا كان البرابرة (القادمون من تلك المنطقة
التي تسافر فيها هيليسي كل يوم
تطوفُ في السماء مع ابنها الحبيب)

34 بعد أن شاهدوا روما، دُهشوا من رؤية
آثارها في الأزمان التي أشرقَ فيها
اللاتيران عن كل ما شادته البشريةُ،

37 فكيف يكون شعوري أنا بهذا المنظر،
بعد انتقالي من البشر إلى المباركين ومن الزمن
إلى الأبدية، ومن شعب فلورنسا إلى شعبٍ انتزع

40 إعجابي وحيرتي وسيطر على بصري؟
بين دهشتي وفرحي الجديد
لاأستطيعُ أن أسمع شيئاً. صرتُ أصمَّ.

43 ومثلما الناسكُ في محرابه يحدّق ويشعر
أنه وُلِدَ ثانية، ويفكر مسبقاً
كيف سيصف لاحقاً شعوره،

46 كذلك أنا الآن وقفت وسرّحتُ البصر
مأخوذاً بذلك الفيض النوراني من طبقة إلى أخرى

https://jadidpdf.com

من الأعلى إلى الأسفل، إلى المحيط كله.

49 رأيت وجوهاً أفعمتها مَبرّةُ الحب
يضيئُها مصباح الله وابتساماتها
وسيماؤها أنعمَ الله عليها بالشرف والرفعة.

52 من غير أن تتفحص عيناي أيَّ جزء،
استوعَبتا وفهمتا بسرعة فائقة
شكلَ الفردوس ومخطَّطه العام.

55 فُرعتُ تدفعني الرغبة الجارفة
لأسأل سيدتي الجميلة عن أشياء
هامةٍ مازال عقلي فيها مرتاباً.

58 أردتُ شيئاً وأرادَ الله آخر.
أردتُ بياتريس، فإذا شيخ يقف
مكانها في ثياب المجد الخاصة بالقديسين.

61 عيناه ووجنتاه طافحتان بالوهج
المقدس لبركة الحب، وسيماهُ بالنعمة امتلأت
بدا في وقفته هذه كأنه الأبُ الحنون.

64 بذعر فجأة صحت: «هي، هي، أين هي؟»
قال: «من مجلسي استدعتني بياتريس
لأقودكَ إلى الهدف الذي طالما تمنّيتَ.

67 فإذا رفعتَ عينيكَ فقد تجدها في
الحلقة الثالثة من الصفوف العليا

https://jadidpdf.com

متربعة على العرش الذي استحقّته».

70 لم أتفوّهْ بشيء، بل نظرتُ إلى تلك القمة
فرأيتها تحيط نفسها بهالة
لأنها تعكس النورَ الأبدي.

73 لم ترَ عينُ بشري، ولو كانت بعيدة
في أقصى أعماق البحر عن أعلى
قمة في السماء حيث يهدر الرعد،

76 مثلما رأيتُ من بياتريس، لكن
المسافة هناك لاتهمّ، لأن صورتها
وصلتنا صافيةً، لم يؤثر فيها الجو.

79 «يا سيدتي، يا من بك حقّقتُ آمالي،
يا من كابدتِ من أجل خلاصي حتى أنكِ
نزلتِ إلى أرض الجحيم المتصدعة،

82 فمن خلال سلطتك وروعتك
أدركتُ الخيرَ والنعمة في
الأشياء التي شاهدتها.

85 لقد أخرجتني من عبوديتي إلى الحرية
عبر تلك المسالك والوسائل
التي تطالها سلطتكِ ومبرّتكِ.

88 فامنحيني روعتك، ذلك أن نفسي
التي تعافت، قد تُسرّ بكِ عندما

https://jadidpdf.com

تخلع عن كاهلها جسدها وتسعى إلى هدفها».

91 هكذا صلّيتُ، أما هي ـ وقد بدت لي بعيدة
كأنها فوق جبل ـ فقد نظرت من علاها وابتسمت.
ثم التفتتْ واستدارت نحو الينبوع الأبدي.

94 فقال الشيخ الجليل: «لقد أرسلتني الصلاةُ
والحب المقدس حتى أساعدك في الوصول
برحلتك إلى نهايتها الكاملة.

97 لذلك أريد منك أن تجول ببصرك
في هذه الحديقة، فذلك يجعل بصرك
حديداً، ويهيء عينيك لرؤية الشعاع الثلاثي.

100 إن ملكة السماء التي لها كرّستُ
كل حبي ستمنحنا كل نعمة
لأني أنا برنارد، قدّيسُها المخلص».

103 وكغريب من مكان قصي ـ ككرواتيا مثلاً ـ
جاء ليرى قديستنا فيرونيكا، فلا يشبع
من النظر إليها، لِما لها من سمعة معتقة،

106 لكنه يقول لنفسه وهو يستعرضها
«سيدي، يسوعُ المسيحُ، الربُّ الحقيقي
هل صورة وجهك هذه تحمل معالمَكَ حقاً؟»

109 هكذا اعتراني العجب في المحبة الفياضة
لمن ذاق ـ وهو البشري ـ طعمَ

https://jadidpdf.com

السلام العُلوي بالنظر والتأمل.

112 قال: «أيها الإبنُ العزيز للنعمة
لاتستطيع أن تعرف حالة البَركة إذا بقيتْ
عيناكَ على تلك الأشياء التحتانية،

115 فدع عينيك تصعدان إلى الأعلى
حيث ترى الملكة التي تخضع لها هذه
المملكةُ التي توَّجتْها وعلى عرشها أجلسَتْها».

118 نظرتُ إلى أعلى ومثلما يزيد نور الشرق لدى
اكتمال الفجر من جمال البقعة التي يسقط
عليها شعاع الشمس من علٍ،

121 هكذا فعل شعاعٌ في القمة التي
رفعتُ إليها نظري من الوادي السحيق
وقد فاق بسطوعه كل الأنوار الأخرى.

124 وكما تشعشع السماء بالأنوار في المنطقة
الأرضية التي نتوقع أن نرى فيها خط
سيرِ عربة السماء التي أساء قيادتها فيثون

127 بينما تُظلم في الجانبين ـ هكذا
اتّقدت شعلة السلام الذهبية
في المركز وتلاشت بالتساوي في الطرفين.

130 وفي المركز انتشرت أجنحة عظيمة
وشاهدتُ أكثر من ألف ملاك يحتفلون،

https://jadidpdf.com

كلُ واحد تميز من الآخر بنوره وفنه.

133 وهناك شاهدت تلك المبتسمةَ للأغنية
والحركة، التي جمالها يدخل كالبركة
في عيون كل أهل ذلك البلاط المقدس.

136 ولنفرضْ أن كلامي جارى تفكيري
فإني لا أجرؤ أن أقوم بأدنى محاولة
لوصف سرورها وكمالها.

139 وعندما رأى برنارد عيني شاخصتين
وبالشغفِ الملتهب ترنوان،
صَعّد عينيه إلى تلك الذروة بالحب والشوق

142 اللذين أوقدا في الصدر ناراً وأشعلا
في الأحداق لهيباً.

الملاحظات:

1 ـ في النشيد (30: 43) بياتريس تعد دانتي أنه سوف يرى حشود الملائكة. الحشد الأول هو جند الله المقدسون الذين كانوا في الأصل بشراً، ثم أعتقهم المسيح. وهم يجلسون على عروش في الوردة السماوية. هل سيبقون إلى الأبد في هذه العروش؟ إن هذا سر لايكشفه دانتي. أما الأجناد السماوية الأخرى التي تشكل الحشد الثاني فهم الملائكة: وهم طوباويو السماء الأصليون وأول الخلائق.

13 ـ صورة الرب والسماء تجدها في حزقيال (1: 4)

14 ـ هناك صورة مشابهة لهذه الصورة في دانيال (10: 4)

22 ـ الله ينير الأشياء بحسب استحقاقها وجدارتها.

27 ـ هدف واحد: هو الله.

32 ـ هيليسي: عشيقة زيوس. حوّلها وابنها إلى الدب الأكبر والدب الأصغر في السماء خوفاً من زوجته هيرا (جونو).

https://jadidpdf.com

59 ـ شيخ: هو برنارد (1090 ـ 1153) ناسك متصوّف ومؤلف طوّر نظام البندكتيين. كل الأديرة التي أقامها كرّسها للعذراء، ولذلك توحد بعبادتها.

68 ـ الحلقة الثالثة: في الحلقة الأولى من الوردة السماوية تجلس مريم العذراء، وفي الحلقة الثانية تجلس حواء. وراحيل تأتي بعد حواء. وبياتريس تجلس عن يمين راحيل في الحلقة الثالثة. ولانستطيع أن نناقش أهمية الثلاثي: العذراء ـ حواء ـ راحيل فهذا أمر يدخل في باب الأسكاتالوجيا. كما أنه يختلف باختلاف التصور الفردي الأخروي.

81 ـ أرض الجحيم المتصدعة: هي أرض الليمبو حيث يوجد فرجيل. وقد تصدعت عقب دخول المسيح لاختيار بعض الأنفس وإخراجها من الجحيم.

103 ـ كرواتيا: لاتعني شيئاً سوى الدلالة على الأرض البعيدة النائية.

104 ـ فيرونيكا: هي أيقونة رُسمت عليها فيرونيكا ومنديلها. قصتها أنها قدمت منديلاً ومسحت وجه المسيح وهو في طريق الجلجلة إلى الصلب. مسح المسيح وجهه وأعاد لها المنديل. نظرت فيرونيكا في المنديل فرأت وجه المسيح، فَطوّبت قديسة.

110 ـ هناك ليجندة عن برنارد تزعم أنه رأى السماء بطبقاتها، وهو مازال في الأرض، وذلك عن طريق التأمل.

118 ـ لايُقصد من هذه الصورة أي شيء سوى استمداد الجمال من الآخر، فالأفق الغربي، على الرغم من أن الشمس ليست فيه، يستمد الجمال من الأفق الشرقي أثناء شروق الشمس.

124 ـ بالنسبة إلى عربة فيثون، أي الشمس التي أخطأ قيادتها ابن أبولو (فيثون) فهناك اعتقاد بأن الطريق الذي سارت فيه هو الطريق الذي ينضح بالنور، بينما الظلام يعم الجانبين (القطب الشمالي والقطب الجنوبي).

132 ـ فنه: المقصود بحركته، أي بفن الرقص الذي يقدمه.

https://jadidpdf.com

النشيد الثاني والثلاثون

الأمبريوم القديس برنارد

مريم العذراء

عروش المباركين

الحكاية: القديس برنارد يرشد دانتي بين أوراق الوردة، فيشرح له أقسامها الرئيسية والنفوس المتوّجة فيها: عرش مريم في القمة ويحتل طبقة الستاديوم السماوي، يليه عرش يوحنا المعمدان. ثم يلي ذلك القديسون المسيحيون، من عرش العذراء حتى المركز (قلب الوردة الأصفر). في جهة نجد «المؤمنين بمجيء المسيح» وفي الجهة المقابلة نجد «المؤمنين بالمسيح الذي جاء». الصفّ الأدنى للوردة يشتمل في جهة على أطفال ما قبل المسيحية الذين أنقذتهم المحبة، وفي الجهة الثانية على الأطفال المسيحيين الذين أنقذتهم المعمودية، لكن عقل دانتي يبقى غير مقتنع بالنعمة المختارة، أي النعمة التي تختار من تريد، من غير منطق موحد. ويقول القديس برنارد بأن هذا سر يصعب على العقل البشري حله. وبعد أن يعدد القديسين ينتهي عند لوسيا، ويطلب من دانتي أن يرفع بصره إلى العذراء وأن يبدأ الصلاة لها.

1 غارقاً في بهجته، قال هذا المستبصرُ

القديس المتأمل، الذي شغل المنصبَ الشاغر،

كلماتٍ مازال بعضها يرنُّ في أذني فأسجله:

https://jadidpdf.com

4 «الجرح الذي شَفَتْهُ مريمُ باليد الطيبة
كان أول عمل، ثم عمقته تلك الجميلةُ
الباهرة الجالسة عند قدمي العذراء.

7 تحتها، في الدائرة المقدسة، التي
تشتمل على مرتبة الحب الثالثة، توجت
راحيل وبياتريس تجلس إلى يمينها ـ كما ترى.

10 سارة ورفقة ويهوديت وتلك
الجدة الكبرى لذلك المغني الشهير
الذي جعلته خطاياه يصرخ «ارحمني يا الله»

13 فإذا نزلنا أسفلَ المراتب الكبرى طبقة طبقة
فسأسمّيهم لك حسب النظام التنازلي
ورقةٌ ورقة، وستعيهم تماماً.

16 ومن بعد السابعة، وابتداءً من
الطبقة السادسة الأولى سلالةُ النساء
اليهوديات موزّعات على ضفائر الوردة

19 وقد انتظمن ليشكلن جداراً ويقسمن
إلى مراتبَ بحسب رؤية المسيح
الذي يحدّد إيمان هؤلاء في كل جانب.

22 ففي الجانب الذي أزهرت فيه الوردة بشكل كامل
وحتى آخر ورقة، تجلس النساء اللواتي يؤمنَّ
بأن المسيح لابد آتٍ،

https://jadidpdf.com

25 أما الجهة الأخرى من أنصاف الدوائر
التي توجد فيها مقاعدُ شاغرة فتجلس
فيها اللواتي يؤمِنَّ بالمسيح الذي أتى.

28 وكما في هذا الجانب يقوم عرش
السيدة السماوية مع العروش الأخرى
بتنظيم هذا التقسيم القائم،

31 كذلك في الوجه الذي يقابلها
يقوم عرش يوحنا العظيمُ المقدسُ إلى
الأبد، الذي تحمّل الصحراءَ والشهادة وعذاب الجحيم.

34 وتحته يتشكل الخط الذي يوجد فيه
فرنسيس وبندكت وأوغسطين وآخرون
نزولاً حتى المركز حلقة حلقة.

37 وأعجب الآن من الفكر النبوئي العميق:
فهذه الحديقة ستكون مكتملةً عندما
يمتلئ الجانبان بإيمان واحد بالتساوي.

40 واعلمْ أنه تحت تلك الطبقة التي تقطع
الجدارين الفاصلين في النقطة المركزية
لايوجد كائنٌ ملأ مقعده بفضل عمله

43 بل بفضل عمل الآخرين، وتحت شرط صارم،
لأن كل هؤلاء أرواحٌ تحررت من الجسد
قبل أن تنضجَ وتصل إلى حد الاختبار الحر.

https://jadidpdf.com

46 ويمكنك أن تقرأ هذا في نعيمهم الطفولي:
فلا حاجة إلى أكثر من أن تسمع صوتهم الحادّ
وتتمعنَ جيداً في وجوههم.

49 مالي أراك صامتاً: الشكُّ يهدُّ كيانك.
وحتى أحررك سأفكُّ الحبال
التي كبلت بها أفكارك.

52 يسود هذه المملكة نظام مطلق
فلا يمكن للمصادفة أن تلعب فيه
أكثرَ من الجوع أو العطش أو العذاب.

55 فكل ماتراه يسير وفق القانون
الأبدي، وقد وُضع بدقة
كدقة الخاتم في الإصبع.

58 كل من كانت حياته قصيرة
في الحياة الدنيا لايُصنَّف في مرتبة
أعلى أو أدنى بدون سبب وجيه.

61 فالملك الذي تخضع له هذه المملكة
بالحب والبركة لايجرؤ أحد
أن يضاعفَ بهجته، فيخلقَ وينظمَ

64 العقولَ لكل من في الفردوس البهيج
وفقاً لصورته هو، ويرتّب درجات
النعمة كما يريد. ويكفي أن ترى النتيجة.

https://jadidpdf.com

67 ويروي لك الكتاب المقدس هذه
النتيجة في قصة التوأمين اللذين
تصارعا وهما في رحم أمهما.

70 فبعد الموافقة على منحهما النعمةَ
ترى أن النورَ الأسمى تتحدد
هالته وفقاً لقانون شَعْرهما.

73 فليس من خلال مزايا الأعمال والأعمار
ينال البشر درجاتهم المختلفةَ،
بل حسب النعمة المقررة مسبقاً.

76 في القرون الأولى لخلق البشرية
كانت براءة الأبوين وإيمانهما الحقيقي
هما كل ما يحتاجه الفرد لتحقيق التحرر.

79 عندما انصرم العصر الأول للإنسان
كان الخِتان مفروضاً على الذكور
حتى تتدعمَ أجنحةُ البراءة بقوة كافية.

82 لكن حين حل عصر النعمة على البشرية
فما لم تتمّ المعمودية كاملةً في المسيح
فإن هؤلاء الأبرياء ينزلون إلى الليمبو.

85 انظر الآن إلى الأعظم شبهاً بالمسيح
فالمجد العظيم لنورها وحده فقط
يمكن أن ينقّي عينيك فتنظر إلى المسيح».

https://jadidpdf.com

88 رأيت أمطاراً من البهجة تنهمر على ذلك الوجه ـ
تمنحها له تلك العقولُ المباركة التي
خُلِقَتْ خصيصاً لتملأ تلك الذرى حولها ـ

91 حتى أنني خلال كل ما صادفته في الطريق الطويل
الذي قطعته لم أجد شيئاً جعل نفسي في خشية
ولا قدَّم مثل هذه المشابهة لله.

94 الحبُّ الذاتي الذي كان أول من نزل إليها
قائلاً: «السلام عليك يا مريم يا ممتلئةً نعمة»
وقف أمامها بجناحين مبسوطين.

97 وهكذا انطلقت أنشودةٌ مقدسة لملكة السماء
فانضمَّ إلى هذه الأغنية جميع المباركين
وغنُّوا بوجوه مشرقة هادئة:

100 «أيها الأب المقدس، يا من تحمّلتَ
من أجل البُعد عن المكان الجميل
الذي رفع القدرُ عرشكَ الأبديَّ عليه.

103 من ذلك الملاكُ الذي بشوق يحدّق
في عيني ملكتنا الجميلة، وقد
امتلأ بالحب حتى كاد يلتهب؟».

106 هكذا طلبتُ المعلومات من ذلك العظيم
الذي يستمد جمال ضيائه من مريم
كما تستمدُّ نجمة الصباح جمالها من الشمس.

https://jadidpdf.com

109 قال: «كل البهجة والروعة المتوافرتان
في نفس أو ملاك (ويجب أن يتوافرا)
موجودتان فيه وظاهرتان بوضوح.

112 ولهذا السبب حمل سعفة النخيل
إلى العذراء عندما قرر ابنُ الله
أن يحمل عبء البؤس الإنساني.

115 ولكن وجّهْ بصرك حيث تشير كلماتي
بين ذلك البلاط، وراقبِ الأمراءَ
الكبار لإمبراطورية العدل والتقى.

118 ذانك الاثنان الجالسان قريباً
من نور إمبراطورة البهجة هما
الجذران الأبديان لهذه الوردة:

121 الذي يجلس على يسارها تماماً
هو الأب الذي كلفته شهيته كثيراً
وجلبت على الجنس البشري طعمَ المرارة،

124 والذي على يمينها، العتيقُ الذي تراه
هو أبو الكنيسة المقدسة الذي سلّمه
المسيحُ مفتاحيّ وردة الجمال الأبدي هذه.

127 فذاك الذي قبل موته
أخبر عن الفصول الحزينة للعروس الجميلة
التي سبّبتها الحربةُ والمسامير، يجلس عن يمينه.

https://jadidpdf.com

130 وعلى مقربة منه، وبالقرب من الأخ الآخر
يجلس القائد العظيم الذي نزل عليه المنّ
لإطعام العشيرة الجاحدة المتمردة.

133 ومقابل دائرة بطرس تجد حنة،
إنها تشعر بالبركة في النظر إلى ابنتها.
عيناها لاتتحركان وهي تغني «أوصِنا»

136 وفي الطرف المقابل لأبينا كلّنا
تجلس لوسيا التي كانت أول من بَعث
سيدتكَ إليك عندما أوشكْتَ على السقوط.

139 لكن لحظاتِ هذه الرؤيا تتلاشى،
ومثلما يضطر الخياط أن يفصّل لكم مما تبقى من القماش
كذلك يجب أن نسير، ونرنو بأعيننا

142 إلى الحب الأول، إذ كلما تدعمت قواك
بالنظر إليه، أمكنك الاختراق
بعيداً بقدر ما يسمح ضياؤه.

145 وإلا فسوف تتراجع عندما تصفّق
بجناحيك البشريين، وأنت تعتقد أنك تعلو
فتتذكر أن النعمة لاتأتيك إلا بالصلاة.

148 لذلك سوف أصلّي لتلك المباركة
القادرة على المساعدة ساعةَ اللزوم.
فأنت تتابعني بالنفوس وقلبك ملتزم بما أقول».

https://jadidpdf.com

151 وبهذه الكلمات طفق القديس يصلي.

الملاحظات:

2 ـ المتأمل: في مريم العذراء. شغل المنصب الشاغر: حل محل بياتريس (انظر نشيد 31: 12 ـ 117).

4 ـ الجرح: خطيئة حواء. اليد الطيبة: المسيح.

5 ـ عمقته: أغرت آدم بالعصيان. الجميلة: حواء.

9 ـ راحيل: انظر الجحيم 2: 102 وهي الروح المتأملة.

10 ـ سارة: زوجة ابراهيم وتدعى أم اليهود (انظر عبرانيين: 11 : 11 ـ 14). رفقة: زوجة اسحق، ويهوديت حررت اليهود (انظر سفر يهوديت في الأبوغريفيا).

11 ـ الجدة الكبرى: راعوث جدة داوود. المغني الشهير: داوود.

12 ـ خطاياه: أرسل أوريا إلى الخطوط الأولى طمعاً بزوجته. «ارحمني يا الله» هو المزمور الخمسون.

18 ـ ضفائر الوردة: يعامل الوردة هنا كأنها شعر مضفر.

32 ـ يوحنا العظيم: يوحنا المعمدان. عاش في الصحراء ومات على يد هيرودوس أنتيبوس قبل سنتين من الصلب. انتظر في الليمبو سنتين حتى جاء المسيح بعد القيامة وخلصه (الجحيم 4: 53).

40 ـ تحت تلك الطبقة: النصف الأدنى للستاديوم يشمل الأطفال المباركين.

49 ـ الشك: الشك هو أن الأطفال يصنفون ليس بناء على مزاياهم الخاصة. إذن لماذا يضعونهم في مراتب؟

58 ـ حياته قصيرة: الأطفال، لأنهم لايعمرون على الأرض.

66 ـ النتيجة: السبب.

68 ـ التوأمين: عيسو ويعقوب (راجع التكوين 15: 21) فقد تخاصما في رحم أمهما.

81 ـ بقوة كافية: حتى تصعد إلى السماء.

85 ـ الأعظم شبهاً بالمسيح: مريم العذراء.

88 ـ ذلك الوجه: العذراء.

94 ـ الحب الذاتي: الملاك جبرائيل.

127 ـ ذاك الذي: يوحنا الإنجيلي البشير. ونبوءته موجودة في سفر الرؤيا.

131 ـ القائد: موسى.

133 ـ حنة: أم العذراء مريم.

137 ـ لوسيا: انظر الجحيم 2: 97 ـ 100

148 ـ تلك المباركة: مريم.

https://jadidpdf.com

النشيد الثالث والثلاثون

الأمبريوم القديس برنارد

صلاة إلى العذراء

رؤيا الله

الحكاية: يقدم القديس برنارد صلاته الخاشعة إلى مريم العذراء سائلاً إياها أن تتشفع لدانتي حتى يرى الله، فيشعر دانتي بالقوة تسري في كيانه والغبطة تملأه، فقد صارت عيناه قادرتين على رؤية الله مباشرة.

ليس هناك مقياس للمدة التي استغرقتها الرؤيا، والتي تحملها دانتي. وأمام الحضرة الإلهية رفع بصره إلى السر ليفهم قدرته وجلاله. ثم ثاب إلى نفسه وليس فيه قوة تمكنه من التحدث عن حقيقة مارأى. لكن الحقيقة منطبعة في نفسه.

1 «أيتها الأم العذراء، يا بنتَ ابنها
فقتِ كل المخلوقات تواضعاً وتمجيداً.
كل البشر تهفو إليك يا هدفاً أبدياً.

4 أنتِ سَمَوْتِ بالطبيعة البشرية
حتى أن الخالق المقدس لم يأنفْ
أن يجعل نفسه مخلوقاً لمخلوقة.

https://jadidpdf.com

7 في رحمك اشتعل الحب الذي
بحرارته اشتعل السلامُ الأبدي
ومن شعاعه أزهرتْ هذه الوردة.

10 هنا أنتِ لنا وهجُ
الحب الذي انكشف، وبين البشر
كنتِ ينبوع الأمل الأبدي.

13 أيتها السيدة، أنت قريبة إلى الله
حتى أن من يبحث عن النعمة ولايبحث
عنك أولاً طارت رغبته من غير جناح.

16 إن رأفتكِ لاتتدفق على
كل من يطلبها فقط، بل إن مَبرّتك
تسبق غالباً طلبَ مرتجيها.

19 الرحمة فيك وفيك الشفقة.
فيك القلب العطوف، وفيك
تتحد كل الخليقة التي تعرف الخير.

22 والآن يأتي هذا الرجل الذي من
آخر حفرة في الكون وحتى هذه الذروة،
عرف الحيوات الثلاث للروح، حياةً بعد حياة.

25 إليك يصلي متضرعاً لكي تمنحيه
النعمةَ والقوة، ليتمكن من رفع
عينه إلى الإلهام الشافي.

https://jadidpdf.com

28 وأنا الذي لا أرغب أن أرى الله
أكثر مما أرغب أن يراه هو، أتمنى أن
تضمي صلاتي إلى صلاته عسى

31 أن تكون كافية لتدفقك إلى إزالة
كل أثر من الظلّ البشري العالقِ به
وأن تدعيه يرى النعمةَ الإلهية.

34 إني أزيد من صلاتي إليك أيتها الملكة
لتحميه من كل نقائص الطبيعة البشرية
وتقوّيه بعد أن صار بصره سليماً.

37 احفظيه من كل نوازع الطين البشري،
وانظري كيف بياتريس والحشدُ المبارك
ضمُّوا الأيدي تأييداً لصلاتي».

40 إن العينين اللتين يبجلهما الله ويحبهما
بقدر ما يزيد توهج حرارة المصلي، أظهرتا
البهجةَ التي استجاب لها الله بالصلاة الحقيقية.

43 ثم التفتَ ببصره إلى الشعاع الأبدي
الذي لايُتاح ـ ويجب أن نصدّق هذا ـ
لعيون الآخرين مثل هذا السبيل.

46 وأنا الذي اقتربت من الهدف بكل طبيعتي،
شعرت بنفسي تصل إلى ذروة تشوقها
وفجأة خيّم عليَّ الهدوء مع النشوة.

https://jadidpdf.com

49 ابتسم برنارد بعذوبة وأشار علي
أن أنظر إلى أعلى، ولكني كنت
قد أصبحتُ وقتها طوع بنانه.

52 كلما تعظَّمتْ رؤياي قليلاً قليلاً
ازداد اختراقها للهالة التي
تحيط بالمصباح الذي هو الحقيقةُ في ذاته.

55 ما رأيته ساعتئذ أعجزَ من أن يحيط به لسان.
إن كلامنا البشري يقصر جداً عن الرؤيا،
كما أن الذاكرة تسقط مغشياً عليها.

58 ومثل من يرى في الأحلام ثم يستيقظ
ليجد رؤاه انطبعت عاطفياً فيه
فيشعرَ بها بينما أجزاؤها تتلاشى من ذهنه،

61 هكذا صار معي، وقد فقدتُ تقريباً
كل الرؤيا، بينما أشعر في قلبي ووجداني
بعذوبتها ماثلة لم تذبلْ ولم تتلاشَ.

64 هكذا تزول آثار الأقدام في الثلج تحت الشمس
وعلى الريح الوحشية التي تحمل الأوراق المرتجفة
تضيع نبوءات سيبيل وتتبعثر.

67 فيا أيها النور السامي الذي تحلِّقُ
بعيداً بعيداً فوق فهم الإنسان الفاني
تحنَّنْ على ذاكرتي بومضة مما رأيت.

https://jadidpdf.com

70 هَبْ للساني بعض الفصاحة ليخبرَ
بمجدك ولو بإشارة واحدة لهؤلاء
الذين يتبعونني في الحياة الدنيا.

73 أنا إذا عادت إليَّ الذاكرة
ولو بعضها، وبعضها الآخر أتلوه في
أشعاري، فسأُظهِرُ للإنسان مجدك.

76 كان نور ذلك الشعاع قوياً بحيث أزاغ
بصري وأفقدني كل حواسي
التي بعد برهة عادت إليَّ

79 وكان أنني عندما عدت إلى وعيي
استطعت تَحَمّلَ النظرِ إلى أن
وصلتْ رؤياي إلى رؤية الخير الأسمى.

82 إن النعمة الوفيرة هي التي جعلتني
قادراً أن أشخَصَ ببصري إلى النور الأبدي
حتى استنفذتُ كل طاقة بصري فيه.

85 رأيت في داخل أعماقه كيف يدرك
كلّ الأشياء بومضة واحدة من الحب
الذي ليس الكون فيه سوى وريقات مبعثرة.

88 الجواهرُ والأعراضُ، وعلاقتهما
كلها تنصهر، بحيث لاأستطيع إلا أن أقول
إنها ليست سوى ومضة من الإلهام المشرق.

https://jadidpdf.com

91 أظن أنني رأيت شكل الكون الذي
يربط تلك الأشياء، لأني وأنا أنطق
هذه الكلمات أشعر بالبهجة تملأ روحي بالدفء.

94 لحظة واحدة غمرتني بالنسيان أكثر بكثير من
نسيان الأرغو التي منذ خمسة وعشرين قرناً
أذهلَتْ نبتون عندما رأى ظلها يعبر البحر.

97 وهكذا عقلي، وقد أخذه الذهول والدهشة،
وقف يحدّق حائراً بلا حراك ولاقصد
وظلت حيرتي مادام بصري يحدّق.

100 إن الروح، وقد جربت هذا النور
يستحيل عليها الاقترابُ منه ولاحتى
التفكيرَ في الابتعاد عنه،

103 لأن الخير الذي هو الشيءُ المطلق لإرادتنا
مجمعٌ لكل الأشياء، فكلها فيه مكتملة
وخارجه تبقى ناقصة معطلة.

106 أما بقية ما أستطيع تذكره
فلا أملك من القوة لأنطقَ أكثر من
طفل يتلعثم بلسانه على صدر أمه.

109 ليس لأن النورَ المفعم حمل
أكثر من مظهر واحد، فهو الآن
كما هو من قبلُ لايتغير.

https://jadidpdf.com

112 لكن الأمر أنني كلما صرت جديراً بالرؤيا،
ونظرت بدقة أكثر، بدا لي المظهر الذي
لايتغير كأنه يتغير مع أي تغيّر يحدث في ذاتي.

115 داخل الجوهر الصافي الذي لايُسبر غوره
لتلك الهوّة النورانية ظهرت ثلاث دوائر ـ
ثلاثٌ في اللون أما المحيط فواحد:

118 الثانية من الأولى، قوس قزح من قوس قزح.
والثالثة زفرة من نار صافية
خرجت من الاثنتين، وهي مساوية لهما.

121 ولكن أواه كم تخطئ كلماتي في تحديد مفهومي،
الذي هو نفسه يَبعد كثيراً عما رأيت،
ولو قلت إنه ضعيف لقصّرتُ في وصفه.

124 فيا أيها النور الأبدي الشاخص إلى نفسه
وبنفسه يفهم نفسه، ومن نفسه ينبثق
كل حب لنفسه ومعرفة بنفسه.

127 والهالة الثانية التي منها تشع
تبدو كأنها انعكاس للأولى
أو هكذا تبدو لناظري،

130 كأنها تلوّن نفسها بنفسها
وقد رُسمت على هيئة إنسان،
فشخصتُ ببصري إليها في تأمل عذب.

https://jadidpdf.com

133 ومثل المهندس الذي يبذل جهده
لجعل الدائرة مربعاً، لكنه لايجد
أي مؤشر أساسي يشير إلى ذلك ـ

136 كذلك أنا عندما درستُ الوجه السامي.
رغبتُ أن أعرفَ كيف اندمجَتْ
صورتنا بالدائرة وكيف وجدتُ لها مكاناً،

139 لكن أجنحتي لم تكن أهلاً لمثل هذا التحليق.
إن الحقيقة التي رغبتُ إدخالها
في عقلي أصدرتْ ومضاً عجيباً من النور.

142 هنا استراحت قواي من خيالها المحلِّق
لكني شعرت كأن كياني ـ رغبتي وعقلي
معاً كما لو وضعا في عجلة دوارة ـ

145 قد غيَّره الحب الذي يحرك الشمس وسائر النجوم.

الرموز والصور:

رؤيا الله: يمهد دانتي لرؤيا الله بشفاعة مريم العذراء، التي بوساطة القديس برنارد تقوي بصره فيصبح قادراً على النظر.

ماذا رأى دانتي أو ماذا تأمل؟ حاول أن يلعب بمسألة الثالوث وكيف أنهم ثلاثة في واحد فراح يخرج الدائرة من الدائرة ويعكس الدائرة على الدائرة، ويضع صورة الإنسان فيها متأثراً بما في آداب الوحدانية من أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله.

هذه هي الصفات المرئية. أما الصفات المعنوية فتكاد الأبيات 124 ـ 126 تلخص لنا جماع رأي دانتي أو تصوره. فالله نور في نفسه لنفسه، يرنو إلى نفسه وبنفسه يفهم نفسه، ومن نفسه ينبثق كل حب لنفسه وكل معرفة بنفسه.

https://jadidpdf.com

إن دانتي يدفعنا إلى الخواء. وهو يعرف هذا لذلك يقرّع نفسه في الأبيات اللاحقة بأنه هو المقصر العاجز عن الإتيان، ولو بلحظة واحدة كافية.

ويرى دانتي أنه بمقدار مايتخلص المرء من جسده يقترب من الله، فكأن إفناء الجسد عقوبة مازالت سارية منذ خطيئة حواء. ولكن ربما قصد تصوير الله بأنه الجوهر الصمد والواحد الأحد. ولماذا لايخرج كل ذلك من ذاته ليعود إلى ذاته مادام كل خلقه من الملائكة بحمده يسبحون وفي ملكه يدورون وله يغنون وينشدون ويرقصون؟

الملاحظات:

40 ـ إن العينين: عيني مريم العذراء.

54 ـ الحقيقة في ذاته: نور الله هو الوحيد الذي مصدر ذاته، والبقية تستمد النور منه.

65 ـ على الريح الوحشية التي تحمل الأوراق المرتجفة: سيبيل التي وصفها فرجيل في الفصل الثالث في الأنيادة كانت تكتب نبوءتها على أوراق، فتضع حرفاً في كل ورقة، وترسلها مع الريح فتتبعثر. ومن استطاع جمعها حصل على النبوءة.

87 ـ الفكرة هنا مأخوذة من أفلاطون فيقول إن جوهر الأشياء (شكلها) موجود في عقل الله. وكل الأشياء الموجودة هي أمثلة عن ذلك الشكل.

88 ـ الجواهر: المقصود الكيان المادي.

94 ـ المقصود هنا: أن اللحظة التي أذهلت دانتي عن نفسه أقوى من حادثة سفينة الأرغو التي وقعت منذ خمسة وعشرين قرناً، بمعنى أن لحظة واحدة إلهية تعادل كل تلك القرون.

https://jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة على مكتبة جديد كتب بدف

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

فهرس الجحيم

النشيد	الدائرة	الحلقة أو الخندق	الموضوع	الصفحة
1	-	-	الغابة المظلمة	37
2	-	-	الهبوط	46
3	المدخل	-	الانتهازيون	55
4	1	-	الليمبو	63
5	2	-	الشهوانيون	72
6	3	-	الشرهون	81
7	4	-	الجشعون والمبذّرون	88
	5		الغاضبون والمنزوون	
8	5	-	الغاضبون	96
9	6	-	الهراطقة	104
10	6	-	الهراطقة	112
11	6	-	الهراطقة	120
12	7	1	المسيئون للجار	127
13	7	2	المنتحرون	136
14	7	3	المسيئون لله والفن والطبيعة	145
15	7	3	السادوميون	154
16	7	3	المسيئون للطبيعة والفن	161
17	7	3	المسيئون للفن - جيريون	169
18	8	1 - 2	المخادعون والخبثاء	179
			القوّادون والغواة	
			المتملقون	
19	8	3	السمعانيون	187

https://jadidpdf.com

النشيد	الدائرة	الحلقة أو الخندق	الموضوع	الصفحة
20	8	4	العرّافون	195
21	8	5	المرتشون	203
22	8	5	المرتشون	211
23	8	6	المنافقون	220
24	8	7	اللصوص	228
25	8	7	اللصوص	237
26	8	8	الناصحون بالخديعة	246
27	8	8	الناصحون بالخديعة	255
28	8	9	زارعو الشقاق	263
29	8	10	المزيّفون (السيميائيون)	272
30	8	10	مزيّفو الشخصية والنقود والكلمة	280
31	-	-	الحفرة المركزية (العماليق)	289
32	9	1 ـ 2	كوسيتوس (قائين ـ أنتينورا)	298
33	9	2 ـ 3	كوسيتوس (أنتينورا ـ بطليموس)	307
34	9	4	كوسيتوس (يهوذا)	316

فهرس المطهر

النشيد	المكان	الموضوع	الصفحة
1	أمام المطهر: شاطئ الجزيرة	كاتو الأتيكي	329
2	أمام المطهر: شاطئ الجزيرة	النوتي الملاك ـ كاسيلا	338
3	أمام المطهر: سفح الجبل	المتأخرون في التوبة الطبقة الأولى: العصاة مانفرد	346
4	أمام المطهر: الإفريز الأول	المتأخرون في التوبة الطبقة الثانية: الكسالى بيلاكوا	355
5	أمام المطهر: الإفريز الثاني	المتأخرون في التوبة الطبقة الثالثة: موتى بلا مراسم	363
6	أمام المطهر: الإفريز الثاني	المتأخرون في التوبة الطبقة الثالثة: الذين قتلوا بالعنف سورديلو	371
7	أمام المطهر: الإفريز الثاني الوادي المزهر	المتأخرون في التوبة الطبقة الرابعة: الحكام المهملون	380

https://jadidpdf.com

النشيد	المكان	الموضوع	الصفحة
8	أمام المطهر: الوادي المزهر	الحكام المهملون ـ هبوط الليل أحد الفصح ـ الملاك الحارس	389
9	بوابة المطهر	الملاك الحارس	397
10	الكورنيش الأول	سمّ الإبرة ـ سوط الكبرياء المتكبرون	406
11	الكورنيش الأول	المتكبرون	415
12	الكورنيش الأول	المتكبرون لجام الكبرياء ملاك التواضع	424
13	الكورنيش الثاني	الحاسدون سوط الحسد	433
14	الكورنيش الثاني	الحاسدون لجام الحسد	442
15	الكورنيش الثاني الصعود الكورنيش الثالث	الحاسدون ملاك المبرّة الغاضبون سوط الغضب	451
16	الكورنيش الثالث	الغاضبون ماركو لومباردو	460
17	الكورنيش الرابع الصعود	الغاضبون لجام الغضب ملاك الوداعة	469
18	الكورنيش الرابع	المتقاعسون سوط التقاعس لجام التقاعس	478
19	الكورنيش الرابع الصعود الكورنيش الخامس	حلم دانتي عن سيرين ملاك الغيرة الجشعون والمبذرون	487
20	الكورنيش الخامس	الجشعون والمبذرون سوط الجشع لجام الجشع	496
21	الكورنيش الخامس	الجشعون والمبذرون ستاتيوس	506
22	الكورنيش السادس	الصعود الشرهون الشجرة سوط الشراهة	515
23	الكورنيش السادس	الشرهون	524
24	الكورنيش السادس	الشرهون شجرة المعرفة لجام الشراهة	532
25	مغادرة الكورنيش السادس	الصعود خطاب ستاتيوس	542

https://jadidpdf.com

النشيد	المكان	الموضوع	الصفحة
26	الكورنيش السابع	الشهوانيون لجام للشهوة	550
27	الكورنيش السابع	ملاك العفة سور النار الملاك الحارس	559
	الفردوس الأرضي		
28	الفردوس الأرضي	ليثي	568
29	الفردوس الأرضي	ضفاف ليثي الموكب السماوي	577
30	الفردوس الأرضي	بياتريس اختفاء فرجيل	587
31	الفردوس الأرضي	ليثي بياتريس ـ ماتيلدا	596
32	الفردوس الأرضي	بياتريس حاسرة رحيل الموكب السماوي انتقال العربة	605
33	الفردوس الأرضي	أيونو دانتي يكمل تطهره	615

فهرس الفردوس

النشيد	المدار	الموضوع	الصفحة
1	الفردوس الأرضي مدار النار	الابتهال الصعود إلى السماء وموسيقى المدارات	629
2	الصعودإلى القمر 1 ـ القمر	تحذير إلى القارئ بياتريس تشرح معالم القمر	638
3	القمر	النكوص بيكاردا ـ كونستانسي	647
4	القمر	خطابات بياتريس المجلس الحقيقي للمباركين خطأ أفلاطون حرية الإرادة جزاء النكوص عن النذر	656
5	الصعود إلى عطارد 2 ـ عطارد	خطابات بياتريس الساعون إلى الشرف الإمبراطور جوستنيان	665
6	عطارد	الساعون إلى الشرف جوستنيان تاريخ النَّسر الروماني	674
7	عطارد	الساعون إلى الشرف جوستنيان	684
	الصعود إلى فينوس	خطابات بياتريس	

https://jadidpdf.com

النشيد	المـــــدار	الـمـــوضـــوع	الصفحة
8	3 ـ فينوس	المحبون ـ شارل مارتل	693
9	فينوس	كونيتزا ـ فولكيت ـ راحاب	703
10	الصعود إلى الشمس	دكاترة الكنيسة	713
	4 ـ الشمس	الإكليل الأول من الأرواح:	
		توما الأكويني	
11	الشمس	دكاترة الكنيسة	724
		الأكويني يمدح القديس فرنسيس	
		انحطاط الدومنيكان	
12	الشمس	دكاترة الكنيسة	733
		الإكليل الثاني من الأرواح	
		بونافنتورا	
		تسبيحة القديس دومنيك	
		انحطاط الفرنسيسكان	
13	الشمس	اللاهوتيون ودكاترة الفلسفة	744
		الأكويني	
14	الشمس	الحلقتان	753
		الفلاسفة واللاهوتيون	
		سليمان	
	الصعود إلى المريخ	الحلقة الثالثة من الأرواح	
		جند الله	
	5 ـ المريخ	رؤيا المسيح على الصليب	
15	المريخ	جند الله ـ كاشياغيدا	762
16	المريخ	جند الله ـ كاشياغيدا	771
17	المريخ	جند الله ـ كاشياغيدا	780
18	المريخ	الشجعان ـ كاشياغيدا	789
		جند الله الكبار	
	الصعود إلى جوبيتر		
	6 ـ جوبيتر	الحكام العادلون والمعتدلون	
		رؤيا الأنوار الباهرة للنسر	
19	جوبيتر	الحكام العادلون والمعتدلون	798
		النسر الروماني	
20	جوبيتر	الحكام العادلون والمعتدلون	807
		النسر الروماني	
21	الصعود إلى ساتورن	المتأملون ـ دميانو	816
	7 ـ ساتورن		
22	ساتورن	المتأملون ـ القديس بندكت	825
	8 ـ النجوم الثابتة	دانتي ينظر إلى الكون تحته	
23	النجوم الثابتة	انتصار المسيح ـ مريم العذراء	835
		الرسل ـ الملاك جبرائيل	
		القديس بطرس	
24	النجوم الثابتة	انتصار المسيح	844
		القديس بطرس	
		اختبار الإيمان	

https://jadidpdf.com

النشيد	المـــــدار	الـمـــوضـــوع	الصفحة
25	النجوم الثابتة	القديس يعقوب اختبار الرجاء القديس يوحنا الرسول	854
26	النجوم الثابتة	اختبار المحبة ـ آدم	863
27	النجوم الثابتة	إدانة الفساد البابوي	872
28	9 ـ المحرك الأول	مراتب الملائكة	881
29	المحرك الأول	مراتب الملائكة	891
30	10 ـ الأمبريوم	مديح جمال بياتريس نهر النور الوردة السماوية عرش هنري السابع	900
31	الأمبريوم	الوردة السماوية حشد الملائكة بياتريس تترك دانتي القديس برنارد	909
32	الأمبريوم	القديس برنارد مريم العذراء عروش المباركين	918
33	الأمبريوم	القديس برنارد صلاة إلى العذراء رؤيا الله	927

جديد بدف
https://jadidpdf.com

«دانتي وشكسبير اقتسما العالم بينهما، ولا ثالث لهما».

ت.س. إليوت

«دانتي (1321 - 1265) هو أعظم شعراء إيطاليا، وكوميدياه الإلهية هي أعظم آثار العالم المسيحي».

دوروتي سايرز

الكوميديا الإلهية

جديد بدف®
jadidpdf.com

تفخر «دار ورد» بتقديمها للقارىء أول ترجمة عربية كاملة أمينة لكوميديا دانتي الإلهية بأجزائها الثلاثة، أشرف عليها وراجعها نخبة من الأساتذة والكتاب، الذين يؤكدون على جدية مشروع «دار ورد» في ترجمة الأعمال الكلاسيكية الخالدة، إضافة إلى ترجمة الأعمال المميزة لكبار الكتاب العالميين.

9 789933 484866